العرب

مجلة تُعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري

ج١ و٢ و٣ س ٥٩

رجب - رمضان ١٤٤٤هـ

شباط - نيسان/فبراير-أبريل ٢٠٢٣ م

تصدر عن: دار اليمامة للبحث والنشر والتوزيع - الرياض - المملكة العربية السعودية

في هذا العـــــــــدد

- الافتتاحيّة
  د.عبدالعزيز الخراشيّ
- غاية الأماني في أدباء زماني
  لأمين الدين محمد بن الحسن الأنفي
  تحقيق: د.جليل العطيّة
- أَبُو الحَسَنِ الزَّعْفَرَانِيُّ النَّحْوِيُّ: حَيَاتُــه، وآرَاؤُه
  د. محمّد بهاء كَكُّو
- نسبة كتاب التِّبيان إلى العُكبَريِّ المزوَّرة وجهود الباحثين في تصحيحها..إضاءات ومراجعة نقديّة
  د. محمد حسن الشعير
- عِمَادُ الدِّين زَنْكيّ وتَحْرِيرُ إمارَةِ الرُّها (٥٢٤-٥٤٤هـ/١١٢٩-١١٣٠م)
  د. علاء مصري النهر

arab@hamadaljasser.com

العرب

مجلة تُعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري

أسسها حمد الجاسر سنة ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م)

صاحب الامتياز المسؤول: معن بن حمد الجاسر

الجزء الأول والثاني والثالث - السنة ٥٩

رجب - رمضان ١٤٤٤هـ

شباط - نيسان /فبراير - أبريل ٢٠٢٣م

العنوان:

التحرير: واصل ٢٧٩٢ - طريق الإمام سعود بن عبدالعزيز - حي الشهداء

الرياض ١٢٤٣٢ - ٦٧٥٢

ص. ب: ٦٦٢٢٥ الرياض ١١٥٧٦، المملكة العربية السعودية

هاتف: ٢٦٩٠٥١٢ (٠٠٩٦٦١١) - **مباشر**: ٢٢٥٣٦٨٣ (٠٠٩٦٦١١)

الاشتراكات: ٦٩٧٨ شارع حمد الجاسر - حي الورود - الرياض.

ص . ب ١٣٧ الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٠٤٦٦٤ (٠٠٩٦٦١١) - **جوال**: ٠٥٤١٦٨٠١٢٤ (٠٠٩٦٦)

الصفحة الإلكترونية: www.hamadaljasser.com

للمراسلة: arab@hamadaljasser.com

ضوابط النشر في المجلة

١. أن يكـون البحث داخـلاً ضمن اهتمامات المجلة، وهي الموضوعـات المتعلقة بتاريخ العرب، وآدابهم، ولغتهم، وتراثهم الفكري.

٢. ألا يكون البحث مقدمًا للنشر في مجلة أخرى، وأن يكون في نسخته الأصلية.

٣. أن يتأكـد الكاتب من سلامة اللغة، وحسـن الترقيم والتوثيق، وضبط الألفاظ غير المألوفة بالشكل الصحيح.

٤. أن يتسم النقد بالأسلوب العلمي الخالي من الإساءة إلى شخصية المؤلف أو الباحث.

٥. لا تُعاد البحوث إلى أصحابها سواء أنشرت أم لم تُنشر.

٦. ترتيب البحوث داخل المجلة يخضع لاعتبارات فنية لا علاقة لها بمكانة الكاتب.

٧. الموضوعات التي تُنشر في المجلة تعبّر عن آراء كاتبيها وليس بالضرورة عن رأي المجلة.

٨. المكاتبات توجه إلى رئيس التحرير.

٩. تُرسل المادة في ملف (word) إلى عنوان المجلة:

arab@hamadaljasser.com

الاشتراك السنوي:

١٢٠ ريالًا للأفراد و ٣٠٠ ريال لغيرهم

ثمن الجزء ٢٠ ريالًا

بسم الله الرحمن الرحيم

ردمد (ISSN) : ٢٦٧١- ١٣١٩

الفهرس

الافتتاحيّة	د.عبدالعزيز الخراشيّ	٩
غاية الأماني في أدباء زماني لأمين الدين محمد بن الحسن الأنفي	تحقيق: د.جليل العطيّة	١١
أَبُو الحَسَنِ الزَّعْفَرَانِيُّ النَّحْوِيُّ: حَيَاتُـه، وآرَاؤُه	د. محمّد بهاء كَكُّو	١٣١
نسبة كتاب التِّبيان إلى العُكبَرِيِّ المزوَّرة وجهـود الباحثين في تصحيحها		
إضاءات ومراجعة نقديَّة	د. محمد حسن الشعير	١٦٧
عِمَادُ الدِّين زَنْكِيّ وتَحْريرُ إمارَةِ الرُّها (٥٢٤-٥٤٤هـ/١١٣٠-١١٤٩م)	د. علاء مصري النهر	١٩١

الافتتاحيّة

ما يزال البحث العلميّ في الحقول الإنسانيّة ممتدًّا امتداد حياة الإنسان، وما يجدّ فيها من تطوّر أو تغيير؛ ليتساوق المنجز العلميّ وحاجاتِ الإنسان والمجتمع.

إنّ هذا المنظور يقتضي من مراكز البحث العلميّ ومؤسّساته استحضار هذا الاحتياج في برامجها البحثيّة، ومخابرها العلميّة، ومسارات إصداراتها؛ كما يحمل الباحثين على انتجاع ما فيه إصغاءٌ لروح العصر واحتياجاته؛ ممّا لا يندّ عن روح الاختصاص في حقل من حقول العلوم الإنسانيّة.

لقد ران على كثير من المنجزات العلميّة الاجترار العلميّ، والنّسج على المنوال، والصّدى لأصوات مضى عليها الزّمن، كانت تراهن على أن تجيء بعدها أصوات تواصل المسير، لا أن تقفو آثارها بعلم وبغير علم.

أثّرت هذه الصّورة النّمطيّة في المتصوّر التّنمويّ، وأفرزت ردّ فعل غير مقبول إزاء الحقول الإنسانيّة الّتي باتت قاب قوسين أو أدنى من الازورار عنها، ولا أقول: الإزراء بها وبمخرجاتها.

غير أنّ ذلك لا يسوِّغ حصر المنجز العلميّ للحقول الإنسانيّة في مساق النّفعيّة الّتي ترى كلّ منجز رقمًا حيويًّا؛ ذلك أنّ المغنم التّنمويّ والرّصيد الحقيقيّ الّذي لا ينفد ولا يبلى هو فيما تحدثه هذه الحقول من صناعة جوهر الإنسان الّذي يمثّل مادّة الحياة.

إنّ تلك الحقول الإنسانيّة بمنزلة الأمّ الّتي تُعِدُّ أبناءها غيرَ أنّ المادّيّين يرونها عبئًا على المجتمع بما أنّها لا تُدِرّ، وما درى أولئك أنّ نسغ الحياة والعمل الجاري في أفراد المجتمع مردّه إليها؛ مثلما أنّ مردّ النّجاح الباهر للمنجز الحضاريّ المادّيّ إلى اللّبنة الأولى، تلك الحقولِ الإنسانيّةِ الّتي صاغت جوهر الإنسان، وصانت قيمه، وجعلته مادّة صالحة في الحياة.

إنّ المنجز الحضاريّ لدى الأمم كلٌّ مركّبٌ من المعارف، والفنون، والآداب، والقيم، وجملة الآثار القوليّة والفعليّة الّتي أسهمت في صناعة الإنسان، وصياغة الزّمان والمكان.

ذلك التّكوين المركّب لا يصحّ الإخلال بأحد مكوّناته إقصاءً أو تغليبًا؛ لكي يظهر مكتملًا متماسكًا متعدّد العناصر والمكوّنات.

وبعدُ؛ فلا أقلّ من نِظْرة حصيفة توازي بين مسارات الحقول العلميّة؛ فلا تغلّب حقولًا على أخرى بدعوى النّفعيّة أو العائد التّنمويّ بما أنّ الحقول الإنسانيّة هي رأس المال البشريّ.

د. عبدالعزيز بن عبدالله الخراشيّ

رئيس التّحرير

غاية الأماني في أدباء زماني

تأليف

أمين الدين محمد بن الحسن الأنفي

(٧١٣ - ٧٨٦هـ)

تحقيق

د. جليل إبراهيم العطية

بين يدي

لكل مدينة زرتها في حياتي مذاق خاص.

لكن لمدينة أكسفورد البريطانية مذاقها المتميز، المتضوع عطرًا.. زرتها سنة ١٩٩٨م بدعوة كريمة من قريب لي.. وأمضيت أيامًا جميلة بين أروقة البودليان التابعة لجامعتها. كان حصاد هذه الزيارة الظفر بتصوير عدة مخطوطات فريدة أو نادرة، نشرت منها نصًّا صغيرًا لابن البواب (ت٤١٣هـ) عنوانه: أخبار وإنشادات وحِكم (الرياض، ٢٠٠٢م).

وكان بين ما أعدّه لقطة بارعة (غاية الأماني في أدباء زماني) لأمين الدين محمد بن علي بن الحسن، الأنفي، الدمشقي، المالكي.. المتوفى سنة ٧٨٦هـ. ولم أجد لهذا الكتاب أيَّ ذِكر في المصادر والمراجع الكثيرة التي أُبت إليها.

- المخطوطة مكتوبة بخط مؤلفها الذي يكاد يكون مغمورًا رغم أنه

مـن تلامذة الـبرزالي والذهبـي والصفدي – وهم من ألمـع علماء القرن الثامن الهجري، لكنها –المخطوطة– حافلة بالأخطاء والسقط والنقص والأوهـام، وجربت العثور على أخت لها لتعينني على تلافي نواقصها. لكن محاولاتي باءت بالخيبة.

- الأنفـيُّ منسوب إلى بليدة تدعى أنفـه –بالتحريك– تقع على ساحل بحر الشام.. لكن كثيرًا من المصادر تحرف اسمه إلى الألفي باللام!

والرجـل قاضٍ ومحدث وشاعـر ألّف (غاية الأمـاني في أدباء زماني)، وهو كتـاب صغـير الجرم، كبـير الفائدة، جمع فيـه تراجم نحـو ١٣٩ أديبًا هم –في الغالـب– مـن ألمع محدّثـي وأدباء عصره، ولقـد اتخذ منهجًا لم يخـرج عنه إلاّ نـادرًا: اشـترط أن يلتقي بالمترجم لـه، فيقدم الصفات التي جعلتـه يختاره، ثمّ يطلـب منـه أن ينشـده شيئًا من شعـره، وغالبًا مـا يقتصر الإنشـاد على بيتين، وأحيانًا على قصيدة طويلة يختار قسمًا منها ويحتفظ بالقسم الآخر، ربما لكتاب آخر يفكر بإعداده.

- ذكر الأنفـي في مقدمته الوجيزة أن كتابه يضم تراجم مجموعة من أدباء بـلاد الشام ومصر والعراق، وإضافة إلـى دمشق مدينتِه التي عاش أغلب حياتـه فيهـا زار حلب وغزة وصفـد والقاهرة والإسكندريـة وغيرها، أما العراق فلم يزره، لكنه التقى عددًا من علمائه الذين زاروا الشام.

ويلاحظ أنه أورد تراجم عددٍ من ا لشعراء البارزين ممّن لم يلتقِ بهم أو لم يدركهم، وبين هؤلاء صفي الدين الحلي، وابن الوردي، والكندي، وسواهم.

- لقـد استغرق إنجـاز تحقيق هذا المخطـوط وقتًا طويلاً لكـثرة مشكلاته، وتعدُّد مشاغلي، لكنني سعيد بنشره أول مرة، خاصة أنه يشكل إضافة قيّمة لديـوان الشعـر العربي في القرن الثامن الهجـري/ الرابع عشر الميلادي،

وهـو يقدم إلى الخزانة العربية كتابًا لعالم وأديب بخل علينا الزمنُ بآثاره الأخرى.

وإضافـة إلى مـا تقدَّم، يشتمـل المخطوط علـى تراجم أكثر مـن ستين من الأدباء والعلماء والمحدّثين ممّا ينفرد بها، فهو يشكل إضافة نوعية لمكتبة التراجم والسير.

مقدمة التحقيق

المؤلف:

محمد بـن علي بن الحسن بن عبدالله بن عبدالحميـد، الأنفي، الدمشقي، المالكي.

كان يكنى أبا عبدالله، ويلقب أمين الدين.

أمه: خديجة بنت عثمان بن عبدالملك بن مروان الحراني.

ولد في أنفة سنة ثلاث عشرة وسبع مئة.

قـال ياقوت: أَنَفـة –بالتحريك– بليدة على ساحل بحـر الشام، شرقي جبل صهيون بينهما ثمانية فراسخ[(١)].

قلت: وقد حرّف لقبه إلى الألفي[(٢)].

وحرّف أمين الدين إلى أثير الدين[(٣)].

والأنفي ينحـدر من أسرة علمية، حيث لقب المؤرخـون والدَه بالشيخ، وأخته «سـت العرب» محدّثة –كما سنلاحظ– وقد بـدأ سماع الحديث بعد سنة ثلاثين وسبع مئة.

وثمة وثيقة تحتفظ بها المكتبة الظاهرية (الأسد) بدمشق تؤكد أنه سمع الحديث في جمادى الأولى من سنة ثلاثٍ وثلاثين وسبع مئة في مشهد عثمان من الجامع الأموي بدمشق[٤].

وذكر ابن حجر العسقلاني أنه لازم البرزالي (ت٧٣٩هـ)، ثمّ الذهبي (٧٤٨هـ)، وقرأ عليه كثيرًا، وناب في الحكم عن زين الدين المازوني المالكي، ثمّ ولي قضاء المالكية بحلب سنة ٧٦٩هـ بعد وفاة قاضيها صدر الدين سليمان بن محمد الديري.

وكان قد سمع من البندنيجي، وبنت صصري، ونسخ كثيرًا من الأجزاء والكتب[٥].

جاء في ختام كتاب «الطالع السعيد» للأدفوي أن الأنفي قرأ الكتاب على مؤلفه، وكتبه سنة ٧٤٦هـ بالمدرسة الصالحية بالقاهرة المحروسة.. وحرّف لقبه هنا إلى الألفي[٦].

كان الأنفي أديبًا فاضلاً، مشاركًا في عدة علوم، وكان عادلاً في أحكامه، وجمع أشياء حسنة، كتب عنه سعيد الذهلي من شعره، ومات قبله.

وفيه يقول ابن عساكر:

وشي صنعاء وروض آنف ... من صناعات كتاب الأنفي

أيها الحبر، وودي صادق ... أنت في قلبي فقل لي أنا في

وذكره الصفدي (ت٧٦٤هـ) فقال:

(نسخ جملة من مصنفاتي، وقرأ عليَّ أشياء من شعري ومن مصنفاتي، وكان حسن الشكل، حلو العبارة)[٧].

وقال العماد: (إنه كتب الكثير، وسمع العالي والنازل)[٨].

وقال ابن حِجي:

(وكان حسن العِشرة، يقصد الناس مجالسته، ومحادثته، ويطلبه الرؤساء، ويحرصون على الاجتماع به، لفكاهته، وعبارته في حكاياته وأحاديثه، وحدّث كثيرًا وسمع عليه طائفة).

توفي في شوال (سنة ست وثمانين وسبع مئة)، ودفن بمقبرة الصوفية بدمشق[٩].

وأخطأ ابن قاضي شهبة عندما أعاد ترجمته في حوادث وفيات سنة ٧٩٣هـ[١٠]، وهذا الخطأ موجود في تاريخ ابن الفرات أيضًا»[١١].

وفاتنا أن نذكر بأن الذهبي ترجم له فقال:

(العالِم، المحدّث، طلب الحديث، وقرأ ونسخ الأجزاء والكتب كثيرًا، وشارك في الفضائل، وله نظم حسن، ومذاكرة حلوة، والله يوفقه وإياي، وهو من مزيد من العلم والفضل، وارتحل إلى مصر والثغر)[١٢].

وللأنفي تلامذة عرفنا منهم:

١. خليل بن نعمة بن إسماعيل البواب.

٢. عيسى بن عثمان الغزي.

٣. عبدالله بن محمد النحريري (ت٨٠٧هـ).

٤. محمد بن أبي عبدالله.

وعلى الرغم ممّا تقدم يظل (غاية الأماني في أدباء زماني) أفضل مصدر يترجم لحياته، ويحدد شيوخه وأقرانه ورحلاته طلبًا للعلم والأدب.

مخطوطة الكتاب:

تتكـون مخطوطة الكتاب من ثلاث وأربعـين ورقة من الحجم الصغير، وهي مكتوبة بخطٍّ جيد، لكنها لا تخلو من أخطاء سببها سرعة الكتابة.

والمخطوطـة مكتوبة بخـطِّ مؤلفهـا، يتجلى ذلك مـن العنايـة الفائقة التي أحاطهـا بها، والإضافات التي زيِّن بها حواشي الكتاب، وكذلك الموجود جُذاذات صغيرة لصقها بورقات الكتاب.

انتهـى المؤلـف من كتابـه في صيغتـه الحالية سنـة ثلاث وستـين وسبع مئة للهجـرة، وهذا اتضح مـن السماعات التي أثبتها المؤلـف في ختام الكتاب، حيث قرأ سفره على تلامذته في عدة مجالس، ومخطوطته مخطوطة خزائنية، وتحمل كل ترجمته اسمَ المترجم له بخطٍّ كبير جميل، وفي الحاشية ذكر لقب المترجم له بخطٍّ في غاية الإتقان والجمـال، على أن المخطوطة نالت عنت الدهر، فأصابتها الرطوبـة، وأدى سـوء الحفظ إلى تلـف عددٍ غير قليل من السطـور أو الكلمات، وطرة الكتاب آية من الإبداع.

وكان نصيب حواشي الكتاب الكثير من الطمس والضرر.

وهناك مطالعات في بعض الورقات بينها –على سبيل المثال–:

- ملاحظـةٌ في الورقة الثالثة (ضمن ترجمة القيراطي) تشير إلى أنّ ابن حجـر ذكر في تاريخه بـأَنَّ ولادة القيراطيّ تمت سنة ٧٢٦هـ لا ٧٢٠ كما أورد الأنفي.
- وفي الورقـة السابعة في الأصل إشـارةٌ في الهامش مقابل ترجمة أبي بكر ابن عثمان إلى بلوغ القراءة الأولى.
- وفي الورقة ٢١ مـن الأصل وإزاء ترجمة عثمان بن علي السلا في كتب في الحاشية: بلغ قراءةً، وأسفله توقيع.

- في الورقة ٢٧ من الأصل إزاء ترجمة علي بن يوسف المهندم عبارة: «بلغ قراءةً، ولله الحمد».

ويبدو أن أحد تلامذة ابن حجر العسقلاني تملك المخطوط، وقد كتب في الهوامش عدة ملاحظات جاء فيها: قال شيخنا ابن حجر.. ذكر شيخنا ابن حجر، وما أشبه ذلك.

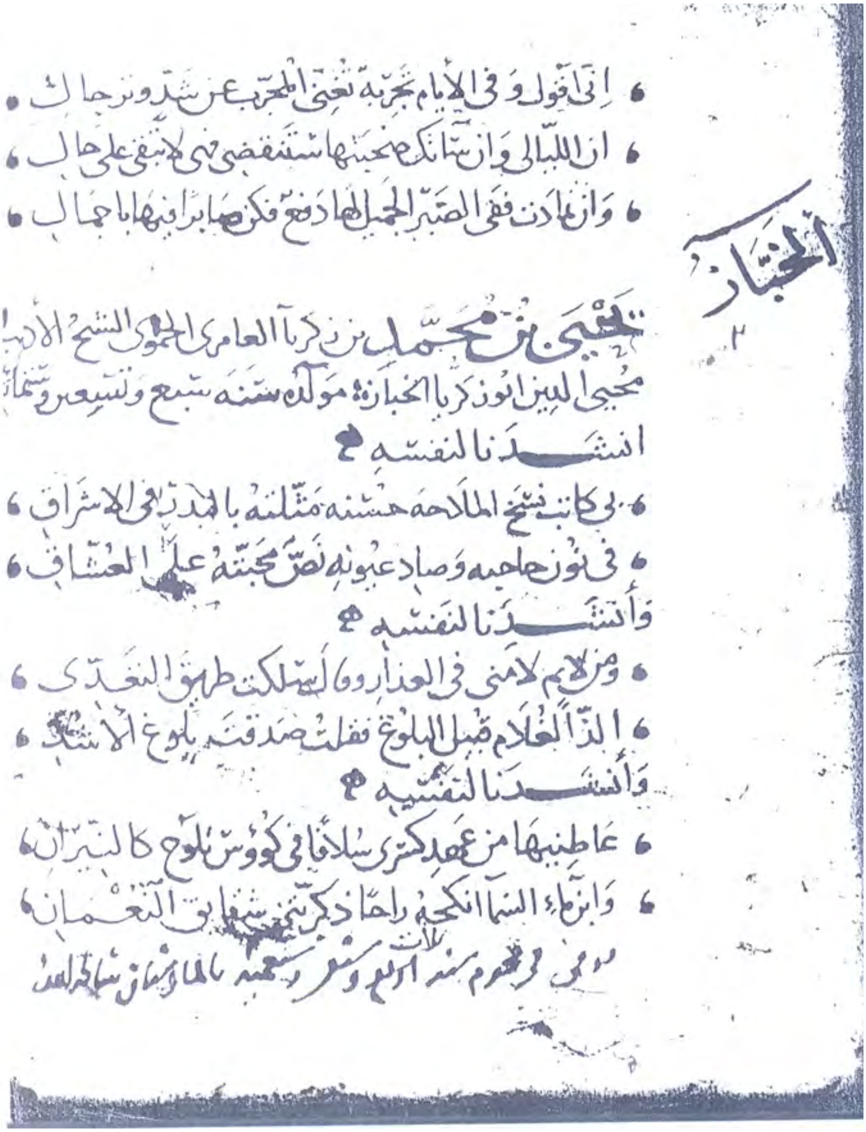
- في الورقة الثلاثين من الأصل وعند نهاية حرف الفاء عبارة: «بلغ إلى هنا في الثانية» -أي القراءة- وثمة توقيع لـ: عيسى بن عثمان، وهو من تلامذة الأنفي.

- في الورقة ٣٢ من الأصل: ترجمة محمد بن أحمد الإِسكندري: «قال شيخنا ابن حجر توفي رحمه الله ٧٦٥هـ».

تحمل المخطوطة رقم ٣٥ هنت، وتوماس هَنْت HUNT مستشرقٌ بريطاني(١٣) ولد سنة ١٦٩٦م، وتوفي سنة ١٧٧٤م، وفور وفاته قدمت أسرته مكتبته إلى البودليان التابعة لجامعة أكسفورد الشهيرة(١٤).. كان هنت مستشرقًا لامعًا، وقد عيّن أستاذًا للغة العربية في جامعة أكسفورد سنة ١٧٣٨م، وفي سنة ١٧٤٧م عين أستاذًا للغة العبرية في الجامعة نفسها.. و(غاية الأماني في أدباء زماني) واحدة من المخطوطات التي اقتناها أثناء رحلاته إلى بلدان الشرق الأوسط. وتغيّر موضع المخطوط في المكتبة غير مرة.

ولقد أخبرتني السيدة «دوريس نكلسون» من قسم المصورات الشرقية في مكتبة بودليان أن هذا المخطوط رقمه حاليًا ms Hunt Donat ٣٥، فللسيدة درويس شكري على تعاونها العلمي.

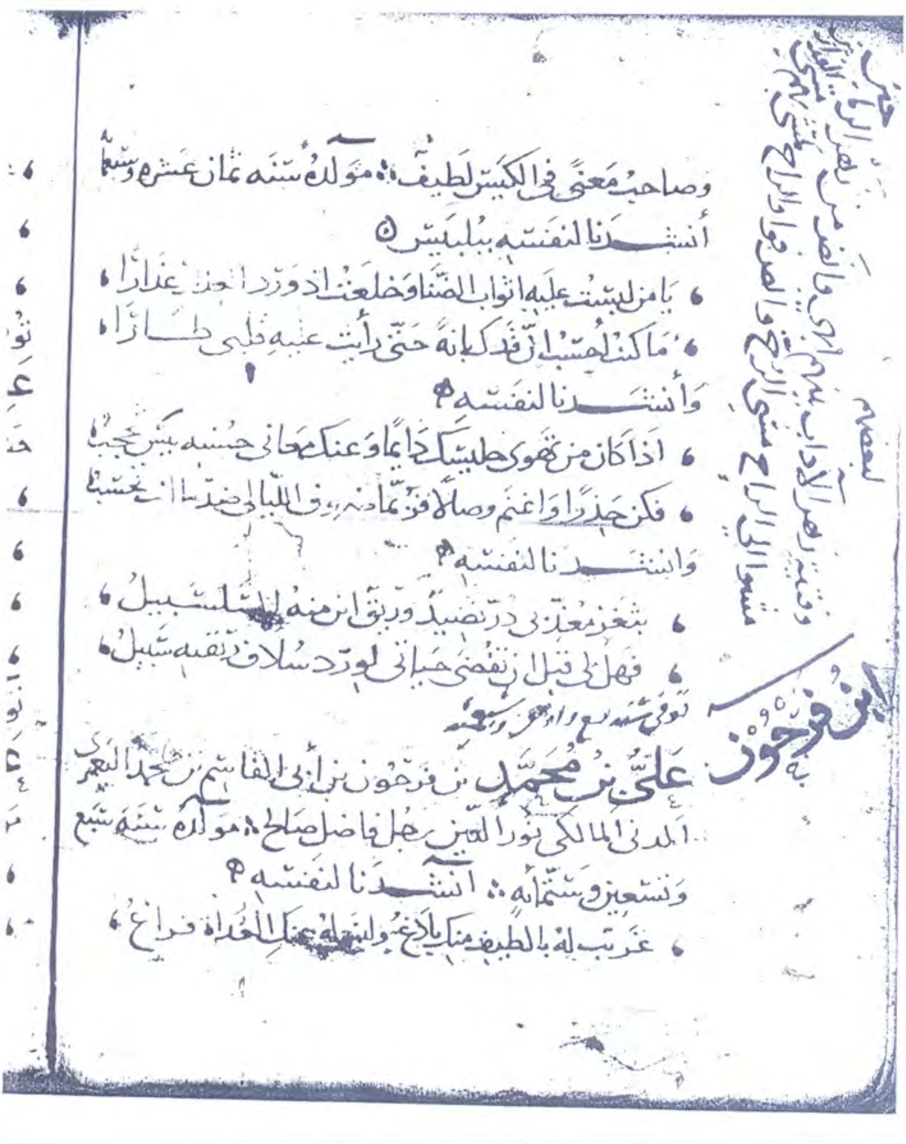
باريس - جليل إبراهيم العطية الزبيدي



الخباز
٢

إني أقول وفي الأيام تجربة تغني المجرب عن شد ورحال
إن الليالي وإن ساءتك صحبتها ستنقضي فهي لا تبقى على حال
وإن تمادت ففي الصبر الجميل لها دفع فكن صابراً فيها بإجمال

يحيى بن محمد بن زكريا العامري الحموي الشيخ الأديب
محيي الدين أبو زكريا الخباز، مولده سنة سبع وتسعين وستمائة
أنشدنا لنفسه
لي كاتب نسخ الملاحة حسنه مثلثة بالمد تحي الإشراق
في نون حاجبه وصاد عيونه نص محبته على العشاق
وأنشدنا لنفسه
ومن لائم لامني في العذار ولما سلكت طريق التعدي
ألذ الغلام قبل البلوغ فقلت صدقت بلوغ الأشد
وأنشدنا لنفسه
عاطيتها من عهد كسرى سلافاً في كؤوس تلوح كالنيران
وابن ماء السماء أنكحها راحاً ذكرتني شقائق النعمان



وصاحب معنى في الكبير لطيف ، مولده سنه ثمان عشره وسبعمائة
أنشدنا لنفسه ببلبيس
يا من لبست عليه أثواب الضنا وخلعت إذ ورد العذار عذارا
ما كنت أحسب أن قدك بانة حتى رأيت عليه قلبي طارا
وأنشدنا لنفسه
إذا كان من تهوى طبيبك دائما وعنك معاني حسنه بين حجبا
فكن حذرا واغنم وصالا فربما منى في الليالي ضد ما أنت تحسبا
وأنشدنا لنفسه
بثغر معذبي در نضيد وريق إن منه إلى سلسبيل
فهل لي نيل أن تقضي حياتي لورد سلاف ذا تقبيل
توفي سنة تسع وأربعين وسبعمائة
ابن فرحون
علي بن محمد بن فرحون بن أبي القاسم بن محمد اليعمري
المدني المالكي نور الدين رجل فاضل صالح ، مولده سنة سبع
وتسعين وستمائة ، أنشدنا لنفسه
غرت به بالطيف منك بلاغ ولنيله عنك العداة فراغ

مقدِّمة المؤلِّف

الحمـدللّٰه على ما أنعم وعلّم، ومنح من المحاسن ما خفي وأعلم، وصلّى اللّٰه على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلّم.

وبعد:

فإني رأيت أن أجمع في هذه الأوراق بعضَ ما كتبته عن شيوخ الآفاق، من أهل الإسكندريـة ومصر والشام والعـراق، لتكون لي تذكرة لما لَعلّـي أنساه، وأستغفر اللّٰه العظيم الذي لا إِله سواه.

ورتبتهم على بعض ما وافق حروف المعجم، خوفًا من قول قائل: أخّر أو قدم.

وأما التراجم فلم أستوعبها؛ لأنّ هذا الكتاب قطرة من بحر هؤلاء الفضلاء.

ومتى كتبـت لأحد منهم: الإمام، العلاّمة، فهي غايـة التعظيم، فليعلم ذلك وباللّٰه المستعان.. وعليه التكلان(١٥).

الألف

(إبراهيم)

ابن شاب رأسه:

[١]إبراهيم* بن أحمد بن علي .... التجاني[١٦]، المغربي، المالكي الشهير بابن شاب رأسه. برهان الدين أبو إسحاق، الإمام، العالِم، النحوي.

- رجل حسن ظريف.
- مولده سنة خمسٍ وتسعين وست مئة.
- أنشدنا لنفسه: [الوافر]

نظرتُ بناظري خدًّا شريقا ... يُفَتِّحُ روضه خجلاً شقيقا
وأسعفني الإجابةَ بابتسامٍ ... أراني الدُّر نظَّمه عَقيقا

برهان الدين الحنفي:

[٢]إبراهيم* بن أيوب بن أحمد بن علي بن عثمان الصالحي الحنفي، برهان الدين، أبو إسحاق.

- شيخٌ حسن، ظريف، أحد العدول.
- مولده سنة ثلاث وسبعين وست مئة تقريبًا.
- أنشدنا لنفسه[١٧]. [الكامل]

أنا بالعِذار معذَّبٌ معذورُ ... صَبٌّ كئيبٌ دائمًا مهجورُ
وحَبيبُ قلبي بالصُدود مُواصلي ... ماذا أقول وذنْبُه مغفورُ

- توفي[١٨] سنة ثمانٍ وأربعين وسبع مئة، رحمه الله تعالى.

ابن الحاج:

[٣] إبراهيم* بن عبدالله بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم، الغرناطي، المالكي، الشهير بابن الحاج.

أحد كتاب السلطان أبي الحسن المريني[١٩].

- شابٌّ فاضل، عارفٌ بالأدب، كثيرُ الفوائد.

اجتمعتُ به بدمشق، ثمّ بالإسكندرية. ورافقني وأفادني، مولده -تقريبًا- سنة عَشر وسبع مئة.

- أنشدنا لنفسه[٢٠]: [الكامل]

يا مالكي بصبيح وجه حُسْنُه ... أربى على فَلْق الصَّباح الأوضَحِ

ما شكَّ قلبيَ فيك أنك مالكي ... لما عُرفتُ وسامةً بالأصْبحي

- وأنشدنا أيضًا لنفسه يصف عَلمًا في رأسه نار: [الكامل]

وممنَّع رُفعتْ بعلّو هضابه ... نارٌ تضيءُ بجنح ليلٍ دامسِ

إن أمَّ منه القابسون «موطأ» ... وجدوا قراهم ملخصًا للقابس[٢١]

- وأنشدنا أيضًا لنفسه: [الخفيف]

ليَ جَفنٌ إذا ذُكرتَ معين ... ليس يأتي إلاّ بدمع هَتونِ

جَرَح الخد راويًا وهو لا يمسـ ... ـك عنه لأنه «ابنُ مَعينِ»[٢٢]

- وأنشدنا أيضًا لنفسه[٢٣]: [الطويل]

وبي عربيّ النُطق ما زال هَاجري ... على فرط حبّي والخلوص الذي يرضي

طَلبتُ لدى أفعالِه خفض عَيشتي ... فقال أفي الأفعال ويحكَ من خَفضي

- توفي -رحمه الله تعالى- سنة أربع أو خمس وستين وسبع مئة.

ابن الخشَّاب:

[٤]إبراهيم* بن أحمد بن عيسى بن خالد بن عبدالمحسن، بدر الدين أبو إسحاق المخزومي.

- عالم ذكي، رأس في فصل الخصومات، وقد جلستُ معه في مجلس حكمه، فرأيت عجبًا من ذكاء وفطنة.

وليَ القضاء بالمدينة[٢٤].. –على ساكنها أفضل الصلاة والسلام–، ووليَ قضاء قضاةِ حلب، وناب في الحكم.. العزيز بالقاهرة نيابة عن شيخ الإسلام أبي عمر بن جماعة[٢٥] –أحسن الله إليهما–.

- مولده سنة سبع وتسعين وست مئة[٢٦].

أنشدنا لنفسه: [البسيط]

بالاستفاضة فاشهدْ سائلاً لا تَعدِّ … إلاّ إذا استقربتْ – سِتًّا من العَدَدِ

عتق ووقف وأنشابٌ وموتُ فتىً … وبالولا ونكاحُ شاع في البَلَدِ

- [توفي سنة خمس وسبعين وسبع مئة][٢٧].

القِيراطي:

[٥]إبراهيم* بن عبدالله بن محمد بن عسكر بن مظفر القِيراطي الشافعي.

برهان الدين، أبو إسحاق.

- شابٌّ صغير السن، كثير الفضل، أتقن العربية واشتغل، وسمع الحديث، وفيه فضائلُ وكَيَسٌ.
- مولده سنة عشرين وسبع مئة.
- أنشدنا لنفسه بالقاهرة: [الكامل]

إن كـان ودّك لم يَشُـبْـهُ نـفـاقُ فـعَلام صَـبرك والـركـاب تُساقُ

ضَـنّت جفُونك إذ نـأوأ بدموعها بـخـلاً وأذهــب حزنـك الإشـفـاق

وسـمـعـتَ قـول الـعـاذلـين وكلّـه سـمٌّ يـخـيّـل أنـه دريَــاقُ[٢٨]

مـا هـذه صـفـةُ المتيّم في الـهَـوى إن المـتـيّـم لـلـضَـنـا تَـوّاقُ

يا صاحبيّ بمهجتي مَنْ لو سَرى في حَـالـك لأنـارت الآفـاقُ

رشـأ لـه الـقـدّ المهفهفُ ذابـل يـغـري الـقـلـوب ونـبـلُـه الأحـداقُ

- تـوفي -رحمـه اللّه تعالى- في شهر ربيع الآخر سنـة إحدى[٢٩] وثمانين وسبع مئة.

الحِجازيّ:

[٦] إبراهيم* بن علي بن إبراهيم المنعوت (ب) المِعمار.

- أديـبٌ، فاضلٌ، ظريفٌ، رقيـقُ النَّظم، لَطيـفٌ، جَيّـدُ[٣٠] المأخذ، حَسنُ التورية، كثيرُ الشعر في المجون.

- مولده سنة اثنتين وتسعين وست مئة.

- أنشدنا لنفسه بالقاهرة: [مجزوء الرجز]

أقـول لمـا زارني تحـتَ الـدُجـى مـسـتـترا

وَصـلُـك قـد شـربـتـه بـِمـهـجـتـي كـمـا تَـرى

فـقـالَ صُـنْ أسـرارَنـا ولا تُـخـبّـر مُـشـتـرى

- وأنشدنا أيضًا لنفسه: [المنسرح]

كم قـلـتُ لـلـحـايك الـظَّـريـفِ وفي راحـتـه طَـاقـةٌ يُـخـلّـصـهـا

هـل لـكَ في رَدّ مـهـجـةٍ لـفـتـى لـيـسَ لـه طـاقـةً يُـخـلّـصُـهـا

- وأنشدنا أيضًا لنفسه[٣١]: [مجزوء الرمل]

رُبَّ جَــــزّارٍ غَــريــرٍ صَــار لي لحـمًـا ودمّــا
فــــزتُ بـالإِلــيـــة منه فـامـتـلـى قَـلـبـي شَـحـما

- وأنشدنا أيضًا لنفسه: [مجزوء الرجز]

مـغنّيًا قــابلـــــهُ مشبّبٌ وقد جَلَسْ
فــذاك لانَ قــولُــهُ وذا تـكـلّـم بـنَـفَـسْ

- تـوفي سنـة تسع وأربعين وسبـع مئة بالقاهرة في الطاعـون –رحمه الله تعالى.

الشَّاذليّ:

[٧] إبراهيم* بن علي بن أبي القاسم الشاذليّ، المالكيّ، أقضى القضاة، برهان الدِّين أبو إسحاق.

- إمامٌ، عالمٌ، كان عارفًا بمذهب مالك رضي الله عنه.
- اختصر التهذيب في تفسير –ابن عطيّة[٣٢]– وناب في الحكم بباب زُويلة[٣٣].
- مولده في عشر السبعين وست مئة.
- أنشدنا لنفسه: [الطويل]

سقى الجانبَ الغَربيّ صَوبَ الغَمائم
وغنّتْ على مَغناه ورق الحَمائمِ
معاهد أنسٍ طالما سَمحتْ لنا
بنيلِ الأماني دونَ واشٍ ولائمِ
على ديـن[٣٣] للواشي بنا أنف راغمٍ
علينا وللأيام غَفلة نائمِ

كـــأنَّ ثَــراهـــا فيِ مــبــاهــج حُــســنِــهــا
بــيــاضُ الأمـــانــي فيِ رِيــاضِــ المــكــارمِ

كـــأنّ ثَـــراهـــا عَـــنــبرٌ وأديمُـــهـــا
ســمــاءٌ وزهـــرُ الـــنَّـــورِ زَهـــرُ الــنــعــائــمِ

كـــأنَّ الـــذي يحكيه عـــن نشرِهــا الصّبا
أحــاديــث وَصــلٍ عــن حَــبــيــبٍ مــصــارمِ

كـــأنّ رُبـــاهـــا نمّــقــتــهــا يـــدُ الحَــيــا
بُـــدورًا أجـــادتْ وشــيــهــا يــد رَاقـــمِ

كـــأنّ أكـــفَّ الــنَــبــتِ تَحـــتَ غُــصــونِــهــا
بـــراعـــة مــظــلــومٍ لــصــولــةِ ظــالــمِ

كـــأنَّ الـــذي يــنــشّــق فـــوقَ نَــضــيــدهــا
مــن الطَلــعِ صَــدر ضــاقَ عــن ســرٍّ كــاتمِ

كـــأنَّ ســقــيــطَ الـــزَهـــرِ فـــوقَ أقــاحــهــا
عُــيــونَ تـــبراكٍ فيِ ثُــغــورٍ بــواســمِ

كـــأنَّ مجـــاري المـــاء فيِ جَــنــبــاتــهــا
خِــلالَ مجــاريــهــا أنــســيــاب الأراقـــمِ

- توفيِ فيِ الطاعون سنة تسع وأربعين وسبع مئة –رحمه الله تعالى.

الطَّرسوسيّ:

[٨] إبراهيم* بن علي بن إسماعيل بن أحمد بن عبدالواحد الطَّرسُوسيّ الحنفيّ.

- الإمامُ، العلاّمةُ، قاضي القُضاة، حاكمُ الحكّام، نجمُ الدِّين، أبو إسحاق. سمعَ من الشُحنة[٣٤]، وقاضي القضاة علاء الدِّين القُونوي[٣٥]

وغيرهما. وعنــي بالفقه والأصول والعربية مـع الديانة المتينة، والسكون التام والإِحسان العام.

- أنشدنا لنفسه: [البسيط]

آلٌ وأهــلٌ وأولادٌ كـذا عَـقِـبٌ   نَسلٌ وجِنسٌ كذا ذرية حصروا
فلا دخـول لأولادِ البَنـات فقلْ   فيما ذكـرت فقد تمَّ الـذي ذكـروا

- توفي يوم السبت رابع شعبان المكرّم سنة ثمان وخمسين وسبع مئة.

ابن عَبد الحَق:

[٩] إبراهيم* بن علي بن عبد الحَق الحَنَفي، قاضي القضاة، بُرهان الدين، أبو إسحاق، شيخ الحنفيّة في وقته، صَنّف، وجمع، واختصر.

- مولده سنة ثمان وستّين وست مئة.

- أنشدنا لنفسه: [الكامل]

عِـنـدي لِبعـدِكم المقيـمُ المقعـدُ   فـعـلامَ نـار الـوَجـد لا تـتـوقّـدُ
لما تكامل للـرحيل ثلاثة الأيــــ   ـــام عاينـتُ الفَـرائـصَ تـرعـدُ
وسكبتُ للأشـواق مـاءَ مدامعي   وعدمتُ صَبري والأسـى يتجدّدُ

- وأنشدنا أيضًا لنفسه[٣٧]: [الكامل]

مَـنْ لي مُعيـدٌ في دمشـقَ لَياليًا   قَضيّتها والـعَـودُ عـنـدي أحـمـدُ
بَلَدٌ يفوقُ على الشَمُّول شَمائلاً   ويَذوبُ غَيظًا من ثَراه العَسْجدُ

- توفي في ذي الحجة سنة أربع وأربعين وسبع مئة -رحمه الله تعالى-.

الهِلاليّ:

[١٠] إبراهيم* بن علي بن محمد بن سَعيد الهِلاليّ، الغرناطيّن، الشافعيّ، برهان الدين، أبو إسحاق.

- رجلٌ حَسن، كثيرُ الدِيانة، طلبَ الحَديثَ بِنفسه، واشتغلَ على مذهبِ الإِمامِ الشافعيّ بدمشق.
- مَولدُه سنةَ خَمسٍ وتِسعين وست مئة.
- أنشدنا لنفسه: [الطويل]

إذا ما صَدى قَلبٌ حزينٌ جلاؤه تلاوة قرآن به يُشرح الصَدرُ[٣٨]
فيا سعد مَنْ يتلو كلامًا لِربِّه لقد فازَ بالحُسنى وحِيزَ له الأجرُ

- وأنشدنا أيضًا لِنفسه: [الطويل]

أيا طالبًا عِلمَ الحَديث وباغيًا له من رواياتِ المشايخِ إسنادا
ظفرتَ فكن بالعِلم دَهركَ عاملاً ومن كان فَعّالاً بعلمٍ فقد سادا

- وأنشدنا أيضًا لنفسه: [البسيط]

قالوا: غدا العِيد قلت: العِيدُ عِيدهُم
عيد الذين عن الغُفران قد صَدروا
قَومٌ من الجَبلِ الميمون قد نفروا
أوزارهم غُفرتْ بالعَفو إذ حَضروا

- وأنشدنا أيضًا لنفسه: [الطويل]

عليكم سلامُ الله يا أَهلَ طِيبةٍ من الوالهِ المشتاقِ أيّ تَشوّق
ففي جنبكم نورٌ أسيرُ بذكرهِ ويحيا به قلبي وسمعي ومنطقي

- وأنشدنا أيضًا لِنفسه: [الطويل]

رواياتُ أجزاءِ الحَديثِ وحفظه وإسناده والأخذ فيه بإتقانِ
أمورٌ بها يُعنى أخو الحِذق والنُهى فكن حَاذقًا تَظفر بأَجرٍ وغُفرانِ

- وأنشدنا أيضًا لِنفسه: [الطويل]

دِمشقُ هي البستانُ في الأرضِ إذ غَدتْ
بها رَبوة للبشرِ والأنسِ مقعدُ
وأنهارُها تَجري وأثمارُها زَهَتْ
وأطيارُها فوقَ الغُصونِ تغرّدُ

- توفي سنة ثلاث وأَربعين وسبع مئة –رحمه الله تعالى.

الجَزريّ:

[١١] إبراهيم* بن محمد بن عليّ بن محمد الجَزَريّ الشافعيّ(٣٩).

- الفقيه، المحدّث، ظهير الدين، أحد العدول.
- مَولدُه سنةَ سبع وتسعين وست مئة.
- أنشدنا لنفسه: [الخفيف]

إنَّ للعنكبوتَ عندي أيادٍ ... لست –شكرًا لها– الزَّمان أطيقُ
أحكمت نَسْجها على الغارِ لمّا ... حَلّ الرَسولُ والصدّيقُ

- وأنشدنا أيضًا لنفسه: [البسيط]

يا عائبًا كَلَفًا بدرًا بطلعتها ... أقصرُ فلولاه لم يزددْ بها كَلَفي
حَوتْ جميعَ صفاتِ البَدرِ مكتملاً ... سنا وسنّا وما فيه من الكَلَفِ

- توفي إلى رحمة الله تعالى في ليلة الجمعة [في المحرم سنة خمس وستين وسبع مئة](٤٠).

ابن الشهاب محمود:

[١٢] إبراهيم* بن محمود بن سلمان بن فَهد الحلبي، الحنبلي، جمال الدين.

- رجل كبير القَدر، طلبَ بنفسه، ومشى في طلب الحديث، ونسخ الأجزاء، وكتب السر(٤١) بحلب، وحضر الدست(٤٢) بمصر، مع ديانة وعقل وسكون.

• مَولدُه سنةَ ست وسبعين وست مئة.

• أنشدنا لنفسه: [المتقارب]

ولمـــا كـــتـبـــتُ إلَـــيــكـــم بمـا ... لقيتُ مـن الـوجـد يـومَ الـفـراقِ
مَـحــتْ أدمـعــي كـلّـمـا سَـطّـرتْ: ... يَـدي مـن غـرام بـكـم واشـتـياقِ
فـأخّـرت شــرح الــذي قـد لـقيتُ: ... لأحـكـيـه بـالـلـفـظ يـوم الـتـلاقـي

• وأنشدنا أيضًا قال:

أنشدني والدي الشيخ شهاب الدين محمود(٤٣) لنفسه: [الخفيف]

لَيتَ شعري يا جِيرة النَيربين(٤٤) ... أيّ شَــيءٍ بـين الخَـيـال وبَـيـنـي
لَـسـتُ أدري أعـفـتـمـوه عـن الأو ... بـة أم عـاف [وهو] مَــوردُ عَـيـنـي
أم محالٌ ما ارتجي من طُروق الطَّ ... ــيف أجـفَـان سَـاهـر المقلتين
عـفـتـمـوه وبـنـتـمُ فـفَـجـعـتـمْ ... صَـبَّـكـم بـالآثـارِ بـعـد الـعَـينِ
كابدَ الـصَـدَّ قَـبلُ، والبُـعد من بَعـ ... ــد فـتّـبًـا لـهـذه الحَـالـتـينِ
يـا أخــلاّي والــذي جَـعـلَ البَـيـ ... ــن لمـن ذاقـه نَـظـير لُجـينِ
مـا عـرفـتُ الـكـرى ولا لي سَـميرٌ ... بعدكم في الدُّجى سوى الفَرقدينِ
كـم وعـدتم بـالـعَـود، والـوعـد دَيـنٌ ... أفـيـقـضـى وفــاء هــذا الــدَّيـنِ
بكم الـوجـد لا بمـن إن بَـدت لـلـ ... ــبـدر وهـنًـا أرتـنـيَ الـقَـمـرينِ
أو تـغـنّـت ورقــاءُ في الـغُـصـن غَـ ... ــنّى الحُسن منها في أحسن الغُصنينِ
مــازج المــاء الــنـارَ في وَجـنـتـيـهـا ... وبـــديـــعٌ تـــآلـــفُ الـــضـــدَيـــنِ
ونجـا خـدُّهـا ولم يـنـجُ قَـلـبُ الـ ... ـصَـبّ من لَدغ عَقرب الصدغينِ
وبَـديـع الجَـمـال أغـيـدُ يَـبـدو الـ ... ـبَـدر منه على قَـوام الـرُديـنـي
كـم خـلـيٍّ أُصـيـب بـالخَـال منه ... إذ رَآه بـعَـارضٍ وبـعَـينِ
لـيـس مـلـك الّـتـي ولاذا الــذي أذ ... كـرُ مـن شَـأن شـائـب الـفُـودينِ

• وهي طويلة جدًّا مثبّتة عندي.

- تـوفي[٤٥] بحلب في عاشر ذي الحجة من سنــة ستين وسبع مئة –رحمه الله–.

الرجراجيّ:

[١٣] إبراهيم* بن عبدالله بن صالح الرجراجيّ المالكيّ.

- وردَ علينــا بدمشق سنة اثنتين وسبعين وسبع مئة، وهو ضَعيفٌ، وفيه أثرُ جِراح، ذكرَ لي أنه نُهب في الطريق.

حفـظ جلّ كتــب المالكية، ينقل ابن الحاجـب[٤٦] بالواو والفــاء، ما رأيتُ في أقرانهِ أحفظ منه.

- أنشدني لِنفسِه: [الكامل]

يا مالكي قاضي القضاة بحقٍّ من ... جَعلَ النَدى في راحتيك مُقيما
إنّي من الإفلاس قد أصبحت في ... ضِيقٍ كأنّي قد سكنتُ جَحيما
وسؤال عبدِك ما يفرّج همّه ... فسواكَ لم يُرِ في الشام كريما
ما جاء في الدهرِ العنيدِ بفاقةٍ ... إلاّ رأيتُ ندى يديك عميما

فمننتُ عليه ببعضِ النَفَقة.

ابن يُونس:

[١٤] إبراهيم* بن يُونس بن موسى بن يُونس، الشافعيّ، جمال الدين.

- شابٌّ طلبَ الحَديث، وكتبَ الكثير، ذو دِيانةٍ متينة، مَولدُه سنةَ إحدى وتسعين وست مئة.

- أنشدني لِنفسِه: [مجزوء الرمل]

دَولةُ الحسنِ منامٌ ... فانتبه يا ألفَ سيدِ
وخَفِ اللهَ وراقِبْ ... في معنّاك الشهيدِ

وجـــهــكُ الـــيـــومَ بَــهــيٌّ　　كـــزهــــــــــورٍ وورود
وغــــــدا يــنــبــتُ شَــعــرٌ　　يــــا حَــبــيــبــي في الخـــدُود
إن يــكــن قـــدك غـصــنًـا　　فـــائــقًـــا حُـســنَ الــقُـــدود
فــبـــلا شـــــك وريـــــــب　　بـــقــضـــاةٍ وشُــــهــــودِ
ســـــــوف تــبـــقـــى عــن　　قَــريــب كـــذُبـــاب وقُـــرودِ
وقُـــلــيــبــيَ بــعـــدَ ضــيــق　　في فَـــضـــــاءٍ وشُـــــرودِ
يـــالــهـــا مـــن ذقـــنِ سُـــوءٍ　　عـــثـرتْ في الــنـــاس سِـيـدي
وهـــي إن أبـــطــتُ ســتـأتـيــــ　　ـــك عـلـى خَـيـلِ الـبَـريـدِ

- وأنشدنا أيضًا قال:

أنشدنـا شيـخُ الإِسـلامِ بُرهان الديـن ابن الشيخ تـاج الدين الفـزاري(٤٧) لنفسه: [الطويل]

وإنّي لا يستحيي مـن الله كلّما　　وَقفتُ خَطيبًا واعظًا فـوقَ منبرِ
ولـست بـريـئًـا بـيـنـهـم فـأفـيـدهـم　　ألا إنّما تشفي المواعظ مَنْ بَري

- توفي جمال الدين المذكور سنة إحدى وأربعين وسبع مئة.

أبو بكر:

[١٥] ابـن العَجَمـيّ. أبـو بكر* بـن عُثمان بن أبـي بكر بن عُمـر الشهير بابن العَجَميّ:

- شـابٌّ فاضـل، اشتغـل بالعربيـة علـى الشيـخ أثـير الدين أبـي حيان النحـوي(٤٨)، ومدح القاضي علاء الديـن ابن فضل الله(٤٩)، كاتب السرّ بالدِّيارِ المصرية، ومدحَ السُلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، وكان «خرد فروشيًا»(٥٠).

- مَولدُه سنة سبع عشرة وسبع مئة.

- أنشدنا لِنفسه بالقاهرة: [البسيط]

سلوتي في خاطري خَطرتْ
عن قامةٍ تُخجل الخرصان[٥١] إن خَطرتْ

منها:

يكادُ يَعطُفها سارى الصَّبا سَحَرًا
كأنّما القُضبُ في أغصانِها هصرتْ

من شادنٍ قلّ صبري في محبتهِ
لكن حزازات قَلبي فيه قد كَثرتْ

يَسعى براحٍ بها راحاته اختضبتُ
كأنّها من شَقيقِ الخَدّ قد عُصرتْ

قد عَنّفتني العَذارى في محبتهِ
حِينًا فلّما رأته مسفرًا عذرتْ

وشاهدت زَهَرًا في خَدّه نضيرًا
فأقسمتْ مثله في الرَّوضِ ما نظرتْ

ما عربدت في حشا صَبٍّ معاطفه
إلاّ ومن ريقهِ المحتوم قد سكرتْ

لا تركنن إِلى الألحاظِ حين غدت
مكسورةً فلكم أسعد بها[٥٢]

واحذر فتورًا بها إن رمتَ بردَ لمىً
فنبلها عن حماه قطّ ما فترتْ

مـا رامَ يـجـنـي ثـمـارَ الحُـسـن مـقـتطفًا
ذو صَـبـوةٍ سَـحَـرًا إلاّ لـه سـحـرتْ

طـالـتْ لـيـالي الجَـفـا بـعـد الـبـعـادِ على
جُـفونِ صَـبٍّ عـن الإِغـمـاض قـد قـصـرتْ

قـد صـعّـدت زفـرتـي درّ الـدمـوع بـهـا
ومـذ أحـالـتـه يَـاقـوتًـا بـه قَـطـرتْ

أخـفـيـتُ نـاري فـلّـمـا ذابَ مـن أسـفٍ
قَـلـبـي وسـالَ دمًـا مـن مـقـلـتـي ظَـهـرتْ

في عـبـرتـي عـبـرة كـم حَـذّرت دَنِـفًـا
مـن الـغَـرام وكـم حَـسـرةٍ حـسـرتْ

يـا مـن عـذاره في وَجْـنـاتِـه وقـفـتْ
ارحـم عُـيـونًـا عـلـيـهـا بـالـدمـاءِ جَـرتْ

واسـمـح بـطـيـفِـك في جُـنـحِ الـظَـلام لـهـا
وإذن لـهـا في الـكـرى يـا طـالمـا شـهـرتْ

أمـطـرت وابـلـهـا يـوم الـنَّـوى فـحـلـت
بـحـار جُـود «عـلاء الـديـن» إذ زَخـرتْ

• وأنشدنا لنفسه: [من المجتث]

يـا كـعـبـةَ الحُـسـن يـا مـن
رمـى الـفُـؤاد بـجـمـرهْ

إلـيـك حـجَّ المـعـنّـى
وفـيـك يـقـطـعُ عُـمـرَهْ

• وأنشدنا أيضًا لنفسِه: [الكامل]

كيف السلّو وحبكم بجوانحي | غَضّ المحبةِ من قَديم قد غَرَسْ
أم كيف أنساكم وقلبي فيكم | يا سادةً خانوا عُهودي قد دَرَسْ

• وأنشدنا لنفسِه: [الطويل]

لئن حجبتْ عنيَ الدياجي حِياله | وطالت ليالي الصَدّ إنّي صَابرُ
إذا رامَ لَيل الصَدِّ قتلي بطولِه | فلا تعجبوا من فعلِه فهو كافرُ

• وأنشدنا لنفسِه: [الطويل]

رميتُ جِمارا لهم مذ جِئتُ طائعًا | بأركان بيتٍ في البُيوتِ تَسامى
حَججتُ له أسعى على الرأس عندما | رأيت لإبراهيم فيه مقاما(٥٣)

• توفي –رحمه الله– سنة خمس وتسعين وسبع مئة.

ابن الشهاب محمود:

[١٦] أبو بَكر* بن محمد بن محمود بن سَلمان بن فهد الحلبيّ الشافعيّ:

• القاضي شرف الدين، كاتب سرّ السلطان الملك الناصر(٥٤) –رحمهما الله تعالى– وكتب سرّ دمشق لنائبه تنكز(٥٥)، وكان منشئًا، فصيحًا، بليغًا، عالمًا بمآخذ الآداب، له اعتقاد في الفقراء، كثير الإحسان، حسن السيرة.

• مَولدُه سنة ثلاث وتسعين وست مئة.

• أنشدنا لنفسه: [الطويل]

بعثتُ رَسولي للحَبيب لَعلّه | يبرهنُ عن وَجدي به ويترجمُ
فلما رآه حارَ من فَرطِ حُسنِه | وما عادَ إلاّ وهو فيه مُتيّم

- وأنشدنا أيضًا لنفسه: [الكامل]

لحـــبّـــي فـــيـــكـــم سَـــبَـــبُ ... فـــإنْ أضـــنـــى فـــلا عَـــجَـــبُ

ووجـــــدي فـــيـــكـــم طَـــــرَبٌ ... ويـــحـــلـــو ذلـــك الـــطَـــرَبُ

وأنـــهـــى مـــدمـــعـــي حَـــذرًا ... فـــيـــعـــصـــيـــنـــي ويَـــنـــســـكـــبُ

وإنْ قـــالَ الـــوُشـــاةُ ســـلا ... وحَـــــقّ هَـــــواكـــم كـــذبـــوا

- توفي –رحمه الله– في سنة أربع وأربعين وسبع مئة.

(أحمد)

الغَزيّ:

[١٧] أحمد* بن إبراهيم بن أحمد، الشافعيّ، الغزيّ، شهاب الدين، أبو العباس:

- شابٌّ فاضلٌ، عالمٌ بالنحو والفقه والأصول.
- حفظَ محافيظ كثيرة، وتعب، وكان قليل الحظّ.
- مولده سنة ثمان وسبع مئة.
- أنشدنا لنفسه: [البسيط]

هـمُ أسـلـفـوا الـعَـينَ فيض الأدمـع الـهُـتنِ ... مـن بعدِ فُـرقـتـهِم مـا زلـتُ في حَـزنِ

ســـاروا وكــم أســـروا في ركـبِـهـم دَنِـفًـا ... ورحـــتُ في أثـــرِهـــم رُوحًـــا بـلا بَـــدَنِ

- وأنشدنا لنفسه متعرضًا بي: [البسيط]

يا من سما وسنا عزًّا ومنزلةً ... ومن عَلا في العُلى بالكدِّ والتعَبِ
هذا قَريضيّ تفضحني فضائحه ... فاستر بعلمِك يا ذا العِلمِ والأدبِ

- توفي سنة خمسين وسبع مئة، رحمه الله تعالى وسامحه.

السِّنجاريّ:

[١٨] أحمد* بن إبراهيم بن أحمد بن عثمان بن عمر السِّنجاريّ، شهاب الدين، أبو العباس:

- رجلٌ حَسَن، سريعُ الدَمعة، مطبوع.
- مولده سنة ستٍ وتسعين وست مئة.
- أنشدنا لنفسه في مليح ينظرُ في المرآة: [البسيط]

مررتُ يومًا بمن أهوى وفي يده ... مرآةُ ينظرُ فيها قلتُ: ما الخبرُ؟
فقال: لما رأيتُ النفسَ تائقةً ... إلى أزاهرِ روضٍ زانها الخَفَرُ
جَعلتُ منتزهي وَجهي لأنَّ به ... قد جُمّع الوردُ والريحانُ والزَهَرُ
فخلتها في يَديهِ وهو ينظرُها ... شمسَ الضُحى حَلَّ في أرجائِها القَمرُ

- توفي سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة -رحمه الله تعالى.

السِّنجاريّ:

[١٩] أحمد* بن إبراهيم بن سالم المقرئ، الشافعيّ، شهاب الدين.

- مولده سنة ثلاث وسبع مئة.
- أنشدنا لنفسه: [مجزوء الرمل]

طالبُ الدُّنيا كظامٍ ... وردَ الماءَ الأجاجا
كلّما عادَ إليه ... زاده وِردًا وهاجا

ابن العَفيف:

[٢٠] أحمد* بن إِسماعيل بن أحمد بن عبدالباقي السلماني.

- الشافعيّ، الفقيه، الإمام شهاب الدين المنعوت بابن العَفيف.
- مولده سنة ست وعشرين وسبع مئة.
- أنشدنا لنفسه: [الطويل]

بقلبي غَرامٌ منكمُ وصَبابةٌ وشَوقٌ إليكم يا أهيلَ حِمى نَجدِ

وهذا فؤادي من فِراقِ جمالِكم يَذوبُ من الهِجران وَجدًا على وَجدِ

ابن المقرئ:

[٢١] أحمد* بن إِسماعيل بن عبدالله المالكيّ، البغداديّ، الفقيه.

- شمس الدين أبو عبدالله المنعوت بابن المقرئ.
- مولده سنة سبع وسبعين وست مئة.
- أنشدنا لنفسه: [الكامل]

ما للصَّبا سَحَرًا تهبُّ معنبرًا أتراه مَرّ على الحِمى فتعطّرا

أم بالعَقيق سرى يُصافح بانةً فأتى بريا المِسك عنه معنبرا

- توفي في سنة تسع وأربعين وسبع مئة[٥٦].

ابن غانم الصوفيّ:

[٢٢] أحمد* بن أبي بكر بن محمد بن غانم، المقدسي، شهاب الدين، أبو العباس[٥٧].

- مولده سنة ست وثمانين وست مئة.

- أنشدنا لنفسه[٥٨]:

شكت الزُجاجةُ عند توبتِك الظَما .... الرضا بـ عويلُ

وشعره كثير.

- توفي سنة ثمان وخمسين وسبع مئة، والله يسامحه.

المحسني:

[٢٣] أحمد* بن أيبك المحسني الشافعي، الأمير الكبير، شهاب الدين.

- رجل عالم، ناظم، ناثر، نظم كتاب التنبيه وغيره، وتردد في الطلب إلى الحافظ ابن الذهبي[٥٩]، وأخذ العربية عن الشيخ «أثير الدين أبي حَيّان»[٦٠].

- مولده سنة تسع وتسعين وست مئة.

- أنشدنا لنفسه: [البسيط]

كيف السبيلُ إلى تَقبيلِ مبسمها وضمٍّ قَدٍّ على الكُثبانِ يختالُ

وصدغها عَقربٌ بالوهم يَلسعُني وشَعرُها أرقمٌ، والوَهمُ قتّالُ

- أنشدنا لنفسه: [الطويل]

خلعت عذاري في عذارٍ أُحبّه كوشي طرازٍ لاحَ في مَذهبِ الخّدِّ

قراتُ به سطرًا من الحُسن معجمًا أَنا قاتلُ العُشّاقِ بآلاسِ والوَردِ

- وأنشدنا أيضًا قال:

أنشدنا ناصر الدين شافع[٦١] لنفسه: [الطويل]

صِل الراح بالراحات واقدح مَسرّة بأقداحها واعكف على لذة الشُّربِ

ولا تخش أوزارًا فأوراق كرمها كُفوف غَدتْ تَستغفرُ اللهَ للشَربِ

• توفي في سنة [ثلاث][٦٢] وخمسين وسبع مئة.

شيخ الحنابلة:

[٢٤] أحمد* بن حسن بن عبدالله بن محمد بن أحمد الحنبلي، شرفُ الدِّين، أبو الحُسين، شيخُ الحَنابلة في عَصره، عُيّن للقضاء مرات فلم يقدّر له، ثمّ ولي القضاء بعد المرداوي[٦٣].

• كان إمامًا علامةً، عارفًا بالحديث والفقه والأصلين، ومذاهب علماء الأمصار، لا يُجارى في ذلك ولا يُدانى، مع النظم والنثر والآداب. حاضر النادرة، حلو المحاضرة، كثير التواضع.

• مولدُه سنة ثلاث وتسعين وست مئة.

• أنشدنا لنفسه من قصيدة: [الطويل]

دعاها تجبْ أفلاذَها وخصاصها ... تجبْ خيرَ دَاعٍ للمسير دَعاها
ذراها تُعاني السيرَ في لُجّةَ الدُّجى ... وتجهدُ حتّى أن يذوبَ ذراها
عراها رَقيبُ السوق في الشَّوق كلأّما ... رَنَتْ زادها حتّى تكلَّ عُراها
سقاها بكاسات الحِمى فهي ثُكَّلٌ ... كأنَّ الذي يَسقي العقارَ سَقاها

• وأنشدنا أيضًا لنفسه: [الطويل]

وسافرت أبغي الربحَ علمًا محققًا ... وأقسمتُ أنّ العلم أسنى البضائعِ
وأودعت أحشاءَ الحواسدِ لوعةً ... فيا ويحهم من لَذع تلك الودائعِ

• وأنشدنا أيضًا لنفسه: [الطويل]

وكنتُ وإياه مُذِ اشتدّ ساعدي ... رفيقين في صَفوٍ وما مزجا صرفا
تعرّفته بالعَدل في كلِّ حالةٍ ... فلم ألق عنه ما حَييت به صَرفا

• توفي -رحمه الله- في ليلة الثلاثاء رابع عشر من شهر رجب الفرد سنة إحدى وسبعين وسبع مئة، ولم يخلّف بعده مثله.

الأذرعي:

[٢٥] أحمــد* بن حمدان بن عبدالواحد الأذرعي، الشافعي، شهاب الدين، أبو العباس، الإمام العلاّمة، شَرَح «المنهاج في الفقه»(٦٤)، شرحًا حسنًا، انتفع به الفضلاء، وانتهت إليه الدنيا بحلب.

- مولده سنة سبع وسبع مئة(٦٥).
- أنشدنا لنفسه(٦٦): [الخفيف]

كيف لا يَستجيبُ ربيّ دعائي ... وهو –سبحانه– دعاني إليه
مَعْ رجائي لعبده وابتهالي ... واتكالي في كلِّ خَطْبٍ عليه

- [توفي سنة ثلاث وثمانين وسبع مئة](٦٧).

ابن حيدر:

[٢٦] أحمد* بن حَيْدر بن عباس الحنبلي، شهاب الدين، رجلٌ حَسنٌ، ساكنٌ.

- أنشدنا لنفسه بالقاهرة: [الطويل]

وقفنا نبثُّ الشَّوقَ والليلُ مُسبلٌ ... ستورًا له قد اعتمت واضح الطُرقِ
فكاد يرانا الكاشحون وقد بدا ... هلالٌ أنارَ الكونَ في الأفق [...](٦٨)
كنصف محيّا غادةٍ قد تلثّمتْ ... حَياءً بطرفٍ من مقانعِها الزُرقِ

- وأنشدنا لنفسه: [الكامل]

لَو لم يكن هذا خليفة «يُوسفٍ» ... في الحُسن بيعته علينا تعقدُ
ما هزَّ منه القدّ رمحًا عاليًا ... ومن الذؤابة فيه بَنْدٌ أسودُ

- وأنشدنا أيضًا لنفسه: [المديد]

كلّما كدنا نؤاخذه ... لقلوب بالجفَا جَرَحا
شَفعتْ فيه محاسنهُ ... فعفونا عنه ما اجترحا

- توفي ابن حيدر –الإمام العلامة– سنة تسع وأربعين وسبع مئة.

البعلبكي:

[٢٧] أحمد* بن عبدالله البعلبكي الشافعي، شهاب الدين أبو العباس، شيخ الإقراء بتربة أم الصالح(٦٩).

- مولده سنة أربع وتسعين وست مئة.
- أنشدنا لنفسه يمدح القاضي علاء الدين بن فضل الله: [البسيط]

فخرتَ بين الورى نظمًا ومنتسبًا   فاطوّقت حَول بَيْتَيْ فخرك الأدبا
وجاورتك رياض الطِرس يانعةً   لمْ لا وقد لَمستْ من كفِّك السُحبا
ويمّمتّك المعاني الغر مذعنةً   لتقتفي ما علا منها وتنتخبا
بهمةٍ عقدت فوق السماك لها   بيتَ الفخار ولم يمدد لها طَنبا

- منها:

وبنت فكرٍ غروب الّلفظ بادية   ما مسَّ فكر امرئ يومًا لها حجبا
رقّت، وراقت فحاكى لُطفُ موقعها   المَدام فأضحى يرقص الحببا
زهتْ على الروض واصفّر الربى خجَلاً   وأطرقَ الغصنُ واعتلّت نسيمَ صبا
نظمٌ تناسب فيه الّلفظ منسجمًا   كما تناسق نظمُ العِقد مُنتخبا
كالدرِ منتظمًا والزهرِ ملتئمًا   والتبرِ منسبكًا والفطرِ منسكبًا
في كلِّ بيتٍ عُيون من محاسنه   تستوقفُ الطَرفَ حتّى أعين الرقبا

وهي طويلة جدًّا، مثبتة عندي.

- توفي في شوال سنة أربع وستين وسبع مئة.

الظاهري:

[٢٨] أحمد* بن عبدالرحمن الشيخ الإمام، العالم، المفتي، شهاب الدين: فقيه جليل، شافعيّ المذهب، حسنُ المناظرة، طيِّب المذاكرة.

- مولده سنة ثمان وسبعين وست مئة.
- أنشدنا لنفسه في قيّم حَمّام جرح رأسه: [الكامل]

يا جارحًا رأسي بسوء حلاقةٍ حتى كأن الجرح من (...)[٧٠]
هو شاهدٌ لك بالصناعة والنُهى والمرءُ لا يلهو بجرح شهودهِ

- وأنشدنا لنفسه: [الوافر]

إلى من على محبته ألامُ وسمعي ليس يطرقُه الملامُ
وإن زادَ العواذلُ في ملامي تَزيد بي الصَّبابة والغرامُ
وإن ذكر الحَبيبُ أميل شَوقًا كما مالت بشاربها المدامُ
فنومي والسُرى وسلو حبيّ حَرامٌ في مَحبتكم حَرامُ

- توفي في شهر شعبان المكرم من سنة خمس وخمسين وسبع مئة.

الموصلي:

[٢٩] أحمد* بن عبدالرحمن بن عبدالله الموصلي، الشافعي، الإمام، العالِم، شهاب الدين -كثير الاشتغال- عارف بفنون من العلم.

- مولده سنة تسعين وست مئة.
- أنشدنا لنفسه: [الطويل]

إذا كنتَ في ضيقٍ فكن متصبّرًا فصبرُ الفتى في النائبات نُباتُ
فلا خير في كلِّ امرئٍ لم يكن له إذا اقتحمته النائبات ثباتُ

- وأنشدنا لنفسه: [البسيط]

إليك يا قاتلَ العشّاقِ بالحَدق[٧١]
أسعى على الراس والأجفان والمأقِ

إذا تثنّيت كان الغصن في خَجل
والبدرُ إن لحتَ لا يبدو من الأفقِ
والشمسُ لو طلعتْ حتى بدا [نزلها][٧٢]
غشّت سنا وجهها في الحال بالشَفَقِ
سلطانُ حسنِك انقادت له أممٌ
لما رأوا منك حسنَ الخَلق والخُلقِ
كلُّ البدور جُنودٌ واقفون على
أبواب عدلِك والأقمار في الطُرقِ
وقد أتاك شهابٌ يشتكي حُرقًا
فعاذَ منها بربّ الناس والفلقِ
يا روحَ روحي ويا سمعي ويا بصري
سحرت قلبي بذالك النحر والعنقِ
أفنيتَ صَبري وما أبقيتَ لي جَلدًا
والقلبُ والعينُ في الأحزان والغرقِ
فاعرض وعرّض وجد واعطف وصدّ
وصل روحي فداك على الهجران لم أطقِ

- وأنشدنا لنفسه: [البسيط]

واعجبُ شيء جرى واشتهرْ ... وما مثله قد روى في السِّيرْ
طلبنا الهلال قبيل الغروب ... فلم نره، ورأينا القَمرْ

- توفي –رحمه الله– في ثاني عشر شهر شعبان المكرم من سنة ست وخمسين وسبع مئة بحلب[٧٣].

ابن سالم القدسي:

[٣٠] أحمد* بن عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن فضل بن سالم القدسي، الشافعي.

- الإمام الزاهد الصالح، كان رجلاً ديّنًا، عارفًا بعلم الكلام.
- مولده سنة تسعين وست مئة.
- أنشدنا لنفسه ردًّا على «المعري»(٧٤) قوله: [البسيط]

نهارٌ يمرّ وليلٌ يكرّ ... وشخصٌ يعتبُ وشخص يُرى

- رد ابن سالم القدسي عليه:

وقال «المعريّ» نهارٌ يمرُّ ... وليل يكرّ على ما ترى
فلا مبتدا ولا منتهى ... وهذا ضلالٌ بغير امترا
يردّ عليه صَريح العقول ... ونصّ النقول وخير الورى

المتيجيّ:

[٣١] أحمد* بن عبدالرحيم بن عبدالرحمن المتيجيّ المالكي الفقيه، العدل، زين الدين، أبو العباس.

- أنشدنا لنفسه بالثغر الإكندري: [البسيط]

حَلَّ السرورُ وحلَّ البشرُ والظَفرُ ... حقًا كما رحلتْ عنّابك الغيرُ
وأشرق الثغرُ نوراَ بعد ظُلمته ... وعادَ مبتسمًا إذ حَلّه القَمرُ

- [مات بالقاهرة ثالث عشر شعبان سنة ثمان وسبعين وسبع مئة](٧٥).

قاضي صَفد:

[٣٢] أحمد** بن عبداللّطيف بن أيوب بن الحسين، الشافعي، قاضي القضاة، شهاب الدين.

- حكم بصفد وطرابلس، وكان رجلاً حسنًا.

• أنشدنا لنفسه – والله يغفر له: [الطويل]

عجبتُ له قد أيقنَ الفضل قَلبه ... وفي سائر الآداب فهو عَليمُ

ويقنع بالأطراف، وهي صغيرةٌ ... عليه فهلاّ في البلاد يقيمُ

• وأنشدنا لنفسه: [الوافر]

إذا ما شئتَ أن تَحيا ... سعيدَ الرأي ذا عرضَ سليمْ

فلا تتلاءَمَنَّ على كريمٍ ... ولا تتكرمنَّ على لئيمْ

• [مات بحماة في سنة ست وسبعين وسبع مئة عن بضع وسبعين سنة](٧٦).

الخاء(*)

الرّفّاءُ:

[٣٣] الخضر * بن إبراهيم بن عمر الخفاجي المنعوت بالرفاء، جمال الدين أبو الحيا، شيخ كيّس، ظريف.

• مولده سنة ثلاث وتسعين وست مئة.

• أنشدنا لنفسه: [مخلع البسيط]

قالوا اهجه قلت ما ... أقولُ! أقبح وصف له جَميلُ

فطرفه فاتر سَقيمٌ ... وخصره أهيفٌ نحيلُ

وشَعره أسودٌ طويلُ ... وردِفه خارج ثَقيلُ

• توفي سنة تسع وثلاثين وسبع مئة بالقاهرة.

(خليل)

الصفدي:

[٣٤] خليل * بن أيبك بن عبدالله الصَفدي الشافعي، القاضي، البليغ، العالِم، المنشئ، صلاح الدين أبو الصفا.

- طلب الحديث بنفسه، واشتغل بالمعقول وصنّف التصانيف المفيدة منها:

الوافي بالوفيات[٧٧] في عشرين مجلدًا، وشرحُ لامية العجم في أربعة مجلدات كتبتُها بخطّي، وغير ذلك[٧٨].

وكتبَ السرَّ بالرحبة[٧٩]، وكتبَ بديوان الإنشاء مصرًا وشامًا، ومحاسنه كثيرة.

- مولده سنة سبع وتسعين وست مئة.
- أنشدنا لنفسه: [البسيط]

عذارك والطرفُ يا هاجري ... يحاكيهما الآس والنَرجسُ
وقد صار بينهما نسبه ... فهذا يدبُّ وذا يَنعسُ

- وأنشدنا لنفسه[٨٠]: [الطويل]

أقولُ له قد رقَّ عيشيَ والصَّبا ... وخمري وكاساتي وصوتُ الذي غَنّى
فقال الذي أهوى وخَصري نسيته؟ ... فقلتُ له واللهِ قد جئتَ في المَعنى

- وأنشدنا لنفسه[٨١]: [الكامل]

لولا شفاعةُ شَعرِه في صَبِّه ... ما كانَ زارَ ولا أزالَ سَقاما
لكن تنازلَ في الشفاعةِ عندَه ... وغدا على أقدامِه يَترامى

- وأنشدنا لنفسه: [الطويل]

تبدّى حَبيبي في السواد فراقني ... وما راعني لما أتى بالعَجائبِ
وشبّهتُ ذاكَ الجِيد في طَوق بُردِه ... بياض العَطايات في سَوادِ المطالبِ

- وأنشدنا لنفسه[٨٢]: [السريع]

لا تحسبوا أن حَبيبي بكى ... لي رحمةً يا بُعد ما تَحسبونْ
لم يبكِ لي من رقةٍ إنّما ... أراد أن يَسقي ماء الجفونْ

• وأنشدنا قال أنشدنا القاضي جمال الدين عبدالقاهر بن محمد التبريزي(٨٣) لنفسه(٨٤) [الوافر]

وناطقة بأفواه ثمان ... تميلُ بعقل ذي اللبِّ الفيف
بكل فمٍ لسانٌ مستعارٌ ... يخالفُ بينَ تقطيع الحروفِ
تخاطُبنا بلفظٍ لا يعيه ... سوى مَنْ كان ذا طَبع لطيفِ
فضيحةُ عاشقٍ ونديم راعٍ ... وعزّة موكبٍ ومدام صوفي

• مولد التبريزي سنة ثمانٍ وأربعين وست مئة.

• وتوفي سنة أربعين وسبع مئة.

• وأنشدنا: قال أنشدنا الإمام، العالم زين الدين أبو حفص عمر بن مظفر ابن الوردي الحلبي الشافعي(٨٥) لنفسه – قلتُ قد أجازني(٨٦): [السريع]

جبرتِ يا عائدتي بالصلهْ ... فكمّلي الإحسان تنفي الوَلَه
وهذ قد حُسبتْ زَورة ... مالكِ يا لُعبةُ مُستعجلة؟!

• وأنشدنا قال: أنشدنا لنفسه(٨٧) أيضًا: [مجزوء الرجز]

وشادنٍ يسألني ... ما المبتدأ والخبرُ؟
مثّلهما لي مسرعًا! ... فقلتُ: أنتَ القمرُ!

• توفي «ابن الوردي» في سنة تسع وأربعين [وسبع مئة]

• قلت: فوائد المولى «صلاح الدين» عندي مجلّدات.

توفي في شهر شوال سنة أربع وستين وسبع مئة.

العلائي:

[٣٥] خليل * بن كَيْكلْدي بن عبدالله الشافعي، الإِمام العلاّمة، الحافظ صلاح الدين العلائي، درّس بالصلاحية وغيرها.

- مولده سنة أربع وتسعين ست مئة.

- أنشدنا لنفسه من قصيدة: [السريع]

ما روضـةٌ زينت بقطر الندى		فابتسم الثغر بها موردا
يفوح منها أرجٌ عاطرٌ		يبلّ من قلب الكئيب الصدى

توفي في المحرم من سنة إحدى وستين وسبع مئة بالقدس الشريف.

[٣٦] خَليل * بن مَلكيشوبن عين الدولة بن قابوس [الديار بكري] (٨٨) الأصل، الشافعين المولى، الأمير بهاء الدين أبو الصفاء.

- أنشدنا لنفسه: [المنسرح]

أقبل يهتز في غلائله		قد زانه لؤلؤ من العَرقِ
وورد خدّيه قد زهَا زهرًا		وثغرهُ والجُمان في نَسَقِ

وعندي من شعره قِطعة.

- توفي صَبيحة يوم الثلاثاء ثاني عشر من شهر ربيع الآخر من سنة إحدى وستين وسبع مئة.

الدال

عزالدّين البغدادي:

[٣٧] دولتشاه* بن قطلغ بك بن عبدالله البغدادي، الشافعي، عزالدّين، الرجل الصالح، الخيّر.

- كتب المنسوب، ونسخ بخطه كتاب «تهذيب الكمال»(٨٩).

- مولده سنة اثنتين وثمانين وست مئة.

- أنشدنا لنفسه: [البسيط]

أحبابَنا إن صَبري عن جنابكمُ فانٍ وإنَّ غرامي فيكمُ باقِ
فإن رأيتم سنا بَرقٍ يلوحُ دُجى فإنها شعلةٌ من نار أشواقي
وإن لحظتم بحارًا في تلاطِمها فإنّها قَطرةٌ من ماءِ آماقي

- توفي سنة تسع وأربعين وسبع مئة.

السّين

الشريف:

[٣٨] سعيد * بن محمّد بن حسن الحُسيني، البغدادي، الشريف، سعد الدين.

- مولده سنة إحدى وعشرين وسبع مئة ببغداد (٩٠).

- أنشدنا لنفسه: [الخفيف]

لقضاة الشام حالٌ عَجيبٌ بَعضها يَستحقُ عندي الملامَا
يأخذونَ القَصائدَ الغُرَّ منّا ويجيزوننا بمالِ اليَتامى

ابن هلال:

[٣٩] سُليمان * بن محمّد بن محمد بن عمر بن هِلال الأزدين المولى القاضي، جمال الدين أبو الربيع –والد الصاحب تقي الدين–.

- كان رجلاً حسنًا كريمًا، بليغًا، ابتليَ في آخر عمره بمرضٍ شديد.

- مولده سنة ثلاث وثمانين وست مئة.

- أنشدنا لنفسه: [الكامل]

قَسَمًا بجود جَميلِه وجَمالِه وتذلّلي في حُبّه ودلالِه
وبلَيلِ طُرّته وضوء جَبينه وبريقه المعسول مَعْ عَنَت له
لا حلتُ يومًا عن هواه ولا صَغى سمعي إلى الأقوال من عذّالهِ (٩١)

- توفي سنة تسع وثلاثين وسبع مئة. رحمه اللّه تعالى.

التّرْشكيّ:

[٤٠] سَتّدمر * بن قُطْلبك التّرْشكيّ، المولى سيف الدين.

- أنشدنا لنفسه بالقاهرة: [الطويل]

لقد شاقني حُلو من العيش مرّ في ... رياض غدت من ناظر العَين ناظرُ
تَدورُ به الكاسات وهي مقيمةٌ ... على ضائعٍ من نشرِها وهو حاضرُ

- وأنشدنا لنفسه: [الطويل]

وأهيف ممشوق القوام إذا انثنى ... تَحيَّر من أعطافِه غصن البانِ
على وجنتيه شُقّةٌ من شقائقٍ ... مطرزةٍ من عارضيه بريحانِ

- وأنشدنا لنفسه: [الطويل]

لئن صَدّعني بعد وصلٍ أباحه ... وكدّر صَفو العيش بَعد مَزاره
فَلمَ بات يسقيني سلافة ريقه ... على ورد خدّيه وآسى عذاره

- توفي سنة تسع وأربعين وسبع مئة.

الشّين

الحنفيّ:

[٤١] شاذي * بن عيسى بن هِلال بن موسى الحنفي الفاضل، شرف الدين، أبو محمد.

- مولده سنة ثمان وثمانين وست مئة.

- أنشدنا لنفسه: [الطويل]

ألا في سبيلِ الوجدِ دَمعًا أرقته ... به سَقمٌ لاشكَّ يحكم بالرمسِ

مـن الـبـِـيـضِ أم سـمـرِ الـقـنـا أنـا واجـدٌ
ويـا حـبّـذا وَجــدٌ بـه تَـلَـفُ الـنـفـسِ
ومــنــهــم بـقـلـبـي أغــيــدٌ ذو تـلـفّـتِ
إليّ فـمـا قـلـبـي ولـوكـنـتُ مـن «عَـبَـسِ»
حـكـى الــبــدر لـكـن فـيـه مـعـنـى أجـلّـه
عن الـبـدرِ فـاقَ الـبـدر بـالـنطق والـلـمَـس
فــجــرّد لي في أجـــــردٍ وهـــو أمــلــدٌ
يـمـيـلُ كـغـصـن الـبـان ظّـبـي مـن الـفـرس
فـكـم مــن قـتـيـلٍ مــن سـيـوف لـحـاظـه
وقـد جُــرّدتْ مـنـه الـشـجـاعـة بـالأَمـس

- توفي في شهور سنة ست وخمسين وسبع مئة –رحمه اللّه.

العين

(عَبدُالله)

التونسي:

[٤٢] عبد اللّه * بن إبراهيم بن عبد الرحيم التونسي المالكي العَدل، جمال الدين.

- مولده سنة أربع وتسعين وست مئة.
- أنشدنا لنفسه في سوداء: [الطويل]

تَعشقتُها مكيّةَ الثَغرِ والنشرِ ... تصدّت لقلبي بالصدود وبالهَجر
تجمعّ خيلان الملاح بِشخصِها ... فمجموعها خالٌ على وَجنةِ الدَهر(٩٢)

ابن عسكر الماسوحي:

[٤٣]عبدالله * بن سَعْد بن سعود بن عَسكر، الشافعي، جمال الدين، أبو محمد.

- فقيه، عالم، له مشاركة جيّدة قويّة في أنواع من العلم.
- مولده سنة اثنتي عشرة وسبع مئة.
- أنشدنا لنفسه: [الكامل]

أهوى الوصول إلى «حَماة» كي أرى نوّاحةً دارت تطيح العَاصيا[٩٣]
ويسؤني أني كلفتُ بحبِها وأنا عن الدارِ البعيدِ القاصيا

- توفي -رحمه الله- في ليلة الثلاثاء رابع عشرين رجب الفرد سنة إحدى وسبعين وسبع مئة[٩٤].

ابن خلكان:

[٤٤]عبدالله * بن عبدالوهاب بن أبي بكر بن خلّكان، جمال الدين، أبو محمد.

- شاب مطبوع.
- مولده سنة تسع عشرة وسبع مئة.
- أنشدنا لنفسه: [مجزوء الكامل]

بِنتم فسالت أدمعي وقضيتُ نحبًا يومَ بيني
لاعشتُ يومًا بعدكم حتى أرى غسلي بعيني

- توفي سنة تسع وأربعين وسبع مئة بالقاهرة. والله يعفو عنه وعنّا[٩٥].

ابن ميمون:

[٤٥]عبدالله * بن محمد بن عبدالله بن ميمون بن أبي بكر الزكندري، المراكشي، المالكي.

- أنشدنا لنفسه: [الكامل]

قسمًا بورد الوجنتين ونظرَتِهْ ... وبقدِّك السامي الرفيع وعزّتهْ
لو لاحَ وجهك في الكرى لكُثيِّر ... ما عتاده برح الخَيال بعزَّتهْ
أو لو رأى الضلّيل(٩٦) بعض جمالكمْ ... ما ضَلَّ عن سُبلِ الهوى بعُنيزَتِهْ

- توفي بمراكش سنة ثلاث وستين وسبع مئة.

تاج الدين اليمني:

[٤٦] عبدالباقي* بن عبدالمجيد بن عبدالله اليمني، الشافعي.

- الإمام، العالِم: تاج الدين، أبو المحاسن، صاحب التصانيف(٩٧) في العربية والمعاني والبيان وغير ذلك.

- كتبَ السِّرّ ظلصاحب اليمن وله تصدير بالقدس الشريف، وكان جمَّ الفضائل، حسنَ المذاكرة، لطيفَ الأخلاق.

- مولده سنة ثمانين وست مئة.

- أنشدنا لنفسه(٩٨): [الوافر]

تجنّب أن تُذمَّ بك الليالي ... وحاولْ أن يُذمَّ لك الزمانُ
ولا تحفلْ إذا كمَّلْتَ ذاتا ... أصبتَ العزَّ أم حصل الهَوانُ

- وأنشدنا لنفسه: [البسيط]

لا أعرف النومَ في حالَيْ رضى ... وجفًا كأن جفنيَ مطبوعٌ على السُّهُدِ
فليلة الوصل تمضي كلها سمرًا ... وليلة الهجرلا أغفو من الكَمدِ

- توفي سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة –رحمه الله تعالى.

عبدالحق المالكي:

[٤٧] عبدالحق* بن يعقوب بن إسماعيل المصري، المالكي، جلال الدين.

- أنشدنا لنفسه يُعرّض بموسى الحاجب بحلب: [الكامل]

موسى الكليم وشرعة لمحمّدٍ والشرع متبعٌ بحقٍ واجبِ
واليوم في حَلَب «قضى القاضي بها في حكمه تبعًا لموسى الحاجب»

- توفي بحلب سنة أربع وخمسين وسبع مئة –سامحه الله.

ابن جَماعة:

[٤٨] عبدالعزيز* بن محمد الكناني: قاضي قضاة الديار المصرية، عز الدين ابن جَماعة:

- شيخ الإسلام، بقية السلَف الكرام، صاحب التصانيف، إمام، علاّمة. كثير الإحسان، محبٌّ للحديث وأهلِه.. ليّن.
- مولده سنة أربع وتسعين وست مئة.
- أنشدنا لنفسه: [البسيط]

يا من بُلي بقضاء قد بُليتَ به عليك بالصبر واحذر يا أخي جَزعَك
واعلم بأنَّ جميع الخلقِ لو قصدوا أذاك لم يقدروا والله قد رفعَك

- توفي في العشر الثاني من جمادى الأولى سنة سبع وستين وسبع مئة [بمكة ودفن في الحجون][٩٩].

النمراوي:

[٤٩] عبدالرحمن* بن علي بن أبي بكر بن عبدالحق النمراوي الصوفي، شرف الدين.

- مولده سنة ست وستين وست مئة.
- أنشدنا لنفسه بالقاهرة: [الطويل]

إذا كنت لم تقنع بدارك منزلاً ولم ترض بالرزق المقيم بأهلِه

عليك بعلم نافع تبتغي به سبيل رشاد إن ظفرت بمثله
تنالُ به دنيًا ودينًا ورفعةً وحِصنًا منيعًا تكتنف تحتَ ظِلَه

المقرئ:

[٥٠] عبدالرحمن * بن محمد بن عبدالكريم الشافعي الشهير بالمقرئ، زين الدين.

- مولده سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة.
- أنشدنا لنفسه: [البسيط]

ظَبيٌ من الترك يُسبي الريم بالكَحلِ رمى فؤادي بسهمِ اللَّحظِ والمقلِ
لام العزولُ على حُبي له عجلاً وهكذا (خُلق الإنسان من عَجل)(١٠٠)

- توفي في شهر جمادى الآخرة من سنة ست وخمسين وسبع مئة–سامحه الله.
- يتلوه عبدالعزيز بن محمد الكناني(١٠١).

ابن رشد المالكي:

[٥١] عبدالرحمن * بن محمد بن عبدالرحمن بن أبي بكر بن رشد الخزرجي، المالكي.

- الإمام، العالم، أبو القاسم. رجل فاضل. قدم علينا دمشق حاجًّا سنة تسع وخمسين.
- فأنشدنا لنفسه: [الوافر]

وذي شَنَبٍ متى أنظر إليه بطرفٍ سلَّ من لحظٍ ذُبابا

تبسّمَ عن عَفيفٍ فوقَ دُرٍّ فقلت: الخمرُ قد حَمَلتْ حبابا

أذوب إذا بدا شوقًا إليه ولو زارته أنفاسي لذاب

فإن أزرى به شيطان واشٍ أحلتُ عليه من حُرَقي[١٠٢] شهابا

- ثمَّ قدم دمشق في أوائل سنة خمس وسبعين فحصل الأنس به وبفوائده.
- ذكر لي أنه تولى القضاء ببعض بلاد المغرب، وعزل نفسه، وحج أيضًا وجاور.
- ومولده سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة بسِجِلْماسة[١٠٣]، وتمت عليه أمور منها أنه زعم أن ابن عبدالبر[١٠٤] ما عرف مذهب مالك وكذلك ابن فِهر[١٠٥]، ولم يسلم من لسانه إلاّ قليل من الأموات والأحياء، وصحب شابًا أمردَ، وضارب عليه عند الوالي، وافتضح وسافر، والله يستر.
- [توفي سنة تسع وثمانين وسبع مئة][١٠٦].

ابن الافتخار:

[٥٢] عبدالعزيز * بن ياقوت بن عبدالله الحلبي، ابن الافتخار.

- مولده سنة أربع وثمانين وست مئة.
- أنشدنا لنفسه: [الطويل]

وحقّكم شوقي لكم ليس يُشرحُ ووجدي قديمٌ لا يحدّ مبرّحُ

وبي حَسَرات واشتياقٌ ووحشةٌ ونارُ الجوى بين الحَشا ليس ينزحُ

أأحبابنا هل يجمع الله شَملنا وخيل الرضا بالقُرب والوصل تمرحُ

ويرجع عمّا قد جَناح زماننا ويعدلُ دَهرٌ جارَ شُحًا ويَسمحُ

- توفي سنة تسع وأربعين وسبع مئة بحلب –رحمه الله تعالى.

الأنصاري:

[٥٣] عبدالواحد * بن محمد بن عبدالواحد الأنصاري المالكي.

- الإمام، العلامة، أوحد الدين.
- مولده سنة تسع وسبعين وست مئة.
- أنشدنا لنفسه: [الطويل]

وشـــادن أزرقِ الـعَـيـنـين مقلته ... تُصمي القُلوبَ فما تبقي ولا تذرُ
ما رفعُ الطَّرفَ إلاّ والنفوس لقىً ... ولا يغمّض حتّى تدفن الصورُ

- توفي سنة تسع وأربعين وسبع مئة –رحمه الله تعالى.

عبدالولي الأسعردي:

[٥٤] عبدالـولي * بن الحسن بن أحمد بن محمد بن علي الأسعردي، الشافعي الأديب.

- أنشدني لنفسه، من قصيدة مثبتة عندي: [الكامل]

مـلـكَ الـفـؤادَ وجـار في أحكامـه ... وسـطـا عـلـيّ بـسـمـهـري قـوامـه
ظبيٌ من الأتـراك معشوق اللّمى ... مـنـه يـغـار الـبـدرُ عـنـد تمـامِـه

- وتـوفي إلى رحمة الله تعالى يوم الأحد ثالث عشرين من رجب سنة ثمان وسبعين وسبع مئة.

ابن السُّبْكي:

[٥٥] عبدالوهاب * بن عليّ بن عبدالكافي بن تمام السُّبكي، الشافعي، الفقيه، العلاّمة تاج الدين أبو نصر.

- أقضى القضاة، كتب بالدست الشريف.
- مولده سنة ثمان وعشرين وسبع مئة(١٠٧).

- درّس بالدماغية والقيمرية والعزيزية(*)، وولي دار الحديث الأشرفية. وكان له الصدر بالجامع لإفادة الناس، وأكثر من التأليف واشتهرت تصانيفه في حايته، وأهمها طبقات أصحاب الإمام الشافعي(١٠٨)، وشرح مختصر ابن الحاجب، ومنهاج البيضاوي، وعمل في الفقه التوشيح والترشيح.
- وتولى قضاء قضاة الشام عوضًا عن والده في شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين وسبع مئة.
- أنشدنا لنفسه في تعارض المجاز مع الاشتراك وغيره: [البسيط]

تجوزٌ، ثمّ إضمارٌ وبَعدها ... نقل، تلاه اشتراك فهو يخلفه
وأرجح الكلّ تخصيصٌ وآخرهم ... نسخ فما بعده قسم يخيّله

- توفي سابع ذي الحجة سنة إحدى وسبعين وسبع مئة(١٠٩).

(عثمان)

ابن حرز الله:

[٥٦] عثمان* بن أحمد بن أبي بكر بن حرز الله الشافعي، العدل، الصالح، فخر الدين أبو عمرو: كثير النظم.

- مولده سنة تسعين وست مئة.
- أنشدنا لنفسه: [البسيط]

ابعثوا الطّيفَ للمعنّى يَزورُ ... كلّ ما قاله العَواذلُ زُورُ
زعموا أنّني سلوتُ هَواكم ... كذبوا والذي إليه النّشورُ
ففؤادي ما حَلّ فيه سواكم ... وإليكم دُونَ الأنامِ أُشيرُ

**أنــتــمُ ســادتــي عــلــى كــلٍّ حــالٍ	وأنــا دائــمًــا إلــيــكــم فَــقــيــرُ**

وهي قصيدة طويلة مثبتة عندي.

- توفي سنة تسع وأربعين وسبع مئة.

الدمشقي:

[٥٧] عُثمان * بن أحمد بن عبدالله بن أحمد الدمشقي: فخر الدين أبو عَمروٍ.

- كان رجلاً حَسنًا، ديِّنًا كثر القيام بالليل.
- مولده سنة إحدى وتسعين وست مئة.
- أنشدنا لنفسه: [الرمل]

**مـذ نــأى عَــنّــي غــزالي ونَــفَــرْ	حلّت الأوهــامُ عــنـدي والـفـكَـرْ**
**مـدمـعـي فــوق خـــدُودي جـاريًـا	جـاريًـا فــوق خُـــدودي كـالمَـطـرْ**

- توفي سنة تسع وأربعين وسبع مئة، رحمه الله تعالى.

[٥٨] عُثمــان * بــن عليّ بن أحمد بــن عليّ بن أحمــد السلامي: التاجر، الشيخ فخر الدين.

- مولده سنة خمس وثمانين وست مئة.
- أنشدنا لنفسه: [الطويل]

**لقد عشتُ دهـرًا خاليًا من صَبابة	ولم أدر طعم العشق كيف يكونُ**
**فعرّضتُ نَفسي للصَّبابة عامدًا	وهـذا جُـنـونٌ والجـنـوُن فُـنـونُ**

- وأنشدنا: [الخفيف]

قال أنشدنا الأديب صَفي الدين عبدالعزيز بن سرايا بن علي بن أبي القاسم الحِليّ (١١٠) لنفسِه (١١١): [الخفيف]

لا تكنَ طالبًا لما في يَد النّا ... سِ، فَيزورّعنك الصّديقُ
إنّما الذلُّ في سؤالِكَ للنّا ... سِ، ولو في سؤالِ أينَ الطَّريقُ؟

- وأنشدنا قال: أنشدنا الصَفيّ الدين لنفسه[١١٢]: [الطويل]

ولما كتبتُ الطّرسَ شَوّهتُ لَفظَه ... وجئتُ بما شاهدت من لحنه عمدا
عساك ترى عَيبًا به فتردَّلي ... جوابًا لدنَّ العيبَ قد يوجبُ الرّدا

- وأنشدنا قال: أنشدنا صفيّ الدين لنفسه [١١٣]: [الكامل]

لا غروَ أن يَصلى الفُؤادُ ببعدِكم[١١٤] ... نارًا تؤجِجُها يَدُ التّذكارِ
قَلبي إذا غِبتم يُصوِّرُ شخصَكُم ... فيهن وكلَّ مصَوِّرٍ في النّارِ

- مولد ابن سرايا سنة سبع وسبعين وست مئة بالحِلّة[١١٥].

- وتوفي سنة تسع وأربعين وسبع مئة ببغداد.

- وتوفي فخر الدين المذكور سنة سبع وأربعين وسبع مئة –رحمها الله تعالى.

ابن بَشارَة:

[٥٩] عُثمان* بن عَليّ بن بشارة، الحنَفي، العدل: سابق الدّين.

- أبو عَمرو مولده سنة اثنتين وسبعين وست مئة.

- أنشدنا لنفسه بالقاهرة: [الطويل]

نزلي في الحُشاشة لا يَزولُ ... رشيقٌ أهيفٌ أحوى كَحيلُ
شَنْيب الثغر ألمى بدر تمٍّ ... به ترف له خَصرٌ نَحيلُ
إذا لاموا عليه وعنّفوني ... وأكثر عُذّلي فيه أقولُ
بُودّي لو تأمَّلهُ العَزولُ ... وقد عَطفتْ شَمائله الشَمولُ

- توفي سنة ثمان وأربعين وسبع مئة بالقاهرة.

ابن الثُّردة:

[٦٠] علي* بن إبراهيم بن علي ابن الثُّردة: الواعظ الواسطي، البغدادي.

- كان رجلاً حسنًا يعظ بجامع دمشق.
- وكانت له فضيلة، وسرعة في النظم والنثر، حلو المنطق، أصابته السوداء فتغيّر عَقله وانحرف قبل موته، عافانا الله.
- مولده سنة سبع وسبعين وست مئة.
- أنشدنا لنفسه: [الكامل]

بسناكُمُ تتشعشعُ الأقطارُ ... وبوصفكم تتحدّثُ السمّارُ

وبوصفكم تُجلى الهموم جميعها ... وبمدحِكم تتطرّزُ الأشعارُ

وبنشركم يجري النسيم معنبرًا ... وبحبكم تستعبد الأحرارُ

يا سادةً ما اختار قلبي غَيرهم ... أبدًا وليس لغيرهم يختارُ

إن كنتمُ عن ناظري قد غبتمُ ... فَبِلُبِّ قلبي أنتمُ حُضّارُ

لا زلتمُ في نعمةٍ وسعادةٍ ... ما غرّدت في دَوحها الأطيارُ

- توفي[١١٦] سنة تسع وأربعين وسبع مئة، رحمه الله تعالى.

الحلبي:

[٦١] علي* بن إبراهيم بن [بن جرير بن تميم][١١٧] الحلبي، كاتب السر بحلب.

- مولده سنة ثلاث عشرة وسبع مئة.
- أنشدنا لنفسه[١١٨]: [الطويل]

أيـا مـا لـكـي هـذا الـكـتـاب كـتـبـتـه ....

فـإن نـحـن عـشـنـا يـجـمـع اللّٰه بيننا وإن كانت الأخرى سلامي عليكمُ

- توفي في شهر شوال سنة ثلاث وسبعين وسبع مئة.
- وكان رجلاً حسنًا، نظيفًا.

ابن العَطْشانة:

[٦٢] علي* بن أبي بكر بن الحُسين بن علي ابن العَطشانة.

- الحنبلي الواعظ.
- كان رجلاً صالحًا، خَيّرًا يقرأ: أيضًا على الكراسي.
- مولده سنة اثنتين وتسعين وست مئة.
- أنشدنا لنفسه يمدح السلطان الملك الناصر[119] – رحمه اللّٰه:

[السريع]

سـحـابُ دمـعـي أبـدًا مـاطـرُ مـن حيث غـابَ الملك الـنـاصـرُ

كـان لـنـا مـن بـرّه مـشـرعٌ يـنـهـلـه الـواردُ والـصَّـادرُ

لا يـحـفظ الـسـالـفُ مـن عَـهـدِه إلاّ الـذي عـنـصـره طـاهـرُ

غـاب فـكـأس الحُـزن مـا بـيـنـنـا مـن بـعـد كـاسـاتِ الصـفـا دائـرُ

- وهي طويلة، عندي مثبتة.
- وتوفي سنة تسع وأربعين وسبع مئة.

البَرس:

[٦٤] علي* بن أبي بكر بن علي بن حَسن البَرسي الشافعي.

- الفقيه، العالِم، علاء الدين، أبو الحسن.

- مولده سنة خمس وعشرين وسبع مئة.
- كان مقيمًا ببعلبك، ثمّ انتقل إلى حماة، ودرّس بالعصرونية(١٢٠)، واشتهر فضله وشاع قدره.
- أنشدنا لنفسه(١٢١): [مجزوء الكامل]

يا أيها الرشأ الأريبُ ... يا نائيًا عني قَريبُ
أتراكَ تَعلمُ حَالَ مَنْ ... أسفًا عليك جَوى يذوبُ؟
يا ساكنًا وسطَ الجَشا ... .

توفي في شهر شعبان المكرم من سنة ثمان وسبعين وسبع مئة بحماة –رحمه الله– وعامله بلطفه.

علاء المحتسب:

[٦٤] علي* بن أحمد بن علي المصري، القاضي.

- علاء الدين. المحتسب بمصر والشام، تولّى غيرها من المناصب.
- رجل كيّس، محبّ للفقراء والصُلحاء.
- مولده سنة ثلاث وتسعين وست مئة.
- أنشدنا لنفسه: [الكامل]

إنَّ الوجودَ وما حواه ومن حَوى ... سيزولُ عن قُربٍ ويبقى الواحدُ
فليصنع الإنسان ما يبقى به ... ما دام حيًّا والزوانُ مساعدُ
وليحذر التسويفَ في أوقاته ... فالمرءُ صَيدٌ والمنيةُ صائدُ
وكما تدين يدان كلّ مكلّف ... يجري القضاء بما يؤدي الشاهدُ
سلّم إليه زِمامَ كلّ قضيّةٍ ... فهو الدليلُ للطفها والقائدُ

- توفي في مستهل شهر جمادى الآخرة من سنة ثمان وخمسين وسبع مئة.
- ودفن بتربةٍ خارج باب النصر(١٢٢).

الحسامي:

[٦٥] علي* بن أزدمُر بن عبدالله الحسامي، الأمير علاء الدين.

- كان ظريفًا مليحًا [أخذتُ] كتابتي عنه.
- مولده سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة.
- أنشدنا لنفسه: [الكامل]

نامت أنامَ اللهُ مَنْ قد أسهرا ... وأقر عَيني من تَنعّم بالكرى
وسنانة قضت الصّبابة والهوى ... فيها [ ] وأشهرا[١٢٣]
مغرورة بالحُسن مَنْ يركبْ لها ... بحر الغَرام بنفسه قد غررا
قالوا اصطبر عنها فأنت قتيلها ... قلت اقصروا ودعوا القتيل مصبّرا
الصبرُ عنها كاسمه ووصالها ... لي سكّر يحلو إذا ما كرّرا

وهي طويلة.

نور الدين بن آقوش:

[٦٦] علي* بن أقوش بن عبدالله، الأمير نور الدين، الفاضل، المناضل، سامحه الله.

- أنشدنا لنفسه: [الكامل]

باتت تَلومُ على الشجاعةِ والسَّخا ... خَوف الحِمام وخَشية الإملاقِ
فأجبتها كفّي الملامَ فإنما ... أجلي ورِزقي في يَدِ الخَلاّقِ

- وأنشدنا لنفسه: [الكامل]

لا تركبَنْ خوضَ الوغى، خوفَ الردى ... فالعمرُ من عند العظيمِ الخالقِ
وإذا بذلتَ فلا تخف فَقرٌ به ... فالرزقُ من هِبة الكريم الرازقِ

- توفي بعد الأربعين وسبع مئة –رحمه اللّه وسامحه.

الخالدي:

[٦٧] علي * بن أيدمر بن عبدالله الخالدي الفَقير.

- له نظم مطبوع، ومجاميع مفيدة.
- مولده سنة إحدى وسبع مئة.
- أنشدنا لنفسه: [الخفيف]

سـألـوني وقـد بـدا وجـه حبّي — تحت قَـرعٍ قد طال فيه عَنائي
إن أشـبِّـهْـهُ سـرعـةً قلت يحكي — قمرَ الصَّيفِ في بـروج الشتاءِ

- وأنشدنا لنفسه في مليح يرى حَسنًا بالليل دون النهار: [الوافر]

ومـرتـدي الجـمـال بـجنـحِ لَيـلٍ — وإن لاحَ الـنـهـارُ تـراه عـارِ
يـرنـيـه الـظـلام بـديـع حُسـن — فـأعـشـقـه وأسـلـو بـالـنـهـارِ
كـذاك الـبـدرُ يـخـفـى في ضـيـاءٍ — ويـبـدو في الـظـلام لـكـل سـارِ

- توفي يوم السبت ثاني عشر شهر رجب الفرد سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة بالربوة(١٢٤) – سامحه اللّه ورحمه.

ابن أيبك:

[٦٨] علي * بن أيبك الدمشقي، أبو الحسن علاء الدين(١٢٥).

- الأديب الفاضل.
- مولده سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة.
- أنشدنا لنفسه: [الكامل]

واحسرتي!! ذهبَ الشبابُ وقد بدا — صبحُ المَشيب بلمتي يتطلعُ
كـلٌّ يـسـافـرُ وهـو نـورُ رجـوعـهِ — إلاّ الـشـبـاب مـسـافـرٌ لا يـرجـعُ

- وشعره عندي كثير، وأدبه غزير.

القدسي:

[٦٩] علي* بن أيوب بن منصور القدسي، الشافعي.

- الشيخ الإمام العلامة علاء الدين أبو الحسن.
- كان شيخًا وقورًا، مهيبًا، عالمًا بالفقه والحديث والأصول واللغة مع الديانة المتينة(*).
- مولده في سنة ست وستين وست مئة.
- أنشدنا لنفسه: [السريع]

لاموا قُليبي إذ بَراه الهَوى ... فقلتُ والجسمُ نَحيل مَريضْ

تبلبلَ الشَعرُ على رِدفه ... أوقع قلبي في الطَويل العَريضْ

- وأنشدنا أيضًا لنفسه: [البسيط]

قالوا ألا تمدح المحبوب؟ قلتُ لهم ... مَدحي ببيتٍ أديبٍ شاع في القَدم

[ما اختصَّ بالحُسن عُضوًا منه أمدحه ... قد عمّه الحسن من فَرقٍ إلى قدم]

- توفي سنة ثمان وأربعين وسبع مئة بالقدس الشريف –رحمه الله(١٢٦).

(داوود)

القَحْفَازيّ:

[٧٠] علي* بن داود بن يحيى بن كامل القُرشي الحنَفي، الشيخ الإمام.

- العلامة، نجم الدين القَحْفازي: إمام الناس في العربية والأصلين، وشيخ الحنفية في الفِقه، مع الديانة، سريع النادرة.

• مولده سنة ثمانٍ وستين وست مئة.

• أنشدنا لنفسه(١٢٧): [السريع]

أضمرتُ في القلب هَوى شادنٍ مشتغلٍ بالنَحو لا يُنصِفُ
وصفتُ ما أضمرتُ يومًا له، فقال لي: المضمرُ لا يُوصَفُ

• وأنشدنا قال: أنشدنا قاضي صفد(١٢٨) صَدر الدين الحنفي(١٢٩) بيتًا هو [الطويل]

وما فزتُ إلاّ من بعيدٍ بنظرةٍ وهل تنظرُ الأقمار إلاّ على بُعدِ

• وقال: أنشدته الشيخ مجد الدين بن الظهير الإربلي(١٣٠)فأنشدني موطئًا له: [الطويل]

قَضيتُ وما قضّيتُ منكم لبانتي وما ظَفرتْ نفسي بوصلٍ ولا وعدِ

• وأنشدنا أيضًا:

قال الشيخ شِهاب الدين أحمد بن دمرتاش العَدل(١٣١) لنفسه: [الطويل]

أقول لمسواك الحَبيبِ لك الهنا بلثم فم ما ناله ثغرُ عاشقِ
فقال وفي أحشائه حُرقةُ الظَما مقالةَ صَبٍّ للديار مفارقِ
تذكرتُ أوطاني فقلبي كما ترى أُعلّله بين «العُذيب» و«بارق»

• وأنشدنا:

قال أنشدنا ابن دمرتاش لنفسه(١٣٢): [الكامل]

انظر إلى الأزهار تلقَ رؤوسَها شابتْ وطفلُ ثمارها ما أدركا
وعبيرها قد ضاع من أكمامِه(١٣٣) وغدا بأذيالِ الصَّبا مُتمسّكا

• توفي –رحمه الله تعالى– سنة تسع وأربعين وسبع مئة(١٣٤).

قاضي القضاة السُّبّكي:

[٧١] علي * بن عبد الكافي بن تمام السُّبكين الشافعي.

- قاضـي القضاة، شيخ الإسلام، علاّمة الزمـان، أوحد المجتهدين، بقية السلف الصالحين، صاحب التصانيف.
- مولده سنة ثلاث وثمانين وست مئة.
- أنشدنا لنفسه: [الطويل]

إلـهـيَ فـوّضـتُ الأمـــورَ جميعها ... إليـكَ فدبّرها بما شئتَ والطف
وسلمنيَ -اللّهم يـاربّ واحمني- ... وخُذْ بيدي وامنـنْ وجـدْ وتعطّفِ

- توفي ليلة الاثنين ثالث شهر جمادي الآخرة من سنة ست وخمسين وسبع مئة.

ابن التركماني:

[٧٢] عليّ * بن عثمان بن إبراهيم المارديني الحنفي المنعوت بابن التركماني.

- قاضي القضاة، علاء الدين، أبو الحسن الشيخ الإِمام العلامة.
- كان -رحمه الله- عالمًا بالفِقه والحديث واللغة والأدب والشعر، صَاحب التصانيف(١٣٥).
- أنشدنا لنفسه: [الكامل]

سكنوا دِمـشـقَ وخَـلّـفوني بَعـدَهـم ... أهـوى دمشقُ وأن أشاهدَ أرضَها
وأودّ لـو فـارقـتُ مـصـرَ لأنّـنـي ... مـن بَعـدِ بُعـدِ أحبّتي لم أرضَها

- توفي -رحمه الله تعالى- في سنة تسع وأربعين وسبع مئة(١٣٦).

ابن مقاتل:

[٧٣] علي * بن مقاتل بن عبد الخالق: الحَموي، الأديب البارع، علاء الدين، أبو الحسن.

- شيخ الزجل، وإمامه، وليث الأدب وحسامه.
- مولده سنة ست وستين وست مئة[١٣٧].
- أنشدنا لنفسه: [السريع]

قد كتبَ الشَعرُ على قدِّ مَنْ ... هَويتُ في الأبيض بالأسود
ما يفعل الكافرُ في مسلمٍ ... ما تفعل اللّحيةُ بالأمردِ

- توفي -أظنّه- سنة إحدى وستين وسبع مئة[١٣٨].

ابن عمّار الواعظ:

[٧٤] علي * بن فارس بن عمّار بن مفتاح، الهوّاري، المالكي.

- الفقيهُ الواعظُ، رجلٌ حَسَنٌ، ظَريفٌ.
- أنشدنا لنفسه: [الوافر]

وخبّازٍ مررت به نهارًا ... وقد لَعبَ اللَّهيبُ بوجنتيه
زمان وصالِه أحلى وأشهى ... إلى الجيعان ممّا في يديه

- وأنشدنا لنفسه: [المنسرح]

وزركشيّ يَروقُ منظرُهُ ... حُسنًا ويُسبي الوَرى ببهجتهِ
يرقمُ في الثَّوبِ مثلما رقمتْ ... له يدُ الحُسن وسطَ وجنتهِ

الشوش:

[٧٥] علي * بن محمّد الأقباعي [ ][١٣٩] المنعوت بالشوش - بالمعجمة المكرّرة.

- كان معجبًا بشعره، يتنقص المتنبي ويسخر منه!

- أنشدنا لنفسه: [الطويل]

تَبدّى لعيني حين مثّلَه الفِكرُ
وقد لاحَ لي في لَيل طرّتِه الفَجرُ

وقد طَلعتْ شمسُ النهارِ كأنّها
سنا وجه بدرٍ لا يقاسُ به البدرُ

حَبيبٌ حَوى رقيّ بِرقة خَصرِه
له مقلةٌ بالإنكار لها نضرُ

يديرُ علينا خمرةً من لحاظه
تميّلُنا سُكرًا كما تَفعل الخَمرُ

يميسُ كخوط البَانِ من نَشوة الصّبا
وما خُطوط بانٍ والمثقفة السّمرُ

يزيدُ جمالاً يعجزُ الوَصفُ دُونَه
تحكّم في رُوحي له النَهيُّ والأمرُ

وهي طويلة.

- توفي سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة –رحمه اللّه.

ابن غانم:

[٧٦] علي* بن محمد بن سَلمان بن حَمائل بن غانم المقدسي، الشافعي، القاضي، البليغ، المنشئ، ذو المرُوءة الزائدة، وصاحب الصِّلة والعائدة.

- كتب بالدَست الشريف.

- مولده سنة إحدى وخمسين وست مئة.

- أنشدنا لنفسه: [الوافر]

يـعــزّ عـلــى مُـحـبّـكـم نـواكـم ولا يَجِدُ السَبيلِ إلى رِضاكمْ
إلـيـكـم قـلـبُـه قـد ذابَ شـوقًـا ويخشى أن يمـوتَ ولا يـراكمْ

- وأنشدنا لنفسه: [السريع]

[إنَّ الـثـمـانـيـنَ وبـلّـغـتـهـا قد أحوجت سمعي إلى ترجمانْ]
خـلاف مَـنْ منـهـا شـكـا أنـه بـالأذن لا يُسمعُ صَوت الأذانْ

- توفي سنة سبع وثلاثين وسبع مئة – رحمه الله تعالى.

الهَمداني:

[٧٧] علي* بن محمّد بن علي بن عبدالقادر التميمي الهمذاني الشافعي: الإمام، العالم الفاضل: نور الدّين، أبو الحسن.

- كان إمامًا، ديّنًا، خيّرًا، يقرأ الحديث الشريف في نهاية الصحة، لم يكن بالديار المصرية في وقته مَنْ يقرأ مثله.

- مولده سنة اثنتين وثمانين وست مئة.

- أنشدنا لنفسه من قصيدة: [المتقارب]

إلـى أُصـدُّ وكـم أُحـجـبُ ومـالي عـن حُـبـكـم مَـذهـبُ
وأنـتـم مـلاذي والمـلـتَـجـا وأنـتـم مـرادي والمـطـلـبُ
وأنـتـم سُـويـداءُ قَـلـبـي بـل وسُـود عُـيـوني بـكـم أَرقـبُ
سكنتم فُـؤادي، وعـن نَـاظـري بَـعـدتمْ، وهـذا الـذي يَصعبُ

وهي طويلة، عندي مثبتة.

- توفي –رحمه الله– قافلاً من الحج سنة تسع وأربعين(*) وسبع مئة غريقًا في البحر.

الدمياطي:

[٧٨] علي* بن محمد بن عماد بن سند الدمياطي.

- فقير ظريف، وصاحب معنى في الكَيس لَطيف.
- مولده سنة ثمان عشرة وسبع مئة.
- أنشدنا لنفسه ببلبيس(*): [الكامل]

يا من لبستُ عليه أثوابَ الضَّنا وخَلعتُ إذ وردَ العَذار عذارا
ما كنت أحسبُ أن قدَّكَ بانةً حتى رأيتُ عليه قَلبي طَارا

- وأَنشدنا لنفسه: [الطويل]

إذا كان مَنْ تهوى جليسك دائمًا
وعنك معاني حُسنِه ليس تُحجبُ
فكن حَذِرًا واغنمْ وِصالاً فربما
صُروف اللّيالي ضدّ ما أنت تحسب

- وأَنشد لنفسِه: [الوافر]

بثغر معذّبي درٌّ نَضيدٌ وريقٌ أينَ منه السلسبيلُ
فهل لي قبل أن تُقضى حَياتي لِوردِ سُلافِ ريقتِه سَبيلُ؟

- توفي سنة تسع وأربعين وسبع مئة.

ابن فَرحون:

[٧٩] علي* بن محمد بن فَرْحون بن أبي القاسم بن محمد اليعمري المدني المالكي، نور الدين.

- رجل فاضل، صالح.
- مولده سنة سبع وتسعين وست مئة.

• أنشدنا لنفسه: [الطويل]

غَـريـبٌ لـه بـالـطَّـيـف منـك بـلاغُ ... ولـيـس لـه عـنـك الـغـداة فَـراغُ
غَصَبتيْه قلبًا لا يزيغُ عن الهَوى ... ويـا ويـحَ قَلبًـا عـن هَـواك يُـزاغُ
غنيتُ بحسنٍ راقَ في الخَـدِّ ماؤه ... ولـيـسَ لمـن يَـهـواكِ فيـه مَـسـاغُ
غرامي قديم فيكِ يا غايةَ المُنى ... وأحسـن أشـعـاري ففيك تُصـاغُ

• توفي –رحمه الله– في سنة ست وأربعين وسبع مئة.

المهَنْدِم:

[٨٠] علي * بن يوسف بن إبراهيم بن عبدالله المهندم أبو الحَسن.

• شيخٌ حَسنٌ، فقيرٌ ظريف.

• أنشدنا لنفسه: [البسيط]

صَـبـري قضـى وغَـرامـي فيكم بـاقـي، ... أنــا المـقـيـمُ عـلـى عَـهـدي ومـيـثـاقـي
إذا تـذكّـرتُ أوقـاتًـا بـكـم سَـلفت ... هَـيّـج وجــدي وأشــجـاني وأشــواقـي
وإن دعـاني الـهَـوى الـعُـذري نحوكم ... أسـعـى إلـيـكـم عـلـى راسـي وأحـداقـي
أنحلتمُ الجَفا جِسمي –وحقكمُ– ... قـد مَـرّحَ الـدَمـعُ يـومَ الـبَـين آمـاقـي

• توفي سنة ست وثلاثين وسبع مئة –رحمه الله تعالى.

السنجاري:

[٨١] علي * بن يوسف بن يعقوب السنجاري.

- مولده سنة ثمان وتسعين وست مئة.

- أنشدنا لنفسه: [المتقارب]

قَدِمتَ فأضحتْ وُجوهُ العُلى ... بـرؤيـاكَ ضاحكةً باسمهْ
وطابت نُفوسٌ وقرّت عيونٌ ... -فشكر لها- نعمة دائمهْ

(عُمَر)

المحتسب:

[٨٢] عُمر * بن إبراهيم بن دَاود، الأنصاري، المولى، زين الدين، المتحسب.

- مولده سنة إحدى وتسعين وست مئة.

- أنشدنا لنفسه: [الكامل]

لَو عَاده مَنْ كان أصل سَقامه ... لأراحَه وشَفاه من آلامِه
دَنِفٌ على فرشِ الضَّنا لم تكتحل ... أجفانه يا صَاحبي بمنامه
يتغامز العُوّادُ وهو يَراهمُ ... فيجيهم بالطَرف لا بكلامِه
أهلاً وسهلاً بالحِمام ومَنْ غدا ... مثلي فإنَّ حَياتَه بحمامه
يشكو على عوّاده ما ناله ... فكأنه يَشكو إلى لُوَّامِه

- توفي في شهر ربيع الآخر، سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة مقتولاً ببَيسان من الخوَر(١٤٠).

ابن أقوش:

[٨٣] علي * بن أقوش بن عبدالله، الأديب، زين الدين.

- كان مواظبًا على الصلاة في الجَماعة.

- مولده سنة إحدى وثمانين وست مئة

- أنشدنا لنفسه: [الكامل]

ومتيّم وردُ الخُدود يَزيدُه شَغَفًا ويُسلمه العِذار الآسي
يَرجو وِصالُ الناس فاعجب لامرئٍ ما زال يولعه الرجا في الناسِ

- توفي سنة تسع وأربعين وسبع مئة –رحمه الله تعالى.

الصَّفَدي:

[٨٤] عُمر * بن داود بن هَارون بن يُوسف الصَّفدي النيني[١٤١] الكاتب، المولى، الفاضل، زين الدين.

- كتب بديوان الإنشاء بمصر والشام، وكان عارفًا بالنظم والنثر.
- مولده سنة أربع وتسعين وست مئة[١٤٢].
- أنشدنا لنفسه ما كتبه على «كتاب الأنواء» لابن قتيبة[١٤٣]: [الخفيف]

هذه جنّةٌ لها ذُهِلَ الفكـ ـرُ وحارت في وَصفِها الأدباء
ما رأى قبلها الأنام سُطورًا نشأت في حُروفِها الأنواء

- وأنشدنا لنفسه: [الوافر]

تَبسّم ثغرُها والخالُ يَبدو عليه كقلبِ ظمآنٍ إليه
فقلتُ الصُّبحُ قالت: كيف يأتي؟ وليلُ الخَالِ بَوّابٌ عليه؟

- توفي سنة ثمان وأربعين وسبع مئة –رحمه الله تعالى.

البَلالي:

[٨٥] عُمر * بن عِمران بن صَدَقة بن صالح بن منصور القُرشي، الأموي، الشهير بالبَلاّلي.

- مولده سنة خمس وثمانين وست مئة.

- أنشدنا لنفسه: [الخفيف]

يــا رواةَ الحَــديــث والأمــثــالِ افهموا –يا كرامُ– قَول البلالي
واعــذروه إن كـان في الـنَّظم نَقصٌ واســتروا زَلـتـي عـلـى كـلِّ حال

- كتبــت عنه وهــو في السجن بقلعة دمشق. ثمّ أخــرج وتوفي(١٤٤) في حدود الأربعين وسبع مئة –رحمه الله تعالى.

الغاء

البغدادي:

[٨٦] فَلاحُ* بن غَنائم بن قُدامة البغدادي، الشافعي، الفقيه، أبو الخَير.

- مولده سنة خمس وسبعين وست مئة.

- أنشدنا لنفسه من قصيدة: [الخفيف]

كـم تـقـضّـى مـع المـلاح زمـاني في رِيــاضٍ بـجـلّـقٍ وجـنـانِ
وعـيـونٍ بـين الـريـاض جَـوارٍ وجـــوارٍ جـمـالـهـنّ سـبـاني
وهـــزارٍ وبُـلـبـلٍ وقـمـاري وشـحـاريـر صَـوتـهـا كـالأغـاني
فاسقني بالكبير –لا تحتقرني– قـد صَـفـا وقـتـنـا وغـابُ الـغَـواني
واسـقـنـيـهـا مـن صَـيْـدَنَـا وإلاّ فاسقنيها من مَعراثا في القَناني(١٤٥)
وإذا مِــتّ فـادفـنـوني ودني عند دَير الحبيش(١٤٦) بالزَّبَداني(١٤٧)
واضـربوا بـالـدّفـوفِ حَـولي ونـادوا يا قَتيلَ الـدنـانِ يا جـاغـاني(١٤٨)
وادفـنـوا جـانـبي بَـمـيٍّ وزيــري(١٤٩) وصُـراحـيـتـي(١٥٠) وكـاسـي وبـاني
خُـلِـقَ الـعَـفـو والـتـجـاوزُ إلاّ لامــرئٍ مـذنـبٍ وعـاصٍ وجـاني
والـكـريمُ الحَـلـيـمُ صـاحب عَفوٍ وهــو مـن عَـبـدِه قـريـبٌ داني

- توفي سامحه الله وإيانا في سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة(١٥١).

الذهبي:

[٨٧] لاجِين* بن عبدالله الذَهبي الصالح، حسام الدين.

- أنشدني لنفسه في سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة [السريع]

فكّرتُ في المَوتِ وأسبابِه وجدته فيه اعتلال المريضْ
وحالي الضَعف على شَيبتي فقلتُ: أهلاً بالطويل العَريضْ

- وأنشدنا قال: أنشدنا بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي(١٥٢) لنفسه(١٥٣): [السريع]:

حلا نباتُ الشعرِ يا عاذلي لما بدا في خَدِّه الأحمرِ
فشاقني ذاك العِذارُ الذي نباته أحلى من السُكَّرِ

- توفي(١٥٤) سنة وثمان وثلاثين وسبع مئة عن ثمان وسبعين سنة.

لاجين بن عبدالله الذَهبي:

[٨٨] المعلم حسام الدين، كان رجلاً صالحًا، سريع الدمعة.

- مولده سنة ثلاث وسبعين وست مئة.
- رومي الأصل.
- أنشدنا لنفسه: [السريع]

اسلَ عن الدُّنيا ولذاتها فإنها ليست بمحمودهْ
واقنع من الرِّزقِ بما تَكتَفي فإنَّما الأرزاقُ مَحمودهْ
فأطيبُ المأكول من نحلةٍ وأفخر الملبوس من دُودهْ
واتّبع الحقَّ كما ينبغي، عليكَ، فالأنفاس مَعْدودهْ

- توفي –رحمه الله– سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة.

السفاقسِ:

[٨٩] محمد * بن إبراهيم بن أبي القاسم السَفاقسِ.

- الإمام العلاّمة شمس الدين المالكي.
- علّق على أُصول ابن الحاجب(١٥٥) وشرحَ عَروضَه.
- مولده سنة ستٍ وسبع مئة.
- أنشدنا لنفسه: [البسيط]

وافى الكِتابُ وقلبي هائمٌ قَلقُ ... قد شَفّه الوَجدُ حتى ما به رَمَقُ
يرتادُ بينُ جَفًا منكم ومعذرةً ... تكادُ حبّته بالشّوقِ تَنفلقُ
لا يعرفُ النومَ مذ شَطّت دياركم ... أيعرفُ النومَ مَنْ يعتادُه القَلَقُ
٤- وافى فأضرمَ في قلبي جحيم لظىً ... وحرّك الشّوق والأسباب تتفقُ
(ما يعرف الشّوق إلاّ مَنْ يُكابدُه) ... ضِدان مجتمعان: الحزن والفَرَقُ

- توفي سنة أربع وأربعين وسبع مئة – رحمه الله تعالى.

[٩٠] محمد * بن إبراهيم بن عُثمان بن يحيى بن صدّيق، العَدويّ، الشافعي.

- الخَطيب، شمس الدين أبو عبدالله.
- مولده سنة اثنتي عشرة وسبع مئة.

• أنشدنا لنفسه من قصيدة عندي: [الخفيف]

ليت أيامَنا الحسانَ تَعودُ ... مثلما مرّ طيبها المعهودُ
وتعيدُ الأيام -وَصلاً لفصلٍ- ... بعدما طالَ ظِلّها المَمدودُ

الأخنائي:

[٩١] محمد * بن إبراهيم بن عيسى بن بدران الأخنائي(١٥٦)، الشافعي، قُطب الدين.

• مولده سنة إحدى وتسعين وست مئة.

• أنشدنا لنفسه: [البسيط]

بمولد المصطفى المبعوث من مُضر ... ضاءَ الوُجودَ وجاءَ اليسرُ للبَشَرِ
لما بدا وَجهُهُ الميمون غرّته ... بطلعة نورها أبهى من القَمرِ
ارتجّ إيوانُ ملك الفُرس مضطربًا ... وراحَ كسرى بكسرٍ غير مِنجبرِ

• توفي في سابع شهر رجب الفَرد من سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة - رحمه الله تعالى.

الخَليلي:

[٩٢] محمد * بن إبراهيم الخَليلي: الديب، شمس الدين.

• كان رجلاً عَشيرًا.

• أنشدنا لنفسه: [الكامل]

سُبحانَ من أهدى لنا بهدية ... غَيثًا أغاثَ به الحَجيج الوافدا
أسقاهُم الله الكريم بفضلهِ ... من بعضِ أنعمِه زلالاً باردا

• توفي سنة سبع وثلاثين وسبع مئة - رحمه الله تعالى.

التّوْنسي:

[٩٣] محمد * بن إبراهيم بن محمد بن عبدالرحمن بن عبدالله.

- التونسي، المالكي، النحوي، شمس الدين، أبو عبدالله.
- مولده سنة ثلاث وتسعين وست مئة.
- أنشدنا لنفسه: [المتقارب]

ولما تَغيّبَ بَدرُ السماءِ — أرانا محيّاك منه الخَلفْ
وحين تبدّتْ له غُرّة — تَراءى سَناها سناكَ انصرفْ

- توفي سنة إحدى وخمسين وسبع مئة، بعد أن أضر مدة –رحمه الله.

ابن الشهاب محود:

[٩٤] محمد * بن إبراهيم بن محمود بن سليمان بن فهد الحلبي.

- الأديب الفاضل، المنشئ، الذكي، كمال الدين.
- مولده سنة ستٍ وعشرين وسبع مئة.
- أنشدنا لنفسه: [الخفيف]

ربَّ رزقٍ يأتي وصاحبُه — لم يشدّ الرحال للطَلَبِ
ويفوتُ الغِنى أخا الحرص والسَعـ — ـي ومن لا يزال في تَعَبِ

- توفي في شهر رمضان العظيم من سنة تسع وستين وسبع مئة بالطاعون بالقاهرة.

الخَطيب:

[٩٥] محمد * بن إبراهيم.

- أقضى القضاة، الخَطيب، الإمام، بدر الدين.

- مولده سنة ست وسبع مئة.

- أنشدنا لنفسه –وقد قدمت عليه غَزة–: [البسيط]

زارَ الحَبيبُ بلا وعدٍ تقدّمه ... نلتَ الهَنا يا مُقلتي فتمتّعي
سرّحتُ طَرفيَ في بهاءِ جماله ... وحفظتُ جُوهرَ لفظه في مسمعي
وفرشتُ خَدّي في الثرى ليدوسه ... وجعلتُ منزلَه حنايا أضلعي
ونجدتُ نومي في الجفون قِرى له ... وسألته وَصلاً بغيرِ تمنّعِ
فأجابني بالمنعِ وهو مودّعٌ: ... أهلاً به من زائرٍ ومودّعِ

المراكشي:

[٩٦] محمد * بن إبراهيم بن يوسف المراكشي الشافعي: - الإمام، العلاّمة، تاج الدين.

- كان –رحمه الله– ضعيفَ البصر، مشتغلاً بالعلم ليلاً نهارًا، عارفًا بالفقه والعربية والأصلين.

- وطلب الحديث كثيرًا، وحصّل الشيوخ، مع ذكاء مفرط وتقوى عظيمة.

- مولده سنة إحدى وسبع مئة(١٥٧).

- دَرّس بالمدرسة المنصورية، ثمّ تزهّد فتركها.

- أنشدنا لنفسه: [البسيط]

مالي أرى العَقلَ والهصباءَ في جَذَلٍ ... قالت لهُ لم تَزل مني على وَجلِ
متى نزلتَ بوادٍ أنتَ ساكنُه ... رَحلتَ عنه على كرهٍ بلا مَهلِ
قال الحِجي أعربَتْ عني الشَّمول بما ... أبدته في شَرَيَ من واضحِ السُّبلِ

نعم أُجانب من سَاءتْ خلائقه
مثواي في منزلٍ خالٍ من الخَبَلِ

- توفي يوم الأحد ثالث عشر جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة فجأة.

المالقي المالكي:

[٩٧] محمد * بن إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم المالكي، أبو عبدالله شمس الدين(١٥٨).

- أنشدنا لنفسه: [الوافر]

تُخادعني بمنظرها الطَريف — وتسبيني بمعناها اللّطيف
لها طَرفٌ ينامُ بغيرِ نومٍ — وكم في ذاك من حسن طَريفِ

وهي طويلة، عندي مثبتة.

- مولده سنة ثمان وتسعين وست مئة.
- توفي(١٥٩).

(محمد بن أبي بكر)

الفارقي:

[٩٨] محمد * بن أبي بكر بن أحمد بن علي الفارقي، الشافعي، أمين الدين.

- مولده سنة إحدى وسبع مئة.
- أنشدنا لنفسه ممّا نظمه في المنام: [الطويل]

دِمشق كما قد قِيل في الأرض جَنّةٌ
فواكُهها والماءُ أشهى وأعذبُ

فتمتدّ لي عَينٌ وتقصر لي يَدُ
فما أنا إلاّ في النَعيم أعذَّبُ

- وأنشدنا لنفسه: [السريع]

الكونُ مرآةٌ فمهما رأتْ عَيناك من حُسنٍ ومن شينِ
فإنَّه وصفُك يا ذا النُّهى تُبديه للناسِ بلا مَينِ

- توفي سنة تسع وأربعين وسبع مئة - رحمه الله تعالى.

ابن قيّم الجوزيّة:

[٩٩] محمد * بن أبي بكر بن أيوب ابن القيّم الإمام العلاّمة(١٦٠)، المفسّر، شمس الدين.

- مولده سنة إحدى وتسعين وست مئة.
- أنشدني لنفسه: [الخفيف]

متْ بداءِ الهَوى وإلاّ فخاطرْ، واطرقِ الحيَّ والعُيون نواظرْ

- توفي ليلة الثالث عشر من شهر رجب الفرد سنة إحدى وخمسين وسبع مئة -رحمه الله.

(محمد بن أحمد)

الإسكندري:

[١٠٠] محمد* بن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن علي بن خالد بن مكي بن هلال البلبيسي، الشافعي الشهير بالإسكندري(١٦١).

- القاضي الإمام: سراج الدين، أبو عبدالله.
- مولده سنة تسعين وست مئة.

• أنشدنا لنفسه: [الكامل]

أتُــراكَ تَـنـأى عـن مُـحـبٍّ شَـيّـق		كـلاّ وإن بـعـدت بـك الأطــلالُ
إنّــا لَـفـي طّــيّ الـسَّــرائـرِ بيننا		بـالـوهـم يَـلـتـقـي الخَـيـال خَـيـالُ

• وأنشدنا لنفسه: [البسيط]

انظر إلـى رَوضِ هـذا الحُـسـن كيف زهـا،		وارحـــم فَـتـى كـادَ أن يَـفـنـى بـه شَـغَـفـا
وارحــمــه إن عـبـثـتْ نـار الــغَـرام بـه		ولا تـلـمـه إذا مــا دَمـعــه وكـفـا

• توفي –رحمه الله– في المحرم [خمس وستين وسبع مئة][١٦٢].

ابن عرّام:

[١٠١] محمد* بن أحمد بن أبي بكر بن عرّام الشافعي، الإسكندري، الإمام العالم، المُحدّث، الفقيه، تقي الدين.

• شرحَ المِنهاج[١٦٣] للنووي، وعنده فوائد غزيرة، وفيه انجماع عظيم.

• أنشدنا لنفسه: [مجزوء الكامل]

خَـــيرُ الـــبـــلاد مـــديـنـــةٌ		فـيـهـا الـــرَّســـولُ دَفـيـنُ
خَـــيرُ الخــلائــق «أحـــمـــد»		وبــــه الإلــــــه أديــــنُ
بـعـــثَ الإلـــه بـــه إلــــــــ		ـــــى الـثَـقـلـين فـهـو أمـيـنُ
صــــلّـــى عـــلـــيـــه الله،		مـا بـقـي الـتُّـقـى والـدِّيــنُ

• وأنشدنا قال: أنشدنا والدي لنفسه: [الطويل]

أيـا طِـرسُ إن جُـبـتَ الـثُـغـورَ فقبّلن		أنــامــلَ مــا مُــــدّت لـغـيـرِ صَـنـيـعِ
وإيــاكَ مـن رَشـحِ الـنَّـدى وسـطَ كفِّه،		فَـتُـمْـحَـى سُـطـورٌ سُـطّـرت لـرفـيـعِ

• ورد الخبر بوفاة ابن عرّام بالثغر المحروس(١٦٤) في شهر ربيع الأول من سنة سبع وسبعين وسبع مئة – رحمه اللّه تعالى.

الصالحي:

[١٠٢] محمد *بن أحمد بن أبي اليُسر الصالحي، المولى صلاح الدين، الكاتب، الدّين، نسخ البخاريّ بخطّه وجاور بالحجاز زمانًا، وكان رجلاً حسنًا.

• مولده سنة ثمان وسبع مئة.

• أنشدنا لنفسه من قصيدة: [الكامل]

بذلُ النُفوس ومركبُ الأهوالِ ... وتقطّرُ الأكبادِ في التَّرحالِ

يَحلو لمن قَصدَ الحَبيب وقربَهُ ... فرضى الحَبيب بذالكَ ليسَ بغالِ

مَنْ لم يجدْ بالرُوح في شَرعِ الهوى ... لحبيبه أضحى من الأنذالِ

ما هِندُ ما «سُعدي» و«زينب» بغيتي ... كلا وإنّي للسُلّو لسالِ

وهي طويلة، عندي مثبتة.

• توفي سنة تسع وأربعين وسبع مئة –رحمه اللّه.

ابن بَصخان:

[١٠٣] محمد *بن أحمد بن بَصّخان، الشافعي، الشيخ، الإمام، بدر الدين: شيخ الإقراء في وقته، مع العفّة، والنظافة، والدِين.

• أنشدنا لنفسه كان وكان(١٦٥).

• أنشدنا لنفسه: [الكامل]

لا تَظلمني تظلم ... واعرض حَبيبي عن الجفا

ففي مناجاة «موسى» ... كما تدين تدانْ

• توفي –رحمه اللّه تعالى– في سنة ثلاث وأَربعين وسبع مئة.

ابن اللّبان:

[١٠٤] محمد* بن أحمد بن عبد المؤمن الأسعردي الشافعي.

- الشيخ، الإمام، العارف، العلاّمة شمس الدين ابن اللّبان.
- كان كبير القدر، رفيع الذكر، له مقامات، وأتباع وصلاح.
- مولده سنة تسع وسبعين وست مئة[١٦٦].
- أنشدنا لنفسه: [الخفيف]

كلُّ قلبٍ له غرامٌ وشُغلُ ... وغرامي وشُغل قلبي هَواكا

فيك لي غُنية عن النَّاسِ طُرًّا ... سَخطوا أو رضوا فحسبي رِضاكا

- توفي سنة تسع وأربعين وسبع مئة -رحمه الله تعالى- بمصر.

الغرناطي:

[١٠٥] محمد* بن أحمد بن عثمان بن أحمد بن عبد الرحمن الغرناطي، المحدّث أبو عمر.

- مولده سنة ثمانين وست مئة.
- أنشدنا لنفسه لُغزًا في قَدَح: [مجزوء الخفيف]

لي نَديمٌ مُوانِسُ ... جَمعَتنا المجالسُ

أيّ ساقٍ وسائقٍ ... أخضرٌ وهو يابسُ

شاربٌ دُون شَاربٍ ... واقفٌ وهو جَالسُ

- توفي في أول سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة بالربو[١٦٧].

الحافظ الذَهَبي:

[١٠٦] محمد* بن أحمد بن عثمان بن قايماز، الذهبي، الحافظ العلاّمة، شمس الدين، صاحبُ المصنّفات[١٦٨].

- تأخـر حتّى لم يبـقَ في الدُّنيا مثله حِفظًا، وترجمتـه في غير هذا الموضع مبسوطة.

- مولده سنة ثلاث وسبعين وست مئة.

- أنشدنا لنفسه: [الوافر]

إذا سمع الحَديثَ عليَّ شخصٌ   وأخلى مَوضِعًا لوفاة مثْلي
فما جازى بإحسانٍ لأني   (أُريدُ حياتَه ويريدُ قَتْلي)[١٦٩]

- وأنشدنا لنفسه[١٧٠]: [المتقارب]

تقضّى الصَّبا وأتاني المَشيبُ   يمحو شَبابًا من الضدّ ولّى
ومَنْ قاربَ المنحنى والنقا   فما بعد هَذين إلاّ المصلّى

- وأنشدنا قال: أنشدنا الشيخ علاء الدين علي بن مظفر الكِندي لنفسه[١٧١]: [البسيط]

مَن زارَ بابكَ لم تبرحْ جَوارحُه،
تَروي أحاديثَ ما أوليتَ من منن
فالعينُ عن قُرةٍ والكفُّ عن صِلةٍ
والقلبُ عن «جابر» والوَجه عن «حَسن»

- وأنشدنا قال: أنشدني الصاحب فتح الدين بن محمد بن القَيسراني لنفسه[١٧٢]: [الوافر]

بوجه معذّبي آياتُ حُسنٍ   فقُلْ ما شِئتَ فيه ولا تُحاشي
ونُسخة حُسنِه قُرئتْ فصحّتْ   وها خَطُّ الكمالِ على الحواشي

- وأنشدنا: قال أنشدنا ناصر الدين أبو بكر بن عمر بن السلّار[١٧٣] لنفسِه: [البسيط]

يا حُسنَ نَقشٍ غدا في كفِّ غانيةٍ
زهر الرياض وريحان البساتينِ
لم تصبغيه لِتحسينٍ ولا عَبثًا
بل رمز أسماء عُشّاقٍ مجانينِ

- توفي –رحمه الله– في سنة ثمان وأربعين وسبع مئة.

ابن جابر الضرير:

[١٠٧] محمد* بن أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن جابر الضَّرير، أبو عبدالله المالكي.

- الفقيهُ، العالمُ، الأديبُ شمس الدين. يتوّقد ذكاء. طَلب الحديث وسعى إلى الشيوخ مع ضرره(١٧٤)، وقدم من الغَرب إلى دمشق فسمع من شيوخها، ثمّ ارتحل إلى ماردين(١٧٥).

- مولده سنة ثمانٍ وسبع مئة بالمَرَيّة(١٧٦).

- أنشدنا لنفسه في مَليح اقترنت زرقة ثيابه بضيائه، وأقبل كالبدر في لون سمائه: [الخفيف]

لاح في زُرقةِ الثِّياب فقلنا ... إنَّ ذا الحُسن أعجب الأشياءِ
قال لا تعجبوا فغير نكيرٍ ... أن يُرى البَدر في ثيابِ السَّماءِ

- وأنشدنا أيضًا لنفسه فقال: ومّما طرّزت بالتورية بردهُ، ونظمت على جَيد الزمان عقدهُ: [الطويل]

غزالٌ يجدُّ الشَّوقَ بي وهو يهزأ ... يكدّر عَيشي في هَواه ومهنا
جرى علينا لا نُبالي، بما جرى ... أبى له من خاطري متبوّا
تخيلُ وَهبناه القُلوبَ وليته ... بما قد وَهبنا ذلكَ الحُسن يعبأ

تلا شَعره واللّيل للعينِ واعتدى محيّاه يتلو الفَجَر حُسنا ويقرأ

- توفي –رحمه الله–[١٧٧] .... شهر جمادى الآخرة من سنة ثمانين وسبع مئة في البيرة[١٧٨].

الشريشيّ:

[١٠٨] محمد * بن أحمد بن محمد بن عبدالله البكري الشريشيّ.

- الإمام، العلاّمة: جمال الدين
- مولده سنة أربع وتسعين وست مئة.
- أنشدنا لنفسه في المفاهيم العَشرة: [الكامل]

مَفهومُ مانعٍ شَرطٍ علّه غايهْ صِفه زمان معْ مكانٍ واللَّقبْ
عَددْ مفهوم الذي استثنى فذي عَشر مفاهيم تُعدّ لذي الطَلَبْ

- وأنشدنا لنفسه: [الطويل]

يقولون لي كم ذا تكرّرُ دائمًا كلامَ «النَباتي» يَخطبُ للورى؟
فقلت لهم إنَّ «النَباتي» سُكّرُ وأطيبه ما كان منه مكرّرا

- وأنشدنا فقال: أنشدنا والدي لنفسه: [الطويل]

إن الغَزالَ الذي في القَلبِ مرتعه وَجدي به غالبُ والصَّبرُ مغلوبُ
أراه في كُلِّ شَخصٍ من أقاربهِ فكلّهم سَكَنٌ عِندي ومحبوبُ

- [توفي سنة تسع وستين وسبع مئة][١٧٩].

(محمد بن حَسن)

مجد الدين:

[١٠٩] محمّد * بن حَسَن بن عبدالواحد بن أحمد بن محمد الشافعي، الفقيه، مجد الدين.

- مولده سنة سبع وسبع مئة.
- أنشدنا لنفسه: [مخلع البسيط]

يا أرحمَ الرَّاحمين يا منْ | في مُلكه ما له مُشاركْ
عَليّ إنْ لم تُجِدْ بحلمٍ | كنتُ مع الهالكين هَالِكْ

- وأنشدنا لنفسه: [الخفيف]

رنيلُها صَفو عَيشهِم | وهو في غَايةِ الكَدَرْ

- وتوفي في شهر ذي الحجة من سنة خمس وسبعين وسبع مئة بالطاعون[١٨٠].

كمال الدين الشافعيّ:

[١١٠] محمد * بن حَسن بن علي بن إسحاق الشافعيّ.

- مولده سنة ثمان وسبع مئة.
- أنشدنا لنفسه: [الخفيف]

يا غَزالاً فُؤادَ المُعنَّى | بِسهامٍ من الجُفون المراضِ
جُدْ بوصلٍ على المحبِّ وإلاّ | فاقضى هَجرًا عليه ما أنتَ قاضِ

- توفي[١٨١] في شهر شوال سنة ثلاث وسبعين وسبع مئة –رحمه الله.

ابن غَزِيّة:

[١١١] محمد * بن خَميس بن هاشم بن غَزيّة.

- الشَّيباني، التاجر الصالح، شمس الدِّين.
- أنشدنا لنفسه: [الخفيف]

طالَ شَوقي وقد عدمتُ منايَ | وتوالتْ في حُبّكم أسقامي
واعترتني لِبعدكِم زَفَراتٌ | محرقات بِلوعةٍ وهُيامِ

وتذكّرتُ ما مضى من ليالٍ   سالفاتٍ مَضين كالأَحلامِ

- توفي سنة [ثلاث][182] وأربعين وسبع مئة –رحمه الله.

ابن شُكر:

[112] محمد * بن شُكُر بن مُعلّى الشافعي.

- المقرئُ، الفاضلُ، الناسخُ[183]، شمس الدين.
- مولده سنة تسعين وست مئة.
- أنشدنا لنفسه: [السريع]

يا سيِّدًا قد عَمَّني فَضله   بحسنِ ظَنٍّ زادَ في رُتبتي
طَلبتَ إنشادي إياكَ من   شِعري ما استحسنتُ في خُلْديَ
ووالذي أعبده إنَّني   ما اخترذا في زَمنِ الصَّبوة
أخافُ أن أنظمَ ذا فما   يُرضى فترميه على لِحيتي[184]

- توفي –رحمه الله– في سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة.

ابن الشَّهيد:

[113] محمد * بن عماد الدين بن الشَّهيد النابلسي، الشافعي، فتح الدين.

- صاحبُ النظمِ الفائق والنثرُ الرائق.
- إمامٌ علاّمةٌ: دَرّس بالناصرية والظاهرية(*).
- وكتب السِّرَ بدمشق.
- أنشدنا لنفسه[185]:

ابن مَكنون:

[١١٤] محمد * بن عبدالله بن مالك بن مكنون.

- الخَطيب، شمس الدِّين.
- مولدُه سنة اثنتين وسبع مئة –تقريبًا–.
- أنشدنا لنفسه: [البسيط]

لله يَــومٌ قـطـعـنـاه وقــد حُـجـبـتْ
سـمـاؤه بـاخـتـلاسِ الــبـرَقِ والـسُـحـبِ
وكـلّـلَ الـقَـطـر تِـيـجـان الـرُّبـى دُررًا
وغـنّـت الــورُق مـن شـجـوْ عـلـى الـقُـضـبِ
وصـفّـق الـنَّـهـرُ إذ غَـنّـتْ جَـداولُـه
فـاهـتّـز غُـصـن الـنَّـقـا مـن شِـدّة الـطَـربِ
ومـيّـلـتـه الـصَّـبـا فـاخـتـالَ يُـرفـلُ مـن
تِـيـهٍ ونـقّـط وَجــه الأرضِ بـالـذَهَـبِ

- تـوفي ابن مكنون إلى رحمة الله في العُشر الثاني من جمادى الأولى سنة اثنتين وسبعين وسبع مئة(١٨٦).

القِيراطي:

[١١٥] محمد * بن عبدالله بن محمد بن عَسكر بن مظفر القِيراطي، الشافعي.

- الإمام، العالِم، تقي الدين.
- مولدُه سنة عشرين وسبع مئة.
- أنشدنا لِنفسِه: [السريع]

رمى فُؤادي فأصابَ الحَشا | بأسهم من لَحظِه ترهفُ
بَدرٌ له في خَدّه آيةٌ | يَعرفُها مَنْ لم يَكن يَعرفُ
قد كَتب الحُسنُ على خَدِّه: | لمثلِ ذا يُعزرُ مَنْ يتلَفُ

- وأنشدني قال: أنشدنا الأديب المنعوت بابن الفويه(١٨٧) الإسكندري لنفسه -قلتُ: أجاز لي-: [الكامل]

أنفقتُ في الحَمراءِ والخَضراءِ | جُملاً من الصَّفراءِ والبَيضاءِ
ولهوتُ بالبِيضِ الكواعب فانجلى | ما كنتُ أشكوه من السَّوداءِ(١٨٨)

الآمديّ:

[١١٦] محمد * بن عبدالأحد بن يوسف الآمدي، الحنبليّ.

- الشيخ، الإمام، شمس الدين، الرجل الصالح.
- مولدُه سنة ست وستين وست مئة.
- أنشدنا لنفسه: [البسيط]

يا طِيبَ ليليتِنا والبدرُ في الأفقِ
إلى الصَّباحِ ونجم الصُّبحِ لم يفقِ
وهِندُ قد أسفرتْ عن وَجهِها فأرت
شمسَ الضحى في دياجي ظلمةِ الغَسَقِ

- توفي سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة -رحمه الله تعالى.

أبو البَقاء السبكيّ:

محمد بن عبدالبَرّ:

[١١٧] محمد * بن عبدالبرّ أبو البقاء السُّبكي، الشافعيّ:

- الإمام، العلاّمة، أقضى القُضاة، بهاء الدين.
- معدودٌ في كبارِ علماءِ العَصْر.
- مَولدُه سنة سبع وسبع مئة.
- أنشدنــا لنفسه: في توجه الخَطيب «بدر الدين القزويني» لطلب القَضاءِ، ورجع خائبًا: [مجزوء الكامل]

إنَّ الخَــطـيـبَ لَــقـادمٌ صُـفـرُ الـيـديـن كـما ذَهَـبْ
لا مَـنـصـبٌ قـد نـالَـه كـلاّ ولا أبـقـى ذَهَـبْ

- أجازَ لي ولأختي «سِت العرب»[١٨٩] - جَبَرها الله.
- ثمّ وُلِّي قَضاء الشافعية بدمشق مدةً يسيرةً، ثمّ عُزل.
- ثمّ تولّى قضاءَ قضاة الدِّيار المصرية بعد ابن جماعة[١٩٠].
- وتوفــيّ –رحمــه الله– يــوم الثلاثاء ثالـث عشر ربيع الآخـر سنة سبع وسبعين وسبع مئة ودُفن بسفح قاسيون[١٩١].

المؤمناني:

[١١٨] محمد * بن عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد المؤمناني.

- الإمام العالم، شرف الدين، أبو الحسين.
- من بيت «كبير» بالمغرب.
- قدم علينا حَاجًّا.
- أنشدنا لنفسه: [البسيط]

ما هبَّ ريحُ صَبًا من جَانبِ العَلَم
إلاَّ تـذكّـرتُ أيـامـي بـذي سَـلَـمِ

ولا شـدا الـطـيرُ إلاّ قُـلـتُ مـن طَـرَبٍ

دَع دَمــعـــي تــوفـــيَ الحــمــدَ كــالــدّيمِ

وهي طويلة مثبتة عندي(١٩٢).

ابن الصائغ:

[١١٩] محمد * بن عبدالرحمن بن علي الزمّردي الحَنَفي.

- المنعوت بابن الصَّائغ الشيخ، الإمام، العالِم.
- الأديب، الظريف، شمس الدين أبو عبدالله.
- مولده سنة ثمانٍ وسبع مئة.
- أنشدنا لنفسه: [الرجز]

يَـا بـاخـلـين بـالـكـلام جُـهـدُهُـمْ — مَـنْ ذا رأيـتم شحّ يـومًـا بـالـكـلامْ

لا تَقْـطعوا عن مُـدنَـفٍ سَلامكم — فـأنـتـمُ قَـصـدُ المعنّـى والـسَّـلامْ

- وأنشدنا أيضًا: [الرجز]

حيّا الحيا مصرَ فأضحَى زهرها — يَـضـحـكُ في أكـمـامـه مُـلتهبا

فاعجب لذلك الزَّهْر كيفَ قد غدا — يَضحكُ في الأكمام من فَرطِ الحَبا

- وأنشدنا لنفسه: [الرجز]

لي صَــاحــبٌ إذا رأى مُـعــذّرًا — سَـهّـلـه بـحُـسـن لـفـظ وكـلام

وإنْ أتــى يَــومًـا لــه مــسـلّـما — ولّفه مــن(١٩٣) وقتِه منَ السَلام

- عندي من نظمه كثير، وهذه نبذة منه.
- توفي في شهر شعبان المكرّم من سنة ست وسبعين وسبع مئة.

البالسي:

[١٢٠] محمد * بن عُبيد بن أحمد البالسي(١٩٤).

- الفَقيه، الصالح، شمس الدِّين.
- مولدُه سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة.
- أنشدنا لنفسه: [مخلع البسيط]

قبّلتها حَيثُ لا رَقيبَ ... ولا أخافُ النفورَ منها
وقيل تَسلو؟ فقلت كلّا! ... ولا أُطيقُ السُلّو عنها

- توفي سنة تسع وأربعين وسبع مئة -رحمه الله تعالى.

الطرابلسي:

محمد بن علي:

[١٢١] محمد * بن علي بن جابر بن سالم الطرابلسي، الشافعي.

- العَالِم، فقيهٌ فاضلٌ.
- مولدُه سنة أربع عشرة وسبع مئة.
- أنشدنا لنفسه في الطاعون: [الوافر]

دمشقُ قُصورُها عادت قُبورًا ... وكنتُ عهدتها «ذَات العماد»
لقد نادت منازِهُها بشجو ... أُصيحابي أجاب الموت نَادي
[لقد أسمعتَ لو ناديتَ حيًّا ... ولكن لا حياةَ لمن تُنادي](١٩٥)

- توفي في شهر رمضان المعظم من سنة تسعٍ وسبعين وسبع مئة(١٩٧).

ابن سعد:

[١٢٢] محمد* بن عُثمان بن سَعْد الشافعي الفَقيه.

- العالِمُ، الفاضلُ، شمس الدِّين.

- مولده سنة ثماني عشرة وسبع مئة بزُرع[198].

- أنشدنا لنفسه: [الكامل]

ومهفهفٍ أبهمتُ أمرَ سُؤاله
لمّاَ تبسّم عن شَنيب «فائقِ»
كيف الطَّريقُ إلى «العُذيب»؟ فقال لي:
دُونَ الثنايا عندِ ومضِ «البارقِ»

ابن غازي:

[١٢٣] محمد* بن عثمان بن غازي، شهاب الدِّين الشافعي.

- رَجَلٌ خَيِّرٌ، وفيه فَضيلة، وله كلام على الحَقيقة والطريقة[199].

- مولدُه: سنة تسع وسبعين وست مئة.

- أنشدنا لنفسه:

بداره[200].

ابن إمام المَشْهَد:

[١٢٤] محمد* بن علي بن سعيد بن سالم الحلبين الشافعي.

الإمام، العلاّمة، بَهاء الدين، المنعوت بابن إمام المشهد.

- مولدُه سنة ست وتسعين وست مئة.

- أنشدنا لنفسه: [الكامل]

لما ترّحلَ من أُحبُّ تَبعته — متأسفًا أبكي عليه بحرقةِ
فأجابني عزَّ اللِّقاءُ وإنني — أخشى عليك بأنْ تَموتَ بحَسرتي
فرجعتُ بعدهمُ كرجعةِ خائبٍ — أعداكَ والشمّات تَرجعُ رَجعتي

- توفي ليلة الأربعاء ثامن عشر شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة –رحمه الله تعالى[201].

- يتلوه محمد بن علي بن عبدالله الدكالي(٢٠٢).

ابن النحاس:

[١٢٥] محمد * بن محمد، القاضي، أمين الدين، ابن النّحاس.

- أتقن العِلْمين: عِلمَ الإنشاء وعلمَ الحِساب.
- له نظمٌ ونَثرٌ.
- تَنقّل في المباشرات.
- وهو أحد المشهورين في الكتابة(٢٠٣).
- مَولدُه سنة ثمان وثمانين وست مئة.
- أنشدنا لنفسه: [البسيط]

كأنّ مبيضَّ زَهرِ اللَّوز حِين بَدا
غَمائمٌ بَينها محمّرة شفقُ
وما تَساقَطَهُ مرّ النَّسيم لنا
منه نجومٌ غَدتْ في الجَو تَستبقُ

- وأنشدنا لنفسه من قصيدة: [البسيط]

فالدوحُ كأسٌ، ومحمّر الشَّقيق به
رَاحٌ ومبَيّض أزهارِ الرُبى الحَبَبُ

- توفي يوم الخميس سابع شهر رجب الفَرد من سنة سبع وخمسين وسبع مئة(٢٠٤).

ابن نُباتة:

[١٢٦] محمد* بن محمد بن حسن بن نُباتة المصري.

- الأديبُ، الإمام، العَالِمُ، صاحبُ التَّصانيف(٢٠٥)، شيخُ النَظم والنَثر: جمال الدِّين.

- كتب الإِنشاء بالديوان.
- مولدُه سنة ست وثمانين وست مئة.
- أنشدنا لنفسه(٢٠٦): [مجزوء الكامل]

لَمّا تبدّى في الحَنين ... تحاربت كبدي وعَيني
فأعجب لها من غَروةٍ ... جاءت بِبدرٍ «في حُنَين»

- وأنشدنا لنفسه(٢٠٧): [البسيط]

لله خالٌ على خَدِّ الحَبيب له ... في العاشقين كما شاء الهَوى عَبَثُ
أورثته حبّةَ القلبِ القَتيل به ... وكان عَهدي أن الخالَ لا يَرِثُ

- وأنشدنا لنفسه(٢٠٨): [البسيط]

يا غادرًا بي ولم أغدر بصحبتِه
وكان منّي مكان السَّمعِ والبَصرِ
قد كنتُ من قلبكِ القاسي أخال جَفا
فجاءَ ما خِلته نَقشًا على حَجرِ

وهذه دُرّةٌ من بحرِه، ونفحةٌ من عِطره.

- توفي سنة سبع وستين وسبع مئة بالمارستان المنصوري بالقاهرة(٢٠٨).

الحَمَويّ:

[١٢٧] محمّد* بن محمّد بن محمّد بن محمود بن أحمد الحَمَويّ.

- الخادمُ، الصُوفيّ، شمس الدين.
- مولدُه سنة تسع عشرة وسبع مئة.
- أنشدنا لنفسه ممّا كتب به إليّ: [البسيط]

لله درُّ «أمـــين الـــديـــن»[٢٠٩] مــن رَجُــلٍ
يَــروي الحَـديـثَ ويــروي الـعـلـمَ والأثــرا
ويـنـتـقـي مـن صِـفـاتِ الـنّـاسِ أحـسـنـهـا
وقـد غـدا بـجـمـيـلِ الـصُـنـعِ مـشـتـهـرا[٢١٠]

ابن الخيّاط:

[١٢٨] محمد * بن يوسف بن عبدالله الخيّاط الحَنفي.

- الفقيهُ، الأديبُ، العالِمَ، الفاضلُ(*).
- مولدُه سنةَ ثلاثٍ وتِسعين وست مئة.
- أنشدنا لنفسه: [السريع]

وغــادة إنْ أَسـفـرت أعـجـزتْ   واصـفَـهـا بـالحُـسـن عـن وَصـيـفـهـا
فـبـا بـلـيُّ الخَـمـر في ريـقـهـا   وبـابـلـيُّ الـسِّـحـر في طَـرفـهـا
بـكـيـتُ لـلـقَـسـوة مـن قَـلـبـهـا   لأستميل (اللين)[٢١١] من عَطفها
ولـيـتَ رُوحـي عَـلـمـت أنّـهـا   مـا بـحـثـتُ إلاّ عـلـى حَـتـفِـهـا

- توفّي في شهر الله المحرّم سنة ست وخمسين وسبع مئة في عَودهِ من الحَج –سامحه الله[٢١٢].

الطرائفي:

[١٢٩] محمود * بن علي بن عبدالرحمن الطرائفي[٢١٣].

- شيخٌ طَريفٌ، مطبوعٌ.
- مولدُه سنةَ تِسعٍ وخمسين وست مئة[٢١٤].
- أنشدنا لنفسه: [الكامل]

لله ليلتنا ونحنُ بروضةٍ إذ عين نَرجسِنا كعينِ غَيورِ
إن عادَ يُرقبنا بعَينٍ وقاحةٍ قلّعتها بأصابع المنثورِ

- وأنشدنا الطرائفي لِنفسه: [المتقارب]

ولما جلسنا لِعَقد الصّداق فقام وأصغى إلينا الخَبيثُ
فقلت اصطبر يا رشيقَ القوام فإنَّ «إليكَ يُساقُ الحَديثُ»(٢١٥)

- توفي سنةَ سَبعٍ وثلاثين وسبع مئة(٢١٦) –رحمه الله تعالى.

البَحرانيّ:

[١٣٠] منصور* بن نِزار بن منصور بن عامر البحرانيّ.

- الأديبُ، الناظمُ، ظَهير الدِّين.
- مولدُه سنةَ اثنتي عشرة وسبع(٢١٧) مئة.
- أنشدنا لنفسه: [البسيط]

يا ظبيةَ الحيّ ما أحلى محياكِ حُيّيتِ عنّي فإنَّ اللهَ حَيّاكِ
أُعطيتِ في الحُسن ما لم يُعطَهُ أحدٌ سُبحانَ من لجميعِ الحُسنِ أعطاكِ
تباركَ اللهُ قد صَفّاكِ خالصةً حُوريّةً وجنان الخُلدِ مأواكِ

النون

النابلسيّ:

[١٣١] نصرالله* بن عثمان بن منصور بن علي النابلسيّ، الشافعيّ.

- الشيخُ ناصر الدِّين أبو محمد. رجلٌ حَسنٌ.
- مَولدُه سنة إحدى وسبع مئة.
- أنشدنا لنفسه: [الكامل]

ومهفهف يَسعى وفي وجناتِه | نارٌ تحرّق مُهجةَ المُشتاق
لما لُدغتُ بعقربٍ من خَدّه | دارى فؤادي رِيقه الدرياقي(٢١٨)

وشعره كثير عندي.

الياء

يحيى البَغْداديّ:

[١٣٢] يحيى * بن أحمد بن سعيد بن صَدَقة القُرَشيّ.

- البغداديّ، الإمام، العالِم زكيّ الدِّين أبو زكريا.
- مَولدُه سنة ثمانٍ وسبعين وست مئة.
- أنشدنا لنفسه: [الكامل]

إنّي هَويتك والفؤادُ مُفرّغٌ | يا مُنيتي من كلِّ شُغل شاغلِ
فلذا استقرّ هَواك منه [ ](٢١٩) | فأطعمته وعَصيتُ عَذلَ العاذلِ

- وأنشدنا لنفسه: [البسيط]

إنّي أقولُ -وفي الأيام تَجربةٌ-
تُغني المجرّبَ عن شَدٍّ وترحالِ
إنَّ الليالي - وإن ساءتك صحبتها
ستنقضي فهي لا تبقى على حالِ
وإن تمادت ففي الصَّبرِ الجَميل لها
دَفعٌ -فكن صَابرًا فيها- بإِجمالِ

- [توفي سنة ٧٥٢ بالكوفة](٢٢٠).

الخَبّاز:

[١٣٣] يحيى* بن محمد بن زكريا العامريّ الحَمويّ.

- الشيخُ، الأديبُ، الفاضلُ، محيي الدِّين أبو زكريا الخبّاز.
- مَولدُه[٢٢١] سنة سبع وتسعين وست مئة.
- أنشدنا لنفسه: [الكامل]

بي كاتبٌ نَسخَ المَلاحةَ حُسنه ... مثّلته بالبَدرِ في الإشراقِ
في نونِ حاجبِه وصادِ عيونِه ... نَصٌّ محبِّه على العُشّاقِ

- وأنشدنا لنفسه: [المتقارب]

ومن لائم لا مني في العذار ... وقال: سلكتَ طَريقَ التَعدّي
ألذّ الغُلامِ قُبيلَ البُلوغِ ... فقلتُ صَدقتَ: بلوغ الأشدِّ!

- وأنشدنا لنفسه: [الخفيف]

عاطنيها من عَهدِ كسرى سُلافًا ... في كؤوسٍ تلوحُ النيرانِ
وابن ماءِ السماءِ أنكَحْهُ راحًا ... ذكرتني شقائقَ النعمان

- توفي[٢٢٢] في المحرّم سنة ثلاث وسبعين وسبع مئة بالمارستان – سامحه اللّه.

المارديني:

[١٣٤] يعقوب* بن عبداللّه بن أيوب المارديني.

- المولى شرف الدِّين.
- أنشدنا لنفسه: [البسيط]

أَلذُّ عَيشِ الفتى يومًا وأطيبه ... إذا تواليه في الدنيا تَطلُّبه[٢٢٣]
إن رامَ محبوبه جَادَ الزمانُ به ... طَوعًا ويصفو مدى الأيام مربُهُ

وطالما عاشَ في الدُّنيا بلا تَعبٍ فتى يُواتيه ما يَرجو ويعجبُهُ
واهًا لعيشٍ تقضّى بالحَبيبِ إذا ذكرتُه زادَ من قَلبي تلّهبَهُ
أغيبُ حتّى كأنّي شاربٌ ثملٌ واستفيقُ بجَفنٍ هَلَّ صَيّبهُ
يا للرجَال ألا عَونٌ لمكتئبٍ قد طالَ في الدَّهرِ بالشكوى تَعتّبهُ

- توفي سنة أربع وثلاثين وسبع مئة –رحمه الله تعالى.

(يوسف)

الحكْريّ:

[١٣٥] يوسف* بن إبراهيم بن عبدالوهاب الحكْري(٢٢٤)، الطرابلسي، المغربي، المالكي.

- الفقيه: جمال الدين أبو الحجاج.
- مولده سنةَ ست وسبع مئة.
- أنشدنا لنفسه: [البسيط]

وبي غريرٌ بدا في الحُسنِ أوحدُه لم يتفقْ لِسواه فيه ما اتفقا
لَيلٌ وصبحٌ وبَدرٌ فوقَ جِيدِ رَشا على قَضيبِ لُجينٍ في كثيبِ نقا
يزدادُ حُسنًا إذا ما زدته نظرًا كالصُبحِ يزدادُ نورًا كُلّما انفلقا

المزيّ:

[١٣٦] يوسف* بن الزكيّ عبدالرحمن بن يوسف المِزيّ.

- الإِمامُ، العلاّمةُ، الحافظُ، الحُجّةُ، النَّاقدُ.

- جمالُ الدِّين، شيخ الإِسلام أبو الحجاج، صاحب التصانيف.
- مَولدُه سنة أربع وخمسين وست مئة.
- أنشدنا لنفسه(٢٢٥): [السريع]

إنْ عـــادَ يـومًـا رَجــلٌ مـسـلـمٌ   أخًــــا لــه في الله أو زارَه
فـهـو جَـديـرٌ عـنـدَ أهــلِ الـنُّـهـى   بـــأنْ يـحُـطَ الله أوزارَهُ

- وأنشدنا لنفسه(٢٢٦): [المتدارك]

مَـــنْ حـــازَ الـعِـلـمَ وذاكــرَه   صـلـحـتْ دُنـيـاهُ وآخـرتُـه
فـــأدمْ لـلـعـلـم مُــذاكــرةً   فـحـيـاةُ الـعِـلـم مُـذكـراتُـه

- توفي سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة –رحمه الله تعالى.

الخَطيب:

[١٣٧] يُوسف* بن سُليمان بن أبي الحَسن بن إبراهيم النابلسيّ.

- الصُوفي، الخَطيب، الأديب، جَمال الدين.
- كانَ فقيهًا في المدارس، وولي إعارة «أم الصالح» وكان كيّسًا، مطبوعًا، حَسن العِشرة.
- مَولدُه سنةَ ثلاثٍ وتسعين وست مئة.
- أنشدنا لنفسه(٢٢٧): [الطويل]

يُعيبونَ من أهـوَى بكسرةِ جَفْنِه   وعندي بهذا العَيب قد تمّ حُسْنُهُ
فقلتُ، وما قَصدي سوى سيفِ لحظةِ:   إذا دامَ سفكُ(٢٢٨) السيف يُكسَر جَفنه

- وأنشدنا أيضًا في وَصف زهرِ اللّوز: [الكامل]

يا حُسنَ زهر اللّوز فتّح بعضه   والبَعضُ مضمومٌ عليه خِتامُ

فكأنما أغصانُه أهل الهوى ذا كاتم سرًّا وذا نمامُ

- توفي سنة خمسين وسبع مئة –رحمه الله تعالى.

ابن يحيى:

[١٣٨] يُوسف * بن يَحيى بن محمّد بن المشَهديّ، العَدل، فخر الدين.

- مَولدُه في محرّم سنة ثمان وسبعين وست مئة.

- أنشدنا لنفسه: [البسيط]

قالوا بوجهِ الذي أحببته كَلَفٌ
فقلتُ ما ذاكَ ممّا يمنعُ الكَلَفا

٢-فالبدرُ ذو كَلَفٍ في الوَجهِ وهو به
يُشبّهون المليحَ الوَصفَ إن وُصفا

- توفي سنة تسع وأربعين –رحمه الله تعالى(٢٢٩).

(سماع)

الحَمدُ لله:

قرأتُ جَميعَ هذا الكِتاب من أولِه إلى آخره مع الحواشي على مُصنِّفه مولانا وسيّدنا: الشيخ، الإمام، العلاّمة، قاضي القضاة، أمين الدين........ مفتي المسلمين أبي عبدالله محمّد بن الشيخ المرحوم الفقير إلى الله أبي الحَسن عليّ ابن أبي محمد الحَسن، الأَنَفي، المالكيّ أبقاه الله تعالى بسماعه على شيوخه المذكورين فيه.

فسمع الميعاد الثالث والرابع الشيخ خليل بن نعمة بن إسماعيل البواب بدار الحديث الأشرفية.

وصحّ ذلك في أربعة مجالس، آخرها صبيحة يوم الثلاثاء الحادي والعشرين

ذي الحجة سنة ثلاث وستين وسبع مئة بدار الحديث الأشرفية بدمشق المحروسة، وأجاز لنا ما يجوز.

(سماع)

الحَمدُ للّه:

قـرأتُ جميـعَ هذا الكتـاب من أولـه إلى آخره مـع الحواشي علـى مصنّفه مولانـا وسيّدنا الشيخ، الإمام، العلاّمة قاضي القضاة أمين الدين......... وقسم بالصالحـات أعمالـه بسماعه لذلك مـن شيوخه وسمع الميعـاد الأول والخامس والسادس القاضي......... عمر بن القاضي سعد الدِّين بن......... والشيخ شمس الديـن محمـد بن عبد المولى بـن عبد الرحيـم الموصلي......... وصـحّ في خامس جمـادى......... سنة سبعين وسبع مئـة......... وكاتبها محمد بن أبي محمد بن عبـد اللّه......... عفـا اللّه عنهم وعنّـا......... وأجاز لي مـع الجماعة المذكورين رواية ما يجوز له روايته بشرطه.

والحمدُ للّه وحدَه، وصلّى اللّه على سيّدِنا محمّد.. وآله وصحبه.

(ختام المخطوط)

الحواشي:

(١) معجم البلدان [أنفة] ٢٧١/١ (ط – صادر).

(٢) انظر: معجم السماعات الدمشقية ٥٤٦.

(٣) انظر: الدرر الكامنة ١٨١/٤.

(٤) معجم السماعات الدمشقية ٩٣.

(٥) الدرر ١٨١/٤.

(٦) الطالع السعيد ٧٤٦.

(٧) الوافي بالوفيات ٢٢٥/٤-٢٢٦ (رقم ١٧٥٥).

(٨) شذرات الذهب (ط – القدسي) ٢٩٢/٦.

(٩) تاريخ ابن قاضي شهبة ١/٣-١٤٨-١٤٩.

(١٠) تاريخ ابن قاضي شهبة ١/٣-٤١١ (حوادث ٧٩٣هـ).

(١١) تاريخ ابن الفرات ١/٩-٢٨٩.

(١٢) المعجم المختص بالمحدثين (تح الهيلة) والثغر: الإسكندرية.

(١٣) انظر ترجمته في كتاب «المستشرقون» النجيب عفيفي ٤٧/٢.

(١٤) عن مكتبة البودليان. انظر: مقدمة (المخطوطات الجغرافية العربية في مكتبة البودليان) للدكتور عبدالله الغنيم – أكسفورد ٢٠٠٦م.

(١٥) ثمة ملاحظات عن المقدّمة تنظر في مقدّمة التحقيق.

[١] لم أقف على ترجمة له.

(١٦) في الأصل طمس، وكلمة التجاني ليست واضحة.

[٢] الدرر الكامنة ٢٠/١ (رقم ٣٨)، وفيات ابن رافع ٦٥/٢ (رقم ٥١٢) [فيه ولادته سنة ٦٦٦ تقريبًا]، لحظ الألحاظ ١١٦.

(١٧) البيت الثاني (فقط) أثبته ابن حجر ضمن ترجمته.

(١٨) وفاته عند ابن رافع ٧٤٩هـ.

[٣] جذوة الاقتباس ٨٧، الإحاطة ١٩٣/١، الأعلام ٤٩/١، تاريخ ابن قاضي شهبة مج٣، ج٢، ٢٤٦-٢٤٧ (وفيات ٧٦٥هـ)، الدرر الكامنة ٢٩/١-٣٠ (رقم ٦٩).

(١٩) أبــو الحسن علي بن عثمان عاشر ملوك بنــي مرين بفاس. امتد حكمه بين ٧٣١-٧٤٩هـ. استطاع أن يوحد المغرب تحت سلطانه. انظر: نفاضة الجراب لابن الخطيب ٤٧.

(٢٠) البيتان في زهر الأكم لليوسي ١٦٣/٢، ومسالك الأبصار ١١ ق٥١٣.

(٢١) في الأصل كلمة: كذا فوق: للقابس وهو من كتب المالكية ومؤلفه علي بن محمد القابسي المالكي صاحب الملخص (ت٤٠٣هـ). انظر: الإعلام بوفيات الأعلام ١٦٩، والبيتان في مسالك الأبصار ١١/ق٥١٤.

(٢٢) الإشارة هنا إلى يحيى بن مَعين بن عون (١٥٨-٢٣٣هـ) وهو من أئمة الحديث. انظر تاريخ بغداد ١٤/١٧٧، والأعلام ٨/١٧٢-١٧٣، والبيتان ضمن ترجمته في مسالك الأبصار ١١/ق٥١٣.

(٢٣) البيتان في مسالك الأبصار (مخطوط) ١١ق٥١٣.

[٤] الدرر الكامنة ١/١٣ (رقم ١٦)، تاريخ ابن قاضي شهبة ٣/٢-٤٣٧ (ضمن وفيات ٧٧٥هـ)، إنباء الغمر ١/٦٧، النجوم الزاهرة ١١/١٢٦ الذيل على العِبر ٣٧٠ تذكرة النبيه ٣/٤١، المنهل الصافي ١/٤٨ (رقم ١٤)، الشذرات ٦/٢٣٧، المقفى ١/١٠٨.

(٢٤) في الدرر أنه وليها سنة ٧٥٠هـ.

(٢٥) أبو عمر بن جماعة هو عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم، سترد ترجمته في: ٤٨.

(٢٦) جعل ابن حجر ولادته سنة ٦٩٨هـ بينما جعلها المقريزي ٦٩٥هـ.

(٢٧) نقلنا سنة الوفاة عن المقريزي.

[٥] العقد الثمين ٣/٢١٧-٢٢٩، تعريف ذوي العلا ٢٨٧-٢٩٥، الدرر الكامنة، ١/٣٢ (رقم ٧٧)، الذيل على العبر ٤٨٨-٤٩٠، المنهل الصافي ١/٧٠-٧٦، النجوم الزاهرة ١١/١٩٦-٢٠٠، شذرات الذهب ٦/٢٦٩، حسن المحاضرة ١/٥٧٢، الإعلام ١/٤٩.

(٢٨) الدرياق: الخمر والكلمة رومية معرّبة. انظر: شفاء الغليل ١٤٥.

(٢٩) في الأصل: أحد، خطأ وقيل سنة ٧٩٠.

[٦] الوافي ٦/١٧٣ (رقم ٢٦٣٣)، أعيان العصر ١/١٤٦-١٥١ (رقم ٦٤)، فوات الوفيات ١/٥٠، المنهل الصافي ١/١٧٤، تذكرة النبيه ٣/١٣٢، تاريخ ابن قاضي شهبة ٢/١-٥٥٧-٥٥٩، تعريف العلا ٦ (رقم ٢٢٤)، حسن المحاضرة ١/٥٧١.

(٣٠) كلمة جيّد مثبتة في الهامش مع إشارة: صح.

(٣١) نُسب البيتان للعزّ الموصلي في تمثال الأمثال للغزولي- مخطوط ق٣٦.

[٧] الدرر الكامنة ١/٤٧ (رقم ١١٩)، المقفى الكبير ١/٢٠٤-٢٠٥.

(٣٢) ابن عطية: عبدالحق بن غالب، مفسر، محدّث له مؤلفات مشهورة (ت٥٤٢ه)-. انظر: الوافي ١٨/٦٦-٦٧ (رقم ٦١)، الفوات ٢/٢٥٦.

(٣٣) باب زويلة: أحد أبواب القاهرة القديمة، ويقع اليوم على رأس شارع المعزّ لدين الله، ويسمّى في أيامنا باب المتولي/ عن هامش الدكتور عدنان درويش لذيل الدرر ٢١٣.

(٣٤) وضع المؤلف كلمة كذا فوق كلمة دين.

[٨] الـدرر ١/٤٤-٤٥، المنهل الصافي ١/١٢٩-١٣٠، الدارس في تاريخ المدارس ١/٥٣٤-٥٣٥، ٦٢٣-٦٢٤، ذيول العبر (وفيات ٧٥٨هـ)، الجواهر المضية ١/٨١، الطبقات السنية ١/٢٤٦-٢٤٨، قضاة دمشق ١٩٨-١٩٩. وانظر مقدمة الدكتور رضوان السيد لكتابه (تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في المُلك -دار الطليعة- بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٢م).

(٣٥) هو أحمد بن أبي طالب بن أبي النعم شهاب الدين الحجار الحنفي، الشيخ، المحدّث، المسند (٦٢٤-٧٣٠هـ) الشذرات ٦/٩٣.

(٣٦) القويزي علي بن محمود بن حميد (ت٧٤٩). انظر: الدرر ٣/١٢٦، تعريف ذوي العلا ٧٢ (رقم ٢٤٠).

[٩] الدرر ١/٤٨-٤٩، تعريف ذوي العلا ٢١، وفيات ابن رافع ١/٢٠٢، الدارس ١/٦٠٦، النجوم الزاهرة ١/١٠٤، تاج التراجم ٩٠-٩١، المنهل الصافي ١/١٠٨-١٠٩، تذكرة البنية ٣/٦٠، الأعلام ١/٥١، تاريخ ابن قاضي شهبة ٢/١-٣٦٦-٣٦٨.

(٣٧) البيتان له في تاريخ ابن قاضي شهبة ٢/١-٣٦٨ ونسبهما ابن حجر للطرسوسي ١/٤٤.

[١٠] لم أقف على ترجمة له.

(٣٨) في هذا البيت كلمات متلاشية.

[١١] الدرر ١/٦٥ (رقم ١٦٩)، تاريخ ابن قاضي شهبة ٣/٢ (٢٤٧)، الذيل على العبر ١٥٣، لحظ الألحاظ ١٤٤، وفيات ابن رافع ٢/ الترجمة ٨٠٧.

(٣٩) ورد اسمه عند ابن قاضي شهبة إبراهيم بن علي بن محمد.

(٤٠) في الأصل كلمات التاريخ مطموسة وقد أثبتناها من المصادر.

[١٢] الوافي بالوفيات ٦/١٤٣-١٤٥، أعيان العصر ١/١٢٧-١٣٢، الدرر الكامنة ١/٧٣-٧٤ (رقم ١٩٠)، المنهل الصافي ١/١٧٢، وفيات ابن رافع ٢/٢٢٣-٢٢٤، تعريف ذوي العلا ١٢٠ (رقم ٤٣٩)، النجوم الزاهرة ١٠/٣٦٠.

(٤١) كتابة السر: موضوعها قراءة الكتب الواردة على السلطان وكتابة أجوبتها: صبح الأعشى ٤/٣٠.

(٤٢) الدست: صدر المجلس (معرّب): شفاء الغليل ١٤٨ وموقعو الدست يشترط فيهم ما في كتّاب الدرج: تحفة الترك ٨٩.

(٤٣) شهاب الدين محمود بن سليمان بن فهد الحلبي: صاحب ديوان الإنشاء بدمشق (٦٤٤-٧٢٥هـ). كان شاعرًا وناثرًا وأديبًا من أمع علماء العربية في بلاد الشام من آثاره المطبوعة: أهنى المنائح في أسمى المدائح وحسن التوسل ومنازل الأحباب. انظر: الفوات ٤/٨٢، أعيان العصر ٤/٣٧٢-٣٩٩ (رقم ١٨٤٠)، الشذرات ٦/٦٩.

(٤٤) النيربين: قرية مشهورة بدمشق تقع في وسط البساتين قال ياقوت: أنزه موضع رأيته: معجم البلدان [نيرب] ٥/٣٣٠.

(٤٥) التاريخ مطموس في الأصل، ونقل ابن حجر عن الصفدي أن وفاته وقعت سنة ٧٥٩هـ.

[١٣] لم أقف على ترجمة له.

(٤٦) ابن الجاحظ. انظر ترجمته في هامش الترجمة ٨٩.

[١٤] الوافي ٦/١٧٣، أعيان العصر ١/١٣٨-١٣٩ (رقم ٦٠)، وفيات ابن رافع ١/٣٨٥-٣٨٦، المنهل الصافي ١/١٨٧-١٨٨، المعجم المختص ٦٨-٦٩ (رقم ٧٨)، تاريخ ابن قاضي شهبة ٢/١-١٤١ (فيه دفن بقاسيون)، الدليل الشافي ١/٣١.

(٤٧) الفزاري: إبراهيم بن عبدالرحمن بن إبراهيم. شيخ الشافعية في عصره، برع في الفقه والأصول والعربية توفي سنة ٧٢٩هـ. انظر: ترجمته في الفوات ١/٣٢، طبقات السبكي ٦/٤٥، المنهل الصافي ١/٨٠، الوافي ٦/٤٣.

[١٥] الدرر ١/٤٧٩، ألحان السواجع ١/٢٢٤-٢٢٨، درر العقود الفريدة ١/١٥١، تاريخ ابن قاضي شهبة ٣/٤٨٤، النجوم الزاهرة ١٢/١٣٥.

(٤٨) أبو حيان محد بن يوسف (٦٥٤-٧٤٥هـ) كان عالمًا بالنحو والتفسير واللغة، له ديوان مطبوع. انظر: الوافي ٥/٢٦٧-٢٨٣، والفوات ٤/٧١-٧٩، وأعيان العصر ٥/٣٢٥.

(٤٩) علي بن يحيى بن فضل الله (صاحب ديوان الإنشاء: الوافي ٢٢/٣٢٢-٣٢٨، النجوم الزاهرة ١١/١٠٢ وتوفي علاء الدين سنة ٧٦٩هـ)..

(٥٠) الخردة فروش: بائع الأسقاط، كان العرب يسمونه: الطرائفي- نسبة إلى بيع الطرائف ومن كنايات العوام: تجد في الأسقاط ما لا تجد في الأسفاط وهذه المهنة لا تزال شائعة.

(٥١) الخرصان جمع خرص — أعواد يخرج بها العسل.

(٥٢) عجز هذا البيت ناقص في الأصل.

(٥٣) المقصود في البيت —تورية- النبي إبراهيم.

[١٦] الوافي ١٠/٢٥٩، أعيان العصر ٢/١٢، ذيول العبر ٢٣٨، تذكرة البنيه ٣/٥٦، تعريف ذوي العلا ٢٧، تاريخ ابن قاضي شهبة ١/٣٦٩، النجوم الزاهرة ١٠/١٠٦، الدليل الشافي ٢/٨٢٢، ألحان السواجع ١٩٧-٢١٦ (رقم ٢٠).

(٥٤) الناصر: محمد بن قلاوون الصالحي (٦٨٤-٧٤١هـ) قال الصفدي: كان ملكًا عظيمًا دانت له العباد وملوك الأطراف بالطاعة. انظر: الوافي ١/٣٥٣-٣٧٤.

(٥٥) تنكز: هو الأمير سيف الدين تنكز (ت٧٤٤هـ). انظر: ترجمته المسهبة في: الوافي بالوفيات ١٠/٤٢٠-٤٣٥ (رقم ٤٩٢٦).

[١٧] لم أقف على ترجمة له...

[١٨] الدرر ١/٨٥-٨٦ (رقم ٢٢١).

[١٩] تاريخ ابن قاضي شهبة ١/٣-٤٠ (فيه وفاته سنة ٧٨٢).

[٢٠]لم أقف على ترجمة له. ..

[٢١] ا لدرر الكامنة ١١٣/١-١١٤ (رقم ٢٩٣)، تاريخ ابن قاضي شهبة ٢/١-٥٦١-٥٦٢.

(٥٦) قال ابن قاضي شهبة في حوادث سنة ٧٤٩: توفي ببغداد في هذه السنة شهيدًا.

[٢٢] لم أقف على ترجمة له..

(٥٧) وضع المؤلف هذه الترجمة في الهامش وبخط عسر القراءة.

(٥٨) معظم كلمات الشعر مطموسة.

[٢٣] الدرر ١٢٤/١ (٣٢٢)، تاريخ ابن قاضي شهبة ٣/٢-٣٧-٣٨ (اسم أبيه هنا أيبك) [التنبيه في فروق الفقه الشافعي لأبي إسحاق إبراهيم الشيرازي ت٤٧٦].

(٥٩) سترد ترجمة ابن الذهبي في ١٠٦.

(٦٠) سبقت ترجمة أثير الدين في هامش الترجمة ١٥.

(٦١) شافع بن علي الكناني، العسقلاني، ناصر الدين (٦٤٩-٧٣٣هـ) كان يباشر الإنشاء بمصر زمانًا، ثمّ أضرّ لإِصابته بسهم في نوبة حمص (٦٨٠هـ)، وكان جماعة للكتب. انظر ترجمته في: نكت الهميان ١٦٣، الفوات ٩٣/٢-٩٥، النجوم الزاهرة ٢٨٥/٩، الدّرر ٢٨١/٢-٢٨٣.

(٦٢) في الأصل، استعنا بابن قاضي شهبة لتثبيت سنة الوفاة.

[٢٤] الدرر ١٢٩/١ (رقم ٣٣٤)، تعريف ذوي العلا ٢٠١ (رقم ٣٧٣)، المنهج الأحمد ١٣٥/٥-١٣٧، القلائد الجوهرية ٤٩١/٢-٤٩٤، الشذرات ٣٧٦/٨-٣٧٧.

(٦٣) المرداوي: تقي الدين عبدالله بن محد بن أحمد المقدسي الحنبلي (ت٧٤٢هـ). انظر ترجمته في تاريخ ابن قاضي شهبة ٢/١-٢٧١-٢٧٢.

[٢٥] الدّرر ١٣٥/١-١٣٧ (رقم ٣٥٤)، طبقات الشافعية ٢١٢/٢-٢١٤، الذيل على العبر ٥٢٨-٥٣١، الدليل الشافي ٤٦/١، المنهل الصافي ٢٧٤/١-٢٧٧، النجوم الزاهرة ٢١٦/١١، الدارس ٥٦/١-٥٨- شذرات الذهب ٢٧٨/٦، المقصد الأرشد ٩٩ (رقم ٣٧).

(٦٤) المنهاج: قوت المحتاج في شرح المنهاج والمقصود – منهاج الطالبين للنووي المتوفى سنة ٦٧٦هـ.

(٦٥) الدّرر ولادته سنة ٧٠٨هـ.

(٦٦) البيتان له في المنهل الصافي ٢٩٤/١.

(٦٧) لم يثبت المؤلف سنة وفاته، وقد اقتبسناها من المظان.

[٢٦] لم أقف على ترجمة له.

(٦٨) الكلمة الأخيرة في البيت مطموسة.

[٢٧] لم أقف على ترجمة له.

(٦٩) تربة أم الصالح: كانت تضم مدرسة قرب دمشق.

[٢٨] تاريخ ابن قاضي شهبة ٢/٣-٦٥، تعريف ذوي العلا ٩٧ (رقم ٣٤٦).

(٧٠) البيت ناقص في الأصل.

[٢٩] لم أقف على ترجمة له..

(٧١) الكلمة غير واضحة في الأصل.

(٧٢) الكلمات مطموسة في الأصل.

(٧٣) العبارة الخاصة بالوفاة وما بعدها مضافة بخطّ سريع يختلف عن خَطّ الأصل.

[٣٠] لم أقف على ترجمة له..

(٧٤) المعري أبو العلاء: فيلسوف المعرة، الشاعر المعروف.

[٣١] وفيات ابن رافع ٤٤٥-٤٤٦.

(٧٥) إضافة مناسبة من ابن حجر.

[٣٢] الدرر ١/١٩٠ (رقم ٤٥٦).

(٧٦) إضافة مناسبة من ابن حجر.

(*)لا توجد في المخطوط تراجم حروف التاء والثاء والحاء والجيم.

[٣٣] الدرر ٢/١٧٢ (رقم ١٦٤٤).

[٣٤] الدرر الكامنة ١٧٦-١٧٧، تعريف ذوي العلا ١٤٠-١٤٨، النجوم الزاهرة ١١/١٩-٢١، الشذرات ٨/٣٤٣-٣٤٤، البدر الطالع ٢٥٤-٢٥٥ (رقم ١٦٣)، طبقات الشافعية الكبرى ١٠/٥-٣٢، وفيات ابن رافع ٢/٢٦٩-٢٧٠، المقفى الترجمة ٦٠٧.

(٧٧) الوافي بالوفيات وقع في ثلاثين جزءًا تولى المعهد الألماني في بيروت طبعه بعناية مجموعة من الباحثين.

(٧٨) لامية العجم للطغرائي عنوان الشرح: غيث الأدب الذي انسجم طبع غير مرة وله مختصر أعدّه الدميري طبع في جدّة ١٤٢٨هـ-٢٠٠٨م.

(٧٩) رحبة مالك بن طوق: هي بين الرقة وبغداد على شاطئ الفرات. انظر: معجم البلدان (رحبة مالك) ٣/٣٤، ط دار صادر.

(٨٠) البيتان في تعريف العلا ١٤٦، معاهد التنصيص ٣/١٧٢.

(٨١) البيتان في: المستطرف ٢/١٦٨.

(٨٢) البيتان في: صَرف العين ٤٨٣.

(٨٣) جمال الدين عبدالقاهر بن محمد بن عبدالواحد التبريزي (٦٤٨-٧٤٠هـ) قاضٍوخطيب وشاعر. انظر: ترجمته في فوات الوفيات ٢/٣٦٧-٣٦٩، الوافي بالوفيات ١٩/٥٧.

(٨٤) الأبيات له في الفوات ٢/٣٦٩، والوافي ٢١/٥٧.

(٨٥) عمر بن مظفر الشهير بابن الوردي: قاضٍ، أديب، فقيه له مؤلفات كثيرة. انظر ترجمته في فوات

الوفيات ١٥٧/٣-١٦٠، بغية الوعاة ٣٦٥، النجوم الزاهرة ٢٤٠/١٠، طبقات السبكي ٢٤٣/٦.

(٨٦) البيتان في ديوانه ٣٩، ٤٦٥.

(٨٧) الديوان ٢٨٤-٤٥٢، معاهد التنصيص ١٥١/٤.

[٣٥] معجم الشيوخ للذهبي (الهيلة) ٢٢٣/١-٢٢٤ رقم (٢٣٨)، البداية والنهاية ٢٦٧/١٤، الدرر الكامنة ١٧٩/٢-١٨٢، تعريف ذوي العلا ١٢٢ (رقم ٤٤٦)، طبقات ابن قاضي شهبة ١٢١/٣-١٢٥، البدر الطالع ٢٥٦ (رقم ١٦٥)، طبقات السُّبكي ٣٥/١٠-٣٨ (رقم ١٣٥٦)، الدارس ٥٩/١-٦٣، النجوم الزاهرة ٣٣٧/١٠.

- من آثاره المطبوعة: جامع التحصيل في أحكام المراسيلن تحقيق المراد في أن النهي يقتضي الفساد، تحقيق منيف الرتبة لمن له شرف الصحبة، العدة في أدعية الكرب والشدة.

[٣٦] لم أقف على ترجمة له.

(٨٨) في الأصل الد، وبقية اللقب مطموسة ولعل الأصل ما أثبتنا.

[٣٧] لم أقف على ترجمة له.

(٨٩) تهذيب الكمال في أسماء الرجال ليوسف بن عبدالرحمن المزي (ت٧٤٢هـ) وهو مطبوع، مشهور.

[٣٨] لم أقف على ترجمة له.

(٩٠) لم يزر الأنفي بغداد، لأنّه لم يذكرها في مقدّمة كتابه هذا، وواضح من البيتين أنّه التقى به في دمشق.

[٣٩] الدرر ٢٥٨/٢ (رقم ١٨٦٣) [فيه بعد عمر بن عبدالرحمن بن عبدالواحد وهلال جده الأعلى].

(٩١) هذا البيت -الثالث- أورده ابن حجر ضمن ترجمته.

[٤٠] لم أقف على ترجمة له.

[٤١] لم أقف على ترجمة له.

[٤٢] لم أقف على ترجمة له.

(٩٢) الخيلان جمع خال وهي (الشامة) التي تظهر في الأجساد وللعوام حكايات كثيرة عنها، واشتهر سكّان الأعظمية -من أحياء بغداد- بظهور الخال وهو معروف عند القدامى، وعدّ من ضروب الفراسات وللجاحظ حديث عنها: الحيوان ٣٠٣/٥ و٢٠٥/٦ وللصفدي (كشف الحال في وصف الخال) ظهر بتحقيق عبدالرحمن بن محمد العقيل، (بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).

[٤٣] تاريخ ابن قاضي شهبة ٢/٣-٢٧١-٣٧٢، الدرر ٣٦٦/٢ (رقم ٢١٤٤)، والماسوحي نسبة إلى الماسوح قرية من قرى حسبان وفي الدرر ورد اسم مسعود بدل سعود، تحريف.

(٩٣) العاصي: اسم نهر حماة وحمص ويعرف بالميماس، مخرجه من بحيرة قَدَس. انظر: معجم البلدان [العاصي] ٦٧/٤-٦٨.

(٩٤) عبارة الوفاة كتبت بخط عاجل مختلف عن خطّ الأصل.

[٤٤] لم أقف على ترجمة له..

(٩٥) العبارات الخاصة بالوفاة وما بعدها كتبت بخطّ عاجل، يختلف عن خط الأصل.

[٤٥] الدرر ٢/٤٠٢ (رقم ٢٢٢١).

(٩٥) في الأصل الظليل تحريف، وهو امرؤ القيس بن حجر.

[٤٦] الفوات ٢/٢٤٧، أعيان العصر ٣/١٧، الدرر ٢/٤٢٣ (رقم ٢٢٦٣)، تعريف العلا ١٦، العقد الثمين ٥/٣٢١-٣٢٤، الشذرات ٨/٢٤١، البدر الطالع ٣٢٨.

(٩٧) من مؤلفاته المطبوعة: بهجة الزمن في تاريخ اليمن، إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين (الرياض ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).

(٩٨) البيتان في الدرر ضمن ترجمته وكذلك في البدر الطالع.

[٤٧].لم أقف على ترجمة له.

[٤٨] البداية والنهاية ١٤/٣١٩، الشذرات ٦/٢٠٨-٢٠٩، الدرر ٢/٤٨٩-٤٩١، العقد الثمين ٥/٤٥٧-٤٦٠، البدر الطالع ٣٦٦-٣٦٧ (رقم ٢٤١)، حسن المحاضرة ١/٣٥٩، ٢/١٧١، طبقات الشافعية الكبرى ١٠/٧٩-٨١ (رقم ١٣٧٠)، النجوم الزاهرة ١١/٨٩-٩٠، الوافي ١٨/٥٥٦-٥٥٧ (رقم ٥٥٣).

(٩٩) إضافة من المصادر.

[٤٩] لم أقف على ترجمة له.

[٥٠] لم أقف على ترجمة له.

(١٠٠) (الأنبياء ٣٧).

(١٠١) كذا في الأصل المضطرب، ولاحظ الرقم ٤٨.

[٥١] الدرر ٢/٤٥١ (رقم ٢٣٥٠).

(١٠٢) الكلمة متلاشية في الأصل.

(١٠٣) سِجِلْماسة: مدينة في جنوبي المغرب.. بينها وبين فاس عشرة أيام تلقاء الجنوب: معجم البلدان [سجلماسة] ٣/١٩٢.

(١٠٤) يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد النمرين القرطبي (٣٦٨-٤٦٣هـ): محدّث، وعالم له مؤلفات بينها التمهيد والاستيعاب وجامع بيان العلم وفضله. انظر: شذرات الذهب ٣/٣١٨، جذوة المقتبس ٣٤٤ ومقدّمة بهجة المجالس وأنس المجالس.

(١٠٥) أبو الحسن بن فِهر المصري له كتاب في (فضائل مالك). انظر: مقدّمة الديباج المذهب صفحة ط.

(١٠٦) إضافة من ابن حجر.

[٥٢] لم أقف على ترجمة له.

[٥٣] لم أقف على ترجمة له.

[٥٤] لم أقف على ترجمة له.

[٥٥] تاريخ ابن قاضي شهبة ٣/١٤٠-١٤٣، الدرر ٣/٣٩-٤٠ (رقم ٢٥٤٧)، الشذرات ٨/٣٧٨-٣٨٠، تعريف ذوي العلا ١٨٩-٢٠١، الدارس ١/٣٧-٣٨، البداية والنهاية ١٤/٢٩٥-٢٩٨، البدر الطالع ٤١٥-٤١٦، حسن المحاضرة ١/١٨٢-١٨٣.

(١٠٧) اختلفت المصادر في تحديد ولادته لكنها اتفقت أنها وقعت في القاهرة.

(*) المدرسة القيمرية من مدارس الشافعية بدمشق أنشأها ناصر الدين حسين القيمري المتوفى سنة ٦٦٥هـ.

والدماغية من مدارس دمشق في القرن الثامن الهجري.

(١٠٨) سماها: الطبقات الكبرى والوسطى والصغرى والكتاب مطبوع، مشهور.

(١٠٩) في المصادر أنه توفي بالطاعون.

[٥٦] لم أقف على ترجمة له.

[٥٧] لم أقف على ترجمة له.

[٥٨] لم أقف على ترجمة له.

(١١٠) صفي الدين الحلي من ألمع شعراء القرن الثامن الهجري، له ديوان مشهور وكتب أدبية.

(١١١) الديوان ١٣٣٧ (٨٦٢) ورواية الديوان: عن لقاك الصديق.

(١١٢) الديوان ١١١٨ (رقم ٦٧٥).

(١١٣) الديوان: ٥٣٣ (رقم ٢٢٧).

(١١٤) الديوان: لبعدكم.

(١١٥) الحِلّة: مدينة عراقية مصّرها سيف الدولة صَدقة بن منصور بن دُبيس الأسدي، [معجم البلدان] حِلة ٢/٢٩٤/ وهي اليوم مركز محافظة بابل.

[٥٩] لم أقف على ترجمة له.

[٦٠] فوات الوفيات ٢/٤٦٣، أعيان العصر ٣/٢٤٩-٢٥٢، الدرر ٣/٧٦ (رقم ٢٦٤١).

(١١٦) في الدرر توفي في ربيع الآخر سنة ٧٥٠هـ.

[٦١] الدرر ٣/٧٢ (رقم ٢٦٣٣)، تعريف ذوي العلا ٢١١.

(١١٧) في الأصل بياض أتممناه من المصادر.

(١١٨) عجز البيت الأول لا وجود له في المخطوط.

[٦٢] لم أقف على ترجمة له.

(١١٩) الملك الناصر: تقدم ذكره في هامش الفِقرة ١٦.

[٦٣] لم أقف على ترجمة له.

(١٢٠) العصرونية مدرسة بدمشق.

(١٢١) عجز البيت الثالث لا وجود له.

[٦٤] لم أقف على ترجمة له.

(١٢٢) باب النصر: أحد أبواب القاهرة القديمة في سورها الغربي (خطط المقريزي ٣٨١/١).

[٦٥] لم أقف على ترجمة له.

(١٢٣) ثمة كلمات مطموسة.

[٦٦] لم أقف على ترجمة له.

[٦٧] لم أقف على ترجمة له.

(١٢٤) ربوة دمشق سيرد ذكرها في هامش الفقرة ١٠٥.

[٦٨] شذرات الذهب ٨/٧، تاريخ ابن قاضي شهبة ٣/١-٨٩، المواكب الإسلامية ١٩١، معجم المؤرخين الدمشقيين ٢٢١، معجم المؤلفين ٤٢/٧.

(١٢٥) يبدو أن ثمة أديبين، شاعرين يحملان نفس الاسم واللقب، ورجحنا أحدهما بعد دراسة المصادر. وأحدهما توفي سنة ٨٠١هـ -أي بعد وفاة المؤلف بنحو ١٥ عامًا، وهو أمر ممكن الوقوع ويكون ابن أيبك آخر من ترجم له الأنفي.

[٦٩] ذيول العبر ٢٦٥، توضيح المشتبه ٣٣٦/٦، الدرر الكامنة ٩٩/٣ (رقم ٢٦٩١)، تعريف ذوي العلا ٥٣ (رقم ١٦٩).

(*) من أعماله التي وصلت إلينا (اللباب في تسلية المصاب) نشر بتحقيق د. عبدالقادر أحمد ضمن مجلة (الحكمة) -بريطانيا- العدد الثاني ١٣١-١٦٦ [١٤١٤هـ/١٩٩٤م].

(١٢٦) العبارة الخاصة بالوفاة مثبتة في الحاشية، وكان المترجم له يلقب: عُليّان بالتصغير.

[٧٠] الوافي بالوفيات ٨٣/٢١-٩٧ (رقم ٤٦)، أعيان العصر ٣٥٦/٣-٣٧٢ (رقم ١١٥٣)، فوات الوفيات ٢٣/٣-٢٦ (رقم ٣٣٩)، الدرر الكامنة ١١٦/٣ البغية ١٦٦/٢، تذكرة النبيه ٧٤/٣، تعريف ذوي العلا ٣٥ (رقم ١٠٨)، الشذرات ٢٤٨/٨.

(١٢٧) البيتان في الوافي ٨٥/٢١، الأعيان ٣٧١/٣، الفوات ٢٥/٣، الدرر الكامنة ١١٨/٣ وهما بلا نسبة في الكشكول ١٨٧/٢، والأشباه والنظائر للسيوطي (تح نبهان) ٢٢٦/٢، وله في بغية الوعاة ١٦١/٢.

(١٢٨) قال ياقوت: صفد: مدينة في جبال عاملة المطلة على حمص بالشام، وهي من جبال لبنان: معجم البلدان (صفد) ٤١٢/٣، وهي اليوم من مدن فلسطين.

(١٢٩) الحنفي قاضي القضاة علي بن أبي القاسم بن محمد (٦٤٢-٧٢٧هـ) محدّث، فقيه، ولي الحكم أكثر من عشرين عامًا. انظر: الوافي ٢١/٣٨٩-٣٩٠، وأعيان العصر ٣/٤٧٢-٤٧٣.

(١٣٠) محمد بن أحمد بن عمر مجد الدين الإربلي (٦٠٢-٦٧٧هـ) من ألمع شعراء القرن السابع الهجري، صنع معاصرنا الدكتور ناظم رشيد ديوانه (بغداد) ١٩٨٨م) والبيت موجود فيه ٣٧ (رقم ١٨) وهناك تخريجه.

(١٣١) ابن دمرتاش، ويرد تمرداش محمد بن محمد بن محمود ابن دمرتاش (٦٣٨-٧٢٣هـ)، كان جنديًا وخدم بحماة، ثم لبس زي العدول، والأبيات مثبتة ضمن ترجمته في فوات الوفيات ٣/٢٧٧، والوافي بالوفيات ١/٢٣٢ – باختلاف .....

(١٣٢) البيتان له في الوافي بالوفيات ١/٢٣٥، وفوات الوفيات ٣/٢٨٢.

(١٣٣) في مصادر التخريج: أكمامها وهو الصحيح.

(١٣٤) في ذيل مشتبه النسبة للذهبي أن وفاته وقعت سنة ٧٤٥، وكذلك ذكر في الدرر الكامنة ٣/١١٨ (في ٢٤ رجب).

[٧١] الوافي بالوفيات ٢١/٢٥٣، وألحان السواجع ٢/٥-١٨- طبقات السبكي، ١٠/١٣٩، المعجم المختص ١٦٦، وفيات ابن رافع ١/٣٣١-٣٣٢، تعريف ذوي العلا ١٠١، تاريخ ابن قاضي شهبة ٢/٨٦، النجوم الزاهرة ١٠/٣١٨، الدارس ١/١٣٤، حسن المحاضرة ١/٢٧٦، بغية الوعاة ٢/١٧٦، الأعلام ٤/٣٠٢

[٧٢] الوافي بالوفيات ٢١/٣٠٧، أعيان العصر ٣/٤٦٣-٤٦٥ (رقم ١١٩٢)، الدرر الكامنة ٣/١٥٦-١٥٧، تاريخ ابن قاضي شهبة ٢/١-٦٩٣-٦٩٥، النجوم الزاهرة ١٠/٢٤٦-٢٤٧، تعريف ذوي العلا ٨٠ (رقم ٢٨٦)، وفيات ابن رافع ٢/١١٧ (رقم ٦٠١)، تذكرة النبيه ٣/١٣٤، تاج التراجم ١٥٣-١٥٤ (رقم ١٧٣)، حسن المحاضرة ١/٤٦٩.

(١٣٥) من آثاره: بهجة الأريب، الدّر النقي في الرد على البيهقي، مختصر المحصول، مختصر ابن الصلاح.

(١٣٦) أغلب المصادر حدّدت وفاته في ٧٥٠هـ.

[٧٣] الوافي ٢٢/٢١٨-٢٢١ (رقم ١٥٧)، أعيان العصر ٣/٥٥٦-٥٦٦ (رقم ١٢٤٠): الدررّ ٣/١٣٣، تذكرة النبيه ٣/٢٣٩.

(١٣٧) الصفدي: ٦٦٤هـ.

(١٣٨) الدرر: ٧٦١ أيضًا.

[٧٤] لم أقف على ترجمة له.

[٧٥] لم أقف على ترجمة له.

(١٣٩) فراغ وطمس في الأصل.

[٧٦] الوافي ٣٣/٢٢، الفوات ٧٨/٣، أعيان العصر ٤٩٦/٣-٥٠٢ (رقم ١٢١٢)، البداية والنهاية ٧٨/١٤، الدرر ١٠٣/٣، وفيات ابن رافع رقم ٣.

[٧٧] تعريف العلا ٧٩ (رقم ٢٨٣)، الدرر ١١٢/٣.

(*) في تعريف العلا: وفاته سنة ٧٥٠هـ.

[٧٨] لم أقف على ترجمة له.

(*) بلبيس: مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ: معجم البلدان [بلبيس].

[٧٩] تعريف ذوي العلا ٤١، تاريخ ابن قاضي شهبة مج٢، ج١، ص٤٦٩ (وفيات ٧٤٦).

[٨٠] لم أقف على ترجمة له.

[٨١] لم أقف على ترجمة له.

[٨٢] لم أقف على ترجمة له.

(١٤٠) بيسان وهي بين حوران وفلسطين، وهي عين فيها ملوحة: معجم البلدان ٥٢٧/١.

[٨٣] الوافي ٤٣٧/٢٢، أعيان العصر ٥٩٨/٣-٦٠١ (رقم ١٢٦٤)، فوات الوفيات ١٣١/٣، الدرر ١٥٦/٣

[٨٤] الوافي ٤٦٥/٢٢، أعيان العصر ٦١٠/٣-٦٢٩ (رقم ١٢٦٧)، الدرر ١٦٥/٣.

(١٤١) نسبة إلى نين قرية من مرج بني عامر من صفد.

(١٤٢) جعل الصفدي ولادته سنة ٦٩٣هـ.

(١٤٣) كتاب الأنواء في مواسم العرب لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) نشرته دائرة المعارف العثمانية في حيدر آباد الدكن بالهند ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م، ثمّ أعيد طبعه في بغداد مصورًا.

[٨٥] الدرر ٢٥٧/٣-٢٥٨ (رقم ٣٠٤٧).

(١٤٤) ذكر ابن حجر أنه مات سنة ٧٥٧.

[٨٦] الدرر ٣١٦/٣-٣١٧ (رقم ٣٢١٤).

(١٤٥) صيدنايا: بلد من أعمال دمشق مشهور بكثرة الكروم والخمر الفائق: معجم البلدان (صيد نايا) ١٣٨/٣ –مَعراثا: عدة قرى من قرى حلب والمعرة: معجم البلدان [معراثا] ١٥٤/٥، والكلمة ليست واضحة في الأصل.. والبيت مضطرب.

(١٤٦) دير الحبيش: لم يذكره ياقوت الحموي في (معجم بلدانه).

(١٤٧) الزَّبـداني: كورة مشهورة بين دمشق وبعلبك منها خـرج نهر دمشق: معجم البلدان [الزَّبداني] ١٣٠/٣ – قلت: وهي مصايف سورية اليوم.

(١٤٨) وضع المؤلف إشارة: كذا فوق كلمة جاغاني. يبدو لي أنها كلمة عامية.

(١٤٩) البم والزير من أوتار العود، الكلمتان معربتان. انظر: شفاء الغليل ٨٥.

(١٥٠) صُراحيـة: يستعملها الفرس والروم لزجاجة معروفـة يوضع فيها الشراب: شفاء الغليل ٢٠١ – قلت: لا تزال مستخدمة في العراق لشرب الماء.

(١٥١) في هامش الأصل، وبخط مختلف: بلغ إلى هنا [المجلس] الثاني: عيسى بن عثمان الغزي.

[٨٨] الدرر ٣٥٧/٣ (رقم ٣٢٢٧)، الأعلام ٢٣٨/٥.

(١٥٢) يوسف بن لؤلؤ الذهبي، بدر الدين (ت٦٨٠هـ) شاعر له ديوان مطبوع. انظر ترجمته في الفوات ٣٦٨/٤-٣٨٣، الوافي ٢٧٨/٢٩-٢٩٤.

(١٥٣) البيتان له في الفوات ٣٨٠/٤، الوافي ٢٨٧/٢٩.

(١٥٤) أي لاجين بن عبدالله الذهبي.

[٨٩] لم أقف على ترجمة له.

(١٥٥) ابن الحاجب: عثمان بن عمر (ت٦٤٦هـ) له منتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل ط، وله: المقصد الجليل قصيدة في العروض. انظر الإعلام ٢١١/٤.

[٩٠] لم أقف على ترجمة له.

[٩١] لم أقف على ترجمة له.

(١٥٦) ينسب إلى إخنا -بالكسر- مدينة قديمة قرب الاسكندرية [معجم البلدان] ١٢٤/١.

[٩٢] لم أقف على ترجمة له.

[٩٣] لم أقف على ترجمة له.

[٩٤] الدرر ٢٩٧/٣، تعريف العلا، ص١٨٤ (رقم ٦٥٥).

[٩٥] لم أقف على ترجمة له.

[٩٦] الـدرر ٣٨٦/٣-٣٨٧ (رقم ٣٣٢٢)، الدارس ٤٥٧/١-٤٥٨، الشذرات ٢٩٥/٨، تعريف ذوي العلا ٩٠ (رقـم ٣٠٧)، طبقات الأسنـوي ٤٦٨/٢-٤٦٩، أعيان العصـر ٢٣٢/٤ (رقم ١٤٤١)، الشعور بالعور ٢٠٢-٢٠٣

(١٥٧) الشعور بالعور: سنة ٧٠٣ بالقاهرة.

[٩٧] لم أقف على ترجمة له.

(١٥٨) هذه الترجمة مضافة في الحاشية، وهي عسرة القراءة.

(١٥٩) بقية العبارة الخاصة بالوفاة مبتورة، ولم أعثر على ترجمة لهذا المالقي.

[٩٨] لم أقف على ترجمة له.

[٩٩] الدرر ٣/٤٠٠-٤٠٣، تعريف ذوي العلا ٨٨ (رقم ٢٩٩)، الذيل التام ١/١١٦، الشذرات ٨/٢٨٧، الوافي ٢/٢٧٠، أعيان العصر ٤/٣٦٦-٣٧٠ (رقم ١٥٣١)، البغية ١/٦٢، النجوم الزاهرة ١٠/٢٤٩. الدليل الشافي ٥٨٣.

(١٦٠) من آثاره: زاد المعاد في هدى خير العباد، الفروسية، كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء، روضة المحبين.

[١٦٠] الدرر ٣/٣٩٠-٣٩١ (رقم ٣٣٣٣)، الذيل على العبر ٤٢٠، تعريف العلا ٣١٠، إنباء الغمر ١/١٧٧.

(١٦١) الأسماء بعد إسماعيل أضافها المؤلف لاحقًا.

(١٦٢) في الهامش كتب بعضهم: قال شيخنا ابن حجر: توفي رحمه الله في المحرم سنة ٧٦٥.

[١٠١] الدرر ٣/٣٧٣ن تعريف ذوي العلا ٢٥٥ (رقم ٨٤٠)، ذيل العبر ٢/٤٢٠، إنباء الغمر ١/١٧٧-١٧٨، الشذرات ٨/٦٣٦-٤٣٧

(١٦٣) منهاج الطالبين، وهو مختصر المحرر في فروق الفقه الشافعي ليحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ) – سبق ذكره في هامش الترجمة ٢٥.

(١٦٤) الثغر المحروس يقصد الإسكندرية.

[١٠٢] لم أقف على ترجمة له.

[١٠٣] تاريخ ابن قاضي شهبة ٢/١-٣٤٣، الدرر ٣/٣٩٨-٣٩٩ (رقم ٣٣٥١)، تعريف ذوي العلا ١٧ (رقم ٦٦).

(١٦٥) الكان وكان بأمن الفنون الشعبية التي نشأت في العراق، ينسب لابن المعتز (ت٢٩٦هـ) أنه أول من أشار إليه. نظم ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) الكثير فيه، وصنع الدكتور كامل مصطفى الشيبي (ت٢٠٠٦م) – ديوان الكان وكان (بغداد ١٩٨٧م) وهو لا يضم هذين البيتين. والمقصود بموسى النبي.

[١٠٤] وفيات ابن رافع ١/١٠٣-١٠٤، تاريخ ابن قاضي شهبة ٢/١-٦٢٩، الدرر ٣/٤٢٠-٤٢١ (رقم ٣٤٠٦)، تعريف ذوي العلا ٥٦.

(١٦٦) جعل ابن رافع ولادته سنة ٦٧٨.

[١٠٥] وفيات ابن رافع ٢/١٤٢-١٤٣، الدرر ٤/١٦٣-١٦٤.

(١٦٧) عن ربوة دمشق. انظر معجم البلدان [الربوة] ٣/٢٦ وسبق التعريف بها.

[١٠٦] أعيان العصر ٤/٢٨٨-٢٩٦ (رقم ١٦٥)، تعريف ذوي العلا ٤٧-٥٢ (رقم ١٦٥)، المقفى ٥/٢٢٥، الوافي ٢/١٦٣، الفوات ٣/٣١٥، البداية والنهاية ١٤/٢٥٥ – الدليل الشافي ٥٩١.

(١٦٨) منها: طبقات الحفاظ، ميزان الاعتدال، تاريخ الإسلام، المغني في الضعفاء – سير النبلاء، العِبر في خبر من غبر، معجم الشيوخ، المقتنى في الكنى.

(١٦٩) عجز بيت شهير ويرد حباءه، وبقية البيت:

عذيرك من خليلك من مُراد

ويرد البيتان ضمن معظم الذين ترجموا للذهبي. انظر مثلاً: أعيان العصر ٢٩٢/٤، تعريف العلا ٥٠ – الدليل الشافي ٥٩١.

(١٧٠) البيتان في المقفى ٢٢٥/٥.

(١٧١) علي بن المظفر الكندي (ت٧١٦هـ) أديب، محدّث. انظر ترجمته في الفوات ٩٨/٣-١٠٣ (رقم ٣٦٢). والبيتان اللذان أوردهما الأنفي وردا في الفوات ٩٩/٣، وهما يتضمنان أسماء عدد من علماء الحديث. وانظرهما في برنامج الوادي آش ١٠١ (٣) القيسراني عبدالله بن محمد بن أحمد (ت٧٠٣هـ) محدّث وشاعر. انظر ترجمته في الوافي ٥٨٨/١٧-٥٨٩. والبيتان اللذان أوردهما الأنفي وردا في الوافي ٥٨٩/١٧.

(١٧٢) القيسراني: عبدالله بن محمد بن أحمد (ت٧٠٣هـ) محدّث وشاعرًا. انظر ترجمته في الوافي ٥٨٨/١٧-٥٨٩. والبيتان اللذان أوردهما الأنفي وردا في الوافي ٥٨٩/١٧.

(١٧٣) أبو بكر بن عمر بن السلار محدّث وشاعر توفي سنة ٧١٦هـ. انظر ترجمته في الدرر ٤٨٣/١ (رقم ١٢١٠).

[١٠٧] نكت الهميان ٢٤٤-٢٤٦، تعريف العلا ٢٨٥ (رقم ٩٣٨) البغية ٣٤/١-٣٥، النجوم الزاهرة ١٩٢/١١، الشذرات ٤٦٢/٨.

(١٧٤) من أعماله: إلحلةالسيرا في مدخ خير الورى، وهي بديعية نالت شهرة كبيرة.

(١٧٥) ماردين: قلعة مشهورة على قنّة جبل الجزيرة، مشرفة على دنيسر ونصيبين. انظر: معجم البلدان [ماردين] ٣٩/٥.

(١٧٦) المَريّة: مدينة كبيرة من كورة البيرة من أعمال الأندلس. انظر: معجم البلدان [المرية] ١١٩/٥-١٢٠.

(١٧٧) ثمة كلمات مطموسة في الأصل.

(١٧٨) البيرة: بلد قرب سميساط بين حلب والثغور الرومية، وهي قلعة حصينة، ولها رستاق واسع. انظر: معجم البلدان [البيرة] ٥٢٦/١.

[١٠٨] الدرر ٤٤١/٣-٤٤٢ (رقم ٣٤٤٩)، تعريف ذوي العلا ١٨١ (رقم ٦٣٣)، تاريخ ابن قاضي شهبة ١٥٧/٣-١٥٩، الدارس ١١٧/١-١١٨، القلائد الجوهرية ١٥٠/١.

(١٧٩) لم يثبت المؤلف تاريخ الوفاة، فاستضعفناه من المصادر.

[١٠٩] لم أقف على ترجمة له.

(١٨٠) تاريخ الوفاة ثبت بخط سريع، يختلف عن خط الأصل.

[١١٠] لم أقف على ترجمة له.

(١٨١) العبارة الخاصة بالوفاة أُضيفت بخطّ سريع، عسر القراءة.

[١١١] لم أقف على ترجمة له.

(١٨٢) كلمة ثلاث متلاشية في الأصل.

[١١٢] الدرر ٤/٧٥ (رقم ٣٧٤٢).

(١٨٣) وصلت إلينا عدة مخطوطات نسخها بخطة الجميل منها: كتاب الجغرافيا لابن سعيد المغربي (Arabe٢٢٣٤) – باريس وديوان ابن الخيمي (مخطوطة الامبروزيانيا الإيطالية).

(١٨٤) البيت مكسور هكذا.

[١١٣] لم أقف على ترجمة له.

(*) الناصرية والظاهرية من مدارس دمشق.

(١٨٥) مكان الشعر بياض في الأصل.

[١١٤] الذيل على العِبر ٢/٣١٧، الدرر ٤/٩٩، الشذرات ٦/٢٢٥.

(١٨٦) العبارات الخاصة بتاريخ الوفاة مكتوبة في الهامش بخط سريع، عسر القراءة.

[١١٥] الدرر ٤/١٠٢ (رقم ٣٨١١)، تعريف العلا ٩٥ (رقم ٣٣٣)، الذيل التام ١/١٣٤.

(١٨٧) ابن الفويه: شمس الدين محمد المعروف بابن الفويه توفي سنة ٧٤٩هـ. انظر: تعريف ذوي العلا ٦٤ (رقم ٢٢٥).

(١٨٨) إزاء البيتين في الحاشية كتب: بلغ إلى هنا... عثمان بن عيسى الغزي وسمعه خليل البواب.

[١١٦] تاريخ ابن قاضي شهبة ٢/١-٣٤٦، الدرر ٤/١٠٩ (رقم ٣٨٣٤).

[١١٧] الدرر ٤/١٠٩-١١٠ (رقم ٣٨٣٥)، الوافي ٣/٢١٠، البغية ١/١٥٢-١٥٣، تعريف العلا ٢٥٤ (رقم ٨٣٢)، النجوم الزاهرة ١١/١٣٦-١٣٧، الشذرات ٨/٤٣٧-، المعجم المختص بالمحدّثين ٢٣٧ (رقم ٢٩٣).

(١٨٩) ست العرب بنت علي بن حسن: محدّثة وفقيهة لها ترجمة في: تعريف ذوي العلا ٤٦١ ومعجم السماعات الدمشقية ٣١٨ (استشر الفهارس).

(١٩٠) العبارات الأخيرة مثبتة في الحاشية بخط عسر القراءة، وسبقت ترجمة ابن جماعة في الرقم ٤٨.

(١٩١) قاسيون: جبل يطل على دمشق تكرر ذكره.

[١١٨] لم أقف على ترجمة له.

(١٩٢) الترجمة مثبتة في الحاشية وهي عسرة القراءة.

[١١٩] تعريف ذوي العلا ٢٢٨ (رقم ٧٧٨)، الشذرات ٨/٤٢٧-٤٢٨، بغية الوعاة ١/١٥٥-١٥٦، إنباء الغمر ١/١٣٧-١٣٩، الدرر ٤/١١٩-١٢٠ (رقم ٣٨٦٦)، تاج التراجم ٢٦٦ (رقم ٢٤٢).

(١٩٣) وضع الناسخ كلمة كذا فوق كلمة (من) إشارة إلى الخلل.

[١٢٠] تعريف ذوي العلا ٧٤ [رقم ٢٥٣]، ذيول العبر ٢٧٨، تاريخ ابن قاضي شهبة ٢/١-٦٤.

(١٩٤) بالس: بلدة بالشام بين حلب والرقة. ينسب إليها جماعة من العلماء: معجم البلدان [بالس] ١/٣٢٨.

[١٢١] لم أقف على ترجمة له.

(١٩٥) هو بيت مشهور، انظره في شعر عمرو بن معدي كرب ١١٣.

(١٩٦) العبارة الخاصة بالوفاة أُضيفت لاحقًا بخط سريع، عسر القراءة.

[١٢٢] تاريخ ابن قاضي شهبة ٢/١-٦٤٠، الدرر ٤/١٦٥ (رقم ٣٩٩٩).

(١٩٧) لا وجود لمادة «زرع» في معجم البلدان.

[١٢٣] لم أقف على ترجمة له.

(١٩٨) الحقيقة والطريقة: من مصطلحات الصوفية.

(١٩٩) لم يتمم المؤلف بقية البيت والشعر المنشد من قبل ابن غازي.

[١٢٤] الدرر ٤/١٨٣-١٨٤ (رقم ٤٠٤٨)، تعريف العلا ٠٣ (رقم ٣٢٥)، الشذرات ٨/٢٩٤، الذيل التام ١/١٢٨، الدارس في تاريخ المدارس ١/١٩٩-٢٠٠.

(٢٠٠) أرخت بعض المصادر وفاته سنة ٧٥٢.

(٢٠١) ترجمة الدكالي مفقودة في أصل المخطوط، وهو قاضٍ مالكي لقبه شمس الدين. انظر: تعريف ذوي العلا ١٢٦.

[١٢٥] سقط القسم الموضوع بين مزدوجين ضمن ورقة أو نصف ورقة، وقادنا البحث إلى أن المقصودَ هو ابن النحاس. ترجم له ابن قاضي شهبة ومنه رمّمنا الترجمة. انظر: تاريخ ابن قاضي شهبة المجلد الثالث - الجزء الثاني ١١١-١١٢ [تراجم سنة ٧٥٧هـ].

(٢٠٢) من هنا يبدأ الأنفي الترجمة.

(٢٠٣) أضاف ابن قاضي شهبة نقلاً عن الكتبي أنه توفي بدمشق ودفن بالمِزّة.

[١٢٦] الوافي ١/٣١١-٣٣١، طبقات الشافعية للسبكي ٩/٢٧٣، ووفيات ابن رافع الترجمة ٨٤٣، البداية

والنهاية ٣٢٢/١٤، لحظ الألحــاظ ٥٣١، النجوم الزاهرة ٩٥/١١-٩٧، حسن المحاضرة ٥٧١/١، تعريف ذوي العلا (رقم ٦١٣)، الدرر ٣٣٩/٤-٣٤٠ (رقم ٤٤٤٨).

(٢٠٤) ممّــا طبع مــن آثاره: سرح العيون في شرح رسالة رسالة ابن زيــدون، فرائد السلوك في مصايد الملوك، مطلع الفوائد ومجمع الفرائد، المفاخرة بين السيف والقلم، ديوانه.

(٢٠٥) الديوان ٥٣١.

(٢٠٦) الديوان ٨٥.

(٢٠٧) الديوان ٢٥٠.

(٢٠٨) العبارات الخاصة بالوفاة أُضيفت بقلم مختلف عن الأصل.

[١٢٧] لم أقف على ترجمة له.

(٢٠٩) أمين الدين: لقب المؤلف.

(٢١٠) شطب بعضهم على هذه الترجمة.

[١٢٨] الوافي ٢٨٣/٥-٢٩٠ (رقم ٢٣٤٧)، الدرر ٦٨/٥-٦٩ (رقم ٤٦٩٢)، أعيان العصر ٣٥٣/٥-٣٦٣ (رقم ١٨٣٢)ن النجوم ٣٢٠/١٠، البدر الطالع ٨٠٤-٨٠٥ (رقم ٥٣٣).

(*)الشاعر المشهور الملقب ضِفدع.

(٢١١) الكلمة مطموسة في الأصل.

(٢١٢) العبارات الخاصة بالوفاة مضافة، لكن أغلب الكلمات متلاشية.

[١٢٩] الدرر ٩٧/٥ (١٧٥٧).

(٢١٣) في الدرر عبدالرحمن بن رضوان الحلبين الدمشقي، جمال الدين بن الحاجّة.

(٢١٤) في الدرر ولد سنة ثمان أو ٦٤٩.

(٢١٥) إليك يُساق الحَديث، مثل قديم له حكاية. انظر الأمثال لابن سلام ٥٥، الفاخر ٧٢.

(٢١٦) في الدرر: ١٩ ذي الحجة منها.

[١٣٠] لم أقف على ترجمة له.

(٢١٧) أغلب حروف كلمة عشرة: مطموسة.

[١٣١] لم أقف على ترجمة له.

(٢١٨) كذا في الأصل، والدرياق: الخمر.

[١٣٢] الدرر ٢٠٠/٥ (رقم ٥٠٣٧)

(٢١٩) بياض في الأصل بمقدار كلمة.

(٢٢٠) لم يثبت المؤلف تاريخ وفاة البغدادي فاستضفناه من ابن حجر.

[١٣٣] الـوافي بالوفيات ٢٨/٣١٥-٣٢١ (رقم ٢٤٥)، الذيل على العـبر ٢/٣٤٣، الدرر الكامنة ٥/٢٠١ (٥٠٤)، تعريـف ذوي العـلا ٢١٢ (رقـم ٧٢٩)، إنباء الغمـر ١/٣٦، النجـوم الزاهرة ١١/١٢١: الشذرات ٨/٣٩٥.

(٢٢١) الوافي ولادته ٦٧٧.

(٢٢٢) الدرر – نقلاً عن ابن حبيب أنه توفي في حماة.

[١٣٤] لم أقف على ترجمة له.

(٢٢٣) عدة كلمات في البيت الأول متلاشية.

[١٣٥] لم أقف على ترجمة له.

(٢٢٤) الحكر من مخاليف الطائف [معجم البلدان] (حكر).

[١٣٦] الـوافي ٢٩-٢٤٢-٢٤٩ (١١٠)، أعيـان العصـر ٦٤٤-٦٥٧ (رقـم ١٩٨٧)، البدايـة والنهايـة ١٤/١٩١، الفـوات ٤/٣٥٣، الـدرر ٥/٢٣٣-٢٣٧ (رقم ٥١٢٢)، الشـذرات ٦/١٣٦، تعريف ذوي العلا ٣٢٩-٣٣٠.

(٢٢٥) البيتان في الدرر ٥/٢٣٧، تعريف العلا ٣٢٩-٣٣٠.

(٢٢٦) البيتان في تعريف العلا ٣٣٠.

[١٣٧] فـوات الوفيـات ٤/٣٤٣، الـوافي بالوفيـات ٢٩/٢٠٨-٢١٧، أعيان العصـر ٥/٦٢٥-٦٣٦ (رقم ١٩٨٢)، الدرر الكامنة ٥/٢٢٩-٢٣١ (٥١١٧).

(٢٢٧) البيتان له في الوافي ٢٩/٢١٠، وأعيان العصر ٥/٦٣٠، الفوات ٤/٣٤٦. صرف العين ٤٧٢.

(٢٢٨) في مصادر التخريج: فتك السيف.

[١٣٨] لم أقف على ترجمة له.

(٢٢٩) في الحاشيـة: بلغ قـراءة في (المجلس) الرابع.. عثمان بن عيسى وَثمـة أسماء مطموسة والوفاة وقعت بعد السبع مئة.

فهرس المصادر والمراجع

- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط٤، بيروت ١٩٧٩م.
- أعيـان العصر وأعوان النصر، صلاح الديـن الصفدي، تحقيق: د. علي أبو زيد ورفاقه، دار الفكر، دمشق ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
- ألحـان السواجـع بين البـادئ والمراجع، صـلاح الدين الصفـدي، تحقيق: الأستاذ إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- إنباء الغَمر بأبناء العُمر: ابن حجر العسقلاني، بيروت ١٤٠٦هـ.
- البداية والنهاية، ابن كثير، بيروت ١٣٥٨هـ.
- البدر الطالع بمحاسـن مَنْ بعد القرن السابع: الشوكاني، تحقيق: د. حسين العمري، دار الفكر، دمشق ١٩٩٨م.
- بغية الوعاة، السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا.
- تـاج التراجم: ابـن قطلوبغا الحنفي، تحقيق: الأستـاذ إبراهيم صالح، دار المأمون للتراث، دمشق ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- تاريخ ابن الفرات، مصورة عن الأجزاء المطبوعة منه، القاهرة.
- تاريـخ ابن قاضي شهبة، تحقيق: الأستـاذ عدنان درويش، مطبوعات المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق ١٩٧٧م وما بعدها.
- تعريف ذوي العلا، تقـي الدين الحسني الفاسي، تحقيق: محمود الأرناؤوط وأكرم البوشي، دار صادر، بيروت ١٩٩٨م.
- حسن المحاضـرة: السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
- الدارس في تاريـخ المدارس: النعيمي، تحقيق: جعفـر الحسني، مجمع اللغة العربية، دمشق.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، أم القرى للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٧م.

- الديبـاج المذهب، ابن فرحون المالكي، تحقيق: د. محمد الأحمدي أبو النور، مكتبة دار التراث، القاهرة ١٩٧٢م.
- ديوان صفي الدين الحلـي، تحقيق: د. محمد حور، المؤسسة العربية للنشر، بيروت ٢٠٠٠م.
- ديوان ابن نباتة المصري، مصورة بيروت عن طبعة القاهرة.
- ديوان ابن الوَردي، تحقيق: د. أحمد فوزي الهيب، دار القلم، الكويت ١٩٨٦م.
- الذيـل علـى العِـبَر في خـبر من غَـبر، ولي الديـن أحمـد بـن عبدالرحيم ابـن العراقـي، تحقيـق: صالح مهـدي عباس، مؤسسـة الرسالـة، بيروت ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
- ذيـول العِـبر، الحسيني، تحقيق: محمـد رشاد عبدالمطلـب، الكويت، وزارة الإعلام.
- سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف شُعيب الأَرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١هـ.
- شـذرات الذهب في أخبـار من ذهب، ابن العماد الحنبلـي، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق ١٤٠٦هـ.
- صبح الأعشى، القلقشندي، دار الكتب المصرية، القاهرة.
- صَرف العين: صـلاح الدين الصفدي، تحقيق: د. محمد عبدالمجيد لاشين، دار الآفاق العربية، القاهرة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، السخاوي، بيروت (طبعة مصورة).
- الطالع السعيد: الأدفوي، تحقيق: سعد محمد حسن، القاهرة، ١٣٨٦هـ.
- الطبقـات السنيـة في تراجـم الحنفية، الغَـزي، تحقيـق: عبدالفتاح محمد الحلو، القاهرة.
- طبقـات الفقهـاء الشافعية، ابن قاضـي شهبة، تحقيق: علـي محمد عامر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (ب-ت).
- العقـد الثمـين في تاريـخ البلد الأمين، تقـي الدين الفاسـي، تحقيق: محمد حامِد الفقي ورفاقه، مصورة مؤسسة الرسالة، بيروت.

- فــوات الوفيــات، محمد بن شاكــر الكتبي، تحقيــق: د. إحســان عباس، دار الثقافة، بيروت ١٩٧٣م.
- كشــف الظنون وملحقاته: حاجي خليفــة وإسماعيل باشا، دار الفكر، بيروت ١٩٩٤م.
- معجم البلدان: ياقوت بن عبدالله الحموي، طبعة دار صادر، بيروت.
- المعجم الشامل للــتراث العربي، د. محمد عيسى صالحية، مطبوعات معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٩٩٥م.
- المعجــم المختص بالمحدّثــين، تحقيق: د. محمــد الحبيب الهيلــة، الطائف، مكتبة الصديق، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- مختصــر شرح لامية العجــم، الدميري، تحقيق: محمد شــادي عربش، دار المنهاج، جدة ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م.
- المقصــد الأرشــد في ذكــر أصحاب الإمــام أحمد: برهان الديــن محمد بن مفلــح، تحقيق: عبدالرحمن بــن سليمان العثيمين، مكتبــة الرشد، الرياض ١٤٠١هـ/١٩٩٠م.
- المقفى الكبير: تقي الدين المقريزي، تحقيق: د. محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩١م.
- النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، طبعة بيروت المصورة عن طبعة القاهرة.
- نكــت الهميــان في نكت العميان، صــلاح الدين الصفــدي، تحقيق: د. أحمد زكي، مصورة عن طبعة القاهرة.
- الــوافي بالوفيات، صلاح الديــن الصفدي، تحقيق: مجموعــة من الباحثين العرب والمستعربين، مطبوعات المعهد الألماني، بيروت (لم يتم طبعه).
- الوفيات، تقي الدين محمد بن رافع السلامي، تحقيق: صالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

أَبُو الحَسَنِ الزَّعْفَرَانِيُّ النَّحْوِيُّ

حَيَاتُـه، وآرَاؤُه

د. محمّد بهاء بن حسن كَكُو[١]

للّه الحمدُ وحدَه، والصّلاةُ والسّلامُ على خاتَم النَّبيّين صلى الله عليه وسلم.

وبعـدُ.. في تاريخِنــا النّحويِّ المشرقِ علمــاءُ كُثُرٌ طُوِيَتْ جهودُهــم وأقوالهُم؛ لفقـدانِ مصنَّفاتِهـم؛ فأضحَوا يجهلُهم كثـيرٌ من الدّارسـين المتخصِّصين، بلهَ غيرهم.

ومـن أولئك أبو الحسنِ الزّعفـرانيُّ النّحويُّ البصريُّ، أحـدُ علماءِ العربيّةِ في القـرنِ الرّابـعِ الهجريّ، الذي جعلَـه الأنباريُّ (٥٧٧هـ) من حـذّاقِ النّحويّين الآخذيـن عن أبي عليٍّ الفارسيِّ (٣٧٧هـ)، بـل نعتَه ابنُ إياز البغداديُّ (٦٨١هـ) بأنّه من أكابرِ أصحابِ الفارسيّ، وعلى الرّغم من هاتين الشّهادتين بحقِّ الرّجل، فإنَّ القلَّ القليلَ والنّزرَ اليسيرَ من آرائه تداولَتْه كتبُ النّحويّين، ودوَّنَتْه أقلامُهم في مصنَّفاتِهـم؛ وذلك لضيــاع كتبه؛ فعملْتُ على الوقوفِ علــى آرائه، ناقلاً لها، جامعًــا شتاتَهــا المتناثــرَ من مظانِّهــا، محشِّيًا بما رأيتُـه يجلّيها، مصـدِّرًا ذلك بترجمةٍ يسيرةٍ لأبي الحسن؛ لم تسعفْني كتبُ التّراجم بغيرها.

وآمُلُ أن تكونَ محاولتي هذه أعطَت هذا العالم شيئًا من حقِّه علينا، ولا أزعمُ أنّنــي استوفيــتُ البتّة، إذ قد تكونُ له آراء أُخرى مبثوثةٌ في كتبٍ لـمّا ترَ النّورَ بعد. والحمدُ للّه أوّلاً وآخرا.

ترجمةُ الزّعفرانيّ[٢]:

محمّـدُ بنُ يحيى، أبـو الحسن، الزّعفرانيُّ النّحويُّ البصـريُّ. قالَ القِفطيّ (٦٤٦هـ): «نحـويٌّ مذكورٌ متصدِّر؛ لإفـادة هذا النّوع، قرأ علـى عليّ بن عيسى الرَّبَعـيّ (٤٢٠هـ)، وأكـثَرَ الأخذ عليه... قالَ ابن نصـر[٣]: وسألتُ شيخَـه عليَّ ابن عيسى الرَّبَعيّ عن الزّعفرانيّ تلميذِه هذا، فأثنى خيرًا، ووصفَ وصفًا كثيرًا. قال: وكان أبو الحسن الزّعفرانيُّ قالَ لي: إنَّ أبا عليٍّ الفارسيَّ (٣٧٧هـ) نزلَ عليَّ بالبصرة، فقرأتُ عليه (الكتاب)؛ فقالَ لي: أنتَ مستغنٍ عنّي يا أبا الحسن! قلتُ: إنِ استغنيـتُ عـن الإفهام فلم أغنَ عن الفخر والجمال. قـالَ ابن نصر: فسألتُ الشّيخَ أبا الحسن عليَّ بن عيسى بنِ الفرج الرّبعيّ عن هذا، فصدّقَـه، وقالَ لي: قـدمَ أبو علـيٍّ الفارسيُّ البصـرةَ، وأبو الحسن الزّعفرانيُّ نحـويٌّ مستقلٌّ، وكان مـن أذكياءِ النّاس». وقد نصَّ الزّعفرانيُّ علـى قراءتـه (الكتاب) على الفارسيّ منفردًا، وعلى سماعِـه له يُقرأ على الفارسيِّ دُفعاتٍ.

وقـد أثنى عليـه أبو الـبركاتِ الأنباريُّ (٥٧٧هـ)؛ بعدّه ضمـن جماعةٍ من حذّاقِ النّحويّين الآخذين عن أبي عليٍّ الفارسيِّ، وجعَلَه ياقوتُ الحمويُّ (٦٢٦هـ) من أعيان أهـلِ العلم، ووصفَـه ابنُ إياز البغـداديّ النّحويّ (٦٨١هـ) –وهو من أكـثر من حفظَ لنا آراءَ الزّعفـرانيّ– بأنّـه «من أكابرِ أصحـابِ الشّيخ أبي عليٍّ الفارسـيّ»[٤]. ولا ريب في أن يحظى من تلمذَ علـى الشّيخَين: الفارسيِّ، والرَّبَعيِّ بهذا الثّناء.

وأمّا تلاميذُه فنذكرُ منهم:

- محمّـدُ بن أحمد بن شاهَوَيْـــه[٥]، أبو الحسين، النّحويّ، الذي قرأ على الزّعفرانيِّ بالبصرة كتـابَ سيبويه، وكذلك روى عنه (الجمهرةَ) لابن دُريد (٣٢١هـ) عن كلٍّ من الفارسيِّ، والآمديّ (٣٧٠هـ).

- وعليّ بن محمّد بن نصر، أبو الحسن، الكاتبُ صاحبُ الرّسائل (٤٣٧هـ)[٦].
- محمّد بن الحسين بن زنجي[٧].

وحفظَ لنا ابنُ إياز اسمَي مصنَّفَين للزّعفرانيّ؛ رجعَ إليهما عند نقلِه جملةً من آراءِ الرّجلِ في مسائلِ الصّرف والنّحو، هما: (الأسماء الأعجميّة) الذي نقل عنه نقلَين تصريحًا، و(التّعليق) الذي نقلَ عنه خمسَ مرّاتٍ تصريحًا، ولم أقف لهما على ذكرٍ عند غير ابن إياز من النّحويّين، أو المترجمين المختصّين بهم.

أوّلاً: إنشادُ الزّعفرانيّ، وما له من آراء إعرابيّةٍ في بعضِ الأبيات:

(أ) (بَرْبَرِيس) اسمُ موضع:

ذكرَ ابنُ إياز في (قواعد المطارحة)[٨] لدن ذكره «أبياتًا للعرب، ولمن جرى في علوِّ الطّبقةِ مجراهم، تشتملُ على بحثٍ وإعرابٍ، إذا ضبطَها السّامعُ كان ذلك مثالاً له؛ يقيسُ غيرَه عليه، ويردُّه عندَ الحاجةِ إليه»[٩]، ومنها بيتٌ للبيد[١٠]:

[من الرّجز]

النّاسُ أسواءٌ، وشتّى في الشِّيَمْ   وكلُّهم يجمَعُه بيتُ الأَدَمْ[١١]

أنَّ (أسواءً) جمعُ (سواءٍ)، وأنَّ «لـ(سواءٍ) جمعين آخرين: الأوّل: (سواسيَةٌ) وهو من الجموعِ الواردةِ على غير واحدِه المستعمَل[١٢]، نحو: (باطل، وأباطيلَ)، و(حديث، وأحاديثَ)، و(ذَكَر، ومذاكيرَ)، وقياسُ واحدها: (أبطالٌ، وأحداثٌ، ومذكارٌ)، وكذلك (سواسيَةٌ) قياسُ واحدِها: (سَوْسَاةٌ)، فوزنُ (سَوْسَاة): (فَعْلَلَةٌ)، وأصلُها: (سَوْسَوَةٌ)، وهي من مضاعفِ السّين والواو، لكن قُلبتِ الواو ألفًا، وكذا أصلُ (سواسيَة): (سَوَاسوَةٌ)، فقلبتِ الواوُ ياءً؛ لتطرّفها تقديرًا، وانكسارِ ما قبلها، ووزنها (فَعَالِلَةٌ)[١٣]... فإن قيل: فهلّا كانتا: (فَعَافلَةً)، و(فَعْفَلَةً)؟ أجبتُ: ذلك ممتنعٌ؛ لأنّ الفاءَ لم تُكرّر وحدَها[١٤]، وإنّما كُرّرت مع العين في ثلاثةِ ألفاظٍ: (مَرْمَريسٌ) بمعنى الشِّدّة، و(مَرْمَريتٌ) للمكانِ

القفـر[١٥]، و(بَرْبَـرِيسٌ) في اسمِ موضعٍ[١٦]. أنشدَ الزعفرانيُّ في كتابِ (الأسماء الأعجميّة): [من الكامل]

طالَ النّهارُ ببَرْبَـرِيسَ وقد نرى   أيّامَنا بقُشاوَتَيْنِ قِصارا[١٧]

... والثّاني من جَمْعَيه: (سواسٍ)».

(ب) إعرابُ كلمة (كَمَتْنَيْها) في بيتٍ للمتنبيّ: [إنشادٌ، ورأيٌ]

ومـن تلك الأبيات نقلَ ابنُ إيـاز في (قواعد المطارحة) قولَ المتنبّي[١٨]: [من الطّويل]

ظلومٌ كَمَتْنَيْها لِصَبٍّ كَخَصْرِها   ضَعِيفِ القُوى من فِعْلِها يَتَظَلَّمُ

وقـال[١٩]: «أنشـدَه الزّعفرانيُّ في (تعليقـه)، ولم يذكر قائلَـه. (ظلومٌ): خـبرُ مبتـدأ محذوفٍ، تقديره: (هي ظلـومٌ) ولم يُؤنّث؛ لأنّـه مـن أمثلةِ المبالغة، وتلـك يستـوي فيها المذكّـرُ والمؤنّثُ... و(متنَيهـا): مثنًّى مجـرورٌ بالإضافة، إن كانـتِ الكافُ اسمًا، ومجرورٌ بها إن كانت حرفًا، وعلامةُ الجرّ الياءُ، وحُذفَتْ نونُ التثنية؛ لإضافتِـه إلى ضميرِ (ظلوم). وعند أبي الفتح هو صفةٌ لـ(ظلوم)[٢٠]. فإن كانـتِ الكافُ حرفًا تعلّـقَ بمحذوفٍ، وتَحَمّلَ ضميرًا، وإن كانـتِ اسمًا فهو وصفٌ لـ(ظلـوم)، مجـرّدٌ من الضّمـير، أي: هي ظلومٌ مثـلُ متنَيها. و(لِصَـبٍّ) يتعلّقُ بـ(ظلوم) أيضًا.

وعند الزّعفرانيِّ أنّ (كمتنَيها) حالٌ من الضّمير في (ظلوم) على التّقديرَين، و(لِصَبٍّ) يتعلّقُ بـ(ظلوم). واحتجّ بأنّـه لا يعملُ بعد وصفِه؛ ولذلك قالَ أبو عليٍّ في قولـه سبحانَـه: ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ ﴾[٢١]: «أنّ الظّرفَ وهـو (يوم الحجّ) لا يتعلّقُ بـ(أذان)؛ لأنّـه قـد وُصِفَ بقوله: (إلى النّاس)»[٢٢]، وهـذا هو القـويّ. وكأنّ أبا الفتحِ استجادَ ذلك؛ لقوّةِ الاتّسـاعِ في الظّرفِ والجارّ والمجـرور، وأنّهمـا يعملُ فيهمـا روائحُ الأفعـال. هـذه عبارتُـه، والرَّبَعـيّ[٢٣] لم

يستجدها. ولو قيلَ: إنّ قولَه: (كمتنَيها) وصفٌ لمصدرٍ محذوفٍ، أي: هي ظلومٌ ظلماً كظلم متنَيها، لكانَ يزولُ معه هذا الإشكالُ».

تعليقُ شبه جملة (وراء الرّمل) في بيتٍ للكَرَوّس:

ويتابعُ ابنُ إياز في: (قواعد المطارحة) عرضَه لتلك الأبيات، فيقول[٢٤]: «ومنها: [الطّويل]

ألا ليتَ حَظّي من عطائِكَ أنّني علمْتُ وراءَ الرّملِ ما أنتَ صانعُ[٢٥]

أنشدَه الزّعفرانيُّ... وأمّا (وراء الرّمل) فالمعنى يقتضي أن يتعلّقَ بـ(صانع)، أي: مـا أنتَ صانعٌ وراءَ الرّملِ، والصّنعةُ الإعرابيّـةُ تمنعُ منه؛ إذ يمتنعُ تقدُّمُ ما في الصّلة على الموصول، أو عملُ ما بعد الموصول فيما قبلَه؛ فيُقدَّرُ له ما يعملُ فيه، ودلّ على ذلك ما بعدَه[٢٦].

فـإن قلـتَ: أيتعلّـقُ بقولـه: (علمـتُ)؟ أجبـتُ: استضعفَـه: أبـو الفتح[٢٧]، والزّعفـرانيُّ؛ لأنّ المعنى: تمنّى علمَ ما هو صانـعٌ في هذا الموضع؛ لا أنّـه علمَ في هذا الموضع ما هو صانعٌ».

ثانيًا: نقولُ الزّعفرانيّ عن النّحويّين:

(أ) **عن سيبويه(١٨٠هـ)**: قالَ ابنُ إياز في (شرح التّعريف بضروريّ التّصريف)[٢٨] في معرضِ حديثه عن عدم إبدالِ الـواوِ المتحرّكة، المفتوحِ ما قبلها ألفًا في نحـو: (الجَوَلان، والصَّـوَرى)[٢٩]؛ وذلك لوجود زيـادة تخصُّ الأسماءَ في آخرهمـا: «اعلم أنّ في (الجَوَلان)، وشبهِه خلافًا[٣٠]: فنقلَ الزّعفرانيُّ في (تعليقِـه)[٣١] أنّ سيبويـه ذهبَ إلى أنّ التّصحيحَ إنّمـا كانَ فيه؛ لإلحاقِ الألـفِ والنّـون، واختصاصِ ذلك بالاسم دونَ الفعـل، و(ماهان، وداران) عندهم[٣٢] شاذٌّ، والقياس: (مَوَهان، ودَوَران)[٣٣]. قالَ أبو عليّ: «ويقوّيـه

تكسيرَهـم الكلمـةَ عليها، نحـو: (سِرْحـان، وسَراحـين)، و(وَرَشَان[٣٤]، ووَرَاشين)[٣٥]، فهذا كـ(سِرداحٍ[٣٦]، وسراديحٍ)».

والمبرّدُ يقـولُ[٣٧]: «إنّ الألـفَ والنّـونَ لا تخرجانـه عن شبهِ الفعـل؛ لأنّهما غـيرُ معتدٍّ بهما، ويُـنوى بهمـا الانفصالُ، ولهذا يُصغّـرُ الاسـمُ، ثمّ يُـؤتى بهما، كمـا يُصغّـر ما فيه التّـاء، ثـمّ يُؤتى بها». قـالَ أبو علـيّ الفارسـيُّ[٣٨] –مقوّيًا لـه–: «تصغيرُهـم (زَعفران) على (زُعَيفـران) يدلُّ على أنّــه لا اعتدادَ بهما؛ إذ قـد جـاوزَ بحصولِهما بنـاءَ المصغّر، فبقاؤهما في التّصغـير دليلٌ على ذلك، فـ(ماهان، وداران) عنده[٣٩] قياسٌ، و(الجَوَلان) شاذٌّ».

وقيـل[٤٠]: لـمّـا صحّ (النَّـزَوَان)[٤١]، و(الغَلَيان)، وحـرفُ العلّة فيه لامٌ، والـلامُ محلُّ التّغيـير، صُحِّحَ في بعضِ المواضع العـينُ كـ(الجَـوَلان)؛ إذِ العينُ أولـى بالتّصحيـحِ من الـلّام؛ لتوسّطِهـا، والتّغيـيرُ إنّما يتسلّطُ علـى الأطراف. و(الصَّوَرى) صحّ؛ لاتّصالِ الألفِ التي للتّأنيث به، ولا شكّ في أنّها لازمةٌ مخرجةٌ للبناءِ عن أبنيةِ الأفعال».

(ب) عن الأخفش(٢١٥هـ) [نقلٌ ورأيٌ]:

(١) الإضمار في (سَقيًا لكَ)، والعامل في: (لكَ):

قالَ ابنُ إياز في: (المحصول في شرحِ الفصول)[٤٢] عند حديثِـه عن المصادرِ المنصوبةِ بفعلٍ مضمَرٍ، نحـو: (سقيًا لكَ، ورعيًا) في الدّعاء: «هذا أيضًا مصدرٌ منصـوبٌ بفعلٍ مقدّرٍ، تقديـرُه: سقاه[٤٣] اللّه سقيًا، ورعـاه اللّه رعيًا، وهو دعاءٌ له؛ ليُصيبَ السّقـيَ والرّعيَ، ولا يُستعمَلُ (رعيًا) إلّا تابعًا[٤٤]، وأمّا (سقياً) فقد يُستعمَـلُ وحـدَه، وقد يُستعمَلُ معطوفًـا عليه (رعيًا)[٤٥]... ومنـعَ سيبويه إدخالَ الألـفِ واللّام عليهما، وإخراجَهما عن المصدريّـــة، وحجّـتُـه على ذلك استعمالُ العربِ[٤٦]، وخالفَـه في ذلك أبو العبّاسِ المبرّدُ؛ فأجازَ: (السّقيَ، والرّعيَ لكَ)[٤٧].

وهنا تنبيهٌ: وهو أنَّ أبا الحسن الزّعفرانيَّ -وكان من أكابرِ أصحابِ الشّيخ أبي عليٍّ الفارسيّ- نقلَ أنّ أبا الحسنِ الأخفشَ يُضمِرُ في هذا المصدرِ مرفوعًا؛ وذلك لقيامه مقامَ الفعل في اللّفظ، وإيضاحه عن معناه؛ ولهذا لم يجز إظهارُ الفعلِ معه؛ فلزمَ من ذلك أن يكونَ في حكمه، ويُضمَرَ فيه الفاعلُ، كإضمارِه في الفعلِ إذا ظهر. قالَ أبو عليٍّ: «تصفّحْتُ (الكتابَ) فلم أجد فيه نصًّا على ذلك، بل رأيتُ قياسَ ما فيه[٤٨] يوجبُ ذلك، وذلك أنّه قد أُضمرَ في الظّرفِ في قولك: (زيدٌ عندَك)؛ لقيامه مقامَ الفعلِ، فجازَ على هذا أن يُضمَرَ في المصدرِ كإضمارِه في ذلك؛ لسدّه مسدَّ الفعلِ، بل كانَ ذلك بالمصدرِ أولى؛ لأنّه من لفظِ الفعل»، ثمّ قالَ: «قد مرّ بي في (الكتاب) نصٌّ على جوازِ ذلك، وهو قولُه[٤٩]: (مررتُ برجلٍ سواءٍ هو والعدمُ)، فـ(سواء) مصدرٌ، وفيه ضميرٌ مرفوعٌ؛ لجوازِ[٥٠] تأكيدِه بقولِه: (هو)، وعطف (العدم)[٥١]»، ثمّ رجعَ عن هذا؛ فقالَ: «لا دليلَ في ذلك؛ إذا[٥٢] كانَ الإضمارُ إنّما ساغَ؛ لمجيئه صفةً»[٥٣].

فإن قيلَ: أيجوزُ أن يكونَ (لكَ) صفةً لـ(سقيًا) متعلّقًا بمحذوفٍ[٥٤]؟ قيلَ: لا يجوزُ ذلك؛ لأنّ (سقيًا) قد قامَ مقامَ الفعل[٥٥]، وكما لا يجوزُ وصفُ الفعل، فكذلك لا يجوزُ وصفُه.

فإن قيلَ: فما العاملُ فيه؟ قيلَ: نصَّ الزّعفرانيُّ على أنّه يتعلّقُ بـ(سقيًا)؛ لأنّه قد قامَ مقامَ الفعلِ، ونابَ عنه، لا بالفعل. ونقلَ الأندلسيُّ عن[٥٦] أبي عليٍّ أنّ بعضَ النّحويّين يعلّقُه بمحذوفٍ، تقديرُه: (أعني لكَ[٥٧])، وفيه ضعفٌ؛ إذ لا حاجةَ إلى ذلك، مع تناولِ المصدرِ له، وصحّةِ عملِه[٥٨] فيه».

(٢) ترخيمُ نحو: (مُختار، ومُنقاد): وقالَ ابنُ إياز في: (المحصول في شرح الفصول)[٥٩] في معرضِ حديثِه عمّا يُحذف في (التّرخيم): «إمّا أن يُحذف في التّرخيم حرفٌ أو حرفان، ولا يُحذَفُ أكثرُ من ذلك؛ إذ لو حُذف منه أكثرُ[٦٠] لكانَ إجحافًا وتوهينًا. فالأوّل كقولك في: (حارثٍ):

(يـا حـارِ)، وفي (مالكٍ): (يا مـالِ)... وكذا ما فيه تاءُ التّأنيـث أو ألفُـه المقصورة، كقولك: (يا فاطمَ، ويا[٦١] سَلْمَ).

والثّـاني علـى ضربـين: أحدهمـا: أن يكـونَ في آخـرِ المنادى زائـدان، زيدا معًـا[٦٢]... والثّـاني: أن يكونَ آخـرُ الاسم حرفًـا أصليًّا، وقبلَـه حـرفُ لينٍ زائدٌ ساكـنٌ، وهو على خمسةِ أحرفٍ فصاعدًا، كـ(عَمَّارٍ، ومِسكينٍ، ومنصُورٍ) تقولُ: (يـا عَمَّ، ويا مِسْكِ، ويـا مَنْصُ[٦٣]) فاشتراطُ الزّيادة؛ احـترازًا من (مُخْتارٍ)؛ فإنّـك تقـولُ في ترخيمـه: (يـا مُخْتـا)؛ إذِ الألفُ منقلبـةٌ عن اليـاء، وأصلُـه: (مُخْتَيَـرٌ) فقُلِبَتِ الياءُ ألفًا؛ لتحرّكِها، وانفتاحِ ما قبلها.

ونقلَ الزّعفرانيُّ أنَّ الأخفشَ أجازَ حذفَ هذه الألفِ[٦٤]؛ فقالَ: (يا مُخْتَ)؛ تشبيهًا لها بالألفِ الزائدة، كما شبّهُوا (مُرامَى) بـ(حُبارَى)؛ فقالوا في النّسبِ إليـه[٦٥]: (مُرامِـيٌّ)[٦٦] كـ(حُبـارِيٍّ)[٦٧]. وعندي أنّـه لا بأس بـه؛ لأنّ التّرخيمَ يَحذفُ ما لا يحذفُ النّسبُ؛ ألا تراك تقولُ في النّسبِ إلى مروانَ[٦٨]: (مروانيٌّ)؛ فلا تحذفُ شيئًا، وتقولُ في التّرخيم: (يا مَرْوَ)».

(ت) **عن المازنيّ (٢٤٧هـ)**: قالَ ابنُ إيازٍ في: (قواعد المطارحة)[٦٩] في معرض حديثِـه عـن وزنِ (أمّـا) التّفصيليّـة: «وهنـا تنبيـهٌ: وهـو أنّالزّعفرانيَّ نقـلَ في (تعليقـه) عن المازنيّ أنّ وزنَهـا: (فَعْلَى)، كـ(سَلْمَى)، ولم يجعلِ الهمـزةَ زائدةً، ووزنَهـا (أَفْعَل)؛ فرارًا من جعلِ فائهـا وعينِها من حرفٍ واحـدٍ، وهو الميم، وذلـك لا يُصار إليه مع إمكانِ غيره. وأرى أنّـه يجوزُ أن تكـونَ الهمزةُ زائدةً؛ لأنّـه موضعُ زيادتها، وكونُ الفـاء والعين من حرفٍ واحـدٍ هنا سهلٌ؛ لوجـودِ الإدغام، وإنّما يُكرَه ذلك عنـد تعذّره، واستثقالِ اجتماعِهمـا؛ ألا ترى أنّ الفارسـيَّ جعلَ (أوّلَ): (أَفْعَـلَ)[٧٠]، واعتذرَ عن كونِ فائها وعينها واوَين بذلك».

(ث) **عن الفارسيّ (٣٧٧هـ)**: قالَ ابنُ إيازٍ في: (المحصول في شرحِ الفصول)[٧١] في

معرض حديثِه عن (التّعريف مع العُجمة) من موانع الصّرف: «العُجمةُ إنّما تمنعُ الصّرفَ إذا كانَ الاسمُ الأعجميُّ عَلَمًا، ثمّ نُقل، وبقيَ على تعريفِه[٧٢]. واحتُرز بذلك عن الأسماءِ الأعجميّةِ التي هي نكراتٌ، لكن نقلَتْها العربُ، وغيّرتها بوجه من الوجوه، فمن ذلك (دِيْباج)[٧٣]؛ عرّبُوه، وصيّرُوه[٧٤] على مثال: (دِيماس) وهو السَّرَبُ[٧٥]، و(الدِّيباج): الإبْرَيْسَمُ اللّين[٧٦]... ومن ذلك (فِرند) بكسرِ الرّاء، وفتحِها، و(بِرِند)[٧٧] بكسرِ الرّاء لا غير، و(الفرنْدُ): ماءُ السّيف[٧٨]... ومن ذلك: (نيروز) وهو يومٌ معروفٌ، عرّبُوه[٧٩]؛ فصارَ على وزنِ (قَيصُوم)، وهو نَبْتٌ[٨٠]، ولا يعتدُّ بعجمتِها؛ إذ قد اعتورَت عليها أحكامُ كلام العرب، من إدخالِ الألفِ واللّام، والإضافة، كقولك: (الفِرنْدُ)[٨١]، و(فِرندُ السّيف)؛ فضعُفَت العُجمةُ فيها لذلك، بخلاف ما إذا كانَت أعلامًا منقولةً، وأيضًا فإنّهم تلعّبُوا بها، وغيّرُوها[٨٢]، وأخرجُوها في أكثرِ الأمرِ إلى أوزانِ كلامِهم، ألا ترى إلى ما حكاه أبو الحسن الزّعفرانيُّ عن أبي عليٍّ الفارسيِّ من أنّ الأصلَ في: (جَوْرَب): (كَوْرَباي)[٨٣]، ومعناه: قَبْرُ الرَّجُلِ، فغُيّر، وصُيّر بوزنِ (كَوثر)، و(جَوهر)، فأيُّ تأثيرٍ للعُجمةِ هنا بعد هذا التّغيير؟ فإن سمّيتَ[٨٤] بها مذكّراً انصرفَ، وإن سمّيتَ بها مؤنّثًا لم ينصرفْ؛ للتّعريفِ والتّأنيث[٨٥]».

ثالثًا: آراءُ الزّعفرانيّ الصّرفيّة:

(أ) خلافهم في (فُعْلَلٍ) من أوزانِ الاسمِ الرّباعيّ:

قالَ ابنُ إياز في: (شرح التّعريف بضروريّ التّصريف)[٨٦] لدن شرحِه الوزنَ السّادس من أوزانِ الاسم الرّباعيّ: «والسّادسُ هو المختلَفُ فيه، وهو (فُعْلَلٌ) بضمِّ الفاء، وسكونِ العين، وفتحِ اللّامِ الأولى. ذهبَ هذا المصنِّفُ[٨٧] إلى إثباتِه، وقد تبعَ في ذلك شيخَه أبا البقاء، ابنَ يعيشَ الحلبيّ؛ فإنّه عنه

أخذَ علمَ العربيّـة[٨٨]، أخبرني بذلك جماعةٌ، وهو مذهبُ الأخفش[٨٩].

ونقـلَ الميدانيُّ[٩٠] أنّــه رأيُ الكوفيّين، وحجّتُهم مـا رواهُ الفرّاءُ، وغيرُه من قولهـم: (بُرْقـع، وطُحْلَب، وجُؤْذَر، وجُخْدَب)[٩١]. وهنا تنبيـــهٌ: وهو أنَّ الألفَ في (بُهْمَاة)[٩٢] على هذا تكونُ للإلحاق؛ إذ قد امتنعَ أن تكونَ للتّأنيث؛ لدخولِ تائـه عليـه... وسيبويـه وأصحابُـه لم يُثبتوا ذلـك[٩٣]، وتمسّكُوا بعـدمِ النّقل، وألفُ (بُهْمَاة) على هذا للتّكثيرِ كـ(قَبَعْثَرَى)[٩٤].

قالَ الزّعفرانيُّ في (الأسماء الأعجميّـة): «والصّحيحُ رأيُ سيبويه، ولا حجّةَ فيمـا تعلّقَ به الكوفيّـون: أمّا (جُؤْذُر) فإنّــه أعجمـيٌّ[٩٥]، وأمّا (بُرقُع، وطُحلُب) فالأجودُ فيهما ضمُّ القاف والـلّام، فيكونان كـ(بُـرْثُن)، وكذلك الرّوايةُ الجيّدةُ في: (جُخْـدُب) بضـمِّ الـدّالِ، وعلى أنّـه لو ثبـتَ فتحُها أمكـنَ أن يكونَ محذوفًا مـن (جُخَادِب)». انتهـى كلامُـه. وأقولُ كانَ شيخي، سعدُ بـنُ أحمدَ المغربيُّ[٩٦] يصـوّبُ قولَ الأخفش، ويقـولُ: «إنَّ الفرّاءَ روى ذلك، وهو ثقـةٌ، ولا سبيلَ إلى ردّ روايتِـــه»[٩٧]... وقولُ الزّعفرانيِّ: «إنَّ الأجودَ في: (بُرقُـع، وطُحلُب) ضمُّ القافِ واللّام» يدلّ على أنّــه رُويَ فيهما الفتحُ، ولكن زَعَمَ أنّ الضمَّ أجودُ.

(ب) إبدالُ الهمزةِ من العين في نحو: (عِنْزَهْـوٍ):

قــالَ ابــنُ إيــاز في: (شـرح التّعريـف بضـروريّ التّصريـف)[٩٨]: «وذهبَ الزّعفرانيُّ إلى جوازِ كونِ الهمزةِ بدلاً من العين في: (عِنْزَهْـوٍ)[٩٩]، فهي إذن أصلٌ، والنّونُ والواوُ زائدتـان؛ لأنّهما بإزاءِ: (قِنْدَأْوٍ)، و(سِنْـدَأْوٍ)[١٠٠]، و(حِنْطَأْوٍ)[١٠١]، والوزنُ: (فِـنْعَلْـوٌ)، وإنّما زيدتِ الواوُ ههنا؛ لخفاءِ الهمزةِ والهاءِ في الوقف[١٠٢]. وعكسُـه ما حـكاه البُسْتـيُّ[١٠٣] في: (التّعليق) أنّـه جرى عند أبـي عليٍّ[١٠٤] ذكرُ مـا فاتَ سيبويه مـن الأبنيةِ[١٠٥]، وقيـل: إنَّ منها (عُيَاهِـم)[١٠٦]، والظاهرُ أنّها (فُـيَاعِل)، فقالَ أبو الفتح[١٠٧]: «يجوزُ أن تكونَ العينُ مبدلةً من الهمزةِ، والأصلُ: (أُيَاهِم) كـ(أُجَارِد[١٠٨])، وسيبويه قد ذكرَ ذلك[١٠٩]؛ فارتضاه أبو عليٍّ». وأقولُ:

هــذا وجهٌ جيّــدٌ، ذهبَ إلى مثلِه المتقدّمون في قولِ خِطــامٍ[١١٠]، أنشدَه أبو بكرِ بنُ الأنباريّ[١١١]، والزّعفرانيُّ: [من الرّجز]

عن كيفَ بالوصلِ لكُم أمْ كيفَ لي[١١٢]

قيل: أصلُــه: (أن كيف)، فأُبدلتِ الهمزةُ عينًا، و(أن) على أحدِ وجهين: إمّا أن تكــونَ مخفّفةً من الثّقيلة، وإمّا أن تكــونَ بمعنى (أي)[١١٣]، كقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ﴾[١١٤] والتّقديرُ: (أي[١١٥] لا تشركوا). وقيل: إنَّ (عليكم) إغراءٌ، و(ألّا تشركوا) نصبٌ به[١١٦]، ويقوّي هذا أنَّالزّعفرانيّ نقلَ أنَّ قلبَ الهمزةِ عينًا لغةٌ لبني تميم[١١٧]».

(ج) حكمُ النّون في كلمة: (نرجس):

وعنــد شرحــه قولَ ابنِ مالــك في باب: (حــروف الزّيــادة، ومواقعها)[١١٨]، ذاكرًا بعضَ مواقعِ زيادةِ اللّام: «ولامُ (فَحْجَلٍ،وهِدَملٍ[١١٩]) في: (فَحَج، وهَدَم). وكلزوم عــدم النّظير بتقديرِ أصالةِ نونِ (نَرْجس)...». قالَ ابنُ إياز: «اللّامُ في: (فَحْجَلٍ،وهِدَملٍ) زائدةٌ؛ للاشتقاقِ، وهو واضحٌ، ومثلُهما: (عَنْسَلٌ)[١٢٠] إن أُخذَ من (العَنَس) فالنّونُ عينٌ، واللّامُ زائدةٌ، وإن أُخذَ من (العَسَلان) فالنّونُ زائدةٌ، واللّامُ أصلٌ، وهو رأيُ سيبيويه[١٢١].

وقولُــه: «وكلزوم عدم النّظــيرِ بتقديرِ أصالةِ نونِ (نَــرْجِــس)» يريدُ: أنَّ نونَ (نرجــس) –بفتحِ النّونِ– زائــدةٌ؛ إذ لو كانَتْ أصلاً لكانَ الــوزنُ: (فَعْلَلاً)، وهو بناءٌ معدومٌ في الرّباعيّ، وكذلك حالُها مع الكسرة؛ لثبوتِ زيادتها مع الفتح. فإن قيــل: فهلّا عكسْتَ، وحكمْتَ بأصالتِها؛ لهــذه العلّة؟ فالجواب: أنَّ ذلك يلزمُ منه مخالفةُ الأصولِ، ولا كذلك ما ذكرناه.

فــإن قيل[١٢٢]: فكيف حكمتُم بزيادةِ النّونِ في (نرجس)، وهو أعجميٌّ مجراه مجرى الحــروف؟ فالجوابُ: أنّــه لمّا تكلّمَتِ العــربُ بذلك، وصرفَتْه في الجمعِ

والتّصغيرِ وغيرهما، أجرَوه مجرى العربيّ؛ ولذلك حُكِمَ على ألف (لِجام)، وواوِ (نَـــوْرُوز)، ويــاءِ (إبراهيم) بالزّيادة؛ لقولهــم: (لَجَمَ،ونَوَارِيْـــزُ، وأَبَارِهُ). قالَ الزّعفــرانيُّ: «وقد تشتقُّ العربُ من الأسماءِ الأعجميّـــة كاشتقاقِها من الأسماءِ العربيّــة، وذلك نحو قولِ رؤبة[١٢٣]، وأنشدَه أبو عليّ[١٢٤]: [من الرّجز]

هــل يُـــنْـجِـيَـنِّـي حَــــلِـفٌ سِـخْـتِـيتُ

أو فِـــضَّــــةٌ، أو ذهــــبٌ كِــبريـــتُ؟

فـ(سِخْتِيتُ) مشتقٌّ من (السَّخْتِ) وهو الشّديدُ[١٢٥]». ومع ذلك قلنا: الحكمُ على الأعجميّ بالزّيادة؛ قياسًا على العربيّ، وبتقديرِ أنّــه لو كان عربيًّا لكان كذا. فــإن قيل: فهــلّا جعلتُم النّونَ أصــلًا، وإن خالَفَتِ الكلمةُ الأصــولَ؛ حملاً على ما ذهــبَ إليه أبو الحسن الأخفشُ في (جالَـيْـنُـوس) من كونها أصلاً[١٢٦]، وإن خرجَ الــوزنُ عن الأصول؟ فالجواب: أنَّ الفرقَ بينهما كــونُ (جالَـيْـنُوس) عَلَمًا في لغةِ أهلِــه كـ(زيدٍ، وعمــرٍو) في لغةِ العرب، وقد تقرّرَ أنّ الأعــلام يُستجازُ فيها ما لا يُستجازُ في غيرها، وليس كذلك (نرجس)؛ لأنّــه اسمُ جنسٍ».

(ذ) بناءُ (فَعِلان) من: (حَيِيتُ):

وكذلــك عند شرحــه قولَ ابنِ مالــكِ لدن حديثـــه عن إبدالِ الألــف والياءِ واوًا[١٢٧]: «وتُـبْـدَلُ واوًا –لانضمــام ما قبلها- الألفُ والياءُ السّاكنةُ المفردةُ[١٢٨]، أوِ الواقعــةُ آخــرَ (فَعُلَ)، أو قبل زيادَتــي (فَعُلان)». قالَ ابــنُ إياز: «يعني نحو: (لَقَضُــوَ الرّجلُ) إذا جادَ قضاؤُه»[١٢٩]، والأصلُ: (قَضُـيَ)؛ لأنّــه من (قَضَيْتُ)، فقُلِبــتِ الياءُ واوًا؛ لوقوعها طرفًــا، وانضمامِ ما قبلها، وكذلك (رَمُوَ الرّجلُ) إذا بلغَ مبلغًا في الرّمي، يُتعجّبُ منه.

وقوله: «أو قبل زيادتَي (فَعُلان)» يريدُ أنّك تقولُ في: (فَعُلان) من (حَيِيتُ): (حَيُــوَانٌ)، فتقلبُ اليــاءَ التي هــي لامٌ واوًا؛ لانضمامِ ما قبلهــا، ووقوعِها طرفًا

تقديـرًا. فإن أسكنْتَ الياءَ قلـتَ: (حَيْوَانٌ)، ولم تعدِ الواوُ إلـى الياءِ -وإن زالتِ الضّمّـةُ التي كانـت سببًا إلى الواو-؛ لأنّ السكونَ عارضٌ[١٣٠]. وقالوا: (لَقَضْوَ) بإسـكانِ الضّادِ والواو[١٣١]. قالَ أبو الفتح[١٣٢]: «ولو كانتِ الياءُ عينًا لم تُقلبْ واوًا بعد الضّمّة؛ وذلك لقوّةِ العين، وضعفِ اللّام».

وهنا تنبيـــهٌ: قالَ الزّعفـرانيُّ في: (التّعليق)[١٣٣]: «لو بنيـتَ (فَعِلان)[١٣٤] مـن (حَيِيتُ) لجـازَ فيه الإدغامُ، والإظهارُ[١٣٥]. والإدغـامُ الوجهُ؛ من حيث كانَ في الكلمـةِ حرفان من جنسٍ واحـدٍ، واجتمعا فيها[١٣٦]، وهما متحـرّكان، والأوّلُ مكسورٌ، فجـرى مجرى (فَعِلان) مـن (رَدَدْتُ)، في قولـك: (رَدّان)[١٣٧]. ووجهُ الإظهـارِ: أنّـه بزيادةِ الألف والنّـون قد خرجَ من شَبَهِ الفعلِ؛ لخروجِ ذلك[١٣٨] لو بُنـي على (فُعَلٍ) أو (فعِلٍ)، وأيضًا فإنَّ هــذه الياءَ قد ظهرت في: (حَيِيَ يَحْيَا)، ولـو كانَ مكانها حرفٌ صحيحٌ[١٣٩] لأُدغم كـ(ضَنّ يَضَنّ)، وإذا كان بهذه المنزلةِ اتّضحَ أنّ للحرفِ المعتلّ في الإظهارِ قاعدةً ليسَت للصّحيح».

(هـ) وزن (أَبَـنْبَم):

قـالَ ابنُ إيـاز في: (المحصـول في شرح الفصـول)[١٤٠] مفصّـلًا في أسماءِ الأفعـال، متحدّثًا عن أوزانِ بعضها: «المرادُ بأسمـاءِ الأفعالِ ما وُضِعَ دالًّا عليها، كدلالـةِ الأسماءِ علـى مسمّياتها، فـ(صَـه) دالٌّ على (اسكُـت) معيَّـنًا، كدلالةِ (زيدٍ) على شخصٍ معيَّنٍ.

وفيهـا مسائلُ: الأولى: هي أسماءٌ؛ لأنَّ الفعليّـــةَ والحرفيّـةَ متعذّرتان فيها، أمّـا الحرفيّـةُ؛ فلأنّ معناهـا في نفسها، ولإفادتها[١٤١] مع اسـم آخرَ، والحرفُ لا يفيـدُ مـع الاسم إلاّ في النّـداء، ولأنّهـا يُضمَرُ[١٤٢] فيها، وذلـك غير جائز في الحرف. وأمّا الفعليّـةُ؛ فلأنّها ليست على صيغ الأفعال، كـ(رُوَيْـدَ)؛ فإنّـه (فُعَيْلٌ)، و(هيهاتَ)؛ فإنّـه (فَـيْعالٌ)[١٤٣]، كـ(غَيْداق،وخَـيْتام)[١٤٤]، وعلى هذا فاؤه وعينُـه من موضعٍ واحدٍ، فهو كـ(دَدَىً)[١٤٥]، ومسوّغُـه الفصـلُ كـ(دَيْدَبُـون)[١٤٦]، وعلى

هـذا قالَ الزّعفرانيُّ: «(أبَـنْـبَمٌ): (أَفَـنْـعَـلٌ)[١٤٧]»، فالفاءُ والعينُ باءان، وهذا مبيّنٌ في: (شرح تصريفِ ابن مالك)[١٤٨]، ولا يكون (فَعلالاً)[١٤٩]؛ لاختصاصِه بالمضاعفِ نحو: (زَلزالٍ). و(ناقةٌ خَزعالٌ[١٥٠]) نادرٌ».

رابعًا: آراءُ الزّعفرانيّ النّحويّة:

(أ) منع نحو: (سراويل، وحَضاجِر، وطَفانِن) من الصّرف:

قالَ ابنُ إيازٍ في: (قواعد المطارحة)[١٥١] لدن حديثه عن (الجمع) من الوجوهِ المانعةِ الصّرف: «وأمّا الجمعُ فالمرادُ به أن يكونَ ثالثُ حروفِه ألفًا، وبعدها حرفان متحرّكان، نحو: (مساجدَ)... أمّا إذا كانَ نكرةً فهو جمعٌ في غايةِ الثّقل؛ لعدم نظيرٍ له في الإفراد، فلم يكن له في الخفّةِ مدخلٌ أصلاً، فقامَ ذلك مقامَ سببٍ آخر. فإن قيل: فـ(سراويلُ) مفردٌ، وكذلك: (حَضاجِرُ) للضَّبُعِ[١٥٢]، و(طَفانِن)، وأنشدَ ابنُ الأعرابيّ[١٥٣]: [جزء من الكامل]

.... **بسَيرٍ ليسَ فيه طَفانِنُ**[١٥٤]

أي: فتورٌ، فلهذين[١٥٥] إذن نظيرٌ في الإفراد. أجبتُ: بأنّ (سراويل) أعجميٌّ[١٥٦]، وأصلُه: (شراويلُ) بالشّين المعجمة. وقيل: إنّه جمع (سِروالةٍ)[١٥٧]... وبأنّ (حَضاجِرَ) جمعٌ سُمّي به الضَّبُع، كما يُسمّى بـ(فضائلَ، ومكارمَ)، وبأنّ (طَفانِنَ) جمعٌ وقعَ موقعَ المفردِ، كقولهم: (بعيرٌ ذو عَثانِينَ)[١٥٨]، و(شابَت مفارقُه). قالَه الزّعفرانيُّ».

(ب) جواز نصب (زيد) في قولهم: (خرجتُ فإذا زيدٌ يضربُه عمرٌو):

قالَ ابنُ إيازٍ في (قواعد المطارحة)[١٥٩] في معرضِ حديثه عن خبرِ المبتدأ: «إذا أُخبر عن المبتدأ بالظّرف أو المجرور، كقولك: (زيدٌ عندكَ)، و(زيدٌ من الكرام) فالأكثرون ذهبُوا إلى أنّه في تقديرِ الجملة؛ نظرًا إلى أنّه معمولٌ،

والعامـلُ الأصلـيُّ: الفعلُ. وقيل: إنّــه في تقديرِ المفرد؛ نظرًا إلـى أصالةِ الخبر. والحـقّ الأوّل[١٦٠]... وقدِ انتصرَ لهذا الرأي[١٦١] بعضُ المتأخّرين بقولهم: (أمّا خلفَـكَ فزيـدٌ)، ومعلـومٌ أنّــه لا يُـفصَلُ بـين (أمّا) والفـاء بجملـة؛ ولهذا قالَ الصَّيْمَـريُّ في: (التّبصرة)[١٦٢]: «من قـرأ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾[١٦٣] بالنّصبِ، فتقديرُه: وأمّا ثمودَ فهدينا هديناهم، ولا يجوزُ: وأمّا هدينا ثمودَ فهديناهم[١٦٤]»؛ فدلّ ذلك على أنَّ (خلفَكَ) مقدّرٌ بالمفردِ لا بالجملة. وعندي أنّ ذلك لا يَلزَمُ؛ لأنّ هـذا المقدّرَ وإن كانَ فعلاً، لكن لـمّـا لم يظهر إلى اللّفظ لم يُعتدّ به اعتدادَ ما هو فيه؛ فساغ أن يقعَ بعد[١٦٥] (أمّا)، والفاء.

ونظـيرُ هذا الذي ذكرتُــه ما حكاه الزّعفـرانيُّ في (تعليقـه)، وهـو أنّ أبا الفتـح سألَـه عن قولهم: (خرجـتُ فإذا زيدٌ يضربُه عمرٌو)، فقال: أتجيزُ نصبَ (زيد)؟ فقالَ له: نعم، وهو أيضًا مذهبُ أبي عليٍّ؛ لأنّـه سُئِلَ عنه؛ فأجازَه. فقالَ أبـو الفتـح: القياسُ عندي أنّـه لا يجـوزُ[١٦٦]؛ لأنّ (إذا) كالفـاء، والفاءُ لا يجوزُ ذلـك بعدهـا؛ لئلّا ينتقضَ الغرض في مجيئهـا؛ إذا[١٦٧] كان إنّما جيء بها؛ ليقعَ بعدها المبتدأ أوِ الخبرُ، فيُجازى بها كما يُجازى بالفعلِ وفاعله، فلمّا لم يجز ذلك في الفـاءِ لم يجز ذلك أيضًا في (إذا)؛ لأنّها في موضعِها. فقالَ الزّعفرانيّ: ذلك الفعـلُ لـمّـا لم يظهر لم يُعتدّ بـه[١٦٨]؛ ولذلك أجازَ أبو الحسـنِ الأخفشُ: (لَزيدًا ضربتُــه)[١٦٩]، فأدخلَ لامَ الابتـداءِ على المفعولِ به، والنّاصـبُ له مع ذلك فعلٌ ماضٍ، يفسِّرُه الظّاهرُ».

(ج) ناصبُ الحال في قولهم: (سقيًا لكَ محسِنًا إلى زيدٍ)[١٧٠]:

قـالَ ابنُ إياز في: (المحصول في شرحِ الفصول)[١٧١] في معرض حديثـه عن نوعَي المصدر غير العاملَين عملَ الفعل، وعن المصدرِ العامل، وهو المقدّرُ بـ(أنْ) والفعـل: «المصدرُ علـى ضربين: أحدهمـا: المنصـوبُ بفعلـه، وهـو قسمان: ما فعلُـه ظاهرٌ، كقولك: (ضربتُ ضربًـا)، وما فعلُـه محذوفٌ، لا يجوزُ استعمالُـه،

كقولـك: (سقيًا، ورعيًا)، وهذان لا يعملان حتّـى في حرفِ الجرّ، والظّرف[١٧٢]. فـإذا قلتَ: (ضربـتُ ضربًـا لـه[١٧٣])، و(قمتُ قيامًـا عندك) كانـا منصوبَين بالفعلِ، دون المصدر؛ لأصالةِ عملِ الفعل، وفرعيّـةِ عملِ المصدر، كذا ذكرَ بعضُ المتأخّرين[١٧٤]. وفيه نظرٌ؛ لأنّك إذا قلتَ: (سقيًا لك، ورعيًا له) فالنّاصبُ للجارّ والمجـرور هذا المصدرُ، وكذلـك إذا قلتَ: (سقيًا لكَ محسنًـا إلى زيدٍ) فناصبُ الحـالِ هو أيضًا، نصَّ عليه الزّعفرانيُّ، ومنعَ من كونه وصفًـا له؛ لقيامِـه مقامَ الفعـلِ، والفعـلُ لا يُوصف.والآخـرُ: ما قُدّرَ بـــ(أنْ) والفعل، كقولـك: (أعجبَني ضربُ زيدٌ عمرًا) أي: من أنْ ضربَ زيدٌ عمرًا، وهذا هو العاملُ».

خاتمة:

بعـد الاستعراضِ المقتضَبِ لمـا استطاعَ الباحثُ الوقوفَ عليه من سيرةِ أبي الحسنِ الزَّعفَرانيِّ، وآرائِه بانتِ النتائجُ الآتية:

- إنَّ أبـا الحسـنِ الزّعفرانيَّ –على خمـولِ ذِكْـره عندالخالفين- نحويٌّ متمرّسٌ، له منزلتُـه في عصرِه، صرّحَ بهذا: الفارسيُّ والرّبَعيّ شيخاه، والأنبـاريُّ، وياقوتٌ، والقِفطيُّ مترجموه، وابنُ إيـاز النّاقلُ الأبرزُ عنه، وكفـى بأولئـك شهـودًا. ولعلّ ضيـاعَ ما صَنَّـفَ، وعدمَ شهـرةِ أحدٍ من تلاميذِه ساهما في خبوّ ذِكْرِه.
- لابـنِ إيـاز النّحويِّ البغـداديِّ الفضـلُ الأكـبرُ في تعريفِنـا بمصنَّـفَي الزّعفرانيِّ: (الأسمـاءِ الأعجميّـة،والتّعليق)، وفي حفظِ شيءٍ من آرائه في مستويـاتِ النّحووالصّـرف واللّغة، وذلك في كتبِـــه: (المحصولِ في شرحِ الفصول)، و(شرحِ تصريفِ ابنِ مالك)، و(قواعدِ المطارحة).
- توزّعَت تلك الآراءُ وفق الآتي:

(أ) إنشـاداتٌ شعريّـةٌ غايتُها: الاستشهادُ على كلمةٍ مـا (بَـرْبَـرِيس)، وإعرابُ

كلمـةٍ مـا (في بيتٍ للمتنبّـي)، وتعليـقُ شبهِ جملـةٍ (في بيـتٍ للكروَّس بن زيد).

(ب) نُقولٌ عن أئمّةِ الصّنعةِ، كسيبويه، والأخفش، والمازنيّ، والفارسيّ.

(ج) آراءٌ صرفيّــةٌ في مسائـلَ هــي: الخــلافُ في: (فُعْلَـلٍ) مــن أوزانِ الاســم الرّباعيّ، وإبدالُ الهمزةِ عينًا في: (عِنْـزَهْو)، وحكمُ النّون في: (نَرْجِس)، وبناءُ (فَعِلان) من: (حَيِـيتُ)، ووزنُ: (أَبَـنْـبَم).

(د) آراءٌ نحويّــةٌ هي: تعليقُ (لكَ) في قولهم: (سَقيًا لكَ)، ومنعُ نحو: (سراويل، وحَضاجِـر، وطَفانِـن) مـن الصّرف، وجـوازُ نصـبِ (زيـدٍ) في قولهم: (خرجتُ فإذا زيـدٌ يضربُـه عمرٌو)، وناصبُ الحال في قولهم: (سَقيًا لكَ مُحسِنًا إلى زيدٍ).

الهوامش

(١) مدرّسُ النّحو والصّرف في المعهدِ العالي للّغات، جامعة حماة، سورية.

(٢) قلّـة هـي المصادر التّي عرضت للرّجل، ووقفتُ على ما انتخبـتُ من ترجمته في: نزهة الألبّاء ٢٧٤، ومعجم الأدباء ١٩٤٦، وإنباه الرّواة ١١٥/٤، ١١٦، وملء العيبة ٢٣٤/٢، وبرنامج ابن جابر الوادي آشي ٢٨٦، والوافي بالوفيات ١٢٢/٥، ١٢٣، وبغية الوعاة ١١٩/١، ٢٣١.

(٣) في: كتابه (المفاوضة). وستأتي ترجمة تلميذِ الزّعفرانيّ هذا قريبًا.

(٤) المحصول في شرح الفصول (رسالة دكتوراه) ٤٢٩.

(٥) لم أقـف لـه على تاريخ وفاة. وفي: بغية الوعاة ١٢٩/١ أنّ اسمَ أبيه (عبدُ الله). قالَ ابنُ خَلّكان بعد أن قيّدَ لفظةَ (شاهويه): «هو اسمٌ عجميٌّ مركّبٌ: فالشاه: الملك». وفيات الأعيان ٢١١/٤.

(٦) ترجمتـه في: معجـم الأدبـاء ١٩٤٦. وكان ابن نصرٍ هذا نقـل في كتابِه (المفاوضـة) قصّةً حصلَت لشيخِه الزّعفرانيّ مع عاملِ البصرة. انظر: إنباه الرّواة ١١٥/٤، والوافي بالوفيات ١٢٣/٥، وبغية الوعاة ٢٣١/١.

(٧) لم أقف له على ترجمة، أو تاريخ وفاة.

(٨) ص٣٤٧- ٣٤٩.

(٩) قواعد المطارحة ٢٥٨.

(١٠) ليس في ديوان لبيد بن ربيعة، بشرح الطّوسيّ، طبعة دار الكتاب العربيّ، بيروت.

(١١) البيـت بـلا نسبةٍ في: العين ٣٢٦/٧، والمعـاني الكبير ١٢٥٣، وعيون الأخبـار ٢/٢، وجمهرة اللّغة ٦١٨. فالنّاسُ سواءٌ في أنّهم بشرٌ، ومنهم الجيّد والرّديء، وأديمُ الأرض يجمعُهم كلّهم.

(١١) انظرها في: التكملة ٤٥٩.

(١٢) انظـر في (سواسيـة): واحدِها، وأصلِها، ووزنِها: المنصـف ١٤٥/٢، وحواشي ابن برّي وابن ظَفر على درّة الغوّاص ١٠٦، واللسان (سوا) إذ نقلَ عن الأئمّة بما لا مزيد عليه.

(١٤) فصّلَ الأزهريّ في شذوذ جمع (سواسية) على (فعافلة) في: شرح التصريح ٧١٠/٢.

(١٥) انظـر في (مرمريـس) فحسـب: الكتـاب ٤٣٢/٣، ٢٦٩/٤، ٣٢٧، والصحـاح ٩٧٨ (مسـس)، والبصريّـات ٦٦٧، والخصائـص ٣٤٠/٣، وسـرّ صناعة الإعراب ٥٦٩، والمنصـف ٤٨/١. وفيها وفي: (مرمريـت): الخصائـص ٥٣/٢، ٦١، وسر الصّناعـة ٢٤٧، ٢٤٨. وقالَ الثمانينيّ في: شرح التّصريـف ٢٢٢ عنـد حديثِـه عن القسم الرّابـع من أقسـام الزّيادة التي تكـون بتكريرِ حروفِ الأصـل: «القسـمُ الرّابـعُ: أن تتكرّر فيه الفَاءُ والعـينُ، وهذا أَقلُّ الأقسام، لم يجـئ إلّا في حرفَين؛ قالوا: (مرمريسٌ،ومرمريتٌ)، وزنهما: (فَعْفَعِيلٌ)». وانظر: شرح التّصريح ٦٧٠/٢.

(١٦) انظـر: معجم ما استعجم ٢٣٩، ١٠٧٥، ومعجم البلـدان ١/ ٣٧٠ حيث قالَ ياقوت: «(بَرْبَرُوْس): وبعضهم يقول: (بَرْبَرِيسُ): موضعٌ في شعر جرير».

(١٧) البيـت لجريـر في: ديوانه ٥١٦. وروايتـه: (ببَـرْيَـرُوسَ)، وهــو له بهذه الرّوايـة في: تاج العروس ١٥/٤٤٣. و(قُشَاوَةُ): موضعٌ كانت بـه وقعةٌ بين العرب. انظر: معجم ما استعجم ١٠٧٥، ومعجم البلدان ٤/٣٥١.

(١٨) ديوانـه، بشرح العكبريّ ٤/٨٢. «المتنان: لحمتنان في الصُّلب، يكتنفان القفا... فهي تَظْلِمُ العشّاقَ كمـا يظلمُ متناهـا خَصرها». معجز أحمد ٢/٤١. وانظر: الفَسـر ٣/٥١٥، والفتح على أبي الفتح ٣١١؛ إذ جعلَ ابنُ فُوْرَّجة هذا البيت من ضعيف شعرِ المتنبّي، والمآخذ على شرّاح المتنبّي ٥/٩١.

(١٩) في: قواعد المطارحة ٣٨٢، ٣٨٣.

(٢٠) لم أقف على رأي ابن جنّي فيما بين يديّ من مصنّفاتـِه.

(٢١) سورةُ التّوبة، الآية الثالثة.

(٢٢) لم أقف على قولِ الفارسيّ فيما بن يديّ ممّا طُبع له. وانظر: الدرّ المصون ٦/٧.

(٢٣) عليّ بن عيسى، أخذ عن السّيرافيّ، وفي شيراز عن الفارسيّ مدّة نحواً من عشرين سنة. مات سنة (٤٢٠هـ). ترجمته في: نزهة الألبّاء ٢٩٥، ومعجم الأدباء ١٨٢٨.

(٢٤) ص٣٨٥، ٣٨٦.

(٢٥) البيـت للكَرَوّس بن زيـد في: التنبيه على شرح مشـكلات الحماسة ٤٨٣، وشـرح ديوان الحماسة للمرزوقـيّ ١٤٨٨، وشرح كتـاب الحماسة للفارسـيّ (٤٦٧هـ) ٢/٢٠١، وشرح حماسـة أبي تمّام للأعلم ١٠٩٠وروايته فيـه: (علِمْتُ بظهرِ الغيب). والكروَّس: العظيم الرأس. وهو شاعرٌ إسلاميٌّ طائيٌّ. انظر ترجمتــه، ومصادرها في شرح المرزوقيّ: ج١، ص٦٣٩.

(٢٦) كلامُ ابـن إيـاز هذا ملخّصٌ من: تنبيه ابن جنّي على شرح مشـكلات الحماسة ٤٨٣، الذي فصّلَ لـدن شرحه البيت في أوجه منع تعلّق (وراء الرّمل) بـ(صانـع)، سواءٌ أجُعلت (ما): موصولاً، أم موصوفًا، أم استفهامًا. وعنه نقلَ المرزوقيّ من دون نسبة في: شرح ديوان الحماسة ١٤٨٨، ١٤٨٩.

(٢٧) في: التنبيه على شرح مشكلات الحماسة ٤٨٤. وصحّحَه المرزوقيّ ١٤٨٩.

(٢٨) ١٧٢- ١٧٤ (رسالة ماجستير) وهي ما اعتمدتُ في نقولي، ٢٠٥- ٢٠٧ (المطبوع).

(٢٩) الجَوَلان: مصدر (جال يجول). والصَّوَرَى: اسم ماء. المنصف ٣/٥٩.

(٣٠) بـين سيبويه، والمـبرّد. انظره في: شرح كتاب سيبويه للسـيرافيّ ٥/٢٧٠، والتكملة ٦٠٧، والتعليقة على كتاب سيبويه ٥/٥١، ٥٢، ١٥٣.

(٣١) في: المطبـوع مـن (شرح التّعريف): «تصحيحه». وهو تحريفٌ؛ إذ لم تشر مصادر ترجمة صاحبنا الزّعفرانيّ إلى كتاب له هذا اسمه.

(٣٢) في المطبوع من (شرح التّعريف)، ونسخة (ب) من (رسالة الماجستير): (عنده)، وهي الصّواب. وماهان اسم رجل، وكذلك داران. المنصف ٣/٦١.

(٣٣) انظر معنى كلام سيبويه في: الكتاب ٤/٣٦٣.

(٣٤) ضُبطت في: شرح التّعريف (رسالة الماجستير) بكسر، فسكون. وهو خطأٌ. «و(الوَرَشَان): طائرٌ، وجمعه: (وِرْشان)، والأنثى وَرَشانة». تهذيب اللّغة ١١/٤٠٨.

(٣٥) ويُجمع (سِرْحان) أيضًا على: (سِراح). انظر: التكملة ٤٩٤. وعرض أبو عليّ الفارسيّ لجمع (سِرحان، ووَرَشان) في معرض حديثه عن تحقير (ما كان آخره ألفًا ونونًا زائدتين) في: التكملة ٥٠٥. وانظر: الكتاب ٣/٤٢١، ٤٢٢، والمقتضب ٢/٢٦٤.

(٣٦) السِّرداحُ: النّاقةُ الكثيرةُ اللّحم، أو جماعةُ الطَّلْح. واحدها: (سِرْداحة). وتُجمع على: (السّرادح). تهذيب اللّغة ٥/٣٢٢.

(٣٧) في: المقتضب ٢/٢٦١، ٢٦٤، ٤/١٩ والنقل عنه بالمعنى.

(٣٨) في: التعليقة على كتاب سيبويه ٥/٥٢، ١٥٣ والنقل عنه بالمعنى أيضًا.

(٣٩) يعني: المبرّد.

(٤٠) القائل سيبويه. انظر: الكتاب ٤/٣٦٣، وشرحه للسيرافيّ ٥/٢٧٠، والتعليقة للفارسيّ ٥/١٥٣ حيث نسبه إلى نفسه.

(٤١) «هو الارتفاع. يقال: نزا، ينزو... إذا علا، وارتفع». المنصف ٣/٦٠.

(٤٢) مخطوطة كوبريلي ١٣٧أ، ١٣٧ب، ورسالة الدكتوراه ٤٢٨- ٤٣٠. وقد اعتمدتُ المخطوطةَ المذكورةَ أصلًا في توثيق نقولي من (المحصول)؛ لدوافعَ تظهر بجلاء لمن يُقارنها مع الرسالةِ المحقّقة. وعرضَ ابنُ إياز المسألةَ ملخّصةً في: قواعد المطارحة ١٢٧، ١٢٨ ما عدا حديثه في آخرها عن العامل في: (لكَ) من قولهم: (سقيًا لك)؛ إذ فصّلَ فيه.

(٤٣) المحصول (رسالة): «سقا».

(٤٤) المحصول (رسالة): «إلّا تابعًا لـ(سقيًا)».

(٤٥) ليست في: المحصول (رسالة).

(٤٦) منعُ سيبويه في: الكتاب ١/٣٢٩. وحجّتُه في: شرحه للسيرافيّ ٢/٢١٩.

(٤٧) إجازةُ المبرّد في كتابه المفقود (الردّ على سيبويه). وممّن أجاز رفعَهما أيضًا: الفرّاء، والجرميّ. انظر: المقتضب ٣/٢٢١، والانتصار لسيبويه ١٠١، وشرح الكتاب للسيرافيّ ٢/٢١٩، والتذييل والتكميل ٧/١٦٩، وارتشاف الضرب ١٣٦٣، وهمع الهوامع ٣/١٠٩، والبحث اللّغويّ عند العرب ١٢٤، ١٢٥.

(٤٨) المحصول (رسالة): «بل رأيتُ بيان صاحبــه». تحريف.

(٤٩) يعني سيبويه في: الكتاب ٢/٣١. وانظر: شرحه للسيرافي ٢/٣٦٠.

(٥٠) المحصول (رسالة): «بجواز»، تصحيف.

(٥١) المحصول (رسالة): «وعطف (العدم) عليه».

(٥٢) كذا في: المخطوطة، ورسالة الدّكتوراة. ولعلّ الصّواب: «إذ» التّعليليّــة.

(٥٣) مـا وقفــتُ على أقوالِ الفارسيّ الثلاثـة السالفة. وقد تعرّض في: الإيضاح ٨٩، ٩٠ إلى المثالِ الذي ذكره سيبويه.

(٥٤) المحصول (رسالة): «أيجوزُ أن يكونَ (لكَ) متعلّقاً بمحذوفِ صفة لــ(سقيًا)».

(٥٥) نصّ ابــن إياز في: (قواعد المطارحــة) ١٢٨ على أنّ هذا القول لأبي علــيّ بقولِـه: «قالَ أبو عليٍّ: لا يكــونُ صفــةً لــ(سقيًا)، وإن كانَ نكرةً مثلَه؛ لقيامه مقــامَ الفعلِ، فهو تبيينٌ له، ومتعلِّــقٌ به»، ثمّ علّق بقولِــه: «ولو قيل: إنّــه صفةٌ للمصدر لم يكن بعيدًا. واللّه أعلم». وانظر: التعليقة على الكتاب ٢/٣٣.

(٥٦) بدلاً منها في: المحصول (رسالة): «غلام». وأشار المحقّقُ في حاشيته إلى صوابِ عبارةِ مخطوطة كوبريلي هذه. وفي: (قواعد المطارحة): «وذكرَ الأندلسيُّ –صاحبُ أبي عليّ– أنّ بعضَهم...». ولم أقف على تلميذ لأبي عليّ هذه نسبته.

(٥٧) المحصول (رسالة): «ذلك».

(٥٨) المحصــول (رسالــة): «علمــه»، تحريف. وأضافَ ابــنُ إياز قولاً ثالثًــا للعامل في (لــكَ) بقولِــه: «واختــارَ بعضُهم أن يكونَ (لكَ) متعلِّقًا بالفعلِ النّاصبِ لقولِه: (سقيًا)، ولا ضميرَ فيه على هذا». قواعد المطارحة ١٢٨.

(٥٩) مخطوطــة كوبريلــي ١٧٢ب، ١٧٣أ، ورسالة الدكتوراه ٥٢٣، ٥٢٤. وعرضَ ابنُ إياز لهذه المسألة، ولنقلِ الزّعفرانيّ عن الأخفش في: قواعد المطارحة ١٣٦– ١٣٨ وأحال على (المحصول) ثمّة.

(٦٠) ليست في: المحصول (رسالة).

(٦١) ليست في مخطوطة كوبريلي.

(٦٢) وذلك في مواضعَ سبعة، فصّلها ابنُ إياز، ممّثلاً.

(٦٣) في: المخطوطة: «يا منصُو» بإضافة الواو. وهو خطأ.

(٦٤) وممّــن نَقَلَ نَقْلَ الزّعفرانيّ عــن الأخفش ههنا تصريحًا: أبو حّيان في: التذييل والتكميل ١٤/٢٧، وارتشاف الضّرب ٢٢٣٣، ٢٢٣٤. وممّن نقلَ رأيَ الأخفش فحسب: الفارسيّ في: البصريّات ٣٣٩، والأزهريّ في: شرح التصريح ٢/٢٥٩، والسيوطيّ في: همع الهوامع ٣/٨٥.

(٦٥) قولـه: «في النّسـب إليه» ليست في: المحصول (رسالة)، وأشـارَ محقّقُه إلى وجودها في مخطوطة كوبرلي.

(٦٦) فُتح الميم في: مخطوطة كوبريليّ، وهو خطأ.

(٦٧) والشبـه بينهمـا أنّ الزّيـادةَ التي للتّأنيث كمـا في: (حُبارى) إذا كانت خامسـةً تستوي مع الأصلِ إذا كانَ خامسًـا كمـا في: (مُرامَى). انظـر: الكتاب ٣/٣٥٥، والأصـول في النّحو ١/٣٧٧، ٣/٧٥، والبصريّات ٢٩٥، والتّعليقة للفارسيّ ٣/١٧٨، ١٧٩، ١٨١.

(٦٨) قوله: «إلى مروان» ليس في: المحصول (رسالة).

(٦٩) ص٢٥٥.

(٧٠) في: مسائلِـه البغداديّـات ٨٧. وانظـر: المسائل الحلبيّـات ٩، ١٣٦، والشيرازيّـات ٣، والمنصف ٢/٢٠١.

(٧١) مخطوطة كوبريلي ٢٨ب، ٢٩أ، ورسالة الدكتوراه ٨٢- ٨٤.

(٧٢) نحو: (إبراهيم).

(٧٣) في: المحصول (رسالة): «دباج»، خطأ طباعيّ. وأصلُ (الدِّيباج): (الدِّبّاج)؛ فقُلبت إحدى الباءَين ياءً. تهذيب اللّغة ١٠/٦٧٥.

(٧٤) في: المحصول (رسالة): «وصيّدوه»، تحريف.

(٧٥) كـذا قـالَ ابنُ الأعرابيّ (٢٣١هـ)، نقلَـه عنه الأزهريّ في: تهذيبـه ١٢/٣٨٠. و(السَّـرَبُ): الماءُ السائل. تهذيب اللّغة ١٢/٤١٥. «وقال بعضُهم: (الدِّيماس): الحمّام». تهذيب اللّغة ١٢/٣٧٩.

(٧٦) في: المحصول: (رسالة): «النّاعم الليّن»، وذكر المحقّق أنّ كلمة (النّاعم) من مخطوطة كوبريلي، وليسـت فيها كما ترى. قالَ ابن سيـده: «الإبْـرَيْسَمُ: الحرير. وقالَ ابنُ الأعرابيّ: هو (الإبريسَم) بكسرِ الرّاء». المحكم ٨/٦٥٦ (ط. العلميّة)؛ إذ لم أقف على الكلمة فيما بين يديّ من المطبوع من (ط. فرّاج).

(٧٧) في: المحصول (رسالة): «جرند»، تحريف.

(٧٨) تهذيب اللّغة ١٤/٢٤٥.

(٧٩) أصل (نيروز): (نَوْرُوز). انظر: قواعد المطارحة ٢٤، ٢٥.

(٨٠) عبارة: «وهو نبت» لم ترد في مخطوطة كوبريلي، وهي في رسالة الدكتوراه: «بنت»، تصحيف.

(٨١) كُرّرت عبارة: «الإضافة كقولك» في مخطوطة كوبريلي.

(٨٢) في: المحصول (رسالة): «غيرها»، خطأ طباعيّ.

(٨٣) في: المحصول (رسالة): «كَوْرَب». ولم أقف على حكايةِ الزّعفرانيّ هذه عن أبي عليٍّ فيما بين يديّ

مـن كتبِـه؛ وقد كرّرَ ابنُ إياز كلامَـه عن أصل (جورب)، ومعناها في: قواعد المطارحة ٢٥، ولكن مـن دون إشارةٍ إلى العَلَمين المذكورَين. قالَ ابنُ دريد: «جَوْرَبٌ: فارسيٌّ معرّبٌ، وقد كثُر حتّى صارَ كالعربـيّ». جمهرة اللّغة ١١٧٥. وانظر: المحكم ٧/٢٨٢، وحاشية ابن برّي على المعرّب ٢٤، وشفاء الغليل فيما في كلامِ العرب من الدّخيل ٩٢ والنقلُ فيه عن ابن إياز في: قواعد المطارحة تصريحًا، وتاج العروس ٢/١٥٥.

(٨٤) في: المحصول (رسالة): «سمّت»، خطأ طباعيّ.

(٨٥) «لا للعجمة. وإن سمّيتَ به مذكّراً نظرتَ، فإن كان على وزنٍ يُمنع عليه نظيرُه العربيّ من الصّرف لم ينصـرف، وإلّا انصـرف. فالأوّل كـ(نرجسَ)؛ لأنّ نظيرَه: (يَضـرب)، والثاني: (لجام)؛ لأنّ نظيرَه: (كتاب)». قواعد المطارحة ٢٥.

(٨٦) ص١٠- ١٥ (رسالة ماجستير).

(٨٧) يعني ابن مالك.

(٨٨) نقل بعضُ المترجمين هذه الفائدة عن ابن إيازتصريحًا، ومنهم: السّيوطيّ في: بغيته ١/١٢٠.

(٨٩) انظـره، وموافقـةَ ابن يعيش له في: شرح المفصّل لابن يعيش ٦/١٣٦. قـالَ ابنُ جنّي: «(فُعْلَلٌ) – بفتـحِ اللام- حكاه أبو الحسن وحدَه بالفتح، وخالفَـه فيه جميـعُ البصريّين، إلّا من قالَ بقولِـه». المنصف ١/٢٧. وانظر رأيَ الأخفش في: المنصف ١/١٣٨، وشرح التّصريف للثمانينيّ ٢٠٦، ٢٣٠.

(٩٠) مصنّـفُ (مجمـع الأمثال). وهو أحمد بـن محمّد بن أحمد، النَّيسابـوريّ، أبو الفضل. مات سنة (٥١٨هـ). ترجمته في: نزهة الألبّـاء ٣٣٧، ومعجم الأدباء ٥١١. قالَ الميـدانيّ في: نزهة الطّرف في علـم الصّرف ٧: «زادَ الأخفشُ بناءً سادسًا، وهو (فُعْلَل)، نحو: (جُنْدَبٍ، وبُرْقَعٍ)،ووافقه عليه الكوفيّون. وأمّا البصريّون فلا يقبلون هذا البناء، ويروونهما بالضّمّ».

(٩١) انظـر روايةَ الفـرّاء في: إصلاح المنطـق ١٠٢. الجُـؤْذُرُ: ولـدُ البقرة. المحكـم ٧/٢٥١. والبُرْقُعُ: تَلبَسُـه نساءُ الأعراب، وفيه خَرقان للعينين. تهذيب اللّغة ٣/٢٩٤. و"جملَّجَخْدَبٌ: عظيمُ الجسم، عريضُ الصّدر". تهذيب اللّغة ٧/٦٣٥.

(٩٢) واحدة (البُهْمَى): نبتٌ تَجِد به الغنمُ وجدًا شديدًا مادام أخضر. تهذيب اللّغة ٦/٣٣٩.

(٩٣) فليـس عند سيبويـه والبصريّين إلّا (فُعْلُل)، نحـو: (التُّرْتُم، والبُرْثُن) في الأسمـاء، و(الجُرْشُع، والكُنْـدُر) في الصّفات. انظر: الكتاب ٤/٢٨٨، وتهذيب اللّغـة ٣/٢٩٤، والمنصف ١/١٣٨، وشرح التّصريـف للثّمانينـيّ ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٢٩، ٢٨٩. وألـف (بهمـاة) عندهـم للتّأنيث. انظـر: الكتاب ٣/٢١١، ٤/٢٥٥، والمقتضب ٣/٣٨٥، ٤/٥، والمنصف ١/٣٦.

(٩٤) قـالَ ابنُ جنّي: «ألف (بُهمى) للتأنيث، وألف (بُهمـاة) زيادةٌ؛ لغيرِ الإلحاق، كألف (قَبَعثرى)...

ويجوزُ أن تكون للإلحاق بـ(جُخْدَب) على قياس قولِ أبي الحسن الأخفش، إلّا أنّــه إلحاقٌ اختصّ مــع التّأنيث». الخصائص ٢٧٤/١. وفصّل في: منصفــه ٣٧/١ أكثر بقولــه: «الذي أدخلَ الهاءَ في (بُهمــاةٍ) اعتقد في الألف أنّها ليســت للتّأنيث، فإمّا أن يكونَ جعلها بمنزلةِ ألف (قَبعثرى) زائدةً؛ لغــير إلحاق ولا تأنيث، وإمّا أن يكونَ جعلها مُلْحِقةً للكلمةِ ببناء (جُخْدَب) على مذهبِ الأخفش». وانظــر: شرح التّصريــف للثّمانينيّ ٢٨٩، وشرح المفصّل لابن يعيشــ ١٠٧/٥. والقبعثرى: الجملُ الضّخمُ الشّديد، أو الفصيلُ المهزول. تهذيب اللّغة ٣٦٨/٣.

(٩٥)وعلى هذا فلا حجّةَ فيه. انظر: المنصف ٢٧/١، ١٣٨، والمحكم ٢٥١/٧.

(٩٦) كان حيًّا سنة (٦٥٠هـ). ترجمته في: بغية الوعاة ٤٨٦/١.

(٩٧)وبهذا أيضاً علّلَ ابن يعيش موافقتَه الأخفش في إثبات وزن (فُعْلَل).

(٩٨)ص٤٥- ٤٧ (رسالة ماجستير).

(٩٩) قــالَ ابــنُ جنّي:«ومثله ما رويناه عنهم من قولهم: (رجــلٌ إِنْــزَهْــوٌ)... إذا كان ذا زَهْو، فهذا إذن: (إنفعــلٌ)، ولم يحكِ سيبويه من هذا الــوزن إلّا (إنقحلاً) وحده... ويجوز عندي في (إنزهو) غير هــذا، وهو أن تكونَ همزتُــه بدلاً من عينٍ؛ فيكونَ أصلُـــه: (عِنزهو): (فِنعلو)، من العِزْهاة، وهو الــذي لا يقربُ النّساء». الخصائــص ٢٢٩/١. وقالَ في: سرّ صناعة الإعراب ٢٣٦: «... فجائزٌ أن تكونَ العينُ بدلاً من الهمزة، وجائزٌ أن تكونا أصلَين».

(١٠٠)جَمَــلٌ قِنْدأوٌ،وسِنْــدأوٌ: صلــبٌ شديــد. تهذيب اللّغــة ٢٤٦/٩. ولهما معانٍ أخــر. انظر: ٤١٣/٩، ٣٦٥/١٢.

(١٠١)الحِنْطــأو: القصير من الرّجال. تهذيب اللّغــة ٣٢٨/٥. وانظر وزنَ الكلمات الثلاث، وعلّةَ زيادة النّون والواو فيها في: المنصف ١٦٤/١، ١٦٥.

(١٠٢)انظر: الكتاب ٢٦٩/٤، ٣٢٢، وشرحه للسيرافيّ ٢١٢/٥.

(١٠٣)لم أقــف لــه على ترجمــة. وفي: شرح التّعريــف (رسالة ماجستير) ٤٦ تُرجــم للخطّابيّ مصنّف (غريــب الحديــث) المتوفّى ســنــة (٣٨٨هـــ)، ولم أقف له على تلمــذة على الفارســيّ. وفي: شرح التّعريف (المطبوع) ٧٠: «البشتيّ» بالشين. وتُرجم ثمّة لأديبٍ مات سنة (٣٤٨هـ)، ولا يصحّ أخذه عن الفارسيّ أيضاً. واللّه أعلم.

(١٠٤) يعني الفارسيَّ.

(١٠٥)انظــرِ الأبنيــةَ الفائتةَ للكتاب، ومنها (عُياهم) الآتي ذكرها في: الأصول في النّحو ٢٢٤/٣، ٢٢٥، وشــرح الكتاب للســيرافيّ ٣٨٠/٥- ٣٨٦، وفوائت كتاب سيبويــه ٦٩- ٧٦، والخصائص ١٨٧/٣- ٢١٨.

(١٠٦) جملٌ عُياهِم: ماضٍ، سريع. المحكم ١/٦٨.

(١٠٧) في: الخصائص ٣/١٩٧.

(١٠٨) اسمُ موضع. تهذيب اللّغة ١٠/٦٤٠.

(١٠٩) في: الكتاب ٤/٢٤٦.

(١١٠) ومعناه: الزّمام. وهو خِطام بن نصر بن عياض. انظر ترجمته في: الخزانة ٢/٣٢٨.

(١١١) لم أقف على إنشاد أبي بكر هذا فيما بين يديّ من كتبه.

(١١٢) الرّجز لخِطام الرّيح المجاشعيّ في: فرحة الأديب ١٥٩، والخزانة ٧/٤٠٣.

(١١٣) وإلى هذا ذهبَ البغداديّ؛ إذ قال: "قوله: (عن كيف) إلخ، (عن) لغةٌ في: (أنْ)، وهي تفسيريّة". الخزانة ٧/٤٠٥.

(١١٤) سورة الأنعام، الآية ١٥١.

(١١٥) زيادةٌ؛ يقتضيها السّياق، وهي من: شرح التّعريف (المطبوع) ٧١.

(١١٦) ضعّف السّمين الحلبيّ النّصب على الإغراء ههنا، وذلك ضمن عرضِه الأوجهَ الإعرابيّة لقوله تعالى: (ألّا تشركوا) التي بلّغها تسعة أوجه. انظر: الدّرّ المصون ٥/٢١٣- ٢١٨.

(١١٧) وهي العنعنة. وتُنسب إلى تميم، وغيرها. انظر: البصريّات ٣٦١، والخصائص ٢/١١، وسرّ الصناعة ٢٢٩، ولغة تميم ٨٦.

(١١٨) في: شرح التّعريف بضروريّ التّصريف (رسالة ماجستير) ٦٩- ٧١.

(١١٩) الفَحْجَلُ: الأفْحَجُ، وهو مَن تباعد ما بين رجليه. المحكم ٣/٦٥. والهِدْمِلُ: ثوبٌ خَلَقٌ. تهذيب اللّغة ٦/٥٢٨.

(١٢٠) «(العَنْسَلُ): النّاقةُ القويّة السّريعة». تهذيب اللّغة ٣/٣٣٩. وانظر: ٢/١٠٢.

(١٢١) فوزن (عَنْسَل) عنده: (فَنْعَل). انظر: الكتاب ٤/٢٣٦، ٢٦٩، ٢٨٨، ٣٢٠.

(١٢٢) انظرِ السؤالَ المفترض هذا، وجوابَه في: شرح ألفيّةِ ابن معطٍ لابنِ القوّاس، تلميذِ ابن إياز ٢/١٣٢٤، من دون نسبةٍ إلى شيخِه.

(١٢٣) في ديوانه ٢٦.

(١٢٤) يعني الفارسيّ، وإنشاده في: الحلبيات ٣٥١. وعنه تصريحًا في: المنصف ١/١٣٢، ١٣٣،والخصائص ١/٣٥٨.

(١٢٥) ذكر هذا الأصلَ ابنُ الأعرابيّ (٢٣١هـ)، نقلَه عنه الأزهريّ في: تهذيبه ٧/١٦٢.

(١٢٦) لم أقف على مذهبِ الأخفش هذا.

(١٢٧) شرح التّعريف بضروريّ التّصريف (رسالة ماجستير) ١١٦- ١١٩.

(١٢٨) أمثلة هاتين الحالتين في: شرح التّعريف.

(١٢٩) المنصف ١/٣١٧.

(١٣٠) ما سبق من كلامِ ابن إياز هو للمازنيّ بتصرّفٍ. انظر: الأصول في النّحو ٣/٣٦٠، والمنصف ٢/٢٨٣.

(١٣١) انظر فيها بضمّ الضاد، وسكونها: الكتاب ٣/٣٨٧، ٤/٣٨٦، والأصول ٢/٩٣، ٣/٢٥٧، ٣٦٠، والتّعليقة ٣/٥١، ٥/٥٩، والمنصف ١/٢١.

(١٣٢) في: المنصف ٢/٢٨٣. في معرض حديثه عن أصل (حيُوان). ونقل ابن إياز بتصرّفٍ.

(١٣٣) قول الزّعفرانيّ الآتي باختلافٍ يسيرٍ في: المنصف ٢/٢٨٧. ولا أدري من نقل عمّن، أو أنّهما نقلا من مصدرٍ واحدٍ.

(١٣٤) ضُمّتِ العين في: شرح التّعريف (رسالة ماجستير). وهو خطأ.

(١٣٥) فيُقال: (حَيّان)، و(حَيِيَان). انظر: الكتاب ٤/٤٠٩، ٤١٠.

(١٣٦) في: شرح التّعريف (المطبوع): «واجتماعهما».

(١٣٧) ردّ ابن عصفور في: الممتع ٤٧٩ قياس ابن جنّي (فَعِلان) من (حييتُ) على (فَعِلان) من (رددتُ)؛ لإثبات قوّةِ وجه الإدغام ههنا.

(١٣٨) في: شرح التّعريف (المطبوع): «كخروج (ولل)». تحربف.

(١٣٩) في: شرح التّعريف (المطبوع): «صحيحٌ لازمٌ».

(١٤٠) مخطوطة كوبريلي ١٩٢أ، ورسالة دكتوراه ٥٨١، ٥٨٢.

(١٤١) في: المحصول (رسالة): «وفائدتها».

(١٤٢) في: المحصول (رسالة): «تضمر»، تصحيف.

(١٤٣) في: المحصول (رسالة)، وقبل ذكره هذا الوزنَ تحدّثَ ابنُ إياز عن وزنٍ آخرَ لـ(هيهات)، وعن أصلها...

(١٤٤) الغَيداقُ: فرخُ الضّبِّ إذا كَبِر. تهذيب اللّغة ٤/٣٠٣. والخَيتام: «واحدُ الخواتيم. يقال: خاتَم، وخاتِم بالفتح والكسر، وخاتام،وخَيتام كلّه بمعنى واحد». شرح المفصّل لابن يعيش ٦/١٢١.

(١٤٥) في: مخطوطة كوبريلي: «دديً» بكسرِ الدّال، وياء منوّنة آخرها، وفي: المحصول (رسالة): «ددن». والدَّدُ: اللّهو واللّعب. وفيه ثلاث لغات: (دَدٌ،وددَىً، وددَنٌ). انظر: تهذيب اللّغة ١٤/٢٢٢، ٢٢٣. وانظر: الحلبيّات ١٣٦، والبغداديّات ٨٧.

(١٤٦) في: مخطوطة كوبريلي: «ديديون»، تصحيف. والدَّيْدَبون: اللّهو أيضًا. انظر: تهذيب اللّغة ١٤/٧٥، ٢٢٣.

(١٤٧) في: مخطوطة كوبريلي: «افتعل»، وفي: المحصول (رسالة): «أفيعل»، وكلاهما تصحيف. وأبنبم: اسمُ موضع. انظر: الكتاب ٤/٢٤٧،والحلبيّات ١٣٦، ٣٧٧، ٣٧٨.

(١٤٨)رسالة ماجستير ٧٨، والمطبوع ١٠٧.

(١٤٩)في: المحصول (رسالة). «فعالالا»، خطأٌ طباعيٌّ.

(١٥٠) في: مخطوطة كوبريلي: «جزعال»، تصحيف. «قالَ الفرّاء: وليس في الكلام (فَعْلال) مفتوح الفاء إذا لم يكن من ذواتِ التّضعيف إلّا حرفٌ واحدٌ، يقال: (ناقةٌ بها خَزْعال) أي: ظَلْعٌ. فأمّا ذواتُ التّضعيف فـ(فَعلال) فيها كثير، نحو: (الزَلزالِ،والقَلقالِ، وأشباهه)». إصلاح المنطق ٢٢١. وانظر: الكتاب ٤/٢٩٤، وفوائت كتاب سيبويه ٩٨، وتهذيب اللّغة ٣/٢٧٥، ١٠/٤٢٦، والخصائص ٣/٢١٣. والظَّلْعُ: ضعفٌ في القوائم. تهذيب اللّغة ٢/٢٩٩. قالَ ابنُ فُوَرَّجة: «(ناقةٌ خزعال): إذا كانت تثيرُ التراب إذا سارت. وليس في كلام العرب (فَعْلال) عينه غير لامه غير هذه الكلمة». الفتح على أبي الفتح ٣٦. وقالَ العكبريّ: «(خَزعال) لا يُثبته البصريّون. وإذا ثبتَ كانَ شاذًّا». اللباب ٢/٢٤٤.

(١٥١)ص ٢٢، ٢٣.

(١٥٢) قالَ سيبويه: «إنّما جُعِل هذا اسماً للضَّبُع؛ لسَعَةِ بطنها». الكتاب ٣/٢٢٩. وهو اسمُ واحدٍ على لفظِ الجمع. وواحدته: (حِضَجْرٌ). انظر: تهذيب اللّغة ٥/٣١٣، واللباب ١/٥٠٤.

(١٥٣) محمّد بن زياد، أبو عبدِ الله. توفّي سنة (٢٣١هـ). ترجمته في: نزهة الألبّاء ١٣٤.

(١٥٤) لم أقف على إنشادِ ابنِ الأعرابيّ هذا إلّا في: شرح ألفيّةِ ابن معطٍ لابنِ القوّاس، تلميذ ابن إياز ١/٤٥٥ وفيه: (يسيرٌ) بالياء. وفي: جمهرة اللّغة ٩٢١: «يقالُ: (سَيّرٌ ما فيه طَفَأنَنٌ) [بالهمز، وفتح النّون] أي: ما فيه تُؤَدة».

(١٥٥) كذا في: قواعد المطارحة، ولعلّ الأصوب: فلهذه.

(١٥٦) قالَ سيبويه: «وأمّا (سراويلُ) فشيءٌ واحدٌ، وهو أعجميٌّ أُعرب كما أُعرب (الآجرُّ)». الكتاب ٣/٢٢٩.

(١٥٧) فمنهم من يجعل (سراويل) جمعاً، هذا مفرده. انظر: المقتضب ٣/٣٤٥، واللباب ١/٥٠٤.

(١٥٨) «عُثْنُونُ البعير: شُعيراتٌ عند مذبحه». تهذيب اللّغة ٢/٣٣٠. وانظر: تهذيب اللّغة ٥/٣١٣. وانظر: شرح ألفيّةِ ابن معطٍ لابنِ القوّاس، تلميذِ ابن إياز ١/٤٥٥؛ إذ تجد كلامًا قريبًا من كلامِ شيخِه في تعليله لـ:(سراويل،وحضاجر،وطفانن).

(١٥٩) ص ١١٣، ١١٤.

(١٦٠) وذلك لوجوهٍ أربعة، ذكرها ابنُ إياز. وفصّلَ محقّقو (قواعد المطارحة) في أصحابِ كلا الرأيين.

(١٦١) يعني الثّاني.

(١٦٢) التّبصـرة والتّذكـرة ٣٢٦. والنّقل بالمعنى. والصَّيمريّ: عبد الله بن عليّ بن إسحاق، أبو محمّد، من نحويّي القرن الرّابع الهجريّ. انظر: مقدّمة تحقيق (التّبصرة والتّذكرة) ص٩-١٤.

(١٦٣) سـورة فصّلت، الآية ١٧. وقرأ بالنّصـب: الحسن، وابنُ هرمز، وعاصـم في رواية. انظر: الدّرّ المصون ٩/٥٢٠.

(١٦٤) قالَ السّمينُ الحلبيّ شارحًا: «(أمّا) لا يليها إلّا المبتدأ؛ فلا يجوزُ فيما بعدها الاشتغالُ إلّا في قليلٍ كهـذه القـراءة، وإذا قدّرتَ الفعـلَ النّاصب فقدِّره بعد الاسمِ المنصـوب؛ أي: وأمّا ثمودَ هديناهم فهديناهم، قالوا: لأنّها لا يليها الأفعالُ». الدّرّ المصون ٩/٥٢٠.

(١٦٥) كذا في: قواعد المطارحة المطبوع، ولعلّها: «بين».

(١٦٦) وممّن تبعَ ابنَ جنّي في عدم جواز نصب (زيد) بعد (إذا) الفجائيّـة في هذا المثال: ابنُ مالك. انظر: شرح التّسهيل ٢/١٣٩، وشرح الكافية الشّافية ٦٠٦، والتّذييل والتّكميل ٦/٣٠٢- ٣٠٦ حيث فصّـل أبـو حيّـان في المسألة بما لا مزيـد عليه، وارتشـاف الضّرب ٤١٦٣، وشـرح الأشمونيّ على الألفيّـة ٩٤ حيث نقلَ القصّة هذه عنهما.

(١٦٧) كذا في: قواعد المطارحة المطبوع، ولعلّها: «إذ».

(١٦٨) يعني في المثالِ المسؤولِ عنه.

(١٦٩) لم أقـف على إجازةِ الأخفش هذه فيما بين يديّ. وفي: شرح الكافية الشّافية ٤٩١ أنّـه أجازَ نحو: (إنّي لبكَ وثـقْتُ).

(١٧٠) سبق طرفٌ منها عند حديثـنا عن نقولِ الزّعفرانيّ عن الأخفش من النّحويّين.

(١٧١) مخطوطة كوبريلي ١٨٩أ، ورسالة الدكتوراه ٥٧٣.

(١٧٢) "والظّرف" ليست في: المحصول (رسالة).

(١٧٣) في: المحصول (رسالة): «ضربًا زيدًا».

(١٧٤) لم أتبيّنه. وانظر: شرح المفصّل لابن يعيش ٦/٥٩.

مصادرُ البحث ومراجعه

- ارتشــافُ الضَّرَب من لسانِ العرب: لأبــي حيّان الأندلسيّ (٧٤٥هـ) تح: د. رجب عثمان محمّد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.
- إصــلاحُ المنطــق: لابــنِ السكِّيــت (٢٤٤هــ) تح: أحمــد محمّــد شاكر، عبدالسلام هارون، دار المعارف، مصــر، ط٢، ١٩٥٦م.
- الأصــول في النّحــو: لابنِ السرّاج (٣١٦هــ) تح: د.عبد الحسين الفتلي، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٩٦م.
- إنباهُ الرواة على أنباهِ النحــاة: للقفطيّ (٦٤٦هـ) تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.
- الانتصــار لسيبويــه علــى المــبرّد: لابــن ولّاد (٣٣٢هــ) تح: د. زهــير عبدالمحسن سلطان، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
- الإيضــاح: للفارسيّ (٣٧٧هـ) تح: د.كاظم بحــر المرجان، عالم الكتب، ط٢، ١٩٩٦م.
- البحثُ اللّغويّ عند العرب:د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط٦، ١٩٨٨م.
- برنامــجُ ابن جابرِ الوادي آشيّ: (٧٤٩هـ) تح: د. محمّد الحبيب الهيلة، جامعة أمّ القرى، مكّة المكرّمة، د.ط، ١٩٨١م.
- بغيةُ الوعاة في طبقــاتِ اللغويّين والنحاة: للسيوطيّ(٩١١هـ) تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.
- تاجُ العروس من جواهــرِ القاموس: للزبيديّ(١٢٠٥هـ)، مطبعة حكومة الكويت.

- التبصرة والتذكـرة: للصيمريّ (ق٤هــ) تح: د. فتحي أحمد مصطفى عليّ الدين، جامعة أم القرى، مكّة المكرّمة، ط١، ١٩٨٢م.
- التّذييـل والتكميل: لأبي حيّان (٧٤٥هـ) تح: د. حسن هنداويّ، دار كنوز إشبيليَة،الرياض، ط١ ،سنوات متفرّقة.
- التّعليقة علـى كتاب سيبويه: للفارسيّ (٣٧٧هــ) تح: د. عوض القوزيّ، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٩١م.
- التّكملـة: للفارسيّ (٣٧٧هــ) تح: د.كاظم بحر المرجـان، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٩٩م.
- التّنبيــه على شرحِ مشكلاتِ الحماسة:لابن جنّي (٣٩٢هـ) تح: د. حسن هنداويّ، وزارة الأَوقاف،الكويت، ط١، ٢٠٠٩م.
- تهذيبُ اللّغة: للأزهريّ (٣٧٠هـ) تح: عبد السلام هارون، راجعه محمّد عليّ النجّار، دار الصادق للطباعة والنشر، د.ط، د.ت.
- جمهرةُ اللّـغة: لابن دريد (٣٢١هـ) تح: د. رمزي منير بعلبكيّ، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
- حاشيــةُ ابن برّيّ (٥٨٢هـ) علىكتابِ المعـرَّب للجَـواليقيّ (٥٣٩هـ):تح: د.إبراهيم السّامرّائيّ، مؤسّسة الرّسالة،بيروت، ط١، ١٩٨٥م.
- حواشــي ابن برّيّ (٥٨٢هــ)، وابن ظَفــر (٥٦٥هـ) علــى درّة الغوّاص للحريــريّ:تح: د. أحمد طه حسانين سلطان، مطبعــة الأمانة،القاهرة، ط١، ١٩٩١م.
- خزانــةُ الأدب ولــبّ لبــاب لســانِ العــرب: للبغــداديّ (١٠٩٣هــ) تح: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ط٤، ١٩٩٧م.

- الخصائـص: لابن جنّي (٣٩٢هــ) تح: محمّد عليّ النجّـار، دار الكتب المصـريّة، د.ط، ١٩٥٢م.
- الـدرُّ المصـون في علومِ الكتابِ المكنـون: للسمينِ الحلبـيّ (٧٥٦هـ) تح: د.أحمد محمّد الخرّاط، دار القلم، دمشق، ط٢، ٢٠٠٣م.
- ديـوان جرير (بشرح محمّد بن حبيـب): تح: د.نعمان محمّد أمين طه، دار المعارف، ط٤، د.ت.
- ديوان لبيد بن ربيعة بشرحِ الطّوسيّ:تح: د. حنّا نصر الحتّى، دار الكتاب العربيّ،بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
- ديوان المتنبّي (٣٥٤هـ) بشرحِ العكبريّ (٦١٦هـ):ج٤تح: مصطفى السّقّا، وإبراهيـم الأبيـاريّ، وعبـد الحفيظ شلبـيّ، مطبعة مصطفـى البابيّ الحلبيّ،القاهرة،د.ط،١٩٣٦م.
- سـرّ صناعةِ الإعراب: لابـن جنّي (٣٩٢هـ) تح: د.حسـن هنداويّ، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٩٩٣م.
- شـرحُ الأَشمونيّ (٩١٨هـ) على ألفيّـةِ ابـن مالك (٦٧٢هـ): تح: محمّد محيي الدّين عبد الحميد،دار الكتاب العربيّ،بيروت، ط١، ١٩٥٥م.
- شرحُ ألفيّةِ ابن معطٍ (٦٢٨هـ): لابنِ القواس (٦٩٦هـ) تح: د. عليّ موسى الشوملّيّ،مكتبةالخريجيّ،الرّياض، ط١، ١٩٨٥م.
- شـرحُ التّسهيـل: لابـن مالـك (٦٧٢هــ) تح: د.عبـد الرحمـن السيّد، ود.محمّد بدوي المختون، هجر للطباعة، ط١، ١٩٩٠م.
- شـرحُ التّصريـح على التّوضيـح: للأزهريّ (٩٠٥هــ) تح: محمّد باسل عيون السّود، دار الكتب العلميّة،بيروت،ط١، ٢٠٠٠م.

- شــرحُ التّصريف:للثمانينــيّ (٤٤٢هـ) تح: د. إبراهيــم البعيميّ، مكتبة الرّشد،الرّياض، ط١، ١٩٩٩م.
- شــرحُ التّعريف بضروريّ التّصريف: (رسالة ماجستير) تح: أحمد دولة محمّــد الأمين، جامعة أمّ القرى، بإشراف: د. حماد البحيريّ، ١٩٩٠م، و(المطبوع) تح: د. هادي نهر، ود. هلال ناجيالمحامي، دار الفكر،عمّان، ط١، ٢٠٠٢م.
- شرحُ حماسة أبي تمام: للأعلمِ الشّنتمريّ (٤٧٦هـ) تح: د. علي المفضّل حمّــودان، مطبوعات مركــز جمعة الماجد للثقافة والــتراث، دبي، ط١، ١٩٩٢م.
- شرح ديوانِ الحماسة: للمرزوقيّ (٤٢١هـ) تح: أحمد أمين، وعبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
- شرحُ الكافيةِ الشافية: لابــن مالك (٦٧٢هـ) تح: د.عبد المنعم هريدي، دار المأمون للتراث، دمشق، ط١، ١٩٨٢م.
- شرح كتابِ الحماسة: للفارسيّ (٤٦٧هـ) تح: د. محمّد عثمان عليّ، دار الأوزاعيّ،بيروت، ط١، د.ت.
- شرح كتاب سيبويــه: للسيرافيّ (٣٦٨هـ) تح: أحمد حسن مهدليّ، وعليّ سيّد عليّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.
- شــرحُ المفصّــل: لابن يعيشــ (٦٤٣هـ) توزيــع مكتبة المتنبّــي، القاهرة، د.ط، د.ت.
- شفــاءُ الغليــل فيما في كلامِ العــربِ من الدّخيل: للخفاجــيّ (١٠٦٩هـ) تح: محمّــد عبــد المنعــم خفاجيّ، مكتبــة الحــرم الحسينــيّ التّجاريّــة الكبرى،القاهرة،ط١، ١٩٥٢م.

- الصّحـاح: تاجُ اللّغـة وصحاحُ العربيّة: للجوهـريّ (٣٩٣هـ) تح: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٩٠م.
- العين:للفراهيـديّ (١٧٥هــ) تح: د. مهـدي المخزومـيّ، ود. إبراهيـم السّامرّائيّ، سلسلة المعاجم والفهارس،د.ط، د.ت.
- عيونُ الأخبار: لابن قتيبة (٢٧٦هـ)دار الكتب المصريّـة،القاهرة، ط٢، ١٩٩٦م.
- الفتح على أبي الفتح: لابن فُـوَرَّجة (٤٥٥هـ) تح: عبد الكريم الدّجيليّ، دار الشؤون الثقافيّـة العامّة، بغداد، ط٢، ١٩٨٧م.
- فُرْحةُ الأديب في الردّ على ابنِ السيرافيّ في شرح أبيات سيبويه: للأسود الغُندِجـاني (كان موجودًا٤٣٠هــ) تح: د.محمّـد علـيّ سلطـانيّ، دار النبراس، د.ط، د.ت.
- الفَسر:لابـن جنّـي (٣٩٢هــ) تح: د. رضا رجـب، دار الينابيع، دمشق، ط١، ٢٠٠٤م.
- فهارس كتـاب سيبويـه: صنع: محمّـد عبـد الخالق عضيمـة، مطبعة السعادة، القاهرة، ط١، ١٩٧٥م.
- فوائـدُ كتاب سيبويه من أبنية كلامِ العـرب: للسّيرافيّ (٣٦٨هـ)تح: د. محمّـد عبد المطّلـب البكّاء،دار الشـؤون الثّقافيّـة العامّـة، بغداد،ط١، ٢٠٠٠م.
- قواعـدُ المطارحة في النّحو:لابن إياز (٦٨١هـ) تح: د. ياسين أبو الهيجا، ود. شريف النّجّار، ود. عليّ الحمد، دار الأمل، إربد،د.ط، ٢٠١١م.
- الكتاب: لسيبويه (١٨٠هـ) تح: عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت، د.ط، د.ت.

- اللّبــابُ في علـلِ البنــاء والإعــراب: للعكـبريّ (٦١٦هــ) تح: د. غــازي طليمــات، ود. عبد الإلــه نبهان، مطبوعات مركز جمعــة الماجد للثقافة والتراث، دبي، ط١، ١٩٩٥م.
- لسانُ العرب: لابن منظور (٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٦، ٢٠٠٨م.
- لغــةُ تميــم (دراسة تاريخيّــة وصفيّــة): د. ضاحي عبد الباقــي، الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميريّــة،القاهرة،د.ط، ١٩٨٥م.
- المآخــذ على شــرّاحِ ديوان أبــي الطّيّــب المتنبّي:للمهلّبــيّ (٦٤٤هـ) تح: د.عبدالعزيز المانع،مركز الملك فيصل للبحوث والدّراسات الإسلاميّــة، الرّياض، ط٢، ٢٠٠٣م.
- المحصــولُ في شرحِ الفصول:لابن إياز (٦٨١هـ) مخطوطة كوبريلّي رقم (١٤٩١)،و(رسالــة دكتوراه) تحقيق: محمّد صفوت محمّد عليّ، جامعة الأزهر، د.ت.
- المحكـمُ والمحيط الأعظم في اللّـغة: لابــن سيده (٤٥٨هـ) تح: مصطفى السقّــا، ود. حســين نصّار، وعبــد السّتّار أحمد فــرّاج، ود. عائشة عبد الرحمن، وإبراهيم الأبياري، ود. مراد كامل، ومحمّد عليّ النّجّار، معهد المخطوطــات بجامعة الدول العربيّـــة، القاهرة، ط١، ١٩٥٨ – ١٩٧٣م. وج٨ فقــط من الطبعــة الأولى، دار الكتب العلميّــة، بيروت،٢٠٠٠م، تح: د.عبدالحميد الهنداويّ.
- المسائــلُ البصــريّات: للفارســيّ (٣٧٧هــ) تح: د. محمّد الشاطر أحمد، مطبعة المدني، القاهرة، ط١، ١٩٨٥م.
- المسائلُ الحلبيّات: للفارسيّ (٣٧٧هـ) تح: د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، دار المنارة، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

- المسائل الشيرازيّات: للفارسيّ (٣٧٧هـ) تح: د. حسن هنداويّ، دار كنوز إشبيليَة، الرياض، ط١، ٢٠٠٤م.
- المسائلُ المشكلة المعروفة بالبغداديّات: للفارسيّ (٣٧٧هـ) تح: صلاح الدين السنكاوي، مطبعة العاني، بغداد، د.ط، د.ت.
- المعاني الكبير في أبياتِ المعاني:لابن قتيبة (٢٧٦هـ) تصحيح المستشرق سالم الكرنكوى، دار النّهضة الحديثة، بيروت،د.ط، د.ت.
- معجز أحمد: للمعرّيّ (٤٤٩هـ) تح: د. عبد المجيد دياب، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٩٢م.
- معجمُ الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفةِ الأديب): لياقوت الحمَويّ (٦٢٦هـ) تح: د.إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
- معجمُ البلدان: لياقوت الحمَويّ (٦٢٦هـ) دار صادر، بيروت، د.ط، ١٩٧٧م.
- معجم ما استعجم من أسماءِ البلاد والمواضع: للبكريّ (٤٨٧هـ) تح: مصطفى السقّا، عالم الكتب، بيروت، د.ط، د.ت.
- المقتضب: للمبرّد (٢٨٥هـ) تح: محمّد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، د.ط، د.ت.
- ملءُ العيبة بما جُمع بطولِ الغيبة في الوجهةِ الوجيهة إلى الحرمين مكّة وطيبة: لابن رُشَيد (٧٢١هـ) ج٢ (تونس عند الورود) تح: د. محمّد الحبيب ابن الخوجة، الدار التونسيّة للنشر، تونس، ط١، ١٩٨٢م.
- الممتعُ الكبير في التصريف: لابن عصفور (٦٦٩هـ) تح: د. فخر الدين

قباوة، مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

- المنصِف: لابن جنّي (٣٩٢هـ) تح: إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين، مطبعة مصطفى البابيّ الحلبيّ وأولاده، مصر، ط١، ١٩٥٤م.
- نزهةُ الألبّاء في طبقاتِ الأدباء: للأنباريّ (٥٧٧هـ) تح: محمّد أبوالفضل إبراهيم، دار الفكر العربيّ، القاهرة، بيروت، د.ط، ١٩٩٨م.
- نزهةُ الطّرف في علمِ الصّرف:للميدانيّ (٥١٨هـ) مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ط١، ١٢٩٩هـ.
- همعُ الهوامع في شرح جمعِ الجوامع: للسيوطيّ (٩١١هـ) ج٣ تح: د.عبدالعال سالم مَكرَم، مؤسّسة الرسالة، بيروت، د.ط، ١٩٩٢م.
- الوافي بالوفيات: للصفديّ (٧٦٤هـ) تح: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
- وفياتُ الأعيان وأنباء أبناءِ الزمان: لابن خَلِّكان (٦٨١هـ) تح: د.إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ط، ١٩٩٤م.

نسبة كتاب التِّبيان إلى العُكبَرِيِّ المزوَّرة وجهود الباحثين في تصحيحها إضاءات ومراجعة نقديَّة

د. محمد حسن الشعير

في هذا المقال ملاحظاتٌ جديدة يمكن أن تُضاف إلى الحيثيَّات التي سجَّلها الباحثون والأساتذة المحقِّقون في قضيَّة زَيف نسبة شرح ديوان أبي الطيِّب المتنبِّي (-٣٥٤هـ) المسمَّى (التِّبيان في شرح الدِّيوان) إلى أبي البقَاء العُكبريِّ (-٦١٦هـ) النحويِّ واللغويِّ المعروف. وهي ملاحظات ظهرت لنا من خلال مراجعة مخطوط في نقد شعر أبي الطيِّب وقفنا عليه أخيرًا لأحد تلامذة العُكبَرِيِّ، وهو المظفَّر بن الفضل (-٦٥٦هـ) صاحب كتاب (نَضرة الإغريض في نُصرة القريض). كما ينظر هذا المقال في جهود الدارسين الذين سعوا إلى البحث عن مصنِّف التِّبيان الحقيقيِّ، ويحاول كذلك الكشف عن طبيعة كتاب أبي البقَاء في شعر أبي الطيب الذي مايزال إلى اليوم مفقودًا. ولعلَّ أهمَّ ما يدفعنا إلى متابعة الحوار في هذه المسألة كَثرة الأخطاء التي انبنت على نسبة التِّبيان عند كثير من الباحثين، ومعلوم أنَّ الخطأ إذا وقع يتفشَّى بيسر، أمَّا تصحيحه فيحتاج إلى جهد ومحاولات.

تمهيد (أصل المسألة):

في عام (١٣٥٥هـ = ١٩٣٦م) أحيا المعنيُّون بالتراث العربيِّ ذكرى مرور ألف عـام على وفـاة أبي الطيِّب المتنبِّـي، فأُقيم مهرجان للشاعـر في دمشق، وعُقِدَت نـدواتٌ في بغداد والقاهرة، وعلى إثرها نُشرت دراسات كثيرة، أشهرها: (ذكرى أبي الطيِّب بعد ألف عام) للدكتور عبد الوهاب عزَّام، وكتاب (المتنبِّي) للأستاذ محمـود شاكر. وكان مـن مظاهر هذا الإحياء كذلك صـدور كتاب (شرح ديوان المتنبِّـي المسمَّـى بالتِّبيان في شـرح الديوان) منسوبًـا إلى أبي البقَـاء العُكبَريِّ، بضبـط وتصحيـح الأساتذة: مصطفى السَّقا وإبراهيـم الأبياري وعبد الحفيظ شلبـي، عن مطبعة مصطفى البابيِّ الحلبـيِّ في مصر، في أربعة مجلدات كبيرة. وقبـل هذه النشرة المحقَّقة كان للكتاب نشرات قديمـة حجريَّة، أولاها كانت عن مطبعة كل كتاب الهند سنة (١٢٦١هـ)، كما نُشرت نصوصٌ منه على هامش أوَّل نشرة لديوان أبي الطيب المتنبِّي في العالم العربيِّ (طبعه عبد الله خان، القاهرة، ١٢٨٣هــ)، ثـمَّ طُبع الشـرح كاملاً نقـلاً عن الطبعـة الهنديَّـة في مطبعة بولاق (١٢٨٧هــ)، وفي المطبعـة الشرقيَّة (١٣٠٨هـ) في مصـر[١]. وعلى هذه النشرات الثـلاث اعتمـد السادة المحقِّقـون في نشرتهم للكتـاب[٢]، مـن دون الرجوع إلى نسخـه المخطوطة، ومـن دون التحقُّق من صحَّة نسبتـه، في إخلال ظاهر بأصول المنهج الذي يقتضيه تحقيق الكتب التراثيَّة.

أوَّلاً – طعن المحقِّقين في نسبة الكتاب:

مـا إن صدر الكتاب حتـى نبَّه المستشرق الفرنسي بلاشـير على زيف نسبته في بحـث ألقـاه في مؤتمـر للمستشرقـين في بروكسـل (١٩٣٦م)، ثـمَّ نشـره في حوليَّـات معهـد الدراسـات الشرقيَّة بعنـوان (حول تعليـق على ديـوان المتنبِّي) (مــج٤/١٩٣٨م)[٣]، ثـم تبعه الدكتـور مصطفى جواد –رحمـه الله– بمقالة له بعنــوان: (أشَرْحُ الكورانيِّ الإربليِّ أم العُكـبَريِّ الأزجيِّ؟)، نشرتها مجلَّة الثقافة

المصريَّة (١٩٣٩م)[٤]، ثمَّ أتبعها بمقالة أخرى من جزأين بعنوان: (شرح ديوان المتنبِّي لابن عَدلان لا للعكبري)، نشرتها مجلَّة المجمع العلمي العربي بدمشق (١٩٤٧م)[٥]، فلقي كلامه فيها قبولًا أوسع بين جمهور الباحثين؛ إذ قدَّم دلائلَ مقنعة في خطأ النسبة، نذكرها بإيجاز:

١. الفارق الزمنيُّ بين العُكبريِّ المتوفى (٦١٦هـ) وشيوخ الشارح؛ إذ أشار الشارح إلى تلمذته على عبد المنعم بن صالح النحويِّ المتوفى (٦٣٣هـ) [١/ج]، وابن الأثير الجزريِّ المتوفى (٦٣٧هـ) [٢١٧/٤]. وليس في ترجمة العكبري ذكرٌ لهذه التلمذة[٦].

٢. يذكر الشارح حوادث تاريخيَّة لم يدركها العُكبريُّ، أهمُّها حادثة فتح آمد على يد الملك الكامل التي وقعت سنة (٦٣٠هـ)[٧] [١٧١/١].

٣. يحيل الشارح في كتابه على كتابين آخرين له، هما: (نزهة العين في اختلاف المذهبين [٢٠٣/١]، والروضة المزهرة في شرح كتاب التَّذكِرة [٢٤١/٢])، والكتابان لا وجود لهما في ثبت كتب العُكبريِّ المعروفة. ونضيف إلى ما ذكره الدكتور جواد كتابين آخرين نسبهما الشارح له، هما: (أنفس الاتخاذ في إعراب الشَّاذ [٣٣٩/١])، والإغراب في الإعراب [٨٧/١])، وليسا في ترجمة أبي البقَاء أيضًا.

٤. كون العُكبريَّ ضريرًا، والشارح بصيرٌ كما يظهر من تبيانه، يجيد النقل والكتابة ... إلخ.

وهذه دلائل مقنعة لا يخفى ما لها من وجاهة ومنطقيَّة، ووافقَ جوادًا فيها مجموعةٌ من الباحثين من أصحاب العلم والاطّلاع، نذكر منهم: الدكتور شوقي ضيف، الذي بيَّن في كتابه (المدارس النحويَّة) (١٩٦٨م) من خلال الشواهد أنَّ العكبريَّ بغداديٌّ يجري كثيرًا على المذهب البصريِّ، ثمَّ انتهى إلى إضافة

مهمَّــة في هــذه القضيَّة، إذ قــال: ((ومن ثمَّ كان الدكتــور مصطفى جواد محقًّا حــين اتَّهم نسبة شرح ديوان المتنبِّي المطبوع باسم التِّبيــان في شرح الديوان إليه، لما يُردِّد شارحه فيه من أنَّه كوفيٌّ وعلى مذهب الكوفيين))[8]. كما شارك الدكتور شاكر الفحَّــام في النقاش في هذه القضيَّة في مقالة له عنوانها: (عودةٌ إلى كتاب التِّبيان في شــرح الديوان)، منشورة في مجلَّة مجمع اللُّغة العربيَّة بالقاهرة (١٩٩٧م)[9]،وفيها كثَّــف مــا جاء به جواد في زيف النسبة وأكَّده. وأمَّا الــذي وثَّق حجج جواد وقوَّاها فهــو الدكتــور خلف رشيــد نعمان، وذلــك عندما هــداه النظر في أثنــاء تحقيقه كتــاب النِّظام لابن المستــوفي (-٦٣٣هـ) إلى أنَّ النصوص التي نقلها الشَّارح عن العُكبريِّ في شرح أبياتٍ لأبي الطيب لا أساس لها في التِّبيان[10].

وفي مقابــل ما ذهب إليــه الأساتذة، نجد بحثًا يتيمًــا في تأكيد نسبة الكتاب إلــى العُكبريِّ، بعنوان (الخلاف في شرح ديــوان المتنبِّي المسمَّى بالتِّبيان في شرح الديــوان) للدكتــور نبيل سليمــان، منشور في مجلَّة كليَّــة الآداب في جامعة بغداد (٢٠٠٥م)[11]. وفيــه ذهــب سليمــان إلــى أنَّ الشَّرح لأبــي البقَاء، وأنَّــه تعرَّض لتصحيــف النُّسَّــاخ وتحريفهم فيما ورد فيه من أسماء شيــوخ وحوادث تاريخيَّة! وهو مذهب بعيد متكلَّف لا تقوم له حجَّة.

وقد تجاهل الأساتذة القائمون على إخراج الكتاب كلَّ ما يحيط بهذه النسبة مــن لبس وإبهام، بــل تزوير واضح لمن تأمَّلــه، فأعادوا طبعه علــى حاله دون أيِّ تعديــل (١٩٥٦م) و(١٩٧١م). ولأنَّ الشارح اعتمد فيه منهجًا تكامليًّا قلَّ نظيره بــين شروح الديوان الأخرى؛ إذ يبــدأ بإعراب المشكل، ثمَّ ينتقل إلى غريب اللغة، ثــمَّ يفسِّر المعنى ويقلِّــب وجوهه ويعلِّله، مع مناقشة للقضايــا النحويَّة والصرفيَّة التي تعترضه عند الشرح، وذلك على نحو لا يخلو من النقد والتقويم = صار هذا الكتــاب مصدرًا مهمًّا عند دارسي المتنبِّي خصوصًا، والشعر العربيِّ القديم على نحــو عامٍّ، ممَّا وفَّر له رواجًا لكَثرة طلابه فأُعيــد طبعُه وتزييف نسبته مرَّات في

دور شاميَّة[١٢]، فأُشيع الخطأ حتَّى بات حقيقة عند كثير من الدارسين، ولا سيَّما مـن هم في أوَّل الطريق، فأُقيمت على الكتاب دراسات ورسائل جامعيَّة نَسبت ما فيــه من آراء نحويَّة للعُكبَريِّ[١٣]، فبــات الرجل مضطرب المذهب النحويِّ، كوفيًّا تــارة كما يُظهر التِّبيان، وأخرى يميل إلى البصريــين في أحكامه كما تُظهر كتبه الأخرى الثابتة النسبة.

ثانيًا - مخطوط للمظفَّر بن الفضل يُعيد القضيَّة إلى الأذهان:

وقــد وقفنا أخيرًا على مخطوط يُعدُّ حلقة من حلقات الحركة النقديَّة الثريَّة التــي دارت حــول شعــر أبي الطيب، وهــو للمظفَّر بــن الفضل العلــويِّ الحسينيِّ (-٦٥٦هـ)[١٤] صاحب كتاب (نَضــرة الإغريض في نُصــرة القريض)، موسوم بعنوان (في تخطئة المتنبِّي وبيان سرقتِه في معاني لامِيَّته)[١٥]. ونسبة المخطوط إلى المظفَّر تحتاج إلى توثيق للوهلة الأولى؛ لخلوّ ترجمته من ذكر كتاب في شعر أبي الطيب، وعــدم ذكر اسمه علــى غلاف المخطوط، إلَّا أنَّ الناظر فيــه لا يساوره شكٌّ في صحَّة نسبتــه؛ لعلامتين جوهريتين: أولاهما نسبة الكتــاب إليه في مطلعه، جاء فيه: ((قال العبــد المشفق عن خطيئته، المطلق عنان توبتــه، أبو علي المظفَّــر..))[١٦]، والأخرى إثبات النــاسخ قراءة الكتــاب عليه، قال: ((..قراءة هذه القصيدة بشرحها على المولــى السَّيد ... أبي عليٍّ المظفَّر بن الفضــل))[١٧]. كما أحال المؤلِّف على كتاب لــه بعنوان (الرِّسالة العلويَّة)[١٨]، وهو معلوم مــن جملة كتبه. بل إنَّنا إذا راجعنا كتابــه المطبــوع (نضرة الإغريضــ) وجدنا في حديثه عن السَّرقــات نيَّةً عنده في الكشف عن سرقات المتنبِّي في كتاب مستقلٍّ[١٩].

فهــذه دلائل على صحَّة نسبــة الكتاب إلى المظفَّر على نحو ظاهر بيِّن لا مِرَاء فيه، وصحيح أنَّ الكلام على هذه المسألة ليس محلُّه هنا، إلَّا أنَّنا أردنا أن نُظهِر ما بين النسبتين -نسبة كتاب التخطئة إلى المظفّر ونسبة التِّبيان إلى العُكبريِّ- من بَون شاسع، فالتِّبيان لا تشير حيثيَّاته إلى صلة تربطه -ولو بوجه- بأبي البقَاء.

ثالثًا - دلائل جديدة على تزوير نسبة التِّبيان:

١. اختــلاف رواية صاحب التِّبيان عن رواية العُكبريِّ الحقيقيَّة: ففي كتاب المظفَّر معلومــات جديدة عن أحواله ومشايخه غــير متوافرة فيما نقف عليه من أخباره، ولعلَّ أهمَّ ما يفيدنا به فيما نحن بصدده تلمذةُ المظفَّر علــى أبــي البقَاء العكــبريِّ وقراءتــه ديوان المتنبِّــي عليه بسنــد متَّصل بالشاعــر، قــال: ((وأوَّل ما أقول أنَّ شعر أبــي الطيِّب أحد مقرائي على شيخنــا أبي البقَاء العُكــبراويِّ النحويِّ واللغــويِّ، ورواه لي عن النُّميريِّ الشاعــر عن أبي الوكيل عن السَّاربان عــن المتنبِّي))[٢٠]. ويَظهر لنا في أثناء معارضة هذا السند بسند صاحب التِّبيان -المزعوم أنَّه العكبريُّ- الــذي أثبتَه في أوَّل كتابه = خلافٌ تامٌّ في السند، قال: ((أمَّا بعد: فإنِّي لمــا أتقنتُ الديوان....، وقرأتُه قــراءة فهم وضبط على الشيخ الإمام أبي الحَرم مَكِّي بن ريَّان الماكسينيِّ بالموصل، سنة تسع وتسعين وخمس مئة، وقرأتُــه بالديــار المصريَّة علــى الشيخ أبي محمَّد عبــد المنعم بن صالح التيمــيِّ النحويِّ...)) [١/ب-ج]. ثمَّ كشف في موضع آخر الرواية التي قرأ بها، قال: ((وروايةُ ابن جنِّي بها قرأتُ الديوانَ)) [٣/٣].

فــلا شــكَّ في أنَّ عالِمًــا بقيمــة أبي البقَاء العكبريِّ لا يــدع السَّند المتصل بالشاعر ويثبت غيره إن وجد، بل إنَّ عبارة صاحب التِّبيان الأخيرة تُفيد بأنَّه قرأ الديوان براوية ابن جنِّي (-٣٩٥هـ) فقط، في حين كشف لنا سندُ المظفَّر أنَّ العكــبريَّ قرأ الديوان بروايــة السَّاربان[٢١]، فهــذا الاختلاف في مصدر الروايــة دليلٌ جليٌّ ينضــاف إلى الدلائل المذكورة في غلــط نسبة التِّبيان إلى أبي البقَاء.

٢. جهــل المظفَّر بالتِّبيان: فالتِّبيان من المصنَّفــات التي تسير في اتجاهين؛ الشَّــرح والنقد، وهــذا عمل المظفَّر في كتابه المخطــوط، فجهله بالتِّبيان

-وهـو يَسِم أبا البقَـاء بـ«شيخنــا»- مقابل أخذه المتكـرِّر عن الحاتميِّ (-٣٨٨هـ) وابـن وكيـع (-٣٩٣هـ) وابـن جنِّـي والمعـرِّيِّ (-٤٤٩هـ) والتبريزيِّ (-٥٠٢هـ) وغيرهم من الأعلام المشهورين الذين صنَّفوا في شعر المتنبِّي، دليلٌ على عدم وجوده أصلاً ضِمنَ مؤلَّفات شيخه.

رابعًا – مؤلِّف التِّبيان الحقيقيِّ:

لمَّـا اطمأنَّ الدكتور مصطفى جواد إلى صحَّة ما ذهب إليه في تخطئة النسبة، اجتهد في تصحيحها، فرجَّح في مقالته الأولى (أشَرْحُ الكورانيِّ الإربليِّ أم العُكبَريِّ الأزجيِّ؟) نسبةَ الشرح إلى أبي عبد الله الحسين الكورانيِّ الإربليِّ (-٦٥٦هـ)[٢٢]، ورجَّـح أنَّ هناك تحريفًا حصل بين اسمه واسم أبي البقَاء (عبدالله بن الحسين العُكـبَريِّ)، وشجَّعـه على ذلـك ما ذُكر في ترجمتـه من عناية وافـرة له بديوان المتنبِّـي. ثـم رجع الأستاذ عن هـذه الظنون - بحسب تعبـيره- في مقالته (شرح ديـوان المتنبِّي لابن عَدلان لا للعكـبري«٢»)، فنسب الشرح إلى عفيف الدِّين علي ابن عَـدلان الموصليِّ النحويِّ المترجِم (-٦٦٦هـ)، فقـد جاء في التِّبيان عند قول أبي الطيب: [الكامل]

تـتقَـاصَـرُ الأَفـهــامُ عــن إدراكِــه — مثلُ الـذي الأَفْـلاكُ فيه والـدُّنا

جاء: ((قال أبو الحسن عفيف الدين علي بن عَدلان: الرواية الصحيحة «مثل» بالرَّفع...)) [٢٠١/٤]. قـال جواد: ((فالشَّارح إذن هو هذا العالم الذي أثبـت اسم نفسـه في آخر الشَّـرح على التقريـب، وإذا أتى القـارئ الكريم على ترجمته - على ما نحن ذاكروه- يرى أنَّ الشرَّح لا تصحُّ نسبته إلا إليه))[٢٣].

والحقيقة أنَّ ما ذكره جواد في نفي نسبة الكتاب إلى أبي البقَاء ينفي أن يكون الكتاب لابن عَدلان أيضًا؛ إذ لم يُذكر في ترجمته[٢٤] أنَّه تتلمذ على شيوخ الشَّارح الذيـن ذكرهـم في تبيانه، أو شـيءٌ من كتبه التي أحـال عليها، بـل لم يُذكر أنَّه شرحَ ديوانَ المتنبِّي!. ويبدو أنَّ هذا ما دفع الأستاذ الفحَّام إلى العودة إلى التِّبيان

لمراجعة هذه المسألة، وقد كفانا مؤنة البحث فيما ذهب إليه جواد، فقد خَلُص بعد دراسة وتدقيق إلى ((أنَّ شرح الديوان لا تصحُّ نسبته إليه))[٢٥]، وذكر إلى جانب ما ذكرنا أنَّ ابن عَدلان موصليُّ النشأة بإجماع المترجمين، ولم يُذكر أنَّه كوفيُّ المذهب، أو أنَّه عالم متخصِّص بالقراءات القرآنيَّة، أمَّا صاحب التِّبيان -بحسب ما يُظهر كتابُه من أحواله- فهو من أهل الكوفة، ويذهب مذهب نُحاتها، ويبدو أنَّه عالم بالقراءات. وإلى جانب الفحَّام أشار بعض الأساتذة المحقِّقين الأفاضل الذين لهم عناية بشروح الديوان إلى عدم صحَّة هذه النسبة، منهم: الدكتور مصطفى العليَّان[٢٦]، والدكتور عبد العزيز المانع[٢٧].

وقد قامت على هذه النسبة الخاطئة مشكلة جديدة، فمعلوم أنَّ الدكتور جواد -لعلمه الواسع وجهده في خدمة التراث العربيِّ- رُزِق تقدير الباحثين وحاز ثقتهم، ولا سيَّما تلامذته من المحقِّقين، فسلَّم بعض الأساتذة بأنَّ المؤلِّف هو ابن عَدلان، منهم الدكتور يحيى الجبوري[٢٨]، والدكتور خلف رشيد نعمان في تحقيقه كتاب (الموضِح في شرح شعر أبي الطيب المتنبِّي) للتبريزيِّ؛ إذ صدَّر نقولاته عن التِّبيان بعبارة: ((قال ابنُ عَدلان..))[٢٩]، بل إنَّنا نجد الدكتور حاتم الضَّامن قد جعل كتاب التِّبيان من مصادر ترجمته لابن عَدلان في مقدِّمة تحقيقه لكتابه الانتخاب، فجعل من شيوخه وكتبه ما ورد عند صاحب التِّبيان من أسماء شيوخ تتلمذ عليهم وعناوين كتب من تأليفه![٣٠]. أمَّا الدراسات التي قامت على شروح المتنبِّي ونسبت ما نقلته من التِّبيان إلى ابن عَدلان فكثيرةٌ، نذكر منها كتاب (النَّحو في شُروح ديوان المتنبِّي)[٣١]، الذي أثبت صاحبه تحت عنوانه أسماء أربعة شروح، منها: (التِّبيان في شرح الديوان - لابن عَدلان الموصليِّ) كذا.

ومن الباحثين الذين حاولوا أيضًا الوصول إلى المصنِّف الحقيقيِّ الدكتور عبدالرحمن الهليِّل في بحث له بعنوان (التِّبيان لا للعُكبَريِّ ولا لابن عَدلان)، نشره في مجلَّة الدراسات اللغويَّة الصادرة عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات

الإسلاميَّةبالرياض (٢٠٠١م)[٣٢]، وقد انتهى بعد دراسة محلِّلة موسَّعة إلى أنَّ العَالم الوحيد من وفيَات القرن السابع الذي تنطبق عليه كثيرٌ من أحوال صاحب التِّبيَان، هو زكيُّ الدِّين السَّعديِّ (-٦٣٩هـ)، إذ يذكر مترجموه[٣٣] أنَّه كوفيٌّ مُقرئ، أخذ القراءات وعلم الأدب عن أبي الحرم مكِّي بن ريَّان (-٦٠٣هـ)، وسمع بمصر من جماعة من شيوخها، وشرح شعر المتنبِّي. ورجَّح الدكتور محمد عبدالله العزَّام ما ذهب إليه الهليِّل، لما بين حال الشارح وسيرة السعديِّ من تقارب شديد[٣٤]. ونحسب أن هذه النسبة -على الرغم ممَّا لها من وجاهة وقوة، وما بذله السيد الباحث في سبيلها من جهد وتحرٍّ- تبقى في حيِّز الظَّن، ولا يصحُّ القطع بها؛ ولا سيَّما أنَّ المصادر لم تذكر لنا شيئًا للسعديِّ من كتب الشَّارح الأربعة، وهي في الوقت ذاته حفظت لنا رحلاته وشيوخه وشيئًا من شعره وحيثيَّات أخرى لا تفوق أهميتُها أهميةَ ذكر هذه الكتب إن كانت له في الحقيقة.

ولعلَّ آخر من بحث في هذا الموضوع الدكتور عبَّاس علي الأوسيِّ في بحثه (التِّبيان في شرح الديوان يستردُّ مؤلِّفه) المنشور في مجلَّة المورد العراقيَّة (٢٠٠٧م)[٣٥]، وفيه نسب الكتاب لقطب الدِّين الراونديِّ (-٥٧٣هـ)[٣٦]، وحجَّته ما بين العلمين من تشابه في صفاتهما العلميَّة، فكلاهما بحسب ما بدا له عالم بالقراءات والحديث والفلسفة والفَلك، وقوَّى حجَّته أنَّ للراونديِّ كتابًا يوافق عنوانُه عنوانَ أحد كتب الشارح، وهو (الإغراب في الإعراب)[٣٧]. ولمَّا كان الراونديُّ متقدمًا على شيوخ الشارح سوَّغ الأوسيُّ ذلك بكون الكتاب قد تعرَّض لتحريف من قبل ابن عَدلان!، قال: ((..تأكَّد لي حصول تلاعب متعمَّد في شرح الديوان، وأنَّ القائم بذلك هو ابن عَدلان لا غير))[٣٨]، فعنده أنَّ مقدِّمة الشرح من صنع ابن عَدلان، وأنَّه أضافها كي يُنسب الكتاب إليه!. وهنا نتساءل، وماذا عن حادثة آمد التي ذكرها الشارح؟ وإن كانت هي الأخرى إضافةً من ابن عَدلان، فلماذا لم يَنسب الكتاب إلى نفسه في المقدِّمة التي وضعها صراحة؟ ثمَّ هل كان هو من أوحى إلى الدكتور جواد أن ينسبَ الكتاب إليه؟!.

ونحن هنا لا نستهين بجهود السادة الباحثين في البحث عن المصنِّف الحقيقيِّ، إلَّا أنَّنا نحسب أنَّ هذه المسألة -وهي قضيَّة جوهريَّة في تحقيق التراث- لا تُحلُّ بالاستنتاجات أو الظنون، بل هي بحاجة إلى دلائلَ نصيَّة جازمة تكشف لنا هُويَّة صاحب التِّبيان بصراحة ووضوح، فشروح الديوان كثيرة، وبعضها ما يزال مخطوطًا أو مفقودًا قد يظهر، والشُّراح ينقل بعضهم عن بعض كثيرًا، ممَّا يجعل أمر العثور على مؤلِّف التِّبيان واردًا، وهو -إذا تحقَّق- أمرٌ يوجب حينها أن يخرج الكتاب بنشرة جديدة محقَّقة تطوي نشرة السقَّا وصاحبيه، وتُصلح ما فيها من أخطاء وعثرات ونواقص[٣٩]، وتَفيدُ ممَّا حُقِّق من كتب تراثيَّة وشروح على الديوان لم تكن متوافرة حينذاك.

خامسًا – شرح العُكبَرِيِّ الحقيقيُّ:

تُجمع كتب التراجم على ذكر كتاب للعُكبريِّ في ديوان المتنبِّي[٤٠]، وبرهنت النصوص التي نقلها ابن المستوفي عنه على ذلك[٤١]. وما يفيد البحث في هذه القضية أن نتساءل عن طبيعة موضوع هذا الكتاب، فمعلوم أنَّ شروح ديوان المتنبِّي انتظمت في ثلاثة أنماط: منها شروح على الديوان كلِّه، مثل الفَسْر لابن جنِّي، وشروح تناولت المشكل مع عناية بالمعنى مثل تفسير أبيات المعاني لأبي مرشدٍ المعريِّ (-٤٩٦هـ)، وشروح تناولت المشكل مع عناية بالنحو والإعراب، نحو شرح مشكل أبيات المتنبِّي لابن سيده (-٤٥٨هـ)، وإذا جئنا نبحث عن حقيقة كتاب العُكبريِّ وجدنا تباينًا في صفته عند المترجمين، فهو شرح لشعر المتنبِّي عند ياقوت الحمويِّ (-٦٢٦هـ)، وحاشية عند ابن كثير (-٧٧٤هـ)، حتَّى إذا وصلنا إلى حاجي خليفة (-١٠٦٨هـ) نراه ((كتابًا في إعرابه))[٤٢]؛ أي في إعراب الديوان، ولعلَّ خليفة قد عاينه واطَّلع عليه، فهو ينقل -في بداية حديثه عن المؤلَّفات التي قامت على ديوان أبي الطيِّب- عن ابن خَلِّكان قولته المشهورة إنَّ أحد مشايخه ذكر له أنَّه وقف على أكثر من أربعين شرحًا للديوان، ثم بيَّن خليفة أنَّه سيُثبت ما وقع

عليه من الشروح، قال: ((قلتُ: وسنذكرُ ما وجدنا عليه))[٤٣]، ثم ذكر نحو تسعة عشـر شارحًا مع وصف مختصر ونُقولات قصيرة عن بعض شروحهم، وكثير من هذه الشروح وصل إلينا، وهو مطبوع وموافق لوصفه إيّاه.

وبحسب كلام حاجي خليفة نزعم دون تكلّف -بمشيئة الله- أنَّ كتاب العُكبريِّ في شعر المتنبّي ليس شرحًا على الديوان كلّه، بمعنى الشرح المعروف بأن يُعنى فيه الشارح بتفسير المعاني وتأويلها وتأصيلها ونقدها وما إلى ذلك، بل هو في مشكل شعر المتنبّي، مع عناية خاصة بالنحو والإعراب، وهو عمل لا يخلو من تفسير لغريب اللُّغة على نحو يخدم إعراب مشكل البيت، ومن ثمَّ بيان معناه الكلّي حتى تكتمل الفائدة. وما جعلنا نأخذ بكلام خليفة ملاحظات، أهمُّها:

١. أنَّ المدقّق في وصف خليفة لمصنَّفات العُكبريِّ يلحظ إصابته لحقيقتها التي هي عليها، فعند المترجمين أنَّ للعُكبريِّ إعرابًا أو شرحًا لحماسة أبي تمام وشرحًا لمقامات الحريريِّ أيضًا، في حين قدَّم خليفة وصفًا دقيقًا للكتابين، قال عن الأوَّل: ((وهو شرح مختصر، اقتصر فيه على إعرابه))[٤٤]، وعن الآخر: ((هو مشتمل على شرح الغريب))[٤٥]. والكتابان وصلا إلينا على صفتهما عند خليفة.

٢. أن كون الكتاب في إعراب الديوان، أي: في النحو التطبيقيِّ، أمرٌ ينسجم مع موضوعات أبي البقاء ومنهجه في تأليف كتبه، نحو: إعراب القرآن الكريم، والحديث النبويِّ الشريف، والحماسة، ولاميَّة الشّنفرى.

٣. أنَّ النصوص المتوافرة من كتاب العُكبريِّ في كتاب النِّظام يغلب عليها الإعراب واللُّغة، نذكر منها نموذجًا: قال أبو الطيِّب: [الكامل]

أأُحِبُّهُ وأُحِبُّ فيه مَلامَةً؟ إنَّ المَلامَةَ فيه مِنْ أعْدائهِ

قال ابن المستوفي: ((قال أبو البقاء: «من أعدائه» في موضع رفع، وفيه وجهان: تقديره: واقعة على أعدائه، أي: لا تصدر إلَّا من عدوٍّ محبوبه، فكيف أطيعُ عدوَّه؟

والثاني: تقديره: من جملة أعدائه، وجعل الملام عدوًّا على المجاز والسِّعة))[٤٦].

٤. أنَّ كتاب العُكبريِّ لم يكن ضمن مصادر تلميذه المظفَّر في تخطئته للمتنبِّي، وقد سبق قولنا إنَّه نقل عن جمع من الشرَّاح والنقّاد، ومع ذلك لم يأخذ عن شيخه شيئًا، إذ يبدو أنَّه لم يكن في كتاب أستاذه ما يفيد منه في موضوع كتابه الذي اقتصر على شرح معاني بعض أبيات الشاعر ونقدها.

٥. أنَّ كتاب العُكبريِّ لم يكن ضمن الشروح الخمسة التي تخيَّرها ابنُ مَعقل الأزديِّ (-٦٤٤هـ) للردِّ عليها في كتابه (المآخذ على شُرَّاح ديوان المتنبِّي)، قال: ((والشُّروح التي تتبَّعتُها واستخرجتُ مآخذها وجمعتها خمسةُ شروح: شرح ابن جنِّي، شرح أبي العلاء المعرِّي، شرح الواحِدي، شرح التبريزيِّ، شرح الكِنْديِّ، لأنَّ هذه المشهورة الدَّائرة في أيدي النَّاس))[٤٧]، وعلَّة شيوع هذه الشروح بزعمه ترجع إلى أمرين رئيسين: أحدهما: فائدتها في أنَّها تناولت الديوان كلَّه، فباتت مصدرًا لشعر الشاعر وشرحه في آن. والآخر: منزلة مؤلِّفيها العلميَّة. وأحسب أنَّه لو كان لأبي البقَاء -وهو شيخ زمانه وعَلَم عصره[٤٨]- شرحٌ كبير أتى فيه على جميع قصائد الديوان، ولا سيَّما معانيها، لتساوى مع شهرة هذه الشروح، ولأفرد له ابن مَعقل -وهو من تلامذته[٤٩]- مجلَّدًا من كتابه، أو كان من موارد كتابه على الأقل.

ولا أزعم هنا أنَّه كان عليهم أن يأخذوا عن العكبريِّ، ولكنِّي أقول: لو كان له شرح كبير على معاني الشاعر ونقدها، لوقفوا عليه ونقلوا عنه تأييدًا أو مخالفة، وذلك لعنايتهم بشروح المتنبِّي، ولشهرة أبي البقَاء وتقدّمه وتلمذتهم عليه، فمعلوم أنَّ التلامذة يكثرون من الأخذ عن شيوخهم، فالمطالع شروحَ المتنبِّي يلحظ وفرة نقول ابن فورَّجة (-٤٥٥هـ) وأبي المرشد المعرِّيِّ والتبريزيِّ في شروحهم على

الديــوان عن شيخهم أبــي العلاء المعرِّي، كما يُعدُّ أبو اليُمــن الكِنْديُّ (-٦١٣هـ) مــن شيوخ ابن مَعقل، وقد استعان الأخير بشروح أستاذه -في كتابه (الصَّفوة في معاني شعر المتنبِّي وشرحه)(٥٠)- في مآخذه على الشُّراح، بل إنَّه أفرد مجلدًا من كتابه للردِّ عليه أيضًا.

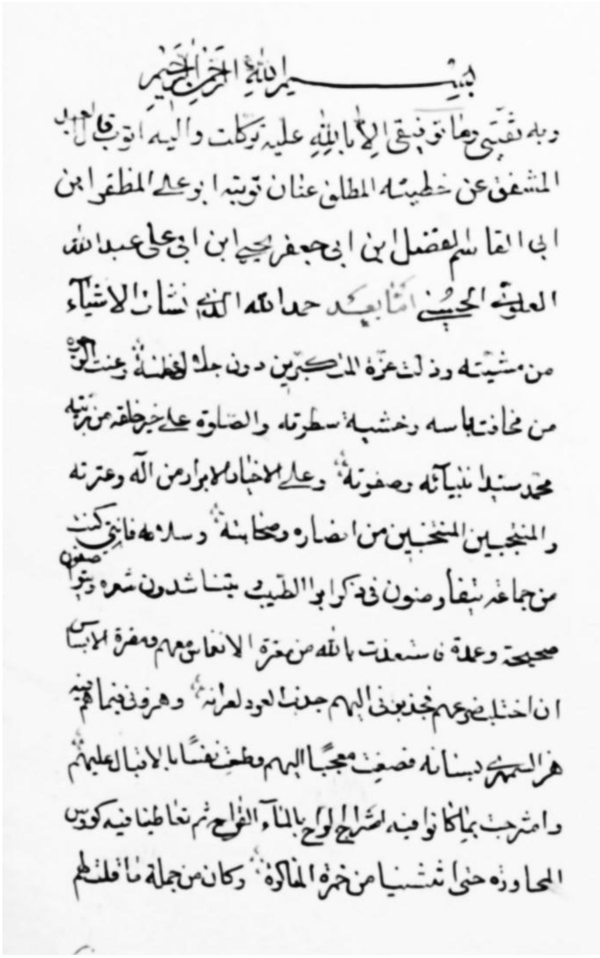
فهــذا الغياب لشــرح العكبريِّ عن كتابــي المظفَّر وابن مَعقــل، وموضوعهما المعنــى، يثير الملاحظة ويدعو إلى التأمُّل، وتفســيره -في نظرنا- أنَّ كتاب الشيخ ذوصبغة نحويَّة لغويَّةلم يولِفيه معاني الشاعر عناية كبيرة، ولم يتوغَّل في شرحها وتأويلها مثل غيره منالشرَّاح.

- خاتمة:

وبعــد، فهذا مقال موجز في قضيَّة نسبة كتاب التِّبيــان في شرح الديوان إلى أبي البقَاء العُكبَريِّ المزيَّفة، ونسبة الكتب إلى غير مؤلِّفيها لها شواهد في تحقيق التراث، وهي آفة تُوجــب مزيدًا من الاحتياط والتحرِّي حتى نبني دراساتنا لهذا التراث على ما هو صحيح موثوق.ونحن فيما سطَّرناه -وإن لم نستطع أن نُضيف إلى القضيَّة مايَحسم المشكلة ويضع الأمورَ في نصابها النهائيِّ- حاولنا استقصاء كلِّ مــا قيل في هذا الموضوع، ومراجعة مــا لهذه الأقوال وما عليها، على نحو يضع الباحثــين أمام صورة جليَّة للموضوع؛ في أنَّنسبة التِّبيان إلى العُكبريِّ مزيَّفة دون شكــوك، وأنَّالدلائل على ذلك تتكاثر يومًا بعد يــوم، وأنَّ اجتهادات الباحثين في العثــور على مؤلِّــف التِّبيان الحقيقيِّ لم يحالفها التوفيــقُ والدقَّة بعد، وما أمامنا مــن حــلٍّ في وقتنــا الحالي ســوى نسبة نصوصــه عند الرجــوع إليها إلــى مؤلِّف مجهــول، بأن نقول مثلاً: قال صاحب التِّبيان، أو قــال شارح المتنبِّي، وأن نضيف إلى حيثيَّات طبع الكتــاب عبارة: ([منسوب خطأً])، فإن كان بعض الباحثينعلى دِرَايــة ومعرفة، فإنَّ هناك من هم في أوَّل الطريــق، وينظرون أوَّل ما ينظرون في قوائــم الكتب، فتعلق في أذهانهم أسماءُ الكتــب ومؤلِّفيها ومحقِّقيها، وقد لا يُتاح

لهـم العلمُ بمشكلة نسبة هذا الكتاب أو ذاك، فتكون هذه العبارة مرشدًا ومنبِّهًا. ولعـلَّ المكتبة العربيَّة المخطوطة تجود علينا في قادم الأيام بكتاب العُكبَريِّ كاملاً، وبمـا يَكشفُ لنا هُويَّة صاحـب التِّبيان بجلاء دون شكوك. والله أعلم، وهو الموفِّق والمرشد للصَّواب.

** *


بسم الله الرحمن الرحيم
وبه ثقتي وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب قال العبد
المشفق عن خطيئته المطالب عنان توبته أبو علي المظفر بن
أبي القاسم الفضل بن أبي جعفر يحيى بن أبي علي عبد الله
العلوي الحسيني أما بعد حمد الله الذي نشأت الأشياء
من مشيئته وذلت عزة المتكبرين دون جلال عظمته وعنت الوجوه
من مخافة بأسه وخشية سطوته والصلاة على خير خلقه من بريته
محمد سيد أنبيائه وصفوته وعلى الأخيار الأبرار من آله وعترته
والمنتجبين المنتخبين من أنصاره وصحابته وسلامه فإني كنت في
جماعة يتغالون في ذكر أبي الطيب يتناشدون شعره ويتواصفون
صحيحه وعلله فاستعذت بالله من معرة الانقباض عنهم ومضرة الإيحاش
إن اختلطت معهم فجذبتني إليهم جذبة العود لعرانه وهزوني فيما هم فيه
هز السمهري وسنانه فصغت مجيبا إليهم وطحت نفسا بالإقبال عليهم
وامتزجت بما كانوا فيه امتزاج الراح بالماء القراح ثم تعاطينا فيه كؤوس
المحاورة حتى تمشينا من خمرة المذاكرة وكان من جملة ما قلته



مخطوط في تخطئة المتنبِّي: المظفَّر بن الفضل (اللوحة الأولى)

الهوامش:

(١) ينظـر: معجم المطبوعات: يوسف سركيس، ص ١٦١٦. وأبو الطيب المتنبِّي في آثار الدارسين: يحيى الجبوري، ص٣٨٧.

(٢) ينظر: التبيان في شرح الديوان ٤/٣٨٠.

(٣) ينظر: أبو الطيب المتنبِّي في آثار الدارسين ٣٨٦.

(٤) العدد ١٧، ص ص ٤٩ – ٥٢.

(٥) الأول في ج١-٢ ، مـن المجلَّـد ٢٢، ١٩٤٧م، ص ص٣٧-٤٧. والثـاني في ج٣-٤ من المجلَّد نفسه، ص ص١١٠-١٢٠.

(٦) تنظـر ترجمتـه في: معجـم الأدبـاء: ياقوت الحمـوي، صـ ١٥١٥/٤. وإنباه الـرواة: القفطي، ص ١١٦/٢. ووفيات الأعيان: ابن خَلِّكان، ص ١٠٠/٣. والوافي بالوفيات: صلاح الدين الصفدي، ص ٧٤/١٧. ومـرآة الجنـان: اليافعي، صـ ٢٦/٤. والبداية والنهاية: ابن كثـير، ص ١٠١/١٣. وبغية الوعاة: السيوطي، ص ٣٨/٢.

(٧) البداية والنهاية ١٥٨/١٣.

(٨) المدارس النحويَّة: شوقي ضيف، ص ٢٧٩.

(٩) العدد ٨١، ص ص ٢٠٠-٢١٣.

(١٠) النِّظام في شرح شعر المتنبِّي وأبي تمَّام: ابن المستوفي، (مقدِّمة المحقِّق) ص ١٢٥.

(١١) ع ٧١، ص ص١٩٠-٢١٢.

(١٣) نُشـر الكتـاب بالتصوير عن نشرة البابيِّ الحلبيِّ في دار الثقافة - دمشق ١٩٧٣م، وفي دار المعرفة - بـيروت، في عـدَّة مرَّات أوَّلهـا سنة ١٩٧٦م، وفي دار الفكر - بـيروت ٢٠٠٣م. كما صدر عن دار الأرقم، ضبط نصوصه وأعدَّ فهارسه وقدَّم له د. عمر فاروق الطباع، بيروت - ١٩٩٨م - و٢٠١٤م. وعـن دار الكتـب العلميَّة، ضبط نصَّه وصحَّحه د. كمال طالب، بيروت - ٢٠٠٨م.. وكلُّها خلت من الحديث عن توثيق نسبته.

(١٢) مـن ذلك ما فعلـه الشيخ محمد الطنطاوي في كتابـه نشأة النحو [صـ١٨٠]، إذ خلُص اعتمادًا علـى كتاب التبيان إلى أنَّ العُكبريَّ كوفيُّ المذهب، وقـد دفع ذلك أستاذنا الدكتور عبد الإله نبهان -رحمـه الله- في مقدمـة تحقيقه كتاب إعراب الحديث النبويِّ للعُكـبريِّ [ص٢٧]، قال: ((ومن العجيـب أن ينسبه الشيـخ محمد الطنطاوي إلى المذهب الكوفيِّ، مع أنَّ بصريته واضحة صريحة، لا لبس فيها ولا غموض)).

(١٤) ترجمتـه في: الأعـلام: الزِّركلـي، ص ٢٥٧/٧، معجـم المؤلِّفين: عمر رضا كحالـة، ص ٣٠٠/١٢،

نَضرة الإغريض في نُصرة القريض: المظفَّر بن الفضل، ص: ج – د.

(١٥) المخطوط في مكتبة ملّي طهران بإيران، ضمن مجموع برقم (٢٧٣٤)، وهو تامٌّ يقع في (٣٢) لوحة، منسوخ سنة (١٢٧٨هـ) عن نسخة مقروءة على المؤلِّف منسوخة سنة (٦٤٠هـ). والكتاب ينقسم قسمين: خطَّأ المظفَّر في الأوَّل منهما الشاعرَ في بعض معانيه، وتناول في الثاني لاميَّته (في الخدِّ أنْ عَزَمَ الخَليطُ رَحيلا) على وجه الخصوص، فأبان معانيها وكشف ما فيها من سرقات. وقد عزمت -بعونه تعالى- على تحقيق هذا الكتاب بالاشتراك مع الأخ الأستاذ أحمد إبراهيم العليوي.

(١٦) في تخطئة المتنبِّي وبيان سرقته في معاني لاميته: المظفر بن الفضل، اللوحة ١/ب.

(١٧) نفسه، اللوحة ٣٢/أ.

(١٨) في تخطئة المتنبِّي، اللوحة ٢٩/أ.

(١٩) ينظر: نضرة الإغريض ٤٤٨.

(٢٠) في تخطئة المتنبِّي، اللوحة ٧/أ.

(٢١) يعدُّ ابن جنِّي والسَّاربان من أشهر رواة ديوان المتنبِّي، ينظر ثبت رواة الديوان عند ابن العديم في: بغية الطلب ٦٤٠/٢.

(٢٢) ترجمته في: تاريخ الإسلام: شمس الدين الذهبي، ص ٣٠٨/١٤، وبغية الوعاة ٥٢٨/١.

(٢٣) شرح ديوان المتنبِّي لابن عدلان لا للعكبري (٢) ١١٢.

(٢٤) ترجمته في: فوات الوفيات: ابن شاكر، ص ٤٣/٣، الوافي بالوفيات ٣٠٨/٢١، بغية الوعاة ١٧٩/٢، الأعلام ٣١٢/٤.

(٢٥) عودة إلى كتاب التِّبيان في شرح الديوان: ٢١٠.

(٢٦) ينظر: شرح شعر المتنبِّي: ابن الأفليلي (مقدمة المحقق) ص ٧٣/١.

(٢٧) ينظر: الفَسْر الصغير: ابن جنِّي، (ثبت مصادر التحقيق) ص ٢٨٥.

(٢٨) ينظر: أبو الطيب المتنبِّي في آثار الدارسين ٣٨٦.

(٢٩) ينظر: الموضِح ١٢٢/١ – ١٢٤ – ١٢٦.

(٣٠) ينظر: الانتخاب لكشف الأبيات المشكلة الإعراب: ابن عدلان، ص ٧-١٠.

(٣١) للدكتور حسن منديل العكيلي، دار الضياء – الأردن، ط١، ٢٠١٠م.

(٣٢) مج٢، ع٢، ص ص١٨٧-٢١٩.

(٣٣) تنظر ترجمته في: المقفى الكبير: المقريزي، ص ٣٤٨/٣، الوافي بالوفيات ١٧٣/١٢، وتاريخ الإسلام ٢٩٢/١٤.

(٣٤) المنصف للسارق والمسروق منه: ابن وكيع، ص ٨٥١.

(٣٥) مج٣٤، ع٣، ص ص ١٤٠ - ١٥٥.

(٣٦) تنظر ترجمته في: لسان الميزان: ابن حجر العسقلاني، ص ٣/٤٨، الأعلام ٣/١٠٤، معجم المؤلفين ٤/٢٢٥.

(٣٧) حقَّق هذا الكتاب الدكتور محمد عبد مشكور، وهو منشور في مجلَّة الآداب – جامعة بغداد، ع١٢١، ٢٠١٧م، ص ٢٢٧-٢٥٦. وقد أشار السيِّد المحقِّق في مقدِّمته إلى أنَّ في الكتاب ما يعدُّ سببًا متَّصلاً في نسبة التبيان إلى الراونديِّ يضاف إلى ما ذكره الأوسيُّ، ووعد بنشر بحث مفصَّل في ذلك، والظاهر أنَّه لما يفعل بعد. ويحسن هنا أن نذكر أنَّ (الإغراب في الإعراب) عنوان حمله غيرُ كتاب من كتب العلماء، منها: كتاب لفخر الدين الدوركي (٧١٣هـ) [يُنظر: الأعلام ٧/٩٩].

(٣٨) التبيان في شرح الديوان يستردُّ مؤلِّفه ١٤٤.

(٣٩) أشار الأساتذة المحقِّقون صراحةً إلى أنَّ عملهم قد لا يخلو من هنات في نصوص لم يوفَّقوا في الكشف عن وجه الصواب فيها فاضطروا إلى إثباتها على صورتها. ينظر: التبيان ٤/٣٨٤.

(٤٠) سبق أن أحلنا إلى مظان ترجمته في بداية البحث.

(٤١) ينظر: النظام ١/١٢٦-١٢٧-٣٢٧-٣٥٢.

(٤٣) كشف الظنون: حاجي خليفة، ص ١/٨١١.

(٤٣) نفسه ١/٨٠٩.

(٤٤) نفسه ١/٦٩٢. وهو محقَّق بعنوان: إعراب الحماسة لأبي البقاء العكبري، ضمن رسائل علميَّة في الجامعة الإسلاميَّة بالمدينة المنوَّرة، ٢٠١٣- ٢٠١٤م.

(٤٥) كشف الظنون ٢/١٧٨٩. وهو مطبوع بعنوان: شرح ما في مقامات الحريريِّ من الألفاظ اللغويَّة: تحقيق علي صائب، مطبعة النعمان - النجف الأشرف، ١٩٧٥م.

(٤٦) النظام ١/١٢٦.

(٤٧) المآخذ على شراح ديوان المتنبِّي: ابن مَعقل، ص ١/١٠.

(٤٨) وفيات الأعيان ٣/١٠٠.

(٤٩) سير أعلام النبلاء: الذهبي، ص ٢٣/٢٢٣، وبغية الوعاة ١/٣٤٨.

(٥٠) مطبوع بتحقيق د. عبدالله صالح الفلاح، النادي الأدبي بالرياض، ط١، ٢٠٠٩م.

ثبت المصادر والمراجع

- **المخطوطة:**

١. تخطئـة المتنبِّي وبيان سرقته في معاني لاميَّته: المظفَّر بن الفضل العلويِّ الحسينيِّ (٦٥٦هــ)، مكتبة ملِّي طهران – إيـران، ضمن مجموع برقم (٢٧٣٤).

- **المطبوعة:**

٢. أبو الطيب المتنبِّي في آثار الدارسين: د. عبد الله الجبوري، وزارة الثقافة – بغداد، [د ط]، ١٩٧٧م.

٣. إعراب الحديث النبويِّ: أبو البقَاء العُكبريِّ (٦١٦هـ)، تحقيق عبد الإله نبهان، مطبوعات مجمع اللغة العربيَّة بدمشق، ط٢، ١٩٨٦م.

٤. الأعـلام: خير الدين الزِّركلي (١٣٦٩هـ)، دار العلم للملايين – بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م.

٥. إنبـاه الرواة على أنبـاء النحاة: القفطي (٦٤٦هــ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي – القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية –بيروت، ط١، ١٩٨٢م.

٦. الانتخاب لكشف الأبيات المشكلة الإعراب: ابن عَدلان (٦٦٦هـ)، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، مؤسَّسة الرسالة – بيروت، [د ط]، ١٩٨٨م.

٧. البداية والنهاية: ابن كثير الدمشقيّ (٧٧٤هـ)، تحقيق عبد الله بن عبد المحسـن التركي، مركز البحوث والدراسات بدار هجر– الرياض، ط١، ١٤١٨هـ.

٨. بغيـة الطلب في تاريخ أهل حلـب: ابن العديم (٦٦٠هــ)، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر – دمشق، [د ط]، ١٩٨٨م.

٩. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنُّحاة: جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق د. محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية – صيدا، [د ت، د ط].

١٠. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: الذهبي (٧٤٨هـ)، تحقيق د. بشار عوَّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٣م.

١١. ديوان أبي الطيب المتنبِّي بشرح أبي البقاء العُكبَريِّ المسمَّى بالتبيان في شرح الديوان: [منسوب خطأً] ضبطه وصحَّحه وصنع فهارسه: مصطفى السَّقا – إبراهيم الأبياري – عبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابيِّ الحلبيِّ – مصر، ط١، ١٩٣٦م.

١٢. سير أعلام النبلاء: شمس الدين الذهبي (٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحقِّقين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسَّسة الرسالة – بيروت، ط٣، ١٩٨٥م.

١٣. شرح شعر المتنبِّي: أبو القاسم الأندلسيِّ المعروف بابن الأفليلي (٤٤١هـ): تحقيق د. مصطفى عليان، مؤسَّسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

١٤. الفَسْر الصَّغير: أبو الفتح عثمان بن جنِّي (٣٩٥هـ)، تحقيق د. عبد العزيز المانع، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلاميَّة – الرياض، ط١، ٢٠٠٧م.

١٥. فوات الوفيات: ابن شاكر الكتبي (٧٦٤هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ط١، ١٩٧٤م.

١٦. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: حاجي خليفة (١٠٦٨هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، [د ت، د ط].

١٧. لسان الميزان: ابن حجر العسقلانيِّ (٨٥٢هـ)، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلاميَّة – بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.

١٨. المآخذ على شرَّاح ديوان المتنبِّي: ابن مَعقل الأزدي المهلبي (٦٤٤هـ)، تحقيق د. عبد العزيز المانع، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلاميَّة - الرياض، ط٢، ٢٠٠٣م.

١٩. المدارس النحويَّة: د. شوقي ضيف (٢٠٠٥م)، دار المعارف- القاهرة، [د ط]، ١٩٦٨م.

٢٠. مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان: اليافعي (٧٦٨هـ)، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلميَّة - بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

٢١. معجم الأدباء: ياقوت الحمويِّ (٦٢٦هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلاميِّ - بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

٢٢. معجم المطبوعات العربيَّة والمعرَّبة: يوسف سركيس (١٩٣٢م)، مطبعة سركيس- مصر، ١٩٢٨م.

٢٣. معجم المؤلِّفين، تراجم مصنِّفي الكتب العربيَّة: عمر رضا كحالة (١٤٠٨هـ)، مكتبة المثنَّى ودار إحياء التراث العربيِّ - بيروت، ١٩٥٧م.

٢٤. المقفَّى الكبير: المقريزي (٨٤٥هـ)، دار الغرب الإسلاميِّ، بيروت، ط١، ١٤١١ه.

٢٥. المنصف للسَّارق والمسروق منه في إظهار سرقات أبي الطيب المتنبِّي: ابن وكيع التنيسيِّ (٣٩٣هـ)، تحقيق د. محمد عبدالله العزام، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلاميَّة - الرياض، ط١، ١٤٢٩هـ.

٢٦. الموضِح في شرح شعر أبي الطيب المتنبِّي: أبو زكريا التبريزيِّ (٥٠٢هـ)، تحقيق د. خلف رشيد نعمان، دار الشؤون الثقافيَّة - بغداد، ط١، ٢٠٠٠م.

٢٧. نشأة النحـو وتاريخ أشهر النُّحاة: محمد الطنطاوي (٢٠١٥م)، مطبعة السعادة - مصر، ط٢، [دت].

٢٨. نَضـرة الإغريض في نُصـرة القريض: المظفَّـر بـن الفضـل العلـويّ (٦٥٦هـ)، تحقيق د. نهى عارف الحسن، مطبوعات مجمع اللغة العربيَّة بدمشق، ط١، ١٩٧٦م.

٢٩. النظام في شرح شعر المتنبِّي وأبي تمام: ابن المستوفي الأربلي (٦٣٧هـ)، تحقيـق د. خلـف رشيد النعمـان، دار الشؤون الثقافيَّـة العامَّة- بغداد، ط١، ١٩٨٩م.

٣٠. وفيـات الأعيان وأنباء أبنـاء الزمان: ابن خَلِّـكان (٦٨١هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر - بيروت، [د ت، د ط].

- البحوث والمقالات:

٣١. أشـرح الكـورانيِّ الإربلـيِّ أم العُكـبَريِّ الأزجـيِّ؟: د. مصطفـى جـواد (١٩٦٩م)، مجلَّة الثقافة المصريَّة، ع١٧، ١٩٣٩م، ص ص ٤٩ — ٥٢.

٣٢. التِّبيـان في شرح الديوان يستردُّ مؤلِّفه: عبَّاس علي الأوسيّ، مجلَّة المورد — دار الشؤون الثقافيَّة العامَّة ببغداد، مج٣٤، ع٣، ٢٠٠٧م، ص ص ١٤٠ — ١٥٥.

٣٣. التِّبيـان لا للعُكـبَريِّ ولا لابـن عَـدلان: د. عبدالرحمـن الهليِّـل، مجلَّـة الدراسات اللغويَّـة - مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلاميَّة بالرياض، مج٢، ع٢، ٢٠٠١م، ص ص١٨٧-٢١٩.

٣٤. الخـلاف في شرح ديوان المتنبِّـي المسمَّى بالتِّبيان في شـرح الديوان: د. نبيـل سليمـان، مجلَّة كليَّـة الآداب - جامعة بغـداد، ع ٧١، ٢٠٠٥م، ص ص١٩٠-٢١٢.

٣٥. شـرح ديوان المتنبِّـي لابن عَدلان لا للعكـبري: د. مصطفى جواد، مجلَّة المجمع العلمي العربي - دمشق، مج١٢، ع١-٢، ١٩٤٧م، ص ص ٣٧-٤٧.

٣٦. شـرح ديـوان المتنبِّي لابن عَـدلان لا للعكـبري (٢): د. مصطفى جواد، مجلَّـة المجمع العلمي العربي - دمشق، مـج١٢، ع٣-٤، ١٩٤٧م، ص ص ١١٠-١٢٠.

٣٧. عـودةٌ إلى كتاب التِّبيان في شرح الديـوان: د. شاكر الفحَّام (٢٠٠٨م)، مجلَّة مجمع اللغة العربيَّة بالقاهرة، ع ٨١، ١٩٩٧م، ص ص ٢٠٠-٢١٣.

عِمَادُ الدِّين زَنْكِيّ وتَحْرِيرُ إمارَةِ الرُّها[1]
(٥٢٤-٥٤٤هـ/١١٣٠-١١٤٩م)

«الصراحة التي أرجفت النجوم الشريرة» تنيسون (Tennyson)[٢]

ترجمة وتعليق: د. علاء مصري النهر

يَأْسُ المُسْلِمينَ:

لقد كان فُولكُ (Fulk)[٣] حاكِمًا ناجحًا لمملكته الصغيرة؛ إذ حافَظَ عليها جيِّدًا، بل إنَّه قد بسط سلطانَها كل البسط. بَيْدَ أنَّ حُكْمَه الذي قد شهد تغيرًا بطيئًا -برغم أنَّه بالِغُ الأهمِّيَّة- كان يُنْذِرُ بكارِثَةٍ على الفِرنْج. فالسَّادَةُ المُسْلِمون على نَهْرَي العاصي والفُرات قد اعترفوا -الواحِدُ تِلْوَ الآخَرِ- بسيادة نائب السُّلْطان بالمَوْصل، فتوقَّفوا عن خلافاتهم فيما بينهم. وكان هذا التوحيدُ لطاقات المُسْلِمين -كخُطْوَةٍ أُولَى من أجْلِ صَدِّ مَدِّ الغزو اللَّاتينيِّ- هو في الأساس من عمل رَجُلٍ واحِدٍ، ذلكم زَنْكِيٌّ أتابِكُ[٤] المَوْصِل.

عِمَادُ الدِّين زَنْكِيٌّ هو ابنُ المُسْتَشَارِ الأثير[٥] لدى مَلِك شاه[٦]، الذي صار أميرًا على حَلَب، وهلك دِفاعًا عن ابنِ سيِّده[٧]. كان زَنْكِيٌّ في سِنِّ العاشِرَة حينَ قُتِلَ أبوه، وخاض أُولَى مَعَارِكه ضِدّ الفِرنْج وهو في خدمة مَوْدُود[٨]، وذلك لمَّا شارَكَ في المعركة حامِيَة الوَطِيس التي وقعتْ قُرْبَ طَبَرِيَّة؛ إذ طارَدَ فيها الفِرنْجَ حتَّى باب المدينة الذي ترك عليه أثرًا برُمْحه. بعد ذلك، التحق بخدمة مَحْمُود[٩]، الذي جعله نائِبَه ببَغْدَادَ والعِرَاق، ثُمَّ في أعْقاب مَقْتَلِ البُرْسُقِيِّ[١٠] دعَّمه ليكون والِيًا على المَوْصِل (في سنة ٥٢١هـ/١١٢٧م).

في تلـك الأثناء كان المُسْلمون في قمَّة اليأس؛ فيقــول أحدُ الكُتَّابِ العَرَب[١١]:

«كان الفـرِنْجُ قد اتَّسَعَتْ بلادُهم، وكَثُرَتْ أَجْنادُهم... وامتدَّتْ إلى بِلادِ الإِسْلام أيديهــم... وتتابَعَتْ غَزَوَاتُهــم، وساموا المُسْلمين سُوءَ العَـذَاب، وركبوهم بالتَّبَار والتَّبــاب... فنُجُــومُ سَعْــدِ المُسْلمين مُنْكَــدِرَةٌ، وسَمَــاءُ عِزِّهم مُنْفَطِــرَةٌ، وشَمْسُ إقْبَالهم مُكَوَّرَةٌ...». «وكانت مَمْلَكَةُ الفرِنْج حينئذ قد امتدَّتْ من ناحِيَة ماردينَ[١٢] وشَبَخْتَــانَ[١٣] إلى عَرِيشِ مِصْــرَ، لم يتخلَّله من ولاية المُسْلمين غَيْرُ حَلَب وحِمْص وحَمَــاة ودِمَشْــق. وكانت سراياهم تبلغ من دِيَارِ بَكْرٍ إلــى آمِدَ[١٤]، فلم يُبْقُوا على مُوحِّــدٍ ولا جاحِد. ومن دِيَارِ الجَزِيرَة إلى نَصِيبِينَ[١٥] ورَأْس عَين[١٦]؛ فاستأصلوا مــا لأَهْلِها مــن أَثاثٍ وعَيْن. وأمَّــا حَرَّانُ فقــد كان أهلُها معهــم في ذُلٍّ وصَغَار... ويودُّون لو أنَّهم من ساكِنِي القُبُور. وانْقطعت الطُّرُقُ إلى دِمَشْقَ إلَّا على الرَّقَّة[١٧] والــبرِّ... ثُــمَّ زاد الأَمْرُ وعَظُــمَ الشَّرُّ، حتَّى جعلــوا على كُلِّ بلــدٍ جاوَرَهم خَرَاجًا وإتــاوَةً يأخذونهــا منهم؛ ليكفُّوا أيديهم عنهم. ثُمَّ لم يقنعــوا بذلك، حتَّى أرسلوا إلــى مدينة دِمَشْق، واستعرضوا الرَّقيقَ مِمَّنْ أُخِذَ من الرُّوم والأَرْمَن وسائر بلاد النَّصْرَانِيَّة». فقُدِّر لزَنْكِيٍّ أنْ يُغيِّر كُلَّ هذا، وأنْ يُلهِمَ شَعْبَه شَجَاعَةً، وأنْ يقودَهم لتحقيــق أوَّل نجاحاتهــم، وأنْ يُمهِّدَ -من ثَــمَّ- الطَّرِيقَ أمام ابنِــه ليضُمَّ الدِّيَارَ المِصْرِيَّةَ، وأمام خليفته الثالث[١٨] ليفتَحَ بَيْتَ المَقْدِس. بعد جيلٍ تالٍ نَظَرَ المُسْلِمون إلى زَنْكِيٍّ على أنَّه خادِمُ الرَّبِّ الذي فضَّله واصْطَفَاه للقيام بحماية شَعْبِه.

قِيَامَةُ زَنْكِيٍّ:

كانــت أوَّلُ حمــلات زَنْكِيٍّ ضِدَّ مُنافِسِيه المُسْلِمين؛ لأَنَّــه لم يستطِعْ أنْ يُهاجِمَ الفرِنْجَ ما لم يُوطِّدْ سُلْطَةَ المَوْصِل على البلدان الواقِعَة شرقي نهر الفُرَات. وبِعَقِبِ توطيــد دعائم حُكْمِــه في المَوْصِل، استولى على جَزِيرَة ابــنِ عُمَرَ[١٩]، ثُمَّ نَصِيبِينَ وسِنْجَــارَ[٢٠]. بعد هذا، قــرَّر أنْ يُؤمِّنَ مَوْقِعَه على نهر العاصي، وأخذ يُقلِّبُ وَجْهَه شَطْرَ حَلَب.

في هـذا الوقت كانـت حَلَبُ في غايةِ الضعـف لدرجة أنَّ أهْلَهـا دفعوا نصفَ إيراداتِهـم للفِرنْج، حتَّى في رَحَـا بينها وبين البلدِ نحو عشرين خُطْوَةً. مَلَكَ زَنْكيٌّ حَلَـبَ في مُحرَّم ٥٢٢هـ/ يونيو ١١٢٨م، وأَخَذَ حَمَاةَ في العـام التالي، ثُمَّ في سنة ٥٢٤هـ/ ١١٣٠م بدأ حَرْبَه مـع الفِرنْج بفتح حِصْنِ الأَثَـارِب[٢١] الحُدُوديِّ، الذي يقول عنه ابنُ الأثير[٢٢]: «وهو من المُسْلمين في نُحُورِهم». وبِحَسَبِ أُسْطُورَةٍ لاحِقَةٍ عندمـا سَمِعَ الملـكُ بَلْدَويـنُ (Baldwin)[٢٣] عن الحِصَار استدعـى مَجْلِسَه. فاستهـان بَعْضُ المُحاربين مـن أهْل الغِـرَّة والجَهْل بالخطر الجديـد. مع ذلك، كان هنـاك مُحـاربٌ له وجْهَةُ نَظَر مختلفـةٌ؛ إذ قال: «أَلَيْسَ هـذا الغَضَنْفَرُ الذي أثَّـر في طَبَرِيَّـة بمُفْرَدِه مـا أثَّر؟ فأَلْقُوا قِنَـاعَ التَّواني، ولا تسيروا إلـى دَفْعه سَيْرَ السَّـوَاني[٢٤]!»[٢٥] فجعلـتْ هذه الكلمـاتُ بَلْدَوينَ يُقـرِّرُ إنْجادَ حِصْـن الأَثارِب. فتقـدَّم زَنْكـيٌّ للقاء عَـدُوِّه. لم يَكُـنِ الوَقْتُ وَقْتَ تـردُّد؛ فوَفْق كلمـات ابن الأثير المُعـبِّرة: «أخذتْ سُيُوفُ اللّه منْ أعْناقِ أعْدائه أَغْمَـادًا»[٢٦]. غاصَ زَنْكيٌّ في بَحْرٍ مـن الدِّمـاء، وهو يَدُوسُ علـى جُثَثِ الفِرنْج، وكُلِّـلَ هذا النَّصْـرُ بالاسْتِيلاء على حِصْن الأثارِب.

مـع ذلك، لم تتحقَّقْ نجاحاتُ زَنْكيٍّ إلَّا بعـد تجشُّم أهْوالٍ شديدةٍ. ففي سنة ٥٢٣هـ/ ١١٢٩م اضطر إلى مُقاوَمَة نِدِّه دُبَيْس[٢٧] الـذي سعى لكي يصبح أميرًا علـى المَوْصل[٢٨]. بعد ذلك بسنتين زَجَّـه الصِّراعُ على وراثـة سَلْطَنَة السَّلاجقَة في سلسلـةٍ مـن النِّزاعات شغلـتْ مُعْظَمَ وقته لمُـدَّة اثنتي عشرة سنـةً تاليةً. وفي سنـة ٥٢٧هـ/ ١١٣٣م حُوصِـرَ في المَوْصل لمُـدَّة ثلاثة أشهـرٍ[٢٩]، ولم يتصالَحْ مع مَسْعودٍ[٣٠] –أخي محمودٍ– إلَّا في سنة ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م[٣١].

في ذلك الوقت كان زَنْكيٌّ قد غدا أقوى زعيم في الإسْلام. فبعد عِدَّة إخْفاقاتٍ بَسَطَ نُفُوذَه على نهر دِجْلَة، وكي يكون سيِّدًا على نهر العاصي كان عليه أنْ يستعدَّ لخَوْضِ مَعَارِك ضِدِّ الفِرنْج. وسَرْعَانَ ما قدَّمتْ له مُجرياتُ الأحْداث فُرْصَةً على

طَبَقٍ من ذَهَبٍ من أَجْل العمل العظيم الذي كان يتطلَّعُ إليه منذ أَمَدٍ بعيدٍ، ألا وهو فَتْحُ الرُّها.

الفُتُوح الإسلاميَّة:

كان خَصْــم زَنْكِيٍّ الأكبر هو جوسلين دي كورتنــاي كُونْت الرُّها (Joscelin de Courtenay، Count of Edessa)[٣٢]، وهــو قريــبُ بَلْدَويــن دي بُــورغ (Baldwin du Bourg)[٣٣] الذي قد أَنْعَمَ عليه بإقْطاع تَلِّ باشِرٍ[٣٤] الغنيِّ. ثُمَّ بعد ذلك حُرِمَ من لُورديته؛ بسبب بعض المُخالَفات، لكنْ في سنة ٥١٢هـ/١١١٨م أعــاد إليه بلدوينُ إقْطاعَه القديمَ، وجعله كُونْــتَ الرُّها أيضًا. ومنذ هذه اللَّحظة صــارتْ حياتُــه عبارة عن نشــاطٍ مُتواصلٍ لا يفــتر؛ فامتدَّتْ حملاتُــه التَّخْريبيَّةُ جنوبًــا باتِّجــاه حَلَب ومَنْبِج[٣٥]، وشرقًــا حتَّى نَصيبين وآمد والرَّقَّــة. فباتَ اسْمُه مَصْــدَرَ رُعْبٍ في البــلاد الإسلاميَّة؛ ممَّا جعــل أحدَ الكُتَّاب العَــرَب يُطلِقُ عليه: «شَيْطانًا عاتِيًا من شياطين الفِرِنْج»[٣٦]. وبعد حياة الحرب والفوضى، فقد حياتَه كمُحــارِبٍ في عملٍ حربيٍّ. فبينمــا كان مُستلقيًا على سرير المرض عَلِمَ أنَّ سُلْطانَ قُونِيَــة (Iconium)[٣٧] يُحاصِرُ كــيره ســون (Cresson)[٣٨]. كان ابنُه عنده خَــورٌ وجُبْنٌ؛ فهو أقلُّ من أنْ يدخل في حَــرَبٍ ضَرُوسٍ ضِدَّ جَيْشٍ عَرَمْرَم، ومن ثَمَّ حُمِــلَ جوسلينُ –الغاضب من ابنه الجَبَان– إلــى ساحَة القتَال على مَحَفَّة[٣٩]. انقلَــبَ السُّلْطانُ على عَقِبَيْه لمَّا شاعَ خبرُ قُدُومه، فشكر الكُونْتُ المُحتضَرُ السَّمَاءَ؛ لأنَّهــا نَصَرَته بالرُّعْب على الكافر، حتَّى وهو علــى أَبْواب الموت. وَقَعَ ذلك حوالي سنــة ٥٢٥هــ/١١٣١م، فخَلَــفَ الكُونْــتَ ابنُه جوسلــينُ الثــاني (Joscelin II) المُحارِب الذي لم تُحْمَدْ سيرَتُه حتَّى لدى الكُتَّاب الصَّليبيين. كان جوسلينُ الثاني يمتلــك بعضًا من جَسَارَة أبيه، لكنَّه مال إلى الخَلَاعَة والتَّرَف، مع أنَّه كان قادرًا أحيانًا على القيــام بأَعْمالٍ بطوليَّة، مُفضِّلًا التَّقلُّبَ في النِّعْمَة على حياة الحرب. لــذا، ابتعد عن شَظَفِ العَيْش بالرُّها، ومال إلــى الراحة والمتعة في تَلِّ باشِرٍ. حذا

المُحاربـون اللَّاتينُ الآخَرونَ حَذْوَه؛ فتُركَت الرُّهـا للأَرْمَن غير المُحارِبين، ولقليلٍ من التُّجَّار اللَّاتين. كان البلدُ مُحصَّنًا تَحْصينًا جيِّدًا، لكن حرصًا على الأمن وثق سُكَّانُهـا المُسالِمـون في مُرتزِقَة كانوا يتقاضون رَوَاتِـبَ لا تُسمِن ولا تُغني من جُوعٍ. يقول وليم الصوري (William of Tyre): «هكذا فَقَدَ جوسلينُ كُلَّ البِلاد التي كان أبوه قد أحكم سيطرتَه عليها»[٤٠].

أتاحت الحالةُ التي كانت عليها الرُّها من قِلَّة الدِّفاعات لزَنْكِيٍّ الفرصةَ التي كان يتطلَّـعُ إليهـا. فبعد حِصَـارٍ دامَ ثمانيةً وعشرين يومًـا استولى على البلدِ في جُمَـادَى الآخِرَة ٥٣٩هـ/ رابع عشر ديسمبر ١١٤٤م. وَقَعَتْ مذبحةٌ عشوائيةٌ، ولم تَسْكـنِ الدِّماءُ إلَّا بعد أنْ أَصْدَرَ زَنْكِيٌّ أَوامرَه برفْعِ السَّيْف. لكنَّه عفا –حتَّى ذلك الوقـت– عن الأَرْمَن فقط، في حين قُتِلَ جميعُ الأَسْرَى الفرنْج أمام ناظرَي زَنْكِيٍّ، وأُسِـرَتْ نِساؤهم وذراريِّهم. ظلَّت القَلْعَةُ تُقاوِمُ لبضعة أيام، حتَّى اضطرها نفاد الماء إلى الاسْتِسلام. وُضِعَت حامِيَةٌ في البلد المفتوح، وتفرَّغَ زَنْكِيٌّ للاستيلاء على البلدات الإِفْرِنْجِيَّة الأُخرى ببلاد الجَزِيرَة الفُرَاتِيَّة.

لم يُعمَّـرْ زَنْكِيٌّ طويلًا؛ ليقطـفَ ثِمَارَ نَصْرِه العظيم. فبعـد سنتين، تحديدًا في شهـر ربيع الآخر ٥٤١هـ/ سبتمبر ١١٤٦م، وبينما كان يُحاصِرُ قَلْعَةَ جَعْبر[٤١] طعنَـه بَعْضُ مماليكه وهو نائـمٌ في خَيْمَته. أخبر أحدُ الحاضرين والدَ ابن الأثير أنَّـه دخل الخَيْمَةَ، فوجد سيِّدَه في السِّياق، «فحِينَ رآني ظنَّ أنِّي أريد قَتْلَه؛ فأشار إليَّ بإصْبَعِـه السَّبَّابَة يستعطفني. فوقفتُ من هَيْبَته، فقلتُ له: ‹يا مولاي مَنْ فعل بـكَ هـذا؟› فلم يَقْدرْ على الـكلام، وفاضَتْ نَفْسُـه لوَقْتِه»[٤٢]. ومـن أبْناء زَنْكِيٍّ الثلاثة[٤٣]، خلفه نُورُ الدِّين بحَلَب، وسَيْفُ الدِّين بالمَوْصل.

مهَّـدتْ فُتوحُ زَنْكِيٍّ الطَّريقَ لخلفَيْـه: نُور الدِّين، وصلاح الدِّين. لقد كان أوَّلَ زعيم مُسْلِم استطاع أن يُحقِّقَ نجاحات دائمَةً على الفرنْج؛ ففي ظلِّ حُكْمه أصبح وادي نهـر العاصـي مُتَّحِدًا ضِـدّ الغُزَاة. إنَّ الاخْتلاف بين حـال البلد قبل حكمه

وبعده لا يمكن وصفه خيرَ وَصْفٍ إلَّا عبر كلام شخص يتذكَّر بُؤسَ تلك الأيَّام قبل توليه الحكم. لقد رأى والدُ ابنِ الأثير المَوْصِلَ وهي خَرَابٌ؛ حتَّى إنَّ المُسافرَ كان يقف في وسط البلد ولا يرى دارًا معمورةً، أمَّا في ظلِّ حُكْم زَنْكيٍّ فقد غدتْ المَوْصِلُ واحدةً من أكثر البلاد الإسلامية ازدهارًا. لقد أخضَع زَنْكيٌّ الأُمَراءَ الأَرَاتِقَةَ[٤٤] لحُكْمه، وفرض النِّظَامَ بحَلَب، وجعل سُلْطَتَه هي الأَعلى بحَمَاة وحمْص، بل حتَّى بدمَشْق. واستولى على كثيرٍ من مَعَاقل الفرِنْج، وختمها بفتْح الفُتُوح لمَّا انتزَع الرُّها «عَيْن الدِّيَار الجَزَرِيَّة»[٤٥] من الغُزَاة. فالفرِنْجُ الذين -عند تسلُّمه الحُكْم- أخذوا خَرَاجًا من حَلَب، ونهبوا البِلادَ حتَّى حدود مارِدين ونَصيبين، رُدُّوا على أعْقابهم وأُجبِروا على الوقوف موقف المُدافِع، في حين بدأتِ الأَقْدارُ تبتسمُ تارَةً أُخرى لصالِح المُسْلمين.

كانت توجد سيماءُ نُبْلٍ كثيرةٌ في شخصية زَنْكيٍّ؛ إذ كان عسكريًّا شُجاعًا، وقائدًا بارِعًا، ورَجُلَ دَوْلَة حكيمًا، بَيْدَ أنَّ خطأَه الكبيرَ تمثَّل في مَيْله إلى الاحْتِيَال والغَدْر[٤٦]. ولكونه حاكمًا ألمَّ بكُلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ من أُمُور دَوْلَته؛ ممَّا جعل رعاياه يَعَجَبُون من ذلك ومن نشاطه الدَّائم الذي كاد يجعله يعرف الأشياءَ قبل وقوعها. أمَّا عُمَّالُه، فكان شديدَ العقابِ لهم: إذ اعتاد القول: «ما يَتَّفقُ أن يكونَ أكثرُ من ظالم[٤٧] واحد»[٤٨] في بلادي. في الحقِّ، إنَّه كان يُهابُ أيَّما مَهَابَة، ومن هَيْبَتِه قَتَلَ: ذات مَرَّةٍ وجد مَلَّاحًا نائمًا في أثناء أدائه لوظيفته، فاستيقظ الرَّجُلُ من إغْفاءتِه فتلتقي عَيْنُه بِعَيْنِ الأتابك، فتدمغه عَيْنُ الأتابك ويسقط مَيِّتًا[٤٩].

مصير جوسلين الثاني:

إنَّ النتيجةَ المُباشِرَةَ لانتصار زَنْكيٍّ المُؤَزَّر هي تحرُّك أُمَراء الغرب للقيام بالحملة الصَّليبيَّة الثانية. ولذلك حديثٌ آخَرُ يطول، وما يهمنا هنا هو مصيرَي الكُونْت جوسلين والرُّها؛ لأنَّهما يُشكِّلان التَّتِمَّةَ اللَّازِمَةَ للأحْداث التي نحن بصددها.

فِي جُمَادَى الأُولَى ٥٤١هـ/ نوفمبر ١١٤٦م، وبنَاءً على دعوة أَرْمَن الرُّها، قام الكُونْتُ جوسلين بهجوم باللَّيْل والحامِيَةُ التُّركِيَّةُ نائِمَةٌ. فأُخِذَت المدينةُ دُونما صعوبةٍ تُذكَرُ، لكنْ صمدتِ القَلْعَةُ حتَّى أتى نُورُ الدِّين لنجدتها. فقرَّر جوسلينُ الانْسِحابَ، ومن ثَمَّ لم يكنْ أمام المُواطِنِينَ مَحِيصٌ سِوَى اقْتِفاء أَثرِه؛ لئلا يُواجِهُوا انْتِقامَ نُور الدِّين. هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ! فعندما كانوا يصطفون عبر البوابات انقضَّ عليهم من الخلف الأَتْراكُ الذين كانوا فِي القَلْعَة، فِي حين منع جَيْشُ نُورِ الدِّين أيَّ تقدُّم فِي الأمام. كانت المذبحةُ مروعةً، ولم يهربْ إلَّا أُولئك الأَرْمَنُ الذين مكَّنتْهم قوَّتُهم البدنيةُ أو جِيَادُهم السريعةُ من مُسايرَةِ جَيْش الفِرنْج. وكان من بين القَتْلَى بلدوينُ صاحِب مَرْعَش[٥٠] (Baldwin of Marash) –أحد الأُمَراء الفِرنْج القلَال– الذي قد نال حُبَّ رعاياه الأَرْمَن، أمَّا جوسلينُ فنجا بنفسِه إلى سُمَيْسَاط[٥١].

بعد ذلك، تقريبًا فِي سنة ٥٤٦هـ/ آخر سنة ١١٤٩م، وخلال محاولة جديدة لأخذ الرُّها وقع جوسلِينُ فِي قبضة نائِب نُور الدِّين بحَلَب. كان نُورُ الدِّين يكره الكُونْتَ كرهًا شديدًا؛ لأنَّه كان قد أرسل دِرْعَ سلاحدارِ نُور الدِّين إلى مَسْعُود[٥٢] صاحِب قُونِيَة، وفِي ذلك تلميحٌ بأنَّ هذه هَدِيَّة سوف تُتبَعُ قريبًا بالأتابك بلحْمه وشحْمه. لذا سُمِلَتْ عَيْنَا جوسلين بأوامِر نُور الدِّين، وتُرِكَ قابِعًا فِي زنزانةٍ بحَلَب حتَّى تخطفتَه يدُ المَنُون بعد تِسْع سنواتٍ.

سَرْعَانَ ما أعقبَ أَسْر جوسلين ضَيَاع كُلِّ ما تبقَّى من إقليمه الذي كان مُزدهِرًا فِي الأيَّام الخالية. لقد أصاب وليمُ الصُّورِيُّ كَبَدَ الحقيقة حِين ذكر أنَّ الرُّها هي أَرْضٌ بين حَجَرَيالرَّحَى العلويِّ والسفليِّ. فاستولى مسعود صاحِب قُونِيَة على مَرْعَش فِي جُمَادَى الأُولَى٥٤٤هـ/ سبتمبر ١١٤٩م، وقام بمزيدٍ من الفتوحات خلال السنوات القليلة التالية. وبموجب صفقة شكليةٍ أكثر من كونها حقيقيةً سلَّم الفِرنْجُ آخِرَ أملاكِهم فِي إمارَة الرُّها إلى البيزنطيين، ولجأَتْ زوجةُ

جوسلين وأَطْفالُه إلى أَنْطَاكيَّة. ولم يمضِ وقتٌ طويلٌ حتَّى خسر البيزنطيون هذه الأمـلاكَ المكتسبةَ لصالِح نُور الدِّيـن، وفي سنة ٥٤٩هـ/١١٥٤م توَّج ذلكم الأميرُ عمـلَ أبيه بالاسْتِيلاء على دِمَشْق. منذ ذلك الوقت غدتْ حَلَبُ ودِمَشْقُ خاضِعتَيْنِ لسيِّدٍ واحِدٍ، وقُطِعَتْ أوَّلُ خُطْوَةٍ فعليةٍ نحو فتْح المملكة اللَّاتينيَّة.

الحواشي:

(1) T. A. Archer & Charles L. Kingsford, “*The Crusades* “*The Story of the Latin Kingdom of Jerusalem*”, New York: G. P. Putnam’s Son, London: T. Fisher Unwin, 1894, pp. 197-206.

(٢) شاعرإنجليزي(١٨٠٩-١٨٩٢م).

(٣) هــو فُولِك الأَنْجُوِيُّ (٥٢٥-٥٣٧هــ/ ١١٣١-١١٤٣م). وعنه انظر (وليم الصوري: الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، ترجمة سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٩٠م، ٦٥٢-٦٥٦).

(٤) لقــبٌ يتكوَّن مــن لفظين تُرْكيين، هما: «الأتــا» أو «الأطا» أي الأب، و«بــك» أي الأمير؛ فالكلمة تعني «الأمــير الوالِد» أو «أبــا الأُمَراء» الذي يُربِّي أولادَ المُلُوك. ثُمَّ أطلَقــه سلاطينُ السَّلاجِقَة على كِبَار قادة جيوشهم الذين يولونهم الوصاية على أبنائهم القاصِرين. (وفيات الأعيان ١: ٣٦٥؛ ٢: ٣٢٨؛ صبح الأعشى ٤: ١٨).

(٥) هــو قَسِيــم الدَّوْلَــة آقسُنْقُر بن عبــدالله، المعروف بالحاجِب، والِــدُ عِمَادِ الدِّيــن زَنْكِيٍّ، والي حلب (٤٧٩-٤٨٧هــ/١٠٨٦-١٠٩٣م). و«آقسُنْقُــر» لفظةٌ تُرْكِيَّــةٌ من مقطعين: «آق» أبيضــ، و«سُنْقُر» صقــر. له ترجمــة في (التاريخ الباهر،٤، ١٥؛ الكامــل ١٠: ٢٣٢؛ الروضتــين ١: ٣١، ١٠٢؛ وفيات الأعيان ١: ٢٤١؛ مُفرِّج الكُرُوب ١: ١٩، ٢٥-٢٧؛ سير أعلام النبلاء١٩: ١٢٩-١٣٠؛ تاريخ الإسلام ١٠: ٥٧٤-٥٧٥).

(٦)هــو السُّلْطــان جلال الدَّوْلَــة أبو الفتْح مَلِــك شاه بن أَلْــب أَرْسْلَان محمــد (٤٦٥-٤٨٥هـ/ ١٠٧٢-١٠٩٢م). لــه ترجمة في (المُنتظَــم ١٦: ٣٠٨-٣١٣؛ الباهر، ١٠-١١؛ الكامِل ١٠: ٢٠٩-٢١٢؛ مرآة الزمــان ١٩: ٤٣٥-٤٣٩؛ الروضتــين ١: ١٠٠-١٠١؛ وفيــات الأعيــان ٥: ٢٨٣-٢٨٩؛ ســير أعــلام النبلاء ١٩: ٥٤-٥٨؛ تاريخ الإسلام ١٠: ٥٥٢-٥٥٤؛ النجوم الزاهرة ٥: ١٣٤-١٣٥).

(٧) قُتِــلَ قَسِيــمُ الدَّوْلَة آق سُنْقُر على يد تاج الدَّوْلَة تُتُش في جُمَــادَى الأُولَى سنة ٤٨٧هـ/ مايو ١٠٩٤م؛ لانْحِيــازه إلى جانــب السُّلْطان رُكْن الدِّين بَرْكَيَارُوق بن مَلِك شاه الأوَّل. وعن مقتله راجع: الباهِر، ١٥؛ الكامِــل ١٠: ٢٣١؛ مرآة الزمان ١٩: ٤٥٦؛ الروضتــين ١: ١٠٢؛ وفيَات الأعيان ١: ٢٤١؛ مفرج الكروب ١: ٢٥-٢٦.

(٨) هــو مودود بــن أَلْتُونتكــين (٥٠٢-٥٠٧هــ/ ١١٠٨-١١١٣م). ترجمته في (ذيل تاريــخ دمشق لابن القلانسيِّ، ١٨٧؛ تاريخ الإسلام ١١: ١٦، ١٠٦).

(٩) هــو السُّلْطان مُغيثُ الدِّين محمودُبنُ محمد بن مَلِك شــاه الأوَّلِ السَّلْجُوقِيُّ (٥١٢-٥٢٥هـ/١١١٨-١١٣١م). له ترجمة في (وفيات الأعيان ٥: ١٨٢-١٨٣؛ تاريخ الإسلام ١١: ٤٤٠).

(١٠) هـو آق سُنْقُر البُرْسُقـيُّ -والبُرْسُقيُّ نسبةً إلـى بُرْسُق أحد مماليك السُّلْطـان طُغْرُلْبَك- أقطَعه السُّلْطـانُ محمودٌ السَّلْجُوقيُّ المَوْصِلَ وأعمالَها في صَفَر سنة ٥١٥هـ/١١٢١م، ظلَّ في منصبِه حتَّى قُتِـلَ على يد الباطنيَّة بالجامِع العَتِيق في المَوْصِل يوم الجُمُعَة سنة ٥٢٠هـ/١١٢٦م. راجع (التاريخ الباهـر، ٢٤، ٣١؛ الكامِـل ١٠: ٦٣٣؛ الروضتين ١: ١١٤). وله ترجمـة في (بغية الطلب ٤: ١٩٦٣-١٩٤٠؛ وفيات الأعيان ١: ٢٤٢-٢٤٣؛ تاريخ الإسلام ١١: ٣١٣-٣١٥).

(١١) يقصد ابنَ الأثير، انظر (التاريخ الباهر، ٣٢). وللمزيد راجع (الروضتين ١: ١١٧).

(١٢) مدينةٌ مُعلَّقةٌ، تقع شمال رَأْس عَيْنٍ ونَصِيبِين، وكانت تُعرَف بـ «البا»، ويقع في جنوبها ربضٌ عظيمٌ. (معجم البلدان ٥: ٣٩).

(١٣) إقليمٌ من دِيَار بَكْرٍ.

(١٤) مدينـةٌ حصينةٌ مبنيةٌ بالحجارة من أعظم مدن دِيَار بَكْـرٍ، يحيط بها نهر دِجْلَة على شكل هلالٍ. (معجم البلدان ١: ٥٦-٥٧).

(١٥) من بلاد الجَزِيرَة بين دِجْلَة والفُرَات، تقع في دِيَار رَبيعَة بالقُرْب من سِنْجارَ، وأهلُها قومٌ من رَبيعَة من بَنِي تَغْلب. واشتُقَّ اسْمُها من كلمة «نسيبيس» الرُّومانيَّة. (معجم البلدان ٥: ٢٨٨-٢٨٩).

(١٦) تنطقهـا العامَّةُ «رَأْسَ العَيْن»، وهي مدينةٌ كبيرةٌ مشهورةٌ من مـدن الجَزِيرَة بين حرَّان ونَصِيبِين ودُنَيْسَر، مشهورة بكثرة عيونها التي تشكل المنبعَ لنهر الخابُور. (معجم البلدان ٣: ١٣-١٤).

(١٧) في التاريخ الباهر: «الرَّحْبَة».

(١٨) يقصد صلاحَ الدِّين.

(١٩) أو الجَزِيـرَة العُمَرِيَّة، تقع شمال مدينـة المَوْصِل ضمن دِيار رَبيعَة، وكانت داخِلَةً في نهر دِجْلَة مثل الكَـفِّ علـى السَّاعِد، يحيط بها من جميع النواحي إلَّا من ناحيةٍ واحِدَةٍ، ثُمَّ حُفِرَ خندقٌ أُجري فيه المـاءُ وأُقيـم عليه رَحًى، فأحاط بها المـاءُ من جميع جوانبها. أمَّا عن سبـب تسميتها بهذا الاسْم، فيُقال: إنَّ الذي بناها هو عبدُ العزيز بنُ عُمَر من بلدة بُرْقَعِيدَ من أعْمال المَوْصِل من جهة نَصِيبِين؛ فنُسِبَـتْ إليه. يُقال أيضًـا: إنَّها جَزِيرَة أَوْس وكامِل ابنَي عُمَر بن أَوْس التَّغْلَبِيِّ. (معجم البلدان ٢: ١٣٨؛ وَفَيَـات الأعيـان٣: ٣٤٩-٣٥٠؛ ٤: ١٤٣؛ سـير أعلام النبـلاء ٢٢: ٣٥٥؛ تاريخ الإسلام ١٣: ٩٢٦-٩٢٧؛ تاريخ ابن الفُرَات ٦: ق٢٤٨).

(٢٠) تقع في دِيَار رَبيعَة قُرْب الحدود السُّوريَّة، جنوب نَصِيبِين، اشتهرتْ بكونها مدينة الطُّرق والقوافل منـذ القِدَم؛ لأنَّها سيطرتْ على الطريق بين العِرَاق وسُوريَة. (معجم البلدان ٣: ٢٦٢؛ آثار البلاد، ٣٩٣؛ حسن شميساني: مدينة سِنْجار، ١٩). وتقع حاليًا غرب محافظة نَيْنَوَى شمال العراق.

(٢١) حصنٌ معروفٌ بين حَلَب وأَنْطاكِيَّة، كان تابعًا لإمارة أَنْطاكِيَّة، ويقع على مسيرة يومٍ من حَلَب. (معجم البلدان ١: ٨٩).

(٢٢) انظر (التاريخ الباهر، ٣٩).

(٢٣) هو بلدوين دي بورغ، يُعرَف ببَلْدِوين الثاني، وهو ثالث ملوك بيت المَقْدِس الفِرِنْجَة (٥١٢-٥٢٦هـ/ ١١١٨-١١٣١م)، وقبل أن يصبح ملكًا تولَّى إمارة الرُّها مدة ثمانية عشر عامًا، وبعد وفاة ابن عمِّه بلدوين الأَوَّل انتُخِبَ ملكًا على بَيْت المَقْدِس. (وليم الصُّورِيّ: الأعمال المنجزة، ٥٦٩-٥٧٤).

(٢٤) السَّواني هي الإبل التي يُستقَى عليها الماءُ، فهي تسير سَيْرًا لا ينقطع. (مَجْمَع الأمثال ١: ٣٤٢).

(٢٥) التاريخ الباهر، ٤٠.

(٢٦) التاريخ الباهر، ٤١.

(٢٧) هو مَلِكُ العَرَب أبوالأَغَرِّ نُورُ الدَّوْلَة دُبَيسُ بن سَيْفِ الدَّوْلَة صَدَقَة ابن مَزْيَد الأَسَدِيُّ، صاحب مدينة الحِلَّة. تمكَّن في خلافة المُسْتَرْشِد واستولى على كثيرٍ من بلاد العِرَاق، لكنَّه قُتِلَ في آخر سنة ٥٢٩هـ/١١٣٥م بأمرٍ من السُّلْطان مسعود. له ترجمة في (المُنتَظَم ١٧: ٣٠٣؛خريدة القصر «قسم شعراء العراق» ٤/١: ١٧٠-١٧٢؛ الكامل ١١: ٣٠؛ مرآة الزمان ٢٠: ٢٧٤-٢٧٧؛ وَفَيَات الأعيان ٢: ٢٦٣-٢٦٥؛سير أعلام النبلاء ١٩: ٦١٢-٦١٣؛ تاريخ الإسلام ١١: ٤٨٦-٤٨٨).

(٢٨) في مُسْتَهَلِّ سنة ٥٢٣هـ/١١٢٩م وصل السُّلْطانُ محمودٌ السَّلْجُوقيُّ إلى بَغْدَادَ والتمس من الخليفة المُسْتَرْشِدِ تناسي خلافاته القديمة مع الأمير دُبَيْس بن صَدَقَة والسَّماح له بدخول بَغْدَاد، كما أرسَل إلى زَنْكِيٍّ -في الوقت ذاته- يطلب منه التخلِّي عن منصبه لصالح دُبَيْس؛ فأسرع زَنْكِيٌّ إلى بَغْدَادَ، وفاجأ السُّلْطانَ محمودًا بحضوره المُباغِت، وتمكَّن -بعد مُحادَثاتٍ طويلة- من إقْناعه بضرورة إبْقائه على ولاية المَوْصِل؛ دَرْءًا للخطر الصليبيِّ، وأكَّد طاعتَه وإخلاصَه له، فخلع عليه السُّلْطانُ وأقرَّه على ولايته. انظر: تاريخ حلب للعظيمي، ٣٨٣؛ المنتظم لابن الجوزي ١٧: ٢٥٢-٢٥٣؛ الكامل لابن الأثير ١٠: ٦٥٣؛ مُفرِّج الكُرُوب لابن واصل ١: ٤٠؛ تاريخ الإسلام للذهبي ١١: ٣٤٢-٣٤٣.

(٢٩) كانت القشَّةُ التي قصمتْ ظهر البعير وأدت إلى توتُّر العلاقات بين الخليفة المُسترشِد بالله وعِمَاد الدِّين، هي أنَّ الأخيرَ لمَّا أرسَل إليه الخليفةُ رسولَه الإمامَ أبا الفتوح الإسفرائينيِّ الواعظ، أغلظ له في القول وأهانه غايةَ الإهانة، فغضب الخليفةُ وسار في ثلاثين ألفًا إلى المَوْصِل. ولمَّا بلغ عِمَادَ الدِّين الخبرُ، رحل عن المَوْصِل في بعض عساكره، وترك الباقي بها مع نائبه نَصير الدِّين جَقَر، ونزل بظاهر سِنْجَار. وعندما نزل الخليفةُ على المَوْصِل في عسكره العظيم، حفظها نصيرُ الدِّين،

وكان عِمَـادُ الدِّيـن يرسل السرايـا يقطع الميرةَ عن عسكـر الخليفة، فقلَّتِ الميرةُ وعـزَّتِ الأقواتُ عنهم، وصاروا شبهَ المحصورين، فما كان من الخليفة إلَّا فكُّ الحصار. (الباهر، ٤٧-٤٨؛ الكامل ١٠: ٦٨٧؛ مفرج الكروب ١: ٥٢-٥٣).

(٣٠) هـو السُّلْطـان السَّلْجُوقِـيُّ أبـو الفتْـح غيَّـاث الدِّيـن مسعـود بـنُ محمـد بـن مَلِـك شـاه الأوَّل (٥٢٨-٥٤٧هـ/ ١١٣٤-١١٥٢م). له ترجمة في: وَفَيَات الأعيان ٥: ٢٠٠-٢٠٢.

(٣١) كان السُّلْطـانُ مسعودٌ ينـوي التَّوجُّهَ شخصيًّا في حملةٍ كبيرةٍ إلى المَوْصِل من أجْل تصفية خلافاته مـع عِمَادالدِّين، فـتردَّدتِ الرُّسُلُ بينهما حتَّى وضع مسعودٌ شروطًا معينـةً على عِمَادالدِّين، تتمثَّل في: دفـع مئة ألف دينـارٍ، والحضور بنفسه إلى بلاطه. فقَبِلَ عِمَادُ الدِّيـن الشرطَ الأوَّلَ ودفع مبلغ عشريـن ألـف دينارٍ،لكن لم يدمْ هذا الشـرط طويلًا؛ لأنَّ أصْحابَ الأطْـراف خرجوا على مسعودٍ ثانيـةً، فاضطر إلى مداراة عِمَادِ الدِّيـن، وأطلقلها لباقي استمالة له. وأمَّا الشرط الثاني، فامتنع عِمَـادُ الدِّين عن تنفيذه؛ مُتعلِّلًا باشتغاله بجهاد الفِـرنْج المُجاوِرين لدولته. فقبل السُّلْطانُ عذرَه، لكنَّـه شـرط عليه شرطًا ثالثًـا يتمثَّلُ في فتْح إمـارة الرُّها. انظر: الباهـر، ٦٥-٦٦؛ الروضتين ١: ١٦٩-١٧٠.

(٣٢) هو جوسلين الأوَّل، حاكِم إمارَة الرُّها في الفترة (٥١٢-٥٢٦هـ/١١١٨-١١٣١م). انظر عنه: وليم الصُّـورِيّ: تاريخ أعمال أنجزت فيما وراء البحـار ١: ٥٠٨؛رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية ٢: ٦٥-٦٦؛ هانسـ أبرهـا ردماير: تاريخ الحـروب الصليبية، ترجمة عماد الديـن غانم، منشورات مجمع الفاتح للجامعات، ليبيا، ١٩٩٠م، ١١٨-١١٩.

(٣٣) يُعـرَف ببلدوين الثاني، وهو ثالث ملوك بيت المَقْدِس الفِرنْجَة (٥١٢-٥٢٦هـ/١١١٨-١١٣١م)، وقبـل أن يصبـح ملكًا تولَّى إمـارة الرُّها مُدَّة ثمانية عشر عامًا، وبعد وفـاة ابن عمِّه بلدوين الأوَّل انتُخِبَ ملكًا على بَيْت المَقْدِس. راجع: وليم الصُّورِيّ: الأعمال المنجزة ١: ٥٦٩-٥٧٤.

(٣٤) قَلْعَـةٌ حصينةٌ، وكُورَةٌ واسِعـةٌ في شمال حَلَب، وأهلها نَصارَى أَرْمَـن. (معجم البلدان ٢: ٤٠؛ بُغْيَة الطَّلَب ١: ٣٢١-٣٢٢).

(٣٥) مدينةٌ كبيرةٌ واسِعَةٌ قُرْب حَلَب، كان عليها سُورٌ مبنيٌّ بالحجارة مُحكَمٌ. (معجم البلدان ٥: ٢٠٥-٢٠٦). تقع الآنفي شمال شرق حَلَب.

(٣٦) ابن الأثير: الباهر، ١٠٢. غير أنَّ هذا الوصف ذكره ابنُ الأثير في جوسلين الثاني -وليس في والده جوسلين الأوَّل- لمَّا أسره نُورُ الدِّين محمود سنة ٥٤٦هـ/١١٥١م.

(٣٧) يقصد سُلْطان سَلاجِقة الرُّوم.

(٣٨) هي الآن غيرسون في إقليم طَوْرُوس، شمالي مَرْعَش، وبالقُرْب من بَهَسْنِي الحالية. (المؤلف)

(٣٩) المِحَفَّة (Litter): محملٌ على أعلاه قُبَّة، وله أربعة سواعد: ساعِدان أمامَها، وساعِدان خلفَها. تكون مغطاةً بالجوخ تارَةً وبالحرير تارَةً أُخرى، تُحْمَلُ على بغلين أو بعيرين، يكون أحدهما في مُقدِّمتها، والآخَر في مُؤخِّرتها، إذا رَكِبَ فيها الرَّاكِبُ صار كأنَّه قاعِدٌ على سريرٍ، لا يلحقه انزعاجٌ. وقد جرتْ عادةُ المُلُوك والأكابر باسْتِصحابها في السفر؛ خشية ما يَعْرِضُ من المرض. (صبح الأعشى ٢: ١٣٠).

(٤٠) انظر: الحروب الصليبية ٣: ٢٣٥.

(٤١) تقع على الضِّفَّة اليسرى لنهر الفُرَات مُقابِل صِفِّين، وتُنسَب إلى جَعْبَر بن سابِق القُشيريِّ (ت ٤٦٤هـ/١٠٧٢م)، وكانت تُعرَف في بَدْء أمرها بـ «دوسر»، فسيطر عليها جَعْبَر، وأخذ يسطو على القوافل المارَّة بالقرب منها؛ ممَّا جعل السُّلْطان مَلِك شاه الأوَّل يسيطر عليها ويُسلِّمها إلى سالم ابن مالِك العُقَيْلِيّ في سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م. (معجم البلدان ٢: ١٤٢؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ١٣٣). وهي الآن عبارة عن شبه جزيرة ببحيرة الأَسَد،وتتبع محافظة الرَّقَّة السُّوريَّة.

(٤٢) الكامل ١١: ١٠٩؛ الباهر، ٧٤. وانظر: وفيات الأعيان ٢: ٣٢٨-٣٢٩؛ مفرج الكروب ١: ٩٩-١٠٠.

(٤٣) كان لزَنْكيٍّ أربعةُ أبْناءٍ هم: سَيْف الدِّين غازٍ (ت. ٥٤٤هـ)، نُصْرَة الدِّين أمير أميران (ت. ٥٦٠هـ)، قُطْب الدِّين مودود (ت. ٥٦٥هـ)، نُور الدِّين محمود (ت. ٥٦٩هـ).

(٤٤) هم أَبْنَاء أُرْتُق الذين أقاموا مُلْكَهم بحِصْن كَيْفَا، ومارِدِين وغَيْرِها من الأماكن الواقِعَة في الجَزِيرَة الفُرَاتِيَّة. (المؤلف)

(٤٥) التاريخ الباهر، ٦٧.

(٤٦) تمثَّل ذلك في: سيطرته على حَمَاة غدرًا، وقبضه على صاحِب حِمْص، وحيلته في أخذ الرَّقَّة، ونقضه للعهد مع حامية بعلبك. وذلك كُلُّه كان سَعْيًا لتوحيد الصَّفِّ الإسلاميِّ من أَجْل مواجهة خطر الفِرِنْج.

(٤٧) كلمة «ظالِم» لا تعني هنا مفهومها اللُّغوي بقدر ما تعني السيطرة الفردية المركزية في الحكم، وعدم السماح لعُمَّاله الآخَرين بالارتفاع إلى مستوى مسئوليته في الإدارة ومُشارَكته في الحكم؛ أي إنَّه كان يُؤمِنُ بما يُسمَّى اليوم بـ «الدكتاتور العادِل». (عماد الدِّين خليل: عماد الدِّين زَنْكِيّ، ٢٣٦).

(٤٨) ابن العديم: زُبْدَة الحَلَب، ٣٢٧.

(٤٩) ابن الأثير: التاريخ الباهر، ٨٢.

(٥٠) مدينـــةٌ في الثغـــور بين الشَّام وبِلاد الرُّوم، لها سُوران وخندقٌ، وفي وسطها حِصْن يُعرَف بالمَرْوَانيِّ؛ نِسْبَةً إلى آخِر الخُلَفاء الأُمَويين. (معجم البلدان ٥: ١٠٧).

(٥١) مدينــةٌ علــى شاطئ الفُــرَات، في طرف بلاد الــرُّوم على غربي الفُــرَات، ولها قَلْعَــةٌ في شقٍّ منها يسكنها الأَرْمَنُ. (معجم البلدان ٣: ٢٥٨).

(٥٢) هو الملك مَسْعُودُ بنُ قِلِج أَرْسْلان السَّلْجُوقِيُّ. انظر: الكامل ١١: ١٥٣.

تهديكم مجلة «العرب» أطيب تحيّة، وتسعد بمشاركتكم المجلة في عامها التاسع والخمسين؛ راجين أن تكون قد قدّمت ما هو مفيد.

كما نود إشعاركم بتجديد الاشترك وتحديث بياناتكم لتصلكم نسخ المجلة في أعدادها القادمة. ولسداد رسوم الاشترك نأمل دفعها على رقم الحساب أدناه:

لتحديث بيانات الاشتراك بالمجلة

الاسم..

العنوان..

المدينة.. عدد النسخ..

الدولة.......................... رقم الجوال..

ص.ب. .... الرمز البريدي..

هاتف........................... البريد الإلكتروني..

أسعار الاشتراك:

- سعر الاشتراك داخل السعودية للأفراد (120) ريالًا للسنة، وللمؤسسات (300) ريال للسنة.
- سعر الاشتراك للدول العربية (35) دولارًا للأفراد للسنة، شاملة أجرة البريد، و (45) دولارًا للمؤسسات.
- سعر الاشتراك للدول الأخرى (35) دولارًا للسنة.

طريقة الدفع

- تحويل رسوم الاشتراك على رقم حساب مؤسسة دار اليمامة للنشر والتوزيع:

مصرف الراجحي: آيبان SA618000 0125 6080 1012 9476

تنويـــه:

- يُعبّأ العنوان كاملًا ويُرسل إلى بريد المجلة الشبكي «الإلكتروني» مع إرفاق سند سداد الاشتراك.
- البريد الشبكيّ لمجلة العرب: arab@hamadaljasser.com
- كما نأمل عند انقطاع وصول المجلة أو تأخرها إبلاغنا عبر واتساب: +966541680124 أو بريد المجلّة الشبكيّ.

العرب

مجلة تُعنى بتاريخ العرب
وآدابهم وتراثهم الفكري

ج٤ و٥ و٦ س ٥٩
شوال -ذو الحجة ١٤٤٤هـ
أيار - تموز /مايو - يوليو ٢٠٢٣ م

فصليّة تصدر عن: دار اليمامة للبحث والنشر والتوزيع ـ الرياض ـ المملكة العربية السعودية

في هذا العـــــــــدد

■ مدى انتشار الكتابة في حواضر الحجاز وبواديه عند ظهور الإسلام
أ.د. عبدالعزيز الهلابي

■ على خطى المتنبّي
(قراءة في جغرافيّة الأماكن الشعريّة)
أ.د. عبدالله الفيفي

■ ملكة سبأ بين الجدل التاريخي والتّدوين الأسطوري
أ.توفيق السامعي

■ من نُقول ابن المستوفي في كتابِه:
(النّظام في شرح شعر المتنبّي وأبي تمام)
أ.د. نادية غازي العزّاويّ

■ تساؤل حول عبادة الكواكب فيما قبل الإسلام
ترجمة: أ.د. فضل العماري

■ أعلام العرب: «وديع فلسطين»
أ. محمد عبدالشافي

arab@hamadaljasser.com

العرب

مجلة تُعنى بتاريخ العرب
وآدابهم وتراثهم الفكري

أسسها حمد الجاسر سنة ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م)

صاحب الامتياز المسؤول: معن بن حمد الجاسر

الجزء الرابع والخامس والسادس - السنة ٥٩

شوال - ذو الحجة ١٤٤٤هـ

آيار-تموز/مايو - يوليو ٢٠٢٣م

العنوان:

التحرير: واصل ٢٧٩٢ - طريق الإمام سعود بن عبدالعزيز - حي الشهداء

الرياض ١٢٤٣٢ - ٦٧٥٢

ص. ب: ٦٦٢٢٥ الرياض ١١٥٧٦، المملكة العربية السعودية

هاتف: ٢٦٩٠٥١٢ (٠٠٩٦٦١١) - **مباشر**: ٢٢٥٣٦٨٣ (٠٠٩٦٦١١)

الاشتراكات: ٦٩٧٨ شارع حمد الجاسر - حي الورود - الرياض.

ص . ب ١٣٧ الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٠٤٦٦٤ (٠٠٩٦٦١١) - **لاقط**: ٤١٩٤٥٠٣ (٠٠٩٦٦١١)

الصفحة الإلكترونية: www.hamadaljasser.com

للمراسلة: arab@hamadaljasser.com

ضوابط النشر في المجلة

١. أن يكـون البحث داخــلاً ضمن اهتمامات المجلة، وهي الموضوعـات المتعلقة بتاريخ العرب، وآدابهم، ولغتهم، وتراثهم الفكري.

٢. ألا يكون البحث مقدمًا للنشر في مجلة أخرى، وأن يكون في نسخته الأصلية.

٣. أن يتأكـد الكاتب من سلامة اللغة، وحســن الترقيم والتوثيق، وضبط الألفاظ غير المألوفة بالشكل الصحيح.

٤. أن يتسم النقد بالأسلوب العلمي الخالي من الإساءة إلى شخصية المؤلف أو الباحث.

٥. لا تُعاد البحوث إلى أصحابها سواء أنشرت أم لم تُنشر.

٦. ترتيب البحوث داخل المجلة يخضع لاعتبارات فنية لا علاقة لها بمكانة الكاتب.

٧. الموضوعات التي تُنشر في المجلة تعبّر عن آراء كاتبيها وليس بالضرورة عن رأي المجلة.

٨. المكاتبات توجه إلى رئيس التحرير.

٩. تُرسل المادة في ملف (word) إلى عنوان المجلة:

arab@hamadaljasser.com

الاشتراك السنوي:

١٢٠ ريالاً للأفراد و٣٠٠ ريال لغيرهم

ثمن الجزء ٢٠ ريالاً

بسم الله الرحمن الرحيم

١٤١٨

ردمد (ISSN) : ٢٦٧١- ١٣١٩

الفهرس

مدى انتشار الكتابة في حواضر الحجاز
وبواديه عند ظهور الإسلام — أ.د. عبدالعزيز الهلابي — ٢١١

على خطى المتنبّي
(قراءة في جغرافيّة الأماكن الشعريّة) — أ.د. عبدالله الفيفي — ٢٤٥

ملكة سبأ بين الجدل التاريخي
والتّدوين الأسطوري — أ.توفيق السامعي — ٢٥٥

من نُقُول ابن المستوفي في كتابِه:
(النّظام في شرح شعر المتنبّي وأبي تمام) — أ.د. نادية غازي العزّاويّ — ٣٣٧

تساؤل حول عبادة الكواكب
فيما قبل الإسلام — ترجمة: أ.د. فضل العماري — ٣٧١

أعلام العرب: «وديع فلسطين» — أ. محمد عبدالشافي — ٣٩٥

مدى انتشار الكتابة في حواضر الحجاز وبواديه عند ظهور الإسلام

أ.د. عبدالعزيز بن صالح الهلابي

قبل الشروع في بحث معرفة انتشار الكتابة في جزيرة العرب عند ظهور الإسلام ينبغي علينا الإجابة عن السؤال الآتي: متى وكيف عرفت الجزيرة العربية الكتابة التي ما زال الناس يكتبون بها في البلاد العربية وبعض البلاد الإسلامية؟

لدينا مصدران للإجابة عن هذا السؤال؛ الأول: يتمثل بالروايات التي تحفظها المصادر الإسلامية، والآخر: يتمثل بالدراسات الحديثة المعتمدة على النقوش المكتشفة منذ أواخر القرن التاسع الميلادي.

أما الروايات الإسلامية فهي متباينة في رواتها ومضمونها، وهي:

١. أول من وضع الكتابة العربية إسماعيل على لفظه ومنطقه، فعلمه موصول حتى فرق بينه ولده[١].

٢. وتذكر الرواية الثانية أن «أول من وضع الكتاب العربي قومٌ من الأوائل نزلوا في عدنان بن أدّ بن أدد، أسماؤهم: أبجد، وهوز، وحطي، وكلمن، وسعفص، وقرشت، فوضعوا الكتاب العربي على أسمائهم، ووجدوا حروفًا ليست من أسمائهم، وهي الثاء والخاء والذال والظاء والضاد والطاء والغين، فسموا بالروادف...»[٢].

٣. وتذكـر الرواية الثالثة أن: «أول من قـدم بالكتاب العربي عبد قصي بن قصي، جاء به من اليمن فتعلمه أهل مكة»[٣].

٤. وتذكـر الرواية الرابعة أن: «الذي كتب هذا العربي الجزم رجل من بني يخلد بن النضر بن كنانة، فكتبتْ حينئذٍ العرب»[٤].

٥. أما الرواية الخامسة فهـي أشهر الروايات، وحفظها عدد من المصادر، وتنوعـت أسانيدها، واختلفت نصوصها بـين الإيجاز والتفصيل، وبينها بعضـ الفروق في الألفـاظ، وأوفاها النص الذي حفظـه البلاذري (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م)، ويعزوهـا إلى محمد بن السائـب الكلبي (ت ١٤٦هـ/٧٦٣م)، والشرقي القطامي (عاش في القرن الثاني الهجري)، ونصها: «اجتمع ثلاثة نفر من طيِّئ ببقة، وهم مرامر بن مرة، وأسلم بن سدرة، وعامـر بن جـدرة، فوضعوا الخط، وقاسـوا هجاء العربيـة على هجاء السريانيـة، فتعلمه قوم من أهل الأنبار، ثـم تعلمه أهل الحيرة من أهل الأنبار، وكان بشـر بن عبدالملـك، أخو أكيدر بن عبدالملك بن عبدالجن الكنـدي ثم السكـوني صاحب دومة الجنـدل، يأتي الحـيرة فيقيم بها الحـين، وكان نصرانيًـا، فتعلم بشر الخط العربـي من أهل الحيرة، ثم أتـى مكة في بعض شأنه فرآه سفيان بن أميـة بن عبد شمس، وأبو قيس ابـن عبد منـاف بن زهرة بـن كلاب يكتب، فسـألاه أن يعلمهما الخط، ثـم أراهما الخط فكتبا، ثم إن بشـرًا وسفيان وأبا قيس أتوا الطائف في تجـارة، فصحبهم غيلان بن سلمة الثقفي فتعلم الخط منهم، وفارقهم بشـر ومضى إلى ديار مضر، فتعلم الخط منه عمر بن زرارة بن عدس، فسمـي عمرو الكاتب. ثم أتى بشـر الشام فتعلم الخط منه ناس هناك. وتعلـم الخط من الثلاثة الطائيـين أيضًا رجلٌ من طابخـة كلب، فعلمه رجـلاً من أهل وادي القـرى، فأتى الوادي يتردد، فأقام بها وعلم الخط قومًا من أهلها»[٥].

٦. أمـا الروايـة السادسة فتذكر أن: «أول من قـدم بكتاب العربية إلى مكة على قريش حرب بن أمية»[٦].

٧. وتقول الرواية السابعة أن: «أول من أدخل الكتاب العربي بمكة عمرو بن العاص، وجاء به من الحيرة»[٧].

ويلاحظ علـى الروايات السابقة عدة أمور، فأولهـا تنسب وضع الكتابة إلى إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام، وفي هذا محاولة للربط بين بدء الكتابة زمنًا بإسماعيـل عليـه السلام ومكانًا بمكـة لأنه كان يقيم بها، ولكـن معظم المصادر لم تحفـل بهذه الرواية كثيرًا؛ ربما لعدم قناعـة مؤلفيها بصحتها، وأحد المؤلفين الذين ذكروها ينفي صحتها، وهو أبو هلال العسكري (ت ٣٨٢هـ/ ٩٩٣م)، حيث قـال: «أول من وضع الكتـاب العربي قالـوا: إسماعيل عليه السـلام، والصحيح عنـد أهل العلم مرامر بن مـرة، وأسلم بن سدرة ...»[٨]. أما الرواية الثانية فهي غامضـة وتعكس غموض نشـأة الكتابة العربيـة، وكذلك الأمـر بالنسبة للرواية الثالثـة، بـل إنها مستبعدة كليًا، ومثلهـا الرواية السابعة. علـى أن الأمر بالنسبة للرواية الخامسة مختلف بعض الشيء، ونظن أن الرواية السادسة في الأصل جزء من الرواية الخامسة، أدخل عليها بعض التحريف. أما مضمون الرواية الخامسة أن بشــر بن عبد الملك السكوني أول من أدخل الخـط العربي إلى مكة فمرفوض، ولكننا مع ذلك نعتقد أن الرواية تحمل ظلالاً من الحقيقة يتمثل في أن الخط نشأ في شمـالي الجزيـرة العربية، وربمـا في الأنبار أو غيرها، ثم انتقـل إلى داخلها، وهذا ما تذهب إليه الدراسات الحديثة المعتمدة على النقوش.

ومـن المحتمل جدًا أن بشر بن عبد الملك كان يعـرف الكتابة، ووفد إلى مكة، وأسهم في تعليم بعض الأفراد من أهلها، لكن من المؤكد أنه لم يكن أول من أدخل الكتابة إلى مكة؛ لأن بشرًا عاش في فترة الرسالة، أو عند ظهور الإسلام، ولدينا أدلـة كثـيرة تؤيد انتشار الكتابة في مكة وفي غيرها مـن مناطق الجزيرة العربية

قبيـل هذه الفـترة الزمنية. ونحن لا نستطيـع القطع بصحة ما لدينـا من أدلة، ولكنها عندمـا تتضافر توجد القناعة بوجود الكتابة بمكة منذ زمن مبكر نسبيًا، وإن كان بعض الأدلة مما لا تطمئن إليها النفس. وأقدم زمن يرد فيه ذكر للكتابة هـو زمن عمرو بن لحي الخزاعي، ويظهر أنـه في العهد الذي كانت قبيلة خزاعة تسيطـر فيه على مكة قبل أن تتغلب عليها قبيلة قريش وتستولي على مكة (٤٠٠-٤٥٠م)[٩]. حيـث يذكر أن عمر بن لُحَيّ الخُزاعي: «هو الذي جاء بهُبَل من أرض الجزيـرة (الفراتية) فجعله في الكعبة، وجعل عنـده سبعة أقداح يتقاسمون بها، في كل قـدح كتـاب يعملون بما يخرج فيه، فـإذا أراد الرجل أمـرًا أو سفرًا أخرج منـه قدحين في أحدهما مكتـوب: أمرني ربي، وفي الآخر، نهاني، ثم يضرب بهما ومعهمـا قـدح غُفّل، فإن خـرج الناهي جلس، وإن خرج الآمر مضـى، وإن خرج الغفـل أعاد الضرب حتى يخرج إما الناهي وإما الآمر. والباقي من القداح سبعة مكتوب عليها، منها قدح مكتوب عليه: العَقْل، وقدح فيه: نعم، وقدح فيه: لا، وقدح فيه: منكم، وقدح فيه: من غيركم، وقدح فيه: ملصق، وقدح فيه المياه، إذا أرادوا أن يحفـروا للمـاء ضربوا القداح وفيه ذلك القدح، فحيثمـا خرج علموا به، فإذا أرادوا أن يختنـوا غلامًـا، أو ينكحوا أيمًا، أو يدفنوا ميتًـا، ذهبوا إلى هُبل بمائة درهم وجزور ثم قالوا «لغاضرة بن حبشية بن سلول ... الخزاعي، وكانت القداح إليـه، فقالوا هذه مائـة درهم وجزور، لقد أردنا كذا وكذا فاضرب لنا على فلان ابن فلان ...»[١٠].

والكتابـة الواردة في هـذا النص لم تحدد بالكتابة العربيـة أو غيرها، ولكن بحكم أن هـذه الممارسة ظلت حتى ظهور الإسلام وحَرَّمها القرآن الكريم بالآية: ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَـٰمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾[١١]، فلا بد أنها كانت بالعربية.

وتشـير المصـادر التاريخيـة إلى أن هاشم بـن عبد مناف أقنـع ملك الروم قيصـر أن يكتب له كتابَ أمان يؤمن فيه تجـار قريش الذين يقدمون إلى الشام،

وهو ما يسمى بالإيلاف[١٢]، ولم تشر المصادر إلى لغة الكتاب، ولكننا نفترض أنه كان بالعربية؛ لأن العرب لن يعرفوه لو كتب باليونانية، أو على الأقل كان بلغتين بالعربية واليونانية ليفهمه العرب وموظفو الحدود من البيزنطيين.

كما تشير المصادر إلى أن مكيًّا آخر هو عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزي، ذهب إلى الشام وتنصَّر، وبعضها يذكر أنه اتصل بالإمبراطور البيزنطي، والبعض الآخر يذكر أنه اتصل بحاكم الشام الغساني ابن جفنة، وما يهمنا في هذا الصدد هو الكتابة، إذ إن عثمان سأله أن يملكه على قريش، وقال: «أحملهم على دينك، فيدخلون في طاعتك»، ففعل، وكتب له عهدًا وختمه بالذهب، فهابت قريش قيصرًا، وهموا أن يدينوا له...»[١٣].

ويرتبط اسم عبد المطلب بن هاشم جد الرسول ﷺ بعدد من المناسبات التي يرد فيها ذكر الكتابة منها: «... وثب نوفل بن عبد مناف على أركاح كانت لعبد المطلب -وهي الساحات والأفنية- فغلب عليها، واغتصبه إياها، فاضطرب عبد المطلب لذلك، واستنهض قومه معه، فلم ينهض كبير أحد منهم، فكتب إلى أخواله من بني النجار من الخزرج...»[١٤]. وما يهمنا هو ذكر الكتابة في هذا النص، سواء كتب عبد المطلب نفسه أو كُتِب له.

وتذكر المصادر أن قبيلة خزاعة دعت عبد المطلب، بعد نجاحه باسترداد حقه، إلى أن يعقد معها حلفًا، فأجاب إلى ذلك، فدخلوا دار الندوة، وكتبوا بينهم كتابًا، فلما فرغوا من الكتاب علقوه في جوف الكعبة، وكان الذي كتبه لهم أبو قيس ابن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، وتحفظ المصادر نصوصًا لهذا الحلف[١٥].

ويروي ابن إسحاق رواية عن عبد المطلب، وأبدى تحفظًا حول صحتها: «وكان عبد المطلب -فيما يزعمون والله أعلم- قد نذر حين لقي من قريش ما لقي عند حفر زمزم: لئن ولد له عشرة ثم بلغوا معه حتى يمنعوه لينحرنّ أحدهم عند الكعبة. فلما توافى بنوه عشرة، وعرف أنهم سيمنعونه، جمعهم ثم أخبرهم

بنــذره، ودعاهم إلى الوفــاء لله بذلك، فأطاعوه وقالوا: كيف نصنع؟ قال: ليأخذ كل رجـل منكم قدحًا ثـم يكتب فيه اسمه ثم ائتــوني ...»[١٦]. وما يهمنا من هذا النصـ هو ذكر الكتابة إن كان موثوقًا، سواء كان أبنــاؤه العشرة يعرفون الكتابة أو يكتب لهم.

أمــا ياقوت فيحفـظ أيضًا نصًّا عـن الكتابة يرتبط بعبد المطلـب: «قال ابن خالويه: الزول، اسم مكان باليمن وجد بخط عبد المطلب بن هشام: وإنهم وصلوا إلــى زول صنعاء. قال: وكان علي بــن عيسى يتعجب من هذا ويقول: ما عرفنا أن عبد المطلب كان يكتب إلا من هذا الحديث ...»[١٧].

ويحفـظ المـؤرخ المكــي الأزرقــي (ت ٢٤٤هــ/ ٨٥٨م) نصًّــا، يؤيــد انتشار الكتابــة ليس في مجتمع مكة فحسب، بل بين العرب كما يعكس عنايتهم بالتواريخ والوثائــق، وهــو: «فقد ذكر الله الفيـل وما صنع بأصحابه فقــال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١﴾ إلــى آخرهــا، ولــو لم ينطق القــرآن به لكان في الأخبار المتواطئة والأشعار المتظاهرة في الجاهلية والإسلام حجة وبيان لشهرته، وما كانت العرب تؤرخ به، فكانوا يؤرخون في كتبهم وديونهم من سنة الفيل، وفيها ولــد النبي ﷺ، فلم تــزل قريش والعرب بمكة جميعًا تؤرخ بعــام الفيل، ثم أرخت ببنيــان الكعبة، فلم تزل تؤرخ به حتى جاء الله بالإسلام، فأرخ المسلمون من عام الهجرة»[١٨].

ومعــروف أن عبد المطلب بن هاشم كان أكبر زعماء مكة إبان الغزو الحبشي لمكة بقيادة أبرهة، وقابل أبرهة نيابة عن أهل مكة[١٩].

واجتمعــت بعضـ بطــون قريش بمكة، وهــم بنو هاشــم وتيم وزهــرة وأسد والحــارث بن فهر بعد حادثة الفيل بعشرين سنـــة، وتعاهدوا على رفع الظلم عن أي مظلــوم بمكــة، وجمعهم الزعيم المكي عبد الله بن جدعان في داره، وصنع لهم طعامًا، «فتحالفوا بالله قائلين: لا ننقض هذا الحلف ما بَلَّ بحرٌ صوفة، وأن لا ندع

بمكة مظلومًا... وكان الذي كتبه بينهم الزبير بن عبد المطلب»، وحضر رسول الله ﷺ الحلف[٢٠]. على أن بعض المصادر التي أوردت قصة هذا الحلف لا تشير إلى كتابته[٢١]، وإن صح أن الزبير بن عبد المطلب قد كتبه فهذا يعضد الرواية التي اقتبسناها سابقًا، ونص قول عبد المطلب لبنيه: «ليأخذ كل رجل منكم قدحًا ثم يكتب اسمه فيه ...».

ويذكر أحد المكيين المهتمين بالأخبار والأنساب، وهو المسور بن مخرمة (ت ٦٤هـ/ ٦٨٣م): «أن السيل حسر بمنى عن صخرة بمسجد السرر عند قبر المرأتين، مكتوب فيه: أنا أسيد بن أبي العيص، ترحم الله على عبد مناف، فهذا كانت قريش في الجاهلية»[٢٢]. ويظهر أن الجزء الأخير من النص فيه سقط، وأصله: فهذا كانت تكتب قريش في الجاهلية، أو: فهذا كانت تفعل قريش في الجاهلية. وأسيد بن أبي العيص هو والد عتاب بن أسيد الذي عينه النبي ﷺ واليًا على مكة عند فتحها، وظل في هذا المنصب حتى قبض النبي ﷺ[٢٣].

إن النصوص التي اقتبسناها آنفًا، وأقدمها عهد إيلاف هاشم بن عبد مناف الذي يعود في تاريخه إلى قرابة قرن قبل الإسلام، تعكس معرفة العرب، وخاصة مكة، بالكتابة وانتشارها بينهم في زمن أقدم من زمن عبد الملك بن بشر السكوني الذي نسبت إليه بعض المصادر إدخال الكتابة إلى مكة.

أما الدراسات الحديثة حول نشأة الخط العربي والمعتمدة على النقوش فتذهب إلى أنه من الثابت أن خطنا العربي الشمالي مشتق من الخط النبطي، والأنباط، كما تظهر أسماء أعلامهم، عرب من حيث الأصل، ولكنهم خضعوا لسلطان الآراميين الحضاري، فغدت متأثرة بالآرامية إلى حد بعيد، كما أنهم أخذوا كتابتهم عن الآراميين[٢٤].

ويلخص سعد الراشد نتائج الدراسات عن النقوش بالقول: وإذا ما تتبعنا أقدم النقوش العربية المعروفة قبل ظهور الخط العربي فلا نجد غير خمسة

نقوش تعدُّ القاعدة الأولى التي بنيت عليها النظريات والدراسات حول نشوء الخط العربي. وقد تناول الباحثون عربًا كانوا أم غير عرب النقوش المكتشفة منذ أواخر القرن الماضي (١٩م)، وأعطوا كثيرًا من الاجتهادات حول صلة هذه النقوش بتطور الخط العربي... ومن المفيد الإشارة إلى هذه النقوش على النحو الآتي:

١. نقش أمّ الجمال الأول التي تقع في جنوب منطقة حوران ... الذي يعود في تاريخه إلى ٢٥٠م.

٢. نقش النمارة، الذي عثر عليه العالم الفرنسي دومو في بلدة النمارة من أعمال حوران بالشام، ويعود تاريخه إلى (٣٢٨م).

٣. نقش زَبَد التي تقع بين قفرين ونهر الفرات جنوب شرق مدينة حلب، الذي يعود تاريخه إلى (٥٦٨م).

٤. نقش حران، وتاريخه (٥٦٨م).

٥. نقش أمّ الجمال الثاني الذي عثر عليه في الكنيسة المزدوجة من قبل جامعة برنستون Princeton Univ، ويعود تاريخه إلى القرن (٦ م).

ونجد من خلال هذه النقوش أن الكتابة النبطية انتقلت من صيغتها الآرامية بالتدرج حتى وصلت إلى المرحلة التي اتخذت فيها صفة الكتابة العربية الجاهلية في القرن الخامس الميلادي[٢٥].

ومما لاحظته سهيلة الجبوري أنه «على الرغم من أن جميع النقوش العربية الجاهلية كانت قد اكتشفت في الأراضي السورية، فهي تلقي الضوء، ولا شك، على ضروب الكتابة العربية التي عرفت في الأقاليم الأخرى مثل العراق والحجاز، والسبب الذي يدعونا إلى الاعتقاد هو مقارنتها بما وصل إلينا من كتابات ترجع إلى العصر الإسلامي المبكر في مصر وغيرها»[٢٦]. وتصل إلى النتيجة: «ومن دراستنا

للكتابات الإسلامية التي ترجع للفترة الزمنية الواقعة بين سنتي (٢٠-٤٠هـ/ ٦٤٠-٦٦٠م)، ثم مقارنتها بالكتابات العربية الجاهلية يتبين بوضوح أن معظم الحروف العربية الإسلامية هي نفسها التي كانت معروفة في الجاهلية ...»[٢٧].

أما متى وكيف انتقلت الكتابة إلى الحجاز، فقد اختلفت الآراء، فهناك من يرى أن الكتابة انتقلت إلى المدينة ومكة في نهاية القرن الخامس الميلادي، في حين يرى آخرون أنها دخلت الحجاز في منتصف القرن السادس الميلادي قبل البعثة المحمدية بنحو نصف قرن من الزمان، وهناك من يرى أن دخول الكتابة الحجاز كان مطلع القرن السادس الميلادي[٢٨].

واختلفت الآراء كذلك حول السبل التي اتخذها الخط العربي ليصل إلى الحجاز، وهناك طريقان محتملان لهذا الانتقال:

الأول: البتراء ← الحيرة والأنبار ← دومة الجندل ← المدينة ← مكة.

الثاني: البتراء ← العلا ← مكة ← المدينة ← الطائف ←.

وتجنح الدراسات العربية القديمة إلى اعتبار الطريق الأول هو الطريق الوحيد لانتقال الخط العربي من بلاد الأنباط إلى الحجاز، ويؤكدون أن الحيرة كانت المحطة التي توقف فيها الخط العربي لينتقل إلى شمال الجزيرة العربية في بلاد الحجاز...[٢٩].

ويخلص شعبان خليفة إلى القول: «والرأي عندي أن الكتابة العربية قد انتقلت إلى الجزيرة العربية من كلا الطرفين، وليس لنا أن نتعسف فنحدد طريقًا واحدًا...»[٣٠].

أما سهيلة الجبوري فتميل إلى الرأي القائل بانتقال الخط العربي الشمالي إلى الحجاز، وقد تمّ بشكل رئيسي عن طريق الحيرة والأنبار، خاصة إذا علمنا أن نبيهة عبود قد أشارت بأن انتقال الخط العربي إلى الحجاز لم يقتصر على طريق

الحيرة، بل سلك طريقًا ثانيًا هو طريق الحِجْر ... وقد مال كثير من الباحثين إلى هذا الرأي، منهم جواد علي الذي يذكر بأن صلة هذا القلم بأعالي الحجاز وبلاد الشام أقرب منه صلة بالحيرة والأنبار، ومنهم أيضًا صلاح الدين المنجد الذي يرى بأن عرب الحجاز قد اقتبسوا خطهم عن الأنباط نظرًا للاتصال المباشر بهم أثناء رحلاتهم المتواصلة إلى الشام، وقد كانوا يمرون دائمًا على ديارهم، ولم يكن للشام طريق آخر يوصلهم إليها[٣١].

على أن خليل يحيى نامي يرفض هذين الرأيين رفضًا باتًا؛ وذلك لأن الحيرة كانت قبل الإسلام مثقفة بالثقافة السريانية لأنها كانت تدين بالنصرانية، وكان الخط السرياني هو الخط الرسمي في تلك الأنحاء؛ لأنه كان ترجمان المسحيين وقلمهم الديني في ذلك الزمان، لذلك فنستبعد أن يكون الخط النبطي -قلم الوثنيين- قد تطور في الحيرة النصرانية، وهو لا يتمتع بالسيطرة والنفوذ...

كما أنه لم ينشأ أيضًا في بلاد الغساسنة؛ لأنهم كانوا كأهل الحيرة يدينون بالنصرانية ويكتبون بالسريانية.

إذًا فالخط العربي قد نشأ وولد في بلاد الحجاز؛ لأن الكتابة من الأشياء الضرورية للتجارة، وأهل الحجاز كما تعلم حياتهم التجارة، وهي مورد رزقهم الوحيد...

وكان الحجاز في القرن الخامس الميلادي -هو القرن الذي انتقلت فيه الكتابة النبطية إلى الكتابة العربية- له سيادة روحية وأدبية على أنحاء الجزيرة العربية...

لذلك نظن أن الكتابة العربية قد ولدت وترعرعت في هذه البلاد التجارية، ومنها انتقلت إلى البلاد العربية الأخرى، وانتشرت فيها، وفرضت على أهلها كما فرضت عليهم اللهجة الحجازية، وتغلبت على لهجاتهم العربية الأخرى...[٣٢].

أمــا عن مدى انتشار الكتابة في الجزيرة العربية عند ظهور الإسلام فيمدنا الواقدي ... عن أبي جهم العدوي بالرواية الآتية: «دخل الإسلام وفي قريش سبعة عشر رجلاً كلهم يكتب: عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وأبــو عبيــدة بن الجراح، وطلحــة (بن عبيــد الله)، ويزيد بن أبــي سفيان، وأبو حذيفــة بن عتبة بن ربيعــة، وحاطب بن عمرو أخو سهيل بــن عمرو العامري من قريش، وأبو سلمة بن عبدالأسد المخزومي، وأبان بن سعيد بن العاصي بن أمية، وخالــد بــن سعيد أخوه، وعبدالله بــن سعد بن أبي ســرح العامري، وحويطب بن عبدالعزي العامري، وأبو سفيان حرب ابن أمية، ومعاوية بن أبي سفيان، وجُهيم ابــن الصلت بن مخرمــة بن عبدالمطلب بن عبد مناف، ومن حلفاء قريش العلاء ابــن الحضرمــي»[٣٣]. كما أمدتنا بأسمــاء ثلاث سيدات مكيــات كنَّ يكتبن، هن الشفــاء بنت عبــدالله العدوية، وأم كلثوم بنت عقبة بن أبــي معيط، وأم المؤمنين حفصــة بنــت عمر بن الخطــاب. وكانت أم المؤمنــين عائشة تقــرأ المصحف ولا تكتب[٣٤]. وإذا كانت الشفاء وأم كلثوم تكتبان في «الجاهلية» فلسنا على يقين من الزمن الذي تعلمت فيــه كل من السيدة حفصة الكتابة والسيدة عائشة القراءة؛ هل كان قبل الهجرة أم بعدها؟

أمــا بالنسبة للكتابــة في المدينة فيقــول الواقدي: «كان الكتــاب بالعربية في الأوســ والخــزرج قليــلاً، وكان بعض اليهود قــد علم كتاب العربيــة، وكان تعلمه الصبيــان في الزمن الأول، فجاء الإسلام وفي الأوس والخزرج عدة يكتبون، وهم سعــد بن عبــادة بن دليم، والمنذر بــن أبي عمرو، وأبيّ بن كعــب، وزيد بن ثابت، فــكان يكتب بالعربية والعبرانية، ورافع بــن مالك، وأسيد بن الحضير، ومعن بن عــدي البلوي حليف الأنصار، وبشير بن سعد، وسعد بن الربيع، وأوس بن خوليّ، وعبدالله بن أبيّ المنافق. قال: وكان الكَمَلَة منهم -والكامل من يجمع إلى الكتابة الرمي والعوم: رافع بن مالك، وسعد بن عبادة، وأسيد بن حضير، ومعن بن عديّ

البلويّ، وأوس بن خوليّ. وكان من يجمع هذه الأشياء في الجاهلية من أهل يثرب: سويد بن الصامت، وحضير الكتائب»[٣٥].

تعد الكتابة أحد أهم المعايير لقياس الرقي الحضاري عند الأمم القديمة، إن لم تكن أهمها على الإطلاق. ومكة ويثرب يعدان، عند ظهور الإسلام، أرقى المراكز الحضرية في الجزيرة العربية، وإذا كانت معرفة الكتابة بين أهلها بهذه الندرة فما حال المراكز الحضرية الأخرى والتجمعات القبلية المتفرقة في أنحاء الجزيرة؟ يقول جواد علي: «... إن الإسلام ثورة على مجتمع قائم ثابت، وعلى مُثُل تمسك بها أهل الجاهلية، وعلى قوم كانوا قد تسلطوا وتحكموا وتجبروا بحكم العرف والعادات، ككل ثورة تقع، وكما يقع الآن، وَسَم الإسلام الجاهلية بكل منقصة ومثلبة، ... حتى ظهرت تلك الأيام على الصورة التي انتهت إلينا عن «الجاهلية» وكأن الناس فيها جهلة لم يكن عندهم شيء من علم في هذه الحياة يومئذ...»[٣٦].

إن الصورة التي رسمتها المصادر عن وضع الكتابة في الجزيرة العربية قبل الإسلام قاتمة، ولكننا لا نعتقد أن المصادر تعمدت رسم تلك الصورة، على أن التصور العام لدى كتاب الإسلام الأوائل عن الوضع الحضاري في الفترة السابقة للإسلام يندرج في الإطار الذي رسمه جواد علي. وهذا البحث سوف يتقصى الشواهد التاريخية والشعرية لمعرفة ما إذا كانت هذه الشواهد تقدم صورة مغايرة لما ذكرته رواية الواقدي الآنفة الذكر هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لمعرفة ما إذا كان وجود الكتابة مقصورًا بشكل كبير على مكة ويثرب، أو أن البلدين والقبائل الأخرى على معرفة بالكتابة متفاوتة فيما بينها. ومن الطبيعي أن الشواهد التي سوف نوردها قد تتقدم زمنيًا على ظهور الإسلام بفترة قصيرة أو تواكب ظهور الإسلام وانتشاره في الجزيرة العربية في عهد الرسالة؛ لأن عملية وجود الكتابة عملية متواصلة وليست حدثًا عابرًا.

الكتابة بمكة:

أتينا فيما تقدم على ذكر الأدلة المتيسرة على معرفة أهل مكة بالكتابة لفترة تعـود لأكثر من جيلين قبـل الإسلام، وسوف نحاول فيما يلـي أن نثبت أن معرفة أهـل مكة بالكتابة عنـد ظهور الإسلام أوسـع بكثير مما حددتـه رواية الواقدي السابقة، ومن أدلتنا على ذلك: أن ناسًا من بني قصي دخلوا دار الندوة للتشاور في بعض الأمور العامـة، فأراد الشاعر المكـي عبدالله بن الزِّبَعْـرى السهمي أن يدخـل معهم فيسمع من مشورتهم، فمنعـوه، فكتب شعرًا في باب الندوة مما يلي الكعبة يهجوهم فيه، فلما أن خرجت بنو قصي إذا هم بالكتاب فقرأوه فإذا فيه:

ألـهى قصيًا عن المجدِ الأساطيرُ ورشـوةٌ مثلما تُرْشَى السَّفاسيرُ
وأكلُها اللَّحْمَ بَحْتًا لا خليطَ لَهُ وقولها: رَحلتْ عيرٌ، أتَتْ عيرُ[(٣٧)]

وتفيدنا هذه الرواية بمعرفة ابن الزبعري بالكتابة، واسمه لم يضمن بقائمة الواقـدي التي نقلها البلاذري، والأهم من هذا أنه لم يكتب الأبيات على باب دار الندوة إلا لهدف أن يقرأها ناس كثيرون، ويسير الهجاء في الناس، وهذا ما حدث فعلاً، فقد سبب هذا الشعر إشكالاً بين عشيرة بني قصي وبين عشيرة بني سهم قومِ ابن الزبعرى، وتفاداه بنو سهم بتسليم الشاعر إلى بني قصي.

وعندمـا أعلن رسـول الله ﷺ دعوته إلى الله بمكة كان أبـو سفيان بن حرب والعباسـ بن عبدالمطلب مع نفر آخريـن في رحلة تجارية في اليمن، وكتب حنظلة ابن أبي سفيان (قتل في غزوة بدر مشركًا) رسالة إلى أبيه، وكان مما أخبره فيها من مستجدات الأحوال بمكة:

«...أخـبرك أن محمدًا قام بالأبطح فقـال: أنا رسول الله، أدعوكم إلى الله عزّ وجل»[(٣٨)].

وفي قصة نزول الوحي علـى النبي ﷺ تنقل مصادرنا حديثًا يرويه الزهري،

عن عروة بن الزبير، عن عائشة: «فرجع النبي ﷺ إلى خديجة يرجف فؤاده، فانطلقت به إلى ورقة بن نوفل، وكان رجلاً تنصر يقرأ الإنجيل بالعربية ...»[٣٩]، ورواية بعضها: «وكان يكتب الكتاب العربي، فكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب ...»[٤٠].

ويرد ذكر القراءة والصحيفة في سياق إسلام عمر بن الخطاب، إذ أُخْبِر أن أخته فاطمة بنت الخطاب وزوجها وابن عمها سعيد بن زيد بن عمرو قد أسلما، فجاء إلى منزلها غاضبًا، فوجد عندهما خباب بن الأرت معه صحيفة فيها «طه» يقرئها إياها، ثم أخفتها أخته، فقال لها: أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرؤون آنفًا أنظرْ ما هذا الذي جاء به محمد، وكان عمر كاتبًا[٤١].

إذًا من الواضح في هذه الرواية أن كلاًّ من خباب وعمر يجيدان القراءة والكتابة، ويحتمل أيضًا أن سعيد بن زيد وزوجته فاطمة كانا يعرفان القراءة، وربما الكتابة كذلك.

ومما يؤكد أهمية الكتابة وانتشارها بين أهل مكة عند ظهور الإسلام أنه لما قام بنو هاشم وبنو المطلب بحماية النبي ﷺ ودفع أذى قريش عنه، قررت قريش معاقبة هاتين العشيرتين معًا، وتعاهدوا على ذلك، وكتبوه في صحيفة: «اجتمعوا وائتمروا بينهم أن يكتبوا كتابًا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب على: ألا يَنْكَحُوا إليهم ولا يُنْكِحُوهم، ولا يبيعوهم شيئًا، ولا يبتاعوا منهم، فلما اجتمعوا على ذلك كتبوه في صحيفة، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيدًا على أنفسهم ...»[٤٢]. وقد اشتركت جميع بطون قريش في التوقيع على هذه المعاهدة -عدا بني هاشم وبني المطلب- ثم إن وضعها في الكعبة يعكس أهميتها من ناحية، وإعلانها لكل الناس من أهل مكة والوافدين إليها من العرب من ناحية أخرى. وينبغي التنبيه على أن قائمة الواقدي التي حصرت من يعرف الكتابة بمكة في هذا الوقت بسبعة عشر رجلاً، أن هؤلاء السبعة عشر كانوا

باستثنــاء ثلاثة منهم وقت كتابة الصحيفة من المسلمين، بل أن عددًا منهم كانوا مهاجريــن في الحبشة. واختلفت المصادر حــول كاتبها، فبعضها ذكر أنه عكرمة ابــن هاشم بن عبد مناف بن عبدالدار[٤٣]، وبعضها ذكر أنه بغيض بن عامر بن هاشــم بن عبد مناف بن عبدالدار[٤٤]، وبعضها ذكر أنه النضر بن الحارث[٤٥]، وبعضهــا ذكر أنه طلحة بــن أبي طلحة العبدري[٤٦]، ويمكــن أن نستنتج من هذا الخلاف على كاتبها أن كل هؤلاء الأربعة كانوا يجيدون الكتابة.

والدليــل الحاسم على انتشــار الكتابة بين أهل مكة عنــد ظهور الإسلام هو عنــاد كفــار قريش، ومحاولتهم تعجيــز الرسول ﷺ في طلباتهم حتــى يؤمنوا بما دعــا إليه، ويصــور ذلك القرآن الكريم في الآيــة: ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾[٤٧]، ويقــول المفســر مجاهــد بــن جبر (ت ١٠٢هــ/ ٧٠٢م)، في تفسير: (كتاب نقرؤه)، قال: من رب العالمين إلى فلان عند كل رجل صحيفة تصبح عند رأسه يقرؤها.

أمــا المفسر قتادة بن دعامة السدوســي (ت ١١٧هـ/ ٧٣٥م) فيفسرها: «أي كتابًا خاصًا نؤمر فيه باتباعك»[٤٨].

ولا شــك عندي أن لو كانــت معرفة الكتابة بمكة مقصورة على عدد قليل من الأفراد لما حاولوا أن يُعَجِّزوا الرسول ﷺ بهذه الوسيلة؛ لأن من لا يعرف الوسيلة لا يدرك قدرها وأهميتها. ويبين الله سبحانه وتعالى أنهم سوف يكابرون ويعاندون مهما أُنزل عليهم مــن الآيات الواضحة: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾[٤٩].

وتكشــف المصادر عن وجود عدد مــن المكيين الذين كانــوا يحسنون الكتابة ولم تشملهم قائمة الواقدي، منهم من أشرنا إليه خلال سياق البحث، أما الذين لم نــأتِ على ذكرهم فمنهم النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبدالدار،

وكان أشد قريش مجاهرة للنبي ﷺ بالتكذيب والأذى، وكان على اطلاع على كتب الفرس، ومخالطًا للنصارى واليهود، ونزلت فيه بعض الآيات أحدها: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[٥٠]. وليس لدينا نص على أن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي، وعبيد الله بن جحش الأسدي يعرفان الكتابة؛ إلا أن موقفهم الرافض لعبادة الأوثان وأسفارهما في البلدان بحثًا عن دين خاصة الحنيفية[٥١] يرجح أنهما كانا على معرفة بالقراءة والكتابة، وعلى مستوى ورقة بن نوفل الفكري. وتتمدد قائمة الكتاب بمكة من خلال قراءة أخبار السيرة، سواء أولئك الذين كتبوا للنبي ﷺ الوحي، أو العهود والمواثيق، أو الرسائل، أو الذين يرد من الأدلة ما يفيد بمعرفتهم الكتابة، فمنهم أبوبكر الصديق، فعندما ركب سُراقة بن جعشم في أثر النبي ﷺ وأبي بكر في طريق هجرتهم ليردهم إلى مكة ليأخذ مكافأة قريش على ذلك، عثرت به فرسه عددًا من المرات، وعرف أنه لا سبيل لما أراد، فناداهم من بعيد قائلاً: «أنظروني أكلمكم ... فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: قل له: وما تبتغي منا؟ فقال ذلك أبوبكر. قال: تكتب لي كتابًا يكون آية بيني وبينك[٥٢]. قال: اكتب له يا أبابكر. قال: فكتب لي في عظم أو رقعة أو خزفة ثم ألقاه إليّ...»[٥٣]، والزبير بن العوام[٥٤]، وخالد بن الوليد[٥٥]. وكان من الكتاب المواظبين على كتابة الرسائل عن النبي ﷺ عبدالله ابن الأرقم الزهري[٥٦]، وهشام بن العاص السهمي، فيروى عن عمر بن الخطاب قوله: «كنا نقول: ما لله بقابل ممن افتتن حرفًا ولا عدلاً ولا توبة، قوم عرفوا الله ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم ... فلما قدم رسول الله ﷺ أنزل الله تعالى في قولنا وقولهم لأنفسهم: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ٥٤ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةً وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٥٥﴾[٥٧]. قال عمر بن الخطاب: فكتبتها بيدي في صحيفة، وبعثت بها إلى

هشــام بن العاص، فقال هشام بن العاصــ: فلما أتتني جعلت أقرؤها بذي طُوى، أصَعِّد فيها وأُصَوِّب ولا أفهمها، حتى قلت: اللهم فهمنيها. قال: فألقى اللّه تعالى في قلبي أنها إنما أنزلت فينا وفيما كنا نقول بأنفسنا ويقال فينا...»[٥٨]. ومصعب ابن عمير بعثه الرسول ﷺ إلى المسلمين في المدينة قبل الهجرة، وأمره أن يقرئهم القــرآن، ويعلمهم الإسلام، ويفقههــم في الدين، وكان يسمى المقرئ بالمدينة[٥٩]. وعبداللّه بن جحش الذي أَمَّره النبي ﷺ على سرية نخلة وقال: «دعاني رسول اللّه ﷺ فدعــا ... أبيّ بن كعب .. فأمــره ... وكتب كتابًا، ثم دعاني فأعطاني صحيفة مــن أديم خولاني فقال: قــد استعملتك على هؤلاء النفــر، فامضِ حتى إذا سرت ليلتين فأنشر كتابي، ثم امضِ لما فيه...»[٦٠].

وتذكر المصــادر ثلاثةً من أولاد أبي أحيحة سعيد بــن العاص كانوا يكتبون، أحدهم عبداللّه، وكان اسمه الحكم، فسماه رسول اللّه ﷺ عبداللّه، وأمره بتعليم الكتــاب بالمدينة، وخالد قديم الإسلام، واستكتبه النبي ﷺ، وهو الذي كتب كتاب أهــل الطائــف لوفد ثقيــف، والذي مشــى في الصلح بينهم وبــين رسول اللّه ﷺ، وأبان، وكلهم ولاهم الرسول ﷺ ولايات[٦١]، ولا أستبعد أن أباهم وأخويهم أحيحة والعاصي كانوا يكتبون كذلك، لكن بحكم موقفهم المعادي للإسلام فمن الطبيعي ألا تحفل المصادر بذكر تفاصيل حياتهم. والأرقم بن أبي الأرقم المخزومي، وكان مــن السابقين إلى الإسلام، وهو الذي استخفى الرسول ﷺ في داره التي في أصل الصفا بمكة، واستعمله بعد الهجرة على الصدقات[٦٢].

وخالد بــن الوليد[٦٣]، وحاطب بــن أبي بلتعة اللخمــي[٦٤]، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر[٦٥]، وسالم مولى أبي حذيفة[٦٦]، ويبدو أن أسماء بنت مخربة كانت تعرف الكتابــة[٦٧]، ولا نظن كتابة النساء كانت محصورة على ذلك العدد القليل منهن.

الكتابة في المدينة:

إن المادة المحفوظة عن واقع الكتابة في المدينة قبل الإسلام أقل بكثير مما هو محفوظ عن الكتابة في مكة؛ ولعل ذلك يعود إلى أمرين: أحدهما أن الكتابة فيها كانت فعلاً أقل مما هي في مكة؛ لأنه كان يغلب على مجتمعها النشاط الزراعي، في حين يغلب على مجتمع مكة النشاط التجاري والعلاقات الإقليمية والدولية الواسعة نسبيًا، وهذا تكون الحاجة فيه إلى الكتابة أكثر من غيره، وثانيهما: أن الرسول ﷺ بُعث بمكة ومن أهلها، فاقتضى معرفة نشأته ونسبه والمجتمع الذي عاش فيه وعاش فيه آباؤه، إضافة إلى مواقف كبار أهل مكة من دعوته وإيذائه وإيذاء من اتبع دعوته، فأنزل الله فيهم قرآنًا، وأدى معرفة تفسير هذه الآيات وأسباب نزولها مع سيرة الرسول ﷺ إلى تسليط الضوء على تاريخ مكة وأفرادها أكثر من غيرها، وتوفر لدينا بعض المعلومات أكثر مما توفر عن غيرها. على أن أحد الباحثين يرى أن «المدينة ... بيئة متحضرة موفورة الثروة منتشرة الثقافة، تنتشر بين أهلها القراءة والكتابة، ولهم اطلاع على الأديان؛ وذلك لاتصالهم باليهود ...»(٦٨).

يقول الشاعر قيس بن الخطيم، وهو ممن أدرك الإسلام، ومات ولم يسلم في قصيدة، يخاطب خصومهم:

لَمَّا غَدَتْ غُدوةً جِباهُهُمُ ... حَنَّتْ إلينا الأرحامُ والصُّحُفُ

يعني بكوا إلينا، والصحف التي كتب فيها الحلف بينهم(٦٩). كما أشار إلى أحد مواد الكتابة في قصيدة أخرى:

أتعرف رسمًا كاطِّرادِ المذاهِب ... لِعَمْرَةَ وحشًا غيرَ موقِفِ راكِبِ

والاطراد: التتابع. والمذاهب: جلود كانت تُذهَّب، واحدها مُذَهَّب، تجعل فيها خطوط مذهبة بعضها في أثر بعض. ويقول: يلوح رسمها كما يلوح المُذَهَّب(٧٠).

ورغم أن شاعر الرسول ﷺ حسان بن ثابت قال قصيدة في أعقاب غزوة بدر، إلا

أنـه استخدم في مطلعها مفـردات الكتابة التي كثيرًا مـا يتداولها شعراء ما قبل الإسلام، وتعكس من ناحية معرفة الكتابة بين العرب:

عرفتُ ديارَ زينبَ بالكِثيبِ   كَخَطِّ الوَحْيِ في الورقِ القشيبِ

ويشرح السهيلي البيت فيقـول: «... إذا وصفوا الرسومَ وشبهوها بالكُتُبِ في الـورق، فإنما يصفون الخط حينئذ بالدُّرُوس والامِّحاء، فإن ذلك أدلّ على عَفَاء الديار وطُمُوس الآثار، وكثرة ذلك في الشعر تغني عن الاستشهاد عليه»(٧١).

ومما يدل على استخدام أهل المدينة للكتابة أن الأوس والخزرج كتبت بعد بيعة العقبة الأولى إلى رسول الله ﷺ: ابعث إلينا مقرئًا يقرؤنا القرآن. فبعث مصعب بن عمير العبدري ...»(٧٢). ولم يكتفوا برسالة شفوية.

ومثلما أمدنا الواقدي بقائمة لأسماء الذين جاء الإسلام وهم يحسنون الكتابة بمكة، أمدنا بأخرى عن الذين كانوا يحسنون الكتابة في المدينة عند ظهور الإسلام.

ونعتقد أن الواقدي يمثل المصدر الرئيس للمؤلفين الذين ألفوا من بعده، وأفادوا من كتبه مثل ابن سعد والبلاذري واليعقوبي في معلوماتهم عن الكتابة والكتاب، سواء نَصُّوا على الاقتباس منه أم لم ينصوا. ولا نستبعد أن عمر بن شبه أيضًا أفاد منه في مؤلفه «كتاب الكتاب».

وقائمة الواقدي عن كُتَّاب المدينة عند ظهور الإسلام التي اقتبسناها آنفًا تشمل ثلاثة عشر كاتبًا يشكل المسلمون منهم أحد عشر رجلاً، وزيد بن ثابت أصغرهم سنًا إذا كانت سنه عندما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة إحدى عشرة سنة(٧٣)، ومن ثم فيمكن أنه تعلم الكتابة بعد الهجرة، ومن الجدير بالذكر أن سويد بن الصامت التقى بالرسول ﷺ قبل الهجرة بنحو خمس سنوات، وعرض عليه صحيفة كانت معه يسميها «مجلة لقمان»، فقال له النبي ﷺ: «إن هذا لكلام حسن، والذي معي أفضل منه، قرآن أنزله الله عليَّ وهو هدى ونور ...»(٧٤).

وتضيف المصادر إلى قائمة الواقدي عن كُتَّاب المدينة أسماء أخرى ربما أنه هو مصدرها، وذكرت أنهم يكتبون بالعربية قبل الإسلام، وهم: عبدالله بن رواحة[٧٥]، وأبو عبس بن جبر[٧٦]، وعبدالله بن زيد[٧٧]. وهناك بعض الصحابة الأنصار الذين يحسنون الكتابة، ونعتقد أن معرفتهم بها تعود إلى الفترة السابقة للإسلام، منهم: ثابت بن قيس بن شماس الذي كان يكتب للرسول ﷺ بعض رسائله[٧٨]، وعبادة بن الصامت الذي قال: «علمتُ ناسًا من أهل الصفة الكتابة والقرآن[٧٩]، ومعاذ بن جبل وكان من كتّاب النبي ﷺ[٨٠]، وجمع القرآن على عهد النبي ﷺ[٨١]، ووصف بأنه كان معلمًا من المعلمين[٨٢]، وسعد بن مالك الساعدي الذي توفي وهو يتجهز للخروج للاشتراك في غزوة بدر، وكتب وصيته في مؤخرة رحله، فأوصى للنبي ﷺ برحله وراحلته وخمسة أوسق من شعير، فقبلها النبي، ثم ردها على ورثته[٨٣]، وسعيد بن عبيد بن النعمان (أبوزيد)، وهو الذي يقال له: القارئ، ويروى أنه ممن جمع القرآن على عهد النبي ﷺ[٨٤]، وعاصم بن ثابت ابن قيس الذي وجهه النبي ﷺ إلى بني لِحْيان من هُذَيل ليعلمهم القرآن فغدروا به[٨٥]، وحرام بن مِلْحان بعثه النبي ﷺ في مهمة مماثلة إلى بني عامر بنجد وواجه نفس المصير مع أصحابه عند بئر معونة[٨٦].

وهناك بعض الصحابة من الأنصار الذين أسند إليهم النبي ﷺ مسؤوليات تتطلب معرفة الكتابة، مثل عبدالله بن كعب بن عمرو وكان عامل النبي ﷺ على المغانم يوم بدر[٨٧]، وأبو الهيثم بن التيهان الذي كان يخرص الثمار على عهد النبي ﷺ[٨٨].

وذكرت بعض المصادر أن ابن عباس قال: «كان ناس من الأسرى (في غزوة بدر) لم يكن لهم مال، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة[٨٩]. قال: فجاء غلام يومًا يبكي إلى أمه، فقالت: ما شأنك؟ فقال: ضربني معلمي. فقالت: الخبيث يطلب بذحل بدر! والله لا تأتيه أبدًا»[٩٠].

ومصادر تراجم صغار الصحابة، التي اطلعنا عليها، لم نعثر فيها على إشارة يفهم منها أن أحدهم تعلم الكتابة على أحد أسرى بدر، وكذلك تراجم من أسلم من أسرى بدر لم نجد فيها أن أحدهم افتدى نفسه من الأسر بتعليم صبيان المسلمين الكتابة غير الإشارة السابقة.

وما من شك أن الرسول ﷺ كان شديد الحرص على تعليم أولاد المسلمين المهاجرين والأنصار الكتابةَ والقراءةَ، وقد سبقت الإشارة في هذا البحث إلى أنه عهد إلى عبدالله بن سعيد بن العاص «أن يعلم الكِتَاب بالمدينة»، وعبدالله كان مسلمًا ولم يكن من أسرى بدر(٩١). ونعتقد أنه كان حريصًا على تعليم الكبار قبل الصغار. ولدينا نصٌّ آخر قد يفهم منه أن من يحسنون الكتابة من الأنصار أكثر من إخوانهم المهاجرين، قال الصحابي عبدالله بن مغفل المزني: كان رسول الله ﷺ إذا هاجر أحد من العرب وكلَ به رجلاً من الأنصار، فقال: «فقِّهه في الدين وأقرئه القرآن». فهاجرت إلى رسول الله، فوكل بي رجلاً من الأنصار، ففقهني في الدين وأقرأني القرآن، وكنت أغدو عليه فأجلس ببابه حتى يخرج متى ما يخرج، فإذا خرج ترددت معه في حوائجه، فأستقرئه القرآن، وأسأله في الدين حتى يرجع إلى بيته، فإذا دخل بيته انصرفت عنه(٩٢).

أما بالنسبة لكتابة النساء في المدينة فليس لدينا حتى الآن نصوص صريحة بهذا المعنى، على أنه يمكن أن يفهم من قصة الرُّبَيِّع بنت معوذ من بني النجار مع أسماء بنت مخربة أن بعضهن كنَّ يكتبن، قالت الربيع: «دخلت في نسوة من الأنصار على أسماء بنت مخرمة أمّ أبي جهل في زمن عمر بن الخطاب، وكان ابنها عبدالله بن أبي ربيعة (المخزومي) يبعث إليها بعطر من اليمن، وكانت تبيعه إلى الأعطية (موعد العطاء)، قلنا نشتري منها، فلما جعلت لي في قوارير، ووَزَنَت لي كما وَزَنَت لصواحبي قالت: اكتبن لي عليكن حقي. فقلت: نعم أكتب لها على الربيع بنت معوذ ...»(٩٣).

الكتابة في الطائف:

هنـاك من الدلائل ما يجعلنا نميـل إلى الاعتقاد بـأن الطائف قبل الإسلام كانـت تتمتع بمستوى حضاري يماثـل مستوى مكة إن لم يَفُقْـه، وقد اشتركت مع مكـة في كثير مـن المنافع مثل تجارة القوافل، أو تملك بعض القرشيين للبساتين في الطائـف، وقيام عدد كبـير من المصاهرات بـين أسر البلدتـين. ووفرة المياه فيها وجـودة التربة، واعتدال مناخها مكّنا من قيـام زراعة مزدهرة للمحاصيل والثمـار، وتوج أهل الطائف ذلك بتشييد سور يُطيـف ببلدتهم ويوفر لهم الأمن، ومن ثم يتفرغون للنشاط والإنتاج، لكن مع كل ذلك فمعلوماتنا عن حياة مجتمع الطائف قبل الإسلام قليلة. وقول ابن سلام[٩٤]: «وبالطائف شعر وليس بالكثير، وإنمـا كان يكـثر الشعر بالحروب التـي تكون بين الأحياء ...» يمكـن توسيعه بأن سبـب قلة الأخبـار عن الطائف تعود إلى قلة اشتراكها في الحروب بين القبائل أو أيام العرب وكذلك في تحالفاتها؛ إذ لم يكن لديها الدوافع أو الحاجة إليها لوجود سور يحمـي بلدتهم، وكانوا مشغولين بالعمل والإنتـاج داخلها. ويمكن الاستدلال علـى الرقـي الفكري النسبي في الطائـف ببروز بعض الأفراد، مثـل أمية بن أبي الصلـت الذي «قد قرأ كتـاب الله عزّ وجل الأول، فكان يأتـي في شعره بأشياء لا تعرفهـا العرب...»[٩٥]. وقد نظر في الكتـب وقرأها، وتجول في الأقاليم المجاورة، وكان ذا تأثـير علـى أهل مكة، فيذكر أنه قـدم على أهل مكـة: «باسمك اللهم»، فجعلوهـا في أول كتبهـم[٩٦]. والحارث بـن كلدة الثقفي الـذي سافر في البلاد، ويذكـر أنه اكتسـب معارف من بلاد فارس خاصة في الطب[٩٧]. كما ذكر أن عدة نفر من قريش وثقيف سافروا في تجارة إلى مصر كان فيهم المغيرة بن شعبة[٩٨]. وأصبح المغيرة بعد إسلامه أحد كتاب النبي ﷺ[٩٩]؛ وذلك لمعرفته الكتابة في بلده الطائف قبل الإسلام. وفي كتاب النبي ﷺ لثقيف الذي كتبه لهم عند دخولهم في الإسلام:

«... ومـا كان لهـم من دَيْـنٍ في صُحُفِهم اليوم الذي أسلمـوا عليه في الناس فهـو لهـم»[١٠٠]. وفي رواية أخرى: «وما كان لهم من دَيْـنٍ في رَهْن فبلغ أجله فإنه لـواطٌ مبَرأٌ من الله. وما كان من دين في رهن وراء عكاظ فإنه يُقْضَى إلى عكاظ برأسه...

ومـا كان لهـم من دين في رهن لم يُلط، فإن وجد أهلـه قضاءً قضوا، وإن لم يجدوا قضاء فإنه إلى جمادى الأولى من عام قابل، فمن بلغ أجله فلم يقضِه فإنه لاطه»[١٠١].

وهـذه النصوص تبـين أن ثقيفًا كانـوا يكتبون ديونهـم في صحف، كما تبين استعمالهم للتواريخ لتحديد مُدد الدين.

ويظهر أن الكتاتيـب موجودة في الطائف منذ ما قبل الإسلام، واستمرت في الإسـلام، فقد قال المدائني: «أُسلمَ زياد بالطائف وهو ابن خمس سنين في كُتَّاب جبـير بن حية الثقفـي...»[١٠٢]. ويظهر لي أن ذلك كان قبـل دخول أهل الطائف في الإسـلام سنـة تسع مـن الهجرة. ومثـل زيـاد كان السائب بن الأقـرع مولى ثقيف، وكان رجلاً كاتبًا حاسبًا، فقال له عمر بن الخطاب: «الحقّ بهذا الجيش، فكـن فيهم، فـإن فتح الله عليهم فأقسـم على المسلمين فيئهـم، وخذ خُمس الله ورسولـه، وإن هـذا الجيش أصيب، فاذهب في سـواد الأرض، فبطن الأرض خير من ظهرها»[١٠٣].

وتأخُّر إسلام أهل الطائف أدى إلى أن اشتراكهم في خدمة الإسلام وصحبة الرسـول قليلـة، ومن ثم فلم تحفل كتـب التراجم بتفاصيل حياتهـم، التي كانت ستثري معرفتنا عن واقع مجتمع الطائف قبيل وعند ظهور الإسلام.

الكتابة في القبائل المجاور لمكة والمدينة:

ليس من اليسير تحديد منازل القبائل تحديدًا دقيقًا لأسبابٍ منها: أن فروع

القبيلـة الواحـدة تتفـرق في أماكن مختلفة، قـد تكون متقاربة، وقـد يضطرهم طلـب المعاش أو الحرب داخـل القبيلة على أن تكون متباعـدة، ومنها أن القبائل المختلفـة في كثـير من الأحيـان تتشارك في سكنـى موضع واحـد، كل منها يأخذ جانبًـا، والسبب في ذلك إمـا امتلاك آبار في هذا المـكان، أو خصوبته مما يوفر مراعـيَ معقولة للقبيلة أو لأسباب أخرى. وفي كثير من الأحيان تتكون القبيلة من باديـة وحاضرة، أما الحاضرة فتستقر على المـاء، وتغرس الشجر، وتزرع الزرع وقـد تشتغل في التجارة، على أنهم في الوقت نفسـه يشاطرون إخوانهم من البدو في امتلاك الأنعام والأغنام، ولكنها لا تكون عماد حياتهم الرئيسي مثلهم. والبدو ينتجعـون إلى البادية بحثًا عـن المراعي الوفيرة، وفي موسـم القيظ يعودون إلى مواطن القبيلة ومياهها.

أما بالنسبة للكتابة في أوساط القبائل فالأدلة التي لدينا ليست وفيرة، وليس بالضرورة أن ذلك يعكس ندرة الكتابة، لكن مجتمع الجزيرة العربية أصابه إهمال كبـير، فلم يُعنَ أهله بحفظ تاريخهم وتسجيـل جوانب حياتهم. والأدلة المتوافرة لدينـا، على قلتها، تتفـاوت في الكم بين قبيلة وأخرى، ولا يستلـزم أن يؤخذ هذا معيـارًا على ارتفـاع المستوى الثقافي عند قبيلة وانخفاضـه عند أخرى؛ لأنه ربما يكـون للصدفة وحدها نصيبٌ في حفظ بعض الأدلة. ومـن القبائل المجاورة لمكة والمدينة التي لدينا بعض الأدلة عن معرفتها القراءة:

هُذَيْل:

وتنقسم قبيلة هذيل إلى فرعين رئيسيين، هما: سَعْد ولِحْيان، وينقسم هذان الفرعان إلى فروع صغيرة[١٠٤]، أما مواطنها فيقول عنها الأصفهاني[١٠٥]: «وهذيل لا تفـارق تهامة»، وعند ابن حـزم[١٠٦]: «وديارهم حوالي مكة». وعَدَّد الأصفهاني بعض جبالهم ووديانهم، وقال أيضًا: «ومن بلاد هذيل في طريق مكة المكرمة، من مكة على ليلتين: نخلتان نخلة اليمانية ... ونخلة الشامية ...»[١٠٧]. وما هو جدير

بالملاحظة أن صنم «سُوَاع» كان لهذيل، وموضعه برُهَاط من أرض ينبع، وكان سدنته بني لحيان من هذيل[١٠٨]، وهو أمر يثير التساؤل عن سبب وجود صنمهم بعيدًا عن ديارهم، إلا إذا كانت «رُهاط» خاصة لهم. ومما ورد في أشعار هذيل قبل الإسلام عن الكتابة ما قاله أبو ذؤيب الهذلي:

عرفتُ الدار كرقْم الدوا ... ة يَذْبرُها الكاتبُ الحميريُّ
أدان وأنبأهُ الأَولو ... نَ بأنَّ المُدانَ مَلِيٌّ وَفِيُّ
فَنَمْنَمَ في صُحُفٍ كالريّا ... طِ فيهنَّ إرثُ كِتابٍ مَحِيُّ

والذَّبْر: القراءة، والزَّبْر: الكتابة ... وأخبره الناس الأولون ومسانُّ الرجال أن الذي بايعته مَليٌّ وَفِيٌّ، فكتب عليه كتابًا: يقال: أدنته، أي بعته بدين، والمُدان الذي عليه الدين ... ونَمْنَمَ: نقش في الصحف التي فيها هذا الدين العتيق. ويروى: «فينظر في صحف»، أي ينظر هذا الحميري في صحف على من عليه الدين، والرياط: الملاء التي لم تلفق.. وإرث: أي أصل كتاب ينظر فيه دارس. يقول: كان فيهن قبل كتابه أصلُ كتابٍ مَحِيٍّ.. غيره: شبه بياض الصحف في الرَّيْط[١٠٩].

والأبيات الثلاثة السابقة تعكس المعرفة بالكتابة وأدواتها، وكانت تستخدم الكتابة لتدوين الديون في صحف، واستخدام الكتابة على هذا النحو يعكس انتشارها على نحو ما.

ويقول شاعر هذلي آخر هو صَخْر الغَيِّ بن عبدالله الخُثَمِيِّ:

أبلغ كبيرًا عنى مُغَلْغلةً ... تَبْرُقُ فيها صحائفٌ جُدُدُ
فيها كتابٌ ذَبْرٌ لمُقْتَرِئٍ ... يَعْرِفُهُ أَلْبُهُمْ ومَنْ حَشَدُوا

أي في هذه الصحف بيان، وجُدُدٌ: جديد. وكبير: حي من هذيل. ويُرْوَى: «يقرؤ ألبهم»، والذَّبْرُ: الكتابة بالحميرية ... والمُقْتَرِئ: القارئ. وأَلْبُهم: جماعتهم ومن كان هواه معهم[١١٠].

خاتمة:

عرض البحث أقوال المصادر المبكرة في نشأة الكتابة العربية، وعلى يدي مَن بدأت، وأين كان ذلك، ثم أورد آراء الدارسين المحدثين، بعضهم استند على النقوش المكتشفة، وجلها في أكثر من مكان ببلاد الشام، واختلفت آراؤهم في أصلها، ومن أي خط اشتقت. ثم طرح البحث مقولة الواقدي ومن وافقه من علمائنا الأوائل بأن الإسلام جاء وعدد من يحسنون الكتابة في مكة ويثرب في حدود ثلاثين رجلًا. قام البحث باستقصاء المعلومات من دواوين شعراء حقبة ما قبل الإسلام، والروايات المختلفة، وتراجم الصحابة التي فيها إشارات إلى الكتابة في كل من مكة والمدينة والطائف وبعض قبائل الحجاز، وكانت النتيجة التي وصل إليها البحث أن انتشار الكتابة في هذه المناطق أوسع بكثير جدًّا مما حصرها فيه الواقدي، وكان جل من يحسنون الكتابة والقراءة من الرجال وقليل من النساء. وأن كثرة وصف الكتابة وأدواتها في الشعر، وهو موجه إلى عموم الناس، يدل على سعة معرفة الناس بها؛ إذ ليس من المعقول أن يذكر الشاعر في وصفه الكتابة وأدواتها، وهي غير مفهومة لمتلقي أشعارهم. لا شك أن البحث يحتاج إلى مزيد من التقصي الذي سوف يكشف لاحقًا عن مزيد من الأدلة. لكن مع ذلك الانتشار النسبي تبقى الأمية فاشيةً في مجتمعات الجزيرة العربية قبل الإسلام؛ لأن طبيعة الحياة بمعاملاتها التجارية البسيطة ومستواها الحضاري المتدني لم تكن القراءة والكتابة من ضروراتها.

الهوامش:

(١) الصولي محمد بن يحيى (ت ٣٣٥هـ/ ٩٤٦م)، أدب الكتاب، تحقيق محمد بهجة الأثري، دار الباز للطباعة والنشر (لم يذكر مكان النشر ولا تاريخه)، ص٢٨؛ الماوردي، محمد بن حبيب (ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م)، أدب الدنيا والدين، تحقيق مصطفى السقا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٤، (١٣٩٨هـ/ ١٩٨٧م)، ص٦٨؛ ابن عبدالبر، يوسف بن عبدالله (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)، القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم، تحقيق إبراهيم الأبياري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط١، (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، ص٢٦؛ العسكري (أبوهلال)، الحسن بن عبدالله (ت ٣٨٢هـ/ ٩٩٣م)، الأوائل، (جزءان)، تحقيق وليد قصاب ومحمد المصري، الرياض، دار العلوم (د. ت)، ص١٣٣.

(٢) الصولي: المصدر السابق، ص٢٩؛ ابن النديم، محمد بن إسحاق (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)، كتاب الفهرست، تحقيق رضا تجدد، طهران (الناشر: المحقق، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م)، ص٧؛ ورسم الألفاظ عنده يختلف قليلاً عن رسمها عن الصولي؛ الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص٦٨؛ الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٩١م)، حكمة الإشراق (من ضمن المخطوطات النادرة)، تحقيق عبدالسلام هارون، القاهرة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢، (١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م)، ٦٤/٢.

(٣) ابن عبدالبر، القصد والأمم، ص٣٣.

(٤) ابن النديم، ص٨.

(٥) البلاذري، أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد رضوان، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ص٤٥٦؛ وانظر أيضًا: ابن أبي شيبة، عبدالله بن محمد (ت ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م)، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق مختار أحمد الندوي، بومباي، الدار السلفية، ط١، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ٩٠/١٤؛ الفاكهي، محمد بن إسحاق (ت بعد ٢٧٢هـ/ ٨٨٥م)، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، (٦ أجزاء)، تحقيق عبدالملك بن دهيش، مكة المكرمة، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، ط٧، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٨م)، ٢١٤/٣؛ ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)، المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، القاهرة، دار المعارف، ط٤، ص٥٥٢؛ ابن حبيب، محمد (ت ٢٤٥هـم ٨٥٩م)، المحبر، تحقيق إيلزه ليختن شتيتر، بيروت، دار الآفاق الجديدة (د. ت)، ص٤٥٧؛ ابن النديم، ص٧؛ ابن رسته، أحمد بن عمر (ت بعد ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م)، كتاب الأعلاق النفيسة، ليدن، مطبعة بريل، ١٩٦٧م، ص٢١٦؛ العسكري، ص١٣٣؛ ابن دريد، محمد بن الحسن (ت ٣٢١هـ/ ٩٩٣م)، كتاب الاشتقاق، تحقيق عبدالسلام هارون، بيروت، دار المسيرة، ط٢، (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، ص٣٧٢؛ ويضيف: أن بشر بن عبدالملك

«خـرج إلى مكة فتزوج الضهياء بنت حرب أخت أبي سفيان بن حرب، وعلم أبا سفيان هذا الخط ورجالاً من أهل مكة»، ابن حزم، علي بن أحمد (٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م)، جمهرة أنساب العرب، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ص٤٢٩؛ الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص٦٨.

(٦) ابن عبدالبر، القصد والأمم، ص٣٢.

(٧) الفاكهي، ٣/ ٢١٤.

(٨) العسكري (أبوهلال)، ١/ ١٣٣.

(9) Ibrahim. M., Merchant Capital and Islam, Austin, Univ. of Texas, Press, 1990, p.38.

(١٠) ابـن هشـام، محمد بن عبدالملـك (ت ٢١٣هـ/ ٨٢٨م)، السيرة النبويـة، ٤ أجزاء في مجلدين)، تحقيـق مصطفى السقا وآخريـن، بيروت، دار الكنوز الأدبيـة (د. ت)، ١/ ١٥٢؛ الأزرقي، محمد ابـن عبدالله (ت ٢٤٤هــ/ ٨٥٨م)، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، (جزءان)، تحقيق رشدي ملحس، بيروت، دار الأندلس (د. ت)، ١/ ١٩٣؛ ابن الكلبي، هشام بن محمد (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م)، كتاب الأصنام، تحقيق أحمد زكي باشا، (١٣١١م)، لسان العرب، (١٥ جزءًا)، القاهرة، المطبعة الأميريـة، (١٣٣٢هــ/ ١٩١٤م)، ص٢٨؛ ابن منظور، محمد بن مكـرم (ت ٧١١هـ)، بيروت، دار صــادر، (د. ت)، ١٢/ ٤٧٨ (قسم)؛ هارون، عبدالسلام محمد، الميسر والأزلام، القاهرة، مكتبة السنــة، ط٣، ١٩٨٧م، صـ٦٧؛ وقارن: اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (ت ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م)، تاريخ اليعقوبـي، (جــزءان)، دار بيروت للطباعــة والنشــر، (١٤٠٠هــ/١٩٨٠م)، ١/ ٢٥٩ «... وكانت القداح سبعة: فواحد عليه: الله عز وجل، والآخر: لكم، والآخر: عليكم، والآخر: منكم...».

(١١) سورة المائدة، آية ٣.

(١٢) ابـن حبيــب، المنمـق في أخبار قريشـ، تحقيـق خورشيد أحمد، عــالم الكتــب، ط١، (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)/ صـ٤١؛ اليعقوبي، ١/ ٢٤٢، ٢٤٤؛ القالي، إسماعيـل بن القاسم (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م)، كتاب ذيل الأمالي والنوادر، بيروت، دار الآفاق الجديدة (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ص٩٩.

(١٣) الزبيري المصعب بن عبدالله (ت ٢٣٦هـ/ ٨٥١م)، كتاب نسب قريش، تحقيق أ. ليفي بروفنسال، القاهــرة، دار المعــارف، ط٢، (د. ت)، ص٢١٠؛ ابن حبيب، المنمــق، ص١٥٤؛ وانظر: ابن هشام، ١/ ٢٢٤.

(١٤) البــلاذري، أنســاب الأشــراف، الجزء الأول، تحقيق محمــد حميد الله، القاهــرة، دار المعارف، ١/ ٩٦؛ المطـبري، محمد بن جريـر (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، تاريخ الرسائل والملـوك، (١٠ أجزاء)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، ط٤، ٢/ ٢٥٠.

(١٥) ابن حبيب، المنمق، ص٨٧؛ البلاذري، أنساب، ١/ ٧٠-٧٢؛ الطبري، تاريخ، ٢/ ٢٥١، وانظر أيضًا نص الحلف عند الواقدي، محمد بن عمر (ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م)، المغازي، (٣ أجزاء)، تحقيق كارسون جونز، بيروت، عالم الكتب، (د. ت)، ٢/ ٧٨١.

(١٦) ابن هشام، السيرة، ١/ ١٥١-١٥٢.

(١٧) الحموي، ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، معجم البلدان، (٥ أجزاء)، بيروت، دار صادر (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) (زول).

(١٨) الأزرقي، ١/ ١٥٤.

(١٩) ابن هشام، ١/ ٤٩-٥٠؛ البلاذري، أنساب، ١/ ٦٧؛ الأزرقي، ١/ ١٤٣- ١٤٥.

(٢٠) ابن حبيب، المنمق، ص ص١٨٦- ١٨٩.

(٢١) ابن هشام، ١/ ١٣٣؛ ابن الأثير، علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، (١٢ جزءًا)، بيروت، دار صادر، دار بيروت (١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م)، ٢/ ٤١.

(٢٢) الفاكهي، ٤/ ٣٢؛ ابن النديم، ص٨.

(٢٣) المصعب الزبيري، كتاب نسب قريش، ص١٨٧؛ الفاكهي، ٤/ ٣٢.

(٢٤) بعلبكي، رمزي، الكتابة العربية والسامية، بيروت، دار العلم للملايين، ط١، ١٩٨١م، ص١٢٢.

(٢٥) الراشد، سعد، الآثار الإسلامية في الجزيرة العربية في عصر الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، ضمن أبحاث: الجزيرة العربية في عصر الرسول والخلفاء الراشدين، الرياض، جامعة الملك سعود، (١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م)، ٢/ ١٦٩.

(٢٦) الجبوري، سهيل ياسين، أصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الأموي، بغداد، مطبعة الديب، ١٩٧٧م، ص٦٠.

(٢٧) الجبوري، ص١١١.

(٢٨) خليفة، شعبان عبدالعزيز، الكتابة العربية في رحلة النشؤ والارتقاء، القاهرة، العربي للنشر والتوزيع، ١٩٨٩م، ص١٤٢.

(٢٩) خليفة، ص١٤٣، ويلاحظ على الطريق الثاني أن الخط يتنقل فيه من مكة إلى المدينة ومنها إلى الطائف، وهذا مستحيل، فإن صح هذا الطريق فالخط ينتقل من مكة إلى الطائف مباشرة.

(٣٠) خليفة، ص١٤٤.

(٣١) الجبوري، ص٧٠، وانظر أيضًا: علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، دار العلم للملايين، ط٢ (١٩٧٨م)، ٨/ ١٦٨؛ المنجد، صلاح الدين، دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي، بيروت، دار الكتاب الجديدة، ط٢ (١٩٧٩م)، ص١٩.

(٣٢) نامي، خليل يحيى، أصل الخط العربي وتطوره، مجلة كلية الآداب، الجامعة المصرية، ٣٢، ج١، مايو سنة ١٩٣٥م، ص ص١٠٢- ١٠٤.

(٣٣) البلاذري، فتوح، ص٤٥٧؛ ابن عبدربه، أحمد (ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م)، العقد الفريد، (٨ أجزاء في ٤ مجلدات)، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة، المكتبة التجارية، (د. ت)، ٢١٢/٤.

(٣٤) البلاذري، فتوح، ص٤٥٨.

(٣٥) البلاذري، فتوح، ص٤٥٩. الواقع أن الإسلام انتقص العرب قبل الإسلام من حيث معتقداتهم وليس من حيث مستواهم الحضاري، وإنما الذين وسموا العرب بكل قبل الإسلام بكل منقصة ومثلبة هم أكثر كتاب القرنين الثاني والثالث الهجريين (٨ و٩م) وبعض من جاء بعدهم.

(٣٦) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ١٠٩/١.

(٣٧) ابن حبيب، المنمق، ص٣٤٢؛ وانظر: ابن سلام، محمد بن سلام الجمحي (ت ٢٣١هـ/ ٨٤٥م)، طبقات فحول الشعراء، (جزءان)، تحقيق محمد محمود شاكر، القاهرة، مطبعة المدني، ٢٣٥/١؛ السهيلي، عبدالرحمن (ت ٥٨١هـ/ ١١٨٤م)، الروض الأنف، (٧ أجزاء)، تحقيق عبدالرحمن الوكيل (القاهرة، (د. ت)، ٨٧/٢؛ وابن الزبعرى شاعر مفلق خبيث كان مؤذيًا للرسول ﷺ بلسانه، ثم أسلم بعد الفتح واعتذر إليه، ولم أجد له تاريخ وفاة فيما بين يدي من مراجع.

(٣٨) ابن كثير، إسماعيل (ت ٧٤٧هـ/ ١٣٧٢م)، السيرة النبوية، (٤ أجزاء)، تحقيق مصطفى عبدالواحد، بيروت، دار المعرفة (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ٣١١/١.

(٣٩) البخاري، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م)، صحيح البخاري، (٩ أجزاء)، بيروت، عالم الكتب (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)؛ ابن هشام، السيرة، ٢٣٨/١.

(٤٠) الزهري، محمد بن مسلم (ت ١٢٤هـ/ ٧٤١م)، المغازي النبوية، تحقيق سهيل زكار، دمشق، دار الفكر (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ص٤٤؛ الفاكهي، ٩٤/٤؛ الأصبهاني، علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م)، كتاب الأغاني، (٢٣ جزءًا)، بيروت، دار الثقافة، ط٥ (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ١١٤/٣، وقد تحرفت فيه عبارة: «وكان يكتب العربي فكتب بالعربية من الإنجيل ...» إلى: «فكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب بالعبرانية من الإنجيل».

(٤١) ابن هشام، ٣٤٤/١.

(٤٢) ابن هشام، ٣٥٠/١.

(٤٣) البلاذري، أنساب، ٢٣٤/١، ٢٣٥.

(٤٤) ابن إسحاق، محمد بن يسار (ت ١٥١هـ/ ٧٦٨م)، كتاب السير والمغازي، تحقيق سهيل زكار، دمشق، دار الفكر، ط١ (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، ص١٥٦؛ وقارن: ابن سعد، محمد بن منيع (ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م)، الطبقات الكبرى، (٩ أجزاء)، بيروت، دار صادر، (د. ت)، ٢٠٩/١، «وكان الذي كتب الصحيفة منصور بن عكرمة العبدري»؛ وابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص١٢٧، «وأبو

الروم منصور بن عبد شرحبيل، يقال: إنه كاتب الصحيفة على بني هاشم وبني المطلب...».

(٤٥) ابن هشام، ١/٣٥٠.

(٤٦) ابن حجر، أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٩م)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (١٧ جزءًا) القاهرة، مكتبة البابي الحلبي (١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م)، ٨/١٩٢.

(٤٧) سورة الإسراء، آية ٩٣.

(٤٨) الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، (٣٠ جزءًا في ١٥مجلدًا)، بيروت، دار الفكر (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ١٥/١٦٤.

(٤٩) سورة الأنعام، آية ٧.

(٥٠) سورة لقمان، آية ٦.

(٥١) البلاذري، أنساب، ١/١٣٩-١٤٠،

(٥٢) ابن هشام، ١/٢٢٢، ٢٢٩، ٢٣١.

(٥٣) ابن هشام، ١/٤٩٠؛ ابن عبدالبر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (٤ أجزاء)، تحقيق محمد علي البجاوي، بيروت، دار الجيل، ط١ (١٤١٣/ ١٩٩٢م)، ١/٦٩؛ ابن كثير، السيرة، ٤/٦٩٠؛ ابن حجر، فتح الباري، ٨/٦٣٩؛ وقارن: ابن القيم زاد المعاد، ٣/٥٥ «سراقة بن مالك المدلجي ... فكتب له أبو بكر بأمره في أديم».

(٥٤) ابن عبدالبر، الاستيعاب، ١/٦٩؛ ابن كثير، السيرة، ٤/٦٧٧.

(٥٥) ابن عبدالبر، الاستيعاب، ١/٦٩؛ ابن كثير، السيرة، ٤/٦٧٧.

(٥٦) ابن عبدالبر، الاستيعاب، ١/٦٩؛ ابن كثير، السيرة، ٨/٦٣٩.

(٥٧) سورة الزمر، الآيات ٥٣-٥٥.

(٥٨) ابن اسحاق، كتاب السيرة والمغازي، ص٤٧٦؛ ابن هشام، ١/٤٧٦.

(٥٩) ابن هشام، ١/٤٣٤.

(٦٠) الواقدي، ١/١٣؛ ابن هشام، ١/٦٠١؛ البلاذري، أنساب، ١/٣٧١.

(٦١) ابن سعد، ٤/٦٩؛ البلاذري، أنساب، ق٤، ١/٤٣٣؛ المصعب، نسب قريش، ص١٧٤؛ اليعقوبي، تاريخ، ١/٧٦؛ ابن عبدالبر، الاستيعاب، ١/٦٩؛ ابن الأثير، علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)؛ أسد الغابة، (٧ أجزاء)، القاهرة، كتاب الشعب، (د.ت)، ٣/٢٦٢؛ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، (٨ أجزاء)، تحقيق علي محمد البجاوي، بيروت، دار الجيل، ط١ (١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م)، ٢/١٠٢ (رقم الترجمة ١٧٧٩)، فتح الباري، ٨/٦٣٩.

(٦٢) ابن سعد، ١/٢٦٨، ٢٧٤؛ ابن عبدالبر، الاستيعاب، ١/٦٩؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ١/٧٤.

(٦٣) البلاذري، فتوح، ص١٢٨.

(٦٤) الواقدي، ٢/٧٩٧؛ ابن هشام، ٢/٣٩٨.

(٦٥) ابن الجوزي، الوفاء، ٢٤٢/١.
(٦٦) ابن سعد، ٨٧/٣.
(٦٧) ابن سعد، ٣٠٠/٨؛ ابن عبدالبر، الاستيعاب، ٤٩٢/٧.
(٦٨) الجبوري، يحيى، شعر المخضرمين وأثر الإسلام، بيروت، مؤسسة الرسالة (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ط٢، ص٦١.
(٦٩) ابن قتيبة، كتاب المعاني، (٣ أجزاء)، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١ (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م)، ١١١٧/٢؛ الأصبهاني، الأغاني، ٢٤/٣؛ وروايته للشطر الأول: «لما بدت نحونا جباهم»، جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ٦١٣/٥.
(٧٠) الأصبهاني، الأغاني، ٩/٣؛ ابن منقذ، أسامة بن مرشد (ت ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م)، المنازل والديار، (جزءان في مجلد)، دمشق، المكتب الإسلامي (١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م)، ١٥٩/١.
(٧١) السهيلي، الروض الأنف، ١٤٨/٥، ١٧٧.
(٧٢) ابن سعد، ٢٢٠/١.
(٧٣) ابن الأثير، أسد الغابة، ٢٧٨/٢ (ترجمة ١٨٢٤).
(٧٤) ابن هشام، ٤٦١/١؛ وانظر: الأصبهاني، الأغاني، ٢٥/٣.
(٧٥) ابن سعد، ٥٢٦/٣.
(٧٦) ابن سعد، ٤٥٠/٣؛ ابن قتيبة، المعارف، ص٢٣٦؛ ابن الأثير، أسد، ٤٣١/٣ واسمه عنده: عبدالرحمن بن جبر بن عمرو الخزرجي.
(٧٧) ابن سعد، ٥٣٦/٣.
(٧٨) ابن سعد، ٢٨٦/١-٣٥٣؛ ابن كثير، المسيرة، ٦٧٢/٤؛ حميد الله، ص١٦٤.
(٧٩) أبو داود.
(٨٠) اليعقوبي، تاريخ، ٨٠/١.
(٨١) الواحدي، الوسيط، ٢٤/١.
(٨٢) الكتاني، ٤١٩/٢.
(٨٣) ابن سعد، ٦٢٥/٣.
(٨٤) ابن سعد، ٤٥٨/١؛ الواحدي، ٢٤/١.
(٨٥) ابن سعد، ٤٦٢/٣.
(٨٦) ابن سعد، ٥١٨/٣.
(٨٧) ابن سعد، ٥١٨/٣.
(٨٨) ابن سعد، ٤٤١/٣.
(٨٩) ابن سعد، ٤٤٨/٣؛ ابن كثير، السيرة، ٤١٢/٢ (رواية الإمام أحمد بن حنبل).

(٩٠) ابن كثير، السيرة، ٥١٢/٢؛ ابن القيم، زاد المعاد، ١١٢/٣. والذَّحْل: الثأر.

(٩١) البلاذري، أنساب، ق٤، ٤٣٣/١؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٨٠؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ١٧٥/٣؛ ابن حجر، الإصابة، ٣٤٤/١.

(٩٢) ابن شبه، تاريخ المدينة، ٤٨٧/٢.

(٩٣) ابن سعد، ٣٠٠/٨.

(٩٤) ابن سلام، ٤٥٩/١.

(٩٥) الأصبهاني، الأغاني، ١٢٦/٤؛ ابن قتيبة، المعارف، ص٦٠.

(٩٦) الأصبهاني، الأغاني، ١٢٦/٤.

(٩٧) ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم (ت ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م)، عيون الأبناء في طبقات الأطباء، بيروت، دار مكتبة الحياة، (د. ت)، ص١٦١.

(٩٨) البلاذري، أنساب الأشراف، (٣ أجزاء)، تحقيق سهيل زكار، دمشق، دار الفكر، ط١ (١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م)، ٣٤٣/١٣.

(٩٩) ابن عبدالبر، الاستيعاب، ٩١/١؛ المسعودي، علي بن الحسين (ت بعد ٣٤٤هـ/ ٩٥٥م)، التنبيه والإشراف، بيروت، مكتبة الهلال (١٩٨١م)، ص٢٦١؛ ابن عبدربه، ٢١٥/٤.

(١٠٠) أبو عبيدة، القاسم بن سلام (٢٢٤هـ/ ٨٣٨م)، كتاب الأموال، تحقيق محمد خليل هراس، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ص١٨٥.

(١٠١) حميد الله، ص٢٨٥. والمقصود بعكاظ: موعد انعقاد سوق عكاظ السنوي.

(١٠٢) البلاذري، أنساب، ق٤، ١٩٣/١. والمقصود هنا زياد بن أبيه، أو ابن أبي سفيان، وكان كاتبًا لعتبة بن غزوان عندما أسس البصرة سنة ١٦هـ، ثم لاحقا واليا على العراق والمشرق للخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان.

(١٠٣) الطبري، تاريخ، ١١٦/٤.

(١٠٤) انظر عن نسب هذيل، ابن الكلبي، هشام بن محمد (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م)، جمهرة النسب، تحقيق ناجي حسن، بيروت، عالم الكتب، ط١ (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م)، ص ص١٣٠- ١٣٤؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ص١٩٦- ١٩٨.

(١٠٥) الأصفهاني، الحسن بن عبدالله (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، بلاد العرب، تحقيق حمد الجاسر وصالح العلي، الرياض، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ط١ (١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م)، ص١٤.

(١٠٦) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٩٨.

(١٠٧) الأصفهاني، بلاد العرب، ص٢٣، وكلامه على بلاد هذيل في الصفحات ١٤- ٢٧.

(١٠٨) ابن الكلبي، كتاب الأصنام، تحقيق أحمد زكي باشا، القاهرة، المطبعة الأميرية (١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م)، ص٩؛ ياقوت بن عبدالله الحموي (ت ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م)، معجم البلدان، (٥ أجزاء)،

بيروت، دار صادر، (د. ت)، ٢٧٦/٣ (سواع)، وذكر أيضًا «... سواعًا فكان بأرض يقال لها رهاط مــن بطن نخلة بعيدة من مصر ...» وقارن: السكرى، علــي بن عيسى (ت ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م)، كتاب شــرح أشعــار الهذليين (٣ أجزاء)، تحقيق عبدالستار فراج ومحمــود شاكر، القاهرة، مكتبة دار العروبــة، ١٦٥/١، «رُهــاط: موضع على ثــلاث ليالٍ من مكة، هي لثقيف وهــي نجدية، وبنو هلال تجاورها، وهي بلاد بني هلال، والمال الذي بها للأُخْنَسَيْن».

(١٠٩) السكري، ٩٨/١-١٠٠.

(١١٠) السكري، ٢٥٦/١.

على خُطى المتنبِّي

(قراءةٌ في جغرافيَّة الأماكن الشِّعريَّة)

أ.د. عبدالله بن أحمد الفَيفي

-١-

أَلا كُــلُّ ماشِــيَةِ الخَــيْــزَلَــى   فِــدَا كُــلِّ مــاشِــيَــةِ الهَــيْـذَبَــى

لِتَعلَمَ (مِصْرُ) ومَنْ بِـ(العراقِ)   ومَــنْ بِـالعَــواصِــمِ أَنِّــي الفَتَى

وأَنِّــي وَفَــيْــتُ وأنِّــي أَبَــيْــتُ   وأَنِّــي عَــتَــوْتُ عـلـى مَــنْ عَتا

وما كُلُّ مَنْ قالَ قَـولاً وَفَى   ولا كُــلُّ مَــنْ سِـيْـمَ خَسْـفًـا أَبَـى

ولا بُــدَّ لـلـقَـلْـبِ مِــنْ آلَـــةٍ   ورَأيٍ يُـصَـــدِّعُ صُــمَّ الـصَّـفَـا

ومَــنْ يَـكُ قَـلْـبٌ كَقَلْبي لَـهُ   يَـشُـقُّ إلـى الـعِــزِّ قَـلْـبَ الـتَّـوَى

وكُــلُّ طَــريــقٍ أَتـــاهُ الفَـتَى   على قَدَرِ الرِّجْلِ فِيهِ الخُطَا[١]

-٢-

مــا أهميَّــة مثل ذلك البحث الــذي أنجزه (الأستاذ الدكتــور عبد العزيز بن ناصــر المانع)، تحت عنوان «على خُطى المتنبِّي (طريقِ هروب أبي الطيِّب المتنبِّي مــن الفسطاط إلــى الكوفة)»، (الرِّياض: كرســي المانع لدراسات اللُّغــة العَرَبيَّة وآدابها، ٢٠١٧)؟

إنَّــه كتابٌ في الأدب، والنقد، والرِّحلة، والتاريخ، والأعلام، والمَوَاطن، في آن. فضلًا عن أنَّ مغامرة الباحث قد سيقت في سردٍ قصصيٍّ، ذي أسلوبٍ أدبيٍّ ماتعٍ آسِر.

وإذا كان ممَّــا يثـير الإعجــاب في هــذه التجربــة مثابــرةُ البــاحــث وشغفُــه بموضوعــه، والجهــدُ المضني الذي بذله، فــإنَّ ممَّا يثير الإعجــاب أيضًا توظيفه علاقاتــه في سبيل البحث العِلمي، مُستنًّــا سُنَّة (أبي الطيِّب) في توظيف علاقاته في سبيل هروبه. وكذا يثير الإعجابَ حقًّا التعاونُ الرائع الذي حظي به الباحث، والذي قلَّما تحظَى به المشاريع البحثيَّة في عالمنا العَرَبي.

فمــاذا لو تواصلت بحوثٌ مثل هذا البحث؟ وكم كانت ستضيء آفاق تراثنا، في هــذا العصــر الذي تيسَّرت فيــه أمورٌ لم تكــن ميسورة في الماضــي؟ ثمَّ كيف لــو صُوِّرت هذه الرحلــة البحثيَّة سينمائيًّا؟ للجمع بــين التحقيق العِلميِّ الرَّصين والصُّــورة الحيَّــة، كي تشمــل الرسالــةُ في استهدافها جميع شرائــح المتلقِّين، في عصــر الصُّــورة الحيَّة؛ إذ قد تُصبح الثقافة الورقيَّة جــزءًا من التاريخ، ولو بعد حين.

-٣-

يلفــت النظــرَ في بعض طريــق (المتنبِّــي) تعرُّجُها الغريب. فهــل كان ذلك للتَّضليل؟

مــا الذي جعله، مثلًا، يذهب شَمالًا من (كَبِدِ الوِهاد) إلى (رأس الصوان)، في (الأردن)، ثــمَّ يعــود جنوبًا إلى (البويرة)؟ تُــرى أكان متردِّدًا في وجهته؟ أم ربمــا كان ينــوي العودة إلى (الشَّام) من جديد، لكنَّه عَــدَل إلى (العِراق)؟ وهو القائل:

وأَمْسَتْ تُخَيِّرُنا بِـ(النِّقابِ) (وادي المِياهِ) و(وادي القُرَى)

وقُلْنا لَها: أَينَ أَرضُ (العِراقِ)؟ فَقالَتْ، ونَحنُ بِـ(تُـرْبـانَ) : هـا!

أم ذلك قول شاعر، يشرِّق فيه ويغرِّب، ويذهب شَمالًا وجَنوبًا، في رسم لوحات خواطره، لا بقول البُلدانيِّ، يُراعي الأبعاد، والجهات، والمسافات، والترتيب؟

تساؤلاتٌ يثيرها خطُّ السَّير المرسوم في الخريطة المرافقة لكتاب «على خُطى المتنبِّي».

-٤-

فإذا توقَّفنا عند بعض الأماكن التي توقَّف عندها الباحث، كانت لنا الملحوظات الآتية:

١. لعلَّ (نَجْه الطَّير)، ذلك المكان الذي شغل الباحثَ كثيرًا، تصحيفٌ عن (نَجْع الطَّير)، وقد آن تصحيحه باسم المكان المعروف اليوم في (سيناء). ولا ضرورة لتصوُّر أنَّ الاسم حُرِّف صوتيًّا من «نَجْه» إلى «نَجْع»، كما ذهب الباحث (ص١٠٤- ١٠٥). على أنَّ ما استدلَّ به من كلام (الإربلي، جواهر الأدب في معرفة كلام العَرَب) لا يبدو فيه دليل؛ فالإربلي إنَّما تحدَّث عن قلب الهمزة عينًا أو هاء، في كلمة «أما»، لا عن قلب الهاء عينًا بصورة عامَّة. وتلك لُغة في (أما) وحدها، ولم يذكر أنَّها في كلِّ الكلمات، أو كلِّ الحروف الحلقيَّة. فالأقرب إلى الاحتمال، إذن، أنَّ الاسم قديمًا وحديثًا: «نَجْع الطَّير»، وإنَّما صحَّفه الكَتَبَة.

٢. كذا القول في (الشَّغُور)، جَنوب بلدة (السليمانيَّة)، شَمال شَرق (سكاكة)، بمنطقة (الجَوف)، في (المملكة العَرَبيَّة السُّعوديَّة). فقد أبان الباحث أنْ لا وجود لماء في المكان الذي ذكره الشاعر سِوَى ماء يسمَّى (المُغُور) أو (المُقُور). ولا أدري لِمَ لَمْ يذهب الباحث إلى فرضيَّة أنَّ

الاسم القديم الشَّعُور إنَّما هو تصحيف: المُغُور أو المُقُور، المعروف اليوم، بل ذهب إلى أنَّ اسمه تحوَّل اليوم إلى المُغُور أو المُقُور؟ (ص٢٠٦). ذلك أنَّ ما بقي على ألسنة الناس هو أوثقُ ممَّا كُتِب قديمًا، مع ما يعتوره من احتمال التصحيف، أو الجهل بالاسم الحقيقيِّ في منطوق أهالي المكان.

٣. لقد كان في البحث اللُّغوي عن أسباب تسمية المواضع مرجِّحٌ في مدَى صِحَّتها. فعبارة «نَجْه الطَّير» تعني: زَجْر الطَّير. فما علاقة هذا التعبير بالمكان؟ وربما كان لاسم «المُغُور» علاقةٌ بلون التُّربة في المكان الذي سُمِّي به؛ فالمَغْرَة: الطِّين الأحمر. في حين أنَّ المَقْر: نوعٌ من نبات الصَّبِر أو الصَّبَّار. أمَّا الشَّعُور- الذي تواردت كُتب اللُّغة والبُلدان على أنَّه موضعٌ في البادية- فربما كانت له علاقةٌ ببُعد مائه عن الطريق؛ لأنَّ العَرَب يقولون: «أشْغَرَ المَنْهَلُ واشْتَغَرَ»؛ أي: صار في ناحيةٍ من المَحَجَّة[٢] فأيُّ هذه أقرب إلى الرُّجحان، حسب طبيعة المكان؟ هذا مبحثٌ كان يمكن أن يمثِّل مدخلًا للترجيح؛ لأنَّ أسماء المواضع لا تُطلَق اعتباطًا غالبًا، ولا يكفي الاعتماد فيها على أقوال البُلدانيِّين الملتبسة والمتضاربة في كثيرٍ من الأحيان.

٤. على أنَّ الباحث يورد بعض جدله حول الأماكن على افتراض قد لا يصحُّ أحيانًا، ذلك الافتراض هو أنَّ الشاعر مرَّ بالمكان الذي ذَكَرَه بالضرورة، وأنَّ الأماكن التي يذكرها مواردُ ماء، وأنَّه وردَ ماءها قطعًا! وهي افتراضاتٌ عن بعض المواضع لا دليل عليها من نصِّ الشاعر. وقد يكون المكان المشار إليه جَبَلًا لا ماء. من هذا ما جاء في ردِّ الباحث قولَ (موزل): إنَّ الشّغُور جمع (شغار) و(شغير)، وهما موردا ماءٍ شَمال غَرب (الجَوف). (ص١٩٥). في حين أنَّ الشاعر لم يقل إنَّه مرَّ بالمكان أصلًا، أو استقى منه، بل إنَّه لاح على طريقه:

ولاحَ لَها (صَورٌ) والصَّباحَ   ولاحَ (الشَّغُوْرُ) لَها والضُّحى

بـل ليس ثمَّةَ ما يدلُّ على أنَّ المـكان الذي عناه الشاعرُ منهلُ ماء، وربما كان جبـلًا، كما ذهـب إلى ذلك (حمد الجاسر). (ص٢٠٦). ثـمَّ ألا يمكن أن تكون بعضُ الموارد خارج طريـق (المتنبِّي) إلـى (الكوفة)؟ وهو ما قالـه اللُّغويُّون في معنـى المنهل الشُّغُور؛ أي: البعيد عن الطريق. فيَرِدُها المرءُ ثمَّ يعود إلى طريقه؛ أي: إنَّ المـواردَ التـي يُفترَض أنَّ أبا الطيِّب استقى منها ليست دائمًا على طريقه، ضربة لازب.

٥. أمَّا قول المؤلِّف، (ص٢٧٤): إنَّ تسمية (دُوْمَة الجندل) مشتقَّة من «الدومة» أو «القُبَّـة» الصخريَّة هناك، فمخالف لتعليـلٍ آخر قديم، راجح، وهو أنها سمِّيت باسـم أحد أبناء (إسماعيل بن إبراهيم)؛ فمـن أبنائه: (دُوْمَة)، و(تَيْما). وما زالا معروفَين إلى اليوم، باسمَي: (دُوْمَة الجندل)، و(تَيْماء). جـاء في (العهد القـديم، سفر التكوين)[٣]: «وهـذِهِ مَوَالِيـدُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيـمَ، الَّذِي وَلَدَتْهُ هَاجَرُ الْمِصْرِيَّةُ جَارِيَةُ سَارَةَ لإِبْرَاهِيمَ. وهذِهِ أَسْمَاءُ بَنِي إِسْمَاعِيلَ بِأَسْمَائِهِمْ حَسَبَ مَوَالِيدِهم: نَبَايُوتُ؛ بِكْرُ إِسْمَاعِيلَ، وقِيدَارُ، وأَدَبْئِيلُ، ومِبْسَامُ، ومِشْمَاعُ، ودُومَةُ، ومَسَّا، وحَدَارُ، وتَيْمَا، ويَطُورُ، ونَافِيشُ، وقِدْمَةُ».

–٥–

إنَّ السـؤال المنهاجي الذي يستفزُّه ذلـك البحث الجادُّ المتفرِّد، الذي أنجزه (المانع)، هو:

(آلمتنبِّي) جغرافيٌّ أم شاعر؟

أيهدف الشاعر عادةً إلـى تقرير الحقائق والوقائع والمواضع الجغرافيَّة؟ أم إلى تصوير مشاعره بالكلمات، وقفزات خياله بالعبارات، والتطريب بهذه وتلك؟

إنَّ (أبا الطيِّب) – وإنْ كان قد مَرَّ بتلك الطريق التي رسمها مؤلِّف «على خُطى المتنبِّي»، أو بقريبٍ منها، كما هو معلوم من أخباره ومن شِعره– لا نملك الجزم أنَّ كلَّ ما قاله يماثل خطَّ سيره، كما تقوله لنا وثيقةُ رحَّالةٍ أو تقريرُ جغرافيٍّ. فالرجل يظلُّ شاعرًا، قد يستدعي ذِكر مكانٍ لإيحائه التعبيري، أو لتساوقه مع صياغة بيت، وما ينبغي أن يؤخذ قوله مأخذ قول الإخباري؛ فليست تلك بغايته، ولا هي بصناعته، وإنَّما قد يوظِّف أسماء الأماكن لشِعريَّتها، وربما على السماع، لا أكثر. فإذا أضيف إلى هذا ما عُرِف عن أبي الطيِّب من الإدلال بمعارفه، والمباهاة بعِلمه، والمفاخرة بذاته، والمغالاة في وصف نفسه، ازدادت مشروعيَّةُ التحفُّظ على تفسير ما يورد في شِعره، على أنَّه يُعبِّر عن حقائق جغرافيَّة أو تاريخيَّة خَبِرَها واقعيًّا بالفعل. ولذا يمكن أن نسأل، مثلًا: لماذا قدَّم المكان المُسمَّى (الكِفاف) على (كَبْد الوِهاد)، إنْ كان قد مَرَّ بالأخير أوَّلًا، حسب رسم الباحث لطريقه؟ أذاك للضرورة الشِّعريَّة؟ لقد كان بإمكانه القول:

رَوامِيْ (الكِفافِ) كـ(كَبْدِ الوِهادِ) وجارِ (البُوَيرَةِ) (وادي الغَضَى)

ليُفيد، بإضافته كاف التشبيه قبل الاسم «كَبْد الوِهاد»، مرورَه بكَبْد الوِهاد أوَّلًا، من دون أن تؤدِّي ضرورةٌ شِعريَّةٌ إلى مخالفة الواقع المكاني. وما يليق بشاعرٍ بحجم المتنبِّي أن تقف ضرورةٌ وزنيَّةٌ من دون أن يقول مايريد كما يريد. وهانحن هؤلاء نجد له المخارج العَروضيَّة، لو أراد ترتيب الأماكن حسب مواقعها في شَمال (الجزيرة العَرَبيَّة). وكذلك في قوله:

ومَسَّى (الجُمَيعِيَّ) دِئداؤُها وغادَى (الأَضارِعَ) ثُمَّ (الدَّنا)

فقد كان يُفترَض أن يشير إلى (الأَضارِع) قبل (الجُمَيعِي)؛ لأنَّه متقدِّم في مكانه، وَفق خريطة الباحث. وقد علَّل الباحث، (ص١٧٠)، هذا التقديم والتأخير بضرورة الوزن. لكن لو تأمَّلنا لما وجدنا هنا ضرورةً أصلًا؛ فقد كان

بإمكان الشاعر أن يقول:

ومَسَّى (الأَضـارِعَ) دِئـداؤُهـا   وغـادَى (الجُـمَـيعِـيَّ) ثُـمَّ (الـدَّنا)

أو:

وغـادَى (الأَضـارِعَ) دِئـداؤُهـا   ومَسَّـى (الجُـمَـيعِـيَّ) ثُـمَّ (الـدَّنا)

فالوزن (المتقارب) لا يختلُّ، قَدَّمَ الشاعر أو أخَّر، ومَسَّى أحد هذين الموضعَين أو غاداه.

لقـد جـاءت القصيـدة في وزنٍ من أسهـل الأوزان علـى الشعـراء وأكثرها غنائيَّـةً، وإنْ لم يكـن الشاعـر «متنبِّئًـا». وهــو وزنٌ مطواعٌ للتعبـير عن موضوع القصيدة، من جهة، ولتصوير حركة الإبل والخيل، بين مِشْيَة الخَيْزَلَى والهَيْذَبَى، مـن جهة أخرى. كما أنَّ القافية علـى رَوِيِّ الألف قد جعلت القصيدة تبدو كأنَّها مـن (الشِّعر المرسَل)؛ لأنَّ هذا الـرَّوِيَّ - وإن كان جائزًا اتِّخاذه رَوِيًّا، ما لم يكن للمدِّ- هو في العربيَّة في جُملةٍ من أكثر مفرداتها، ويأتي في الفعل: «مضَى»، مثلًا، والاسـم «الهَيْذَبَى»، والمصدر «غِنَى»، والحرف «ذا، هـا، لا...». وقد يكون أيضًا ذا أصـلٍ واويٍّ أو يائـيٍّ أو ألفيٍّ. ولهذا فتلك أسهـل تقفية على الإطلاق؛ حتى إنَّ القارئ يكاد لا يشعر بالقافية في القصيدة، للِين الرَّوِيِّ، وسُكونها، وتنوُّع الحرف قبلهـا بتنوُّع كلمات القافية. ولـو كان (أبو الطيِّب) كـ(أبـي العلاء المَعَرِّي)، في حساسيَّته الموسيقيَّة المفرطة، للَزِم ما لا يَلْزَم، كي يُسنِد رَوِيَّه بالتزام حرفٍ قبله. فلا ضائقة وزنيَّة بقيت أمام المتنبِّي، إذن، ولا تَقْفَويَّة، ولا ضرورةَ لشاعرٍ بعد هذه البسيطة الإيقاعيَّة، التي تُشبِه دماثة الصحراء وانبساطها أمامه. ومن هنا، فلو ابتغـى أبو الطيِّب ترتيب أسماء المواضع حقًّا، وَفـق مواقعها الجغرافيَّة، لتأتَّى له ذلك بيُسر، كما مثَّلنا آنفًا.

لـذا ما ينفكُّ التسـاؤل قائمًا عن مرور الشاعر حقيقـة بجميع المواضع التي

أشـار إليها في قصيدة فراره مـن (مِصْر)، وبالترتيب نفسـه المذكور في دراسة الباحث. بل أكثر من هذا: التساؤل عن مدَى معرفة (أبي الطيِّب) بتلك المواضع، ما دامت المادةُ التي بين أيدينا لا تعدو قولَ شاعر. وممَّا يؤكِّد هذا إشارةُ الشاعر إلى (عُقدة الجَوف)، على أنَّها موردُ ماء، في حين أنَّ عُقدة الجَوف هي (أبارق)، كمـا ذهب إلى ذلك (حمد الجاسر)، وهي التـي عناها أبو الطيِّب. وهذا المكان لا مـاء فيه ولا كلأ، بل هو صحراء قاحلـة، وَفق ما ذكر الباحث! (ص١٧٣). ولو صـحَّ أنَّ عُقدة الجَوف هي (دُوْمَة الجندل)، حسب مـا ذهب الباحث إليه، لكان السؤال: وكيف شربت إبلُ المتنبِّي «بماء الجُراويِّ»، وهو في عُقدة الجَوف، أو دُوْمَة الجندل؟:

إِلى (عُقدَةِ الجَوفِ) حَتَّى شَفَتْ ... **بِـ(ماءِ الجُـراوِيِّ) بَعضَ الصَّدَى**

لأنَّ الجُـراويَّ يصبـح وراءها حين تصل إلى دُوْمَة الجنـدل! ثمَّ كيف رجع الشاعـر، لَمَّـا وصـلَ إلـى (الجُمَيعِيِّ)، وهـو موضعٌ على حـدود (العِـراق)، إلى (الأضـارع)، وهـو مكانٌ يقع قبـل دُوْمَة الجنـدل؟! ليقفز من هنـاك فجأة إلى (أعكُش)، في العِراق:

ومَسَّى (الجُمَيعِيَّ) دئـداؤُها ... **وغـادَى (الأَضـارِعَ) ثُـمَّ (الدَّنا)**

فَيا لَكَ لَيلًا على (أَعكُشٍ) ... **أَحَـمَّ البِـلادِ خَـفِـيَّ الصُّـوَى!**

لا تفسـير لهذا كلِّه، إلَّا بالتسليم بأنَّ الشُّعراء يقولون ما لا يفعلون، وأنَّهم في كلِّ وادٍ يهيمون، ومَن يتَّبعهم مِن البُلدانيِّين، محتكمين إلى أقوالهم، هم الغاوون!

مـن أجل هذا، كنتُ وما زلـتُ، أرى في البحث في (شِعريَّة الجغرافيا) ما هو أجـدى من الانشغال بالجغرافيا الواقعيَّة عينِهـا[٤]؛ يقينًا بأنَّه يكمن وراء اختيار الشاعـر للأسماء ما هو أبعد من ظاهر معناهـا، إنْ لم يكن في وعي الشاعر فهو بلا ريب في وعي النصِّ. من حيث إنَّ منهاج التمسُّك بواقعيَّة الإشارات الشِّعريَّة

المطلقـة لا تنحصر خطـورة نتائجه أحيانًا في إفقار شِعريَّـة النصِّ، بتحويله إلى محض وثيقـة واقعيَّة، بل قد تتجـاوزه إلى تمزيق النصِّ إربًـا في سبيل التحقيق الجغـرافيِّ؛ لأنَّ أسماءَ الأماكن، هي- قبل كلِّ شيء- مفـرداتٌ شِعريَّةٌ، يصرِّفها الشاعر وَفق مقتضياته الدِّلاليَّة، من فنيَّة أو رمزيَّة، كحالِ كلِّ ما تَحوَّل عن طبيعة الواقـع إلـى طبيعة الفـن. وفي هذا ما يجيب عـن حَيرة الحائريـن: أين (وادي القُرَى) المقصود في قصيدة (المتنبِّي)؟ وأين (وادي المياه)؟ وما علاقة أحدهما بالآخَـر؟ وإلـى أين كان ينوي المتنبِّي التوجُّه؟ لقـد كان المتنبِّي ينوي التوجُّه إلى الشِّعـر وحـده! وتلك أسئلةٌ جغرافيَّـة، لا محلَّ لها من الشِّعـر، في حقيقة الأمر، ظلَّـت تتردَّد لدَى الدارسين مع الشعراء حـين يتناولون بشِعرهم المواضع! وسبب الحَيرة أنَّ هذه المفردات تَرِد على ألسنة الشعراء لأسباب فنيَّة تخييليَّة، لا علاقة لها بالواقع بالضرورة، على حين يُصِرُّ البُلدانيُّون على نفي طبيعة النَّصِّ الشِّعري ووظيفته، ليجعلوا منه وثيقةً جغرافيَّة. وهو ما كان قمينًا أن يُفسِد قراءات الشِّعر من ناحية ويُفسِد كتب البُلدان المتكئة على الشِّعر من ناحية أخرى(٥).

وأمَّـا الاحتجاج بما جـاء في خبر هـروب (المتنبِّي)، فأغلب الظـنِّ أنَّ ذلك الخبر بُنِيَ على ما وردَ في شِعر المتنبِّي نفسه، وكثيرًا ما كانت القصص الإخباريَّة تُبنَى على القصائد في تراثنا العَرَبي، منذ قِصَّة (المهلهل/ الزير سالم) إلى خبر هروب (أبي الطيِّب المتنبِّي).

-٦-

ختامًـا، يُلحَـظ أنَّ المؤلِّف قد ربط بين قِصَّة هـروب (المتنبِّي)، بما أضفيت عليها من لمسات خياليَّة، وقِصَّة هجرة (النَّبي محمَّد ﷺ). لكن الأقرب من هذا إلى الاحتمال: الربط بين تلك القِصَّة وقِصَّة نَبِيٍّ آخر، هو (مُوسَى عليه السلام)، وهروبـه مـن (فرعون مِصْـر). على أنَّ عمـلَ الباحثِ القيِّمَ نفسَـه لم يخلُ من تعظيم أبي الطيِّب والدهشة لإفلاته من براثن (كافور الإخشيدي)، وكأنَّه مُوسَى

عصره! وإنْ كانت لا تبدو في مثل هذه الحادثة درجةٌ عُليا من الغرابة، فضلًا عن الإعجاز أو الخوارقيَّة. فأمثالها تحدث في كلِّ زمانٍ ومكان، حتى في عصرنا هذا، على الرغـم من تقدُّم وسائل المراقبة وسرعتها غـير المسبوقة في التاريخ. وإنَّما يستدعي الأمرُ درجةً من الفطنة والتضليل والأعوان، وهو ما توافر لأبي الطيِّب.

الهوامش:

(١) المتنبِّي، أبو الطيِّب أحمد بن الحُسين، (د.ت)، شرح ديوان المتنبِّي، وضَعَه: عبدالرحمن البرقوقي، (بيروت: دار الكتاب العَرَبي)، ١: ١٦٠- ٠٠٠.

(٢) يُنظَر: الفراهيدي، العين (شغر)؛ الجوهري، الصِّحاح، (شغر).

(٣) الإصحاح ٢٥: ١٢- ١٥.

(٤) وهـو مـا يَلمحه بعضُ القدماء، على نحو ما، ولاسيما باضطراب العلاقة بين أسماء الشِّعر وأسماء الجغرافيا. يُنظَر، مثلًا، خَبَر (ابن المناذر): (الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، (٢٠٠٨)، الأغاني، تحقيق: إحسان عبَّاس وإبراهيم السعافين وبكر عبَّاس، (بيروت: دار صادر)، ١٨: ١٣٠- ١٣١.

(٥) ويُنظَر في هذا: الفَيفي، عبدالله بن أحمد، (٢٠١٤)، مفاتيح القصيدة الجاهليَّة: نحو رؤية نقديَّة جديـدة عـبر المكتشفات الحديثة في الآثـار والميثولوجيا، (إربد- الأردن: عـالم الكتب الحديث)، ٢٩- ٠٠.

ملكة سبأ بين الجدل التاريخي والتدوين الأسطوري

دراسة تحليلية في ضوء النص القرآني

أ.توفيق السامعي

مقدمة:

شكلت قصة ملكة سبأ، أو كما يحلو للبعض تسميتها بـ «بلقيس»، مع نبي اللّه سليمان، كثيرًا من التساؤلات لدى المهتمين والباحثين، جنسيتها، موطنها، وكذلك اسمها، وكثيرٌ من الشعوب تنسبها إليها بشكل أو بآخر، مع أن القرآن الكريم كان واضحًا كل الوضوح في تحديد جنسيتها وموطنها، مقارنة مع نصوص أخرى، ولكن دون ذكر اسمها.

في هذا البحث سنمضي في تتبع سيرتها وتحليل نصوص القرآن الكريم التي أوردت القصة، بالمقارنة مع نقوش مسندية أو أحداث تاريخية مصاحبة أو مقاربة، بعيدًا عن أية أساطير أو أخبار لا تستند إلى أدلة حقيقية تاريخية أو آثارية، حتى تأتي اكتشافات أخرى لتنفض عنها غبار التقوُّل والتكهن، والتحول إلى الحقيقة الكاملة.

لم يستطع أحد من المؤرخين الأوائل، ولا المحدثين، أن يصل إلى نتيجة مُرضية وحقيقة دامغة بشأن تحديد هوية واسم ملكة سبأ التي ورد ذكرها في القرآن الكريم والتي قابلت نبي اللّه سليمان -عليه السلام-، في القرن العاشر قبل الميلاد.

الأكـثر غموضًا في توثيـق هذه القصة والزيارة أنه لم يـرد أي نص مسندي لهذه القصة، أو أنه لما يكشف بعد.

ولم يكـن الغموض في ذكرها في هذه النقوش وحسب، بـل لم ترد أية إشارة حتى للديانة اليهودية كديانـةٍ لها بعد اعتناقها أثناء لقائها النبي الملك سليمان، في هذه النقوش مع أن اليمنيين لم يتركوا شاردة ولا واردة إلا ودونوها في نقوشهم، مثلهـا مثـل حملة إيليوسـ جالوس على اليمن عـام ٢٥ ق.م، لم تذكـر مطلقًا في النقوش!

كما لن يستطيع أحد اليوم أن يقول إنه يمتلك الحقيقة في معرفتها أو يحيطُ علمًـا بتاريخهـا؛ كون كل ما أثير من أحاديث وجدل حولهـا لم يكن إلا ضربًا من التكهـن والاستنبـاط والتفسير لما جاء عنهـا في الكتب المقدسـة الثلاثة، التوراة والإنجيـل والقـرآن، دون حتـى تحديد اسم لهـا. والسبب يعود إلـى أمر بسيط، وهـو أنه لم يجد المؤرخون ولا الآثاريـون أيَّ دليل مادي أو نقوش مسندية يذكرها بالاسم أو يذكر صفاتها وحدثها، كما ذكرها القرآن الكريم.

فكل الكتب المقدسة منذ العهد القديم والعهد الجديد، وحتى القرآن الكريم، لم تذكر اسمها مطلقًا، بل ذكرت صفتها بأنها ملكة سبأ فقط.

لكـن كتب المؤرخـين الإخباريين والمفسريـن هي التي تذكر أن لهـا اسمًا هو «بلقيس»، دون الاعتماد على أي دليل علمي يقيني.

ونحـن من هـذا الباب سنلتزم ذكر صفتها كمـا ورد في القرآن الكريم فقط حتـى يتم الكشف عـن أي نقش مسندي يذكـر اسمها الحقيقي، ويـؤرخ لها كما أرخوا لملوكهم الأقدمين، إلا ما كان اضطراريًا للتوضيح وإثراء البحث.

سيجـد القارئ أننا في هذا البحـث لم نتطرق إلى قصتها من خلال قصص المؤرخـين العرب واليمنيين الذين اعتمدوا على الخيـال، أو الروايات والأساطير

الشفوية التي لا تمتلك أية أدلة، ولذلك عزفنا عنها تجنبًا للتكرار والحشو، وبُعدًا عن الأساطير.

فتسمية «بلقيس» هو من خيال الإخباريين الذين حشوا كتبهم بالأساطير والتكهنات، مع عدم الاعتماد على أية دلائل أو حقائق علمية، بل اعتمدوا على روايات إسرائيلية وتوراتية شفوية عربية، سار على إثرها المؤرخون الإخباريون اليمنيون والعرب.

فمن خلال التحليل للنصّ القرآني سياقًا ومعنىً، وبالمقارنة التاريخية، سنجد بعض الحقائق والكشف عن بعض الغموض في قصتها من البداية التي بدأ بها القرآن الكريم ذاته.

أهمية البحث وأهدافه:

تكمن أهمية هذا البحث في أن دراسته مقارنة ومقاربة بين النص واللفظ القرآني بالشواهد التاريخية لملكة سبأ، ليقرب المسافة بين القصة وأحداثها من زوايا مختلفة ويرسم ملامح أبحاثٍ تمضي في التنقيب عن صاحبة القصة في الشواهد واللقى الآثارية، لنجعل من النص القرآني خارطة طريق في هذا الاتجاه والوصول إلى الهدف.

لعل إشارات الألفاظ بعد تحليلها تجعل المؤرخين يراجعون الفترات الزمنية للنصوص واللقى الأثرية التي يرى الباحث أنها موغلة في القدم قبل القصة ولقاء ملكة سبأ بسليمان؛ كون كل النصوص التي وجدت حتى الآن لم تشر ولا بلفظ واحد لا للحدث ولا لوجود أي ديانة يهودية على الأرض السبئية.

منهجية البحث:

يعتمد الباحث على المنهج المقارن بين ألفاظ النص القرآني وتحليلها ومقارنتها بالشواهد التاريخية والاستعمالات اللغوية في مناطق وجغرافية البحث.

دراسات سابقة:

هنـاك دراسات سابقة تناولـت القصة والحدث من زوايـا تاريخية متعددة قديمًـا، إذ أُفرِدَت لهـا أبواب في كتب التاريخ كما في الإكليل عند الهمداني، وكذا تاريـخ الطبري، وتاريخ ابن الأثـير، ووردت القصة في كتـب التفاسير من خلال قصتها في القرآن الكريم، كما عند ابن كثير الدمشقي وغيره.

أما في العصر الحديث فهناك من أفرد لها كتبًا خاصة وإحاطة شاملة، وعلى رأسهـا دراسة «بلقيس: امرأة الألغـاز وشيطانة الجنس» لزياد منى، وكذا «الملكة بلقيس.. التاريخ والأسطورة والرمز» للدكتورة بلقيس الحضراني، و«قصة بلقيس مـع نبي الله سليمان» للمرتضى المحطوري؛ لكن المحطوري تناولها من جانب نقل الإخباريين، ومن تناول المفسرين لها، ولم يعتمد على الشواهد التاريخية الآثارية.

ولم تخـلُ كتب التاريخ الحديثة من التعرض لهذه القصة بطريقة أو بأخرى، كما هو الحال في «المفصل» لجواد علي، وغيره. لكن يبقى النقص عند الجميع أن لا شاهد من مسانيد يمنية على القصة حتى الآن.

غـير أن جل من ذكر قصة هذه الملكة يذهب إلى تسميتها بـ «بلقيس»، ونحن لم نلتـزم بما ألزموا بـه أنفسهم من هذه التسمية، وأطلقنا عليها الصفة العامة، كما في القرآن الكريم (ملكة سبأ).

مملكة سبأ:

سبـأ مثله مثل ملكة سبـأ، فصاحب الاسم الأول للملك المؤسس غير معروف في النقوش المسنديـة، ولم يرد له ذكر فيها مطلقًا حتى الآن، كما عرف مثلاً عن ذمار علي أو «يريم» التي ذكرتهما النقوش أو أشارت إليهما إشارات خفيفة، لكن سبـأ التي سميت المملكة باسمـه، وكذلك ملكة سبأ المذكورة في القرآن لم ترد أية إشارة مسندية لاسمهما ونسبهما وسلسلة قبيلتهما لزمن نهائي جازم لظهور هذا

الاسم حتى هذا الوقت، وقد يتم الكشف مستقبلاً عن هويتهما ونسبهما.

ولنقف قليلاً عند معنى (سبأ) في اللغة:

ففي لسان العرب ورد للفظ (سبأ) تعريفات متعددة منها ما يزال مستعملاً في بعض لهجات اليمن إلى اليوم.

فسبأ جِلده سبأً: أحرقه، وقيل سلخه. وانسبأ هو، وسبأته بالنار سبأً: إذا أحرقته بها[١].

وفي اللهجة المعافرية: سبأ جلده قطعه ووخزه، وسُبّأة وسَبَأ: قطع شيئًا يسيرًا بغرض التلقيح، و«مَسّبأة»: غرزة اللقاح في الجلد. وقد كان قديمًا يسمون العلامة من قطع الجلد للتلقيح (سُبّأة).

وأسبأ لأمر الله: أخبت. وأسبأ على الشيء: خبت له.

وفي بعض لهجات اليمن (المعافر وإب) «سبأ»: استنبت زرعة، واستزرع زرعًا منقولاً، ويسمى المزروع المنقول (سَبأة وسَبُؤة)، والسابئ: الزارع لها. وسَبُؤة أيضًا: سنبلة وجمعها (سَبُؤات)، وهي الزرعة المنقولة من غير بذور الحبوب. وتكثر الأماكن في اليمن التي تسمى (السبؤة/السبأة). و«مَسّبأة»: غرزة الزرعة، وغرزة اللقاح.

و«سُبَا/ سُبَى»: القطران المختلط بالماء أو ما يسمى محليًا «المَيْعا».

وسبأ: اسم رجل يجمع عامة قبائل اليمن، يصرف على إرادة الحي، ويترك صرفه على إرادة القبيلة. وفي التنزيل: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ﴾[٢]. وكان أبو عمر يقرأ لسبأَ [بالفتح وعدم التصريف ولا يجرها]. قال:

من سبأَ الحاضرين مارب إذ ... يبنون من دون سيلها العَرِما[٣]

وقد ورد اسم «سبأ» في بعض الأحاديث المروية عن الرسول ﷺ، وهي أحاديث

في درجـات الضعيف والحسن والسند الجيـد، ولم يرد منها ما تخريجه صحيحٌ، وهذه الأحاديث وردت عند ابن كثير في تفسير آيات سورة سبأ، ومنها:

قـال الإمام أحمـد -رحمه الله- قال: حدثنـا أبو عبدالرحمـن، حدثنا ابن لهيعـة، عن عبدالله بن هبيرة، عن عبدالرحمن بن وعلة قال: سمعت ابن عباس يقول: إن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن سبأ: ما هو؛ رجل، أم امرأة أم أرض؟ قال: «بـل هـو رجل ولد عشرة، فسكن اليمـن منهم ستة، وبالشام منهـم أربعة؛ فأما اليمانيـون: فمذحـج، وكنـدة، والأزد، والأشعريون، وأنمار، وحمـير. وأما الشام فلخم، وجذام، وعاملة، وغسان»(٤).

ومن خلال التحليل لواقع الدولة السبئية الأولى ومجيئها بعد عاد إرم وثمود، وكلهـا في منطقة واحدة من الجزيرة العربية؛ فإننـا نذهب إلى القول بأن قبائل سبأ هي القبائل المستنبتة من القوم الذين نجاهم الله من الهلاك من عاد وثمود حتـى صاروا دولة بعد تلـك الحضارتين في مكان واحد، ولكـن بعد قرون؛ بدليل عمـدان مارب التي جاء ذكرهـا في القرآن الكريم في سياق قصة عاد: ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧﴾؛ إذ لا يوجـد في الجزيـرة العربية كلها أعمدة غير تلك الموجودة في معابد مارب السبئية، وكذلك قربهما من بعضهما في جنوب الجزيرة.

قـد يكون الاختـلاف الزمني بعيدًا بين مصائر عاد وثمـود ونهوض سبأ، ولا دليـل قطعيًـا على ذلك؛ لكن ذلـك النهوض كدولة وحضـارة وليس كشعب، مما يعنـي أن استنبـات الأمم يتطلـب مئات السنـين؛ بقايا أفـراد [الذين نجوا من الهـلاك]، ثم قبائل، ثم دولـة صغيرة، ثم تأتي من بعد ذلـك الدولة والحضارة التـي تضـرب أطنابها في البلاد. ودليل آخر وهو أن سبـأ لم يعرف بداياتها حتى الآن كـون الحفريات لم تتواصل، وربمـا وصلت إلى أكثر مما وصل إليه الباحثون حتى الآن بأزمنة بعيدة.

ومـن خـلال تتبع الهجرات والتواجـد السبئي اليمنـي في الحبشة سنجد أن

هذا الاستعمال اللغوي ينطبق عليهم؛ وهو استنبات القبائل اليمنية هناك وتكوين مملكة جعزية.

ومن قال إن سبأ صفة لكونه أول من سبى السبي فهذا مستبعد؛ لأن السبي كان قائمًا قبل ظهور هذا الملك إذا ما عرفنا تمدد الإمبراطوريات القديمة وقيامها بالقتل والسبي والحرق وغير ذلك. وقد كانت عملية السبي عند الأكاديين مثلاً تسمى «أسر» كما هو مستعمل في العربية الشمالية.

ففي اللغة الأكادية التي تعدُّ نصوصها أقدم النصوص حتى الآن، ورد اللفظ «أسيرو»: أسير، و«أسيرتو»: أسيرة[٥]، ولم يرد لفظ «سبي» مثلاً.

ورد ذكر «لفظ sa-ba-a = في نص سومري يعود إلى Aradnannar (باتيسي) (لجش) (Lagashتلو) معاصر آخر ملوك (أور) أي من رجال النصف الثاني من الألف الثالثة قبل المسيح تعني سبأ»[٦]. وبحسب هومل «فإن هذه النصوص في السومرية هي أقدم نصوص تاريخية تصل إلينا وفيها ذكر سبأ، ويكون السبئيون أول شعب عربي جنوبي يصل خبره إلينا، ونكون بذلك قد ارتقينا بسلالم تاريخهم إلى الألف الثالثة قبل الميلاد»[٧]، فالأبحاث حول هذه المعلومة ما زالت جارية، خاصة التأكد من اسم سبأ الذي ورد في هذا النقش كونه وجد في منطقة غير منطقة سبأ الأصلية.

هناك آراء لباحثين آخرين هما مونتوكومري وهومل تعيد تاريخ السبئيين إلى ١٢٠٠ ق.م و٩٠٠ ق.م، وأنهم هاجروا إلى اليمن من الشمال، وهذه الآراء لا تستحق المناقشة لسببين: الأول وجود أدلة حديثة لتاريخ ١٤٠٠ ق.م، التي كشف عنها البروفيسور أليساندرو دي مجريت على قطع من الفخار وجدت في مارب في بيت قديم، في الطابق الأرضي المردوم بالرمال، حيث سمي البيت (A) كونه أقدم عمرًا من أي معلم آخر حتى الآن، إذ عمره يعود إلى ١٣٥٠ عامًا قبل الميلاد[٨] في عصر الدولة السبئية.

والسبـب الآخر هو أن هـذه الآراء عكس كل الآراء في الهجـرات التاريخية القائلـة بـأن الهجرة كانت من الجنـوب إلى الشمال، أو مـن الجنوب إلى الغرب دائمًـا وليست العكس، فضلاً عـن أن ملكة سبأ ذاتها كانت في القرن العاشر قبل الميلاد.

ولم يعـرف في التاريخ مملكة بهذا الاسم غير تلك المملكة التي تقع في جنوب الجزيرة العربية، وعرف تاريخها بالدولة السبئية أو مملكة سبأ، في أرض اليمن، عززها ما خلفته لنا تلك الدولة من شواهد وآثار ونقوش ومسميات وأحداث كلها تعـد دلائـل مادية حقيقية وغـير مرويـة، وإن كان ما روي عنها في كتـب التاريخ مأخوذ به ولكن كإخبار وليس كدلائل حقيقية دامغة، غير تلك الآثار والنقوش.

وقـد دون القرآن الكريم قصتين شهيرتـين تتحدث الأولى عن «سبأ» الواقعة في أرض اليمن، وسميت سورة كاملة من سور القرآن الكريم بها، وهي سورة سبأ، ومـا لازمها من أدلة كسيل العـرم المسلط على السد عـبر التاريخ، واسم المملكة والقـرى المتصلة بها التابعة لها، في حين تتحـدث الأخرى عن قصة عبادة الملكة للشمس وتصدي سليمان لتلك العبادة، ودعوة ملكة سبأ للإسلام.

وبالربط بين قصة ملكة سبأ في سورة «النمل»، وأحداث سبأ في سورة «سبأ» يتكـون الدليـل النظري عن موطن تلك المملكة، من القـرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو تنزيل من حكيم حميد.

وقد عُرفـت الدولة السبئية في اليمن كأعظم الممالـك اليمنية على الإطلاق مـن حيث التأثير السياسي والعسكري والاقتصادي عبر التجارة العالمية، وكذلك التأثير الثقافي العالمي، والأحداث الكثيرة والكبيرة التي عرفتها طيلة قيامها.

وحتـى الآن اختلـف المؤرخون في تحديـد قيام هذه الدولـة، فمنهم من يعيد قيامهـا إلى نهايـة الألف الثانية قبل الميـلاد، ومنهم من يعيـد قيامها إلى بداية الألف الأولى قبل الميلاد، وذلك بناءً على أول نقش عُرف حتى الآن.

غير أنه لا أحد يعرف على وجه الدقة من مؤسس هذه المملكة، وفي أي تاريخ، فبعض المؤرخين والباحثين الآثاريين يُعيد بداية تأسيسها إلى ١٥٠٠ ق.م، والبعض الآخر إلى ١٢٠٠ق.م، وهم بذلك يلتزمون بوجود النقوش المكتشفة فقط، مع أن المملكة قد تكون أقدم من هذا التاريخ بكثير!

فلو أخذنا بعين الاعتبار أن ملكة سبأ قابلت الملك والنبي سليمان في منتصف القرن العاشر قبل الميلاد، فلا شك أن مملكتها كانت قائمة منذ زمن بعيد، فضلاً عن أن التوراة تذكر تجارة السبئيين الشهيرة وصلاتهم بالعبرانيين في الشمال منذ زمن قديم، وكذلك أشارت النقوش السومرية في الألف الثالثة قبل الميلاد إلى هذه المملكة والقوم، كما في بعض الآراء.

وتتميز مملكة سبأ عن غيرها من الممالك بكثرة نقوشها التدوينية لأحداثها وعباداتها وذكريات أفرادها وملوكها وشخصياتها العامة، ولذلك كل ما أخذ من علم عن هذه المملكة أخذ من هذه المدونات الصخرية أو الخشبية أو البرونزية كدلائل مادية صحيحة المعلومات مضطربة التواريخ؛ لأن تاريخها لم يحدد على وجه الدقة، سواء كان تاريخ المملكة والأحداث، أم تواريخ النقوش ذاتها، وإن كان الباحثون قد حددوا لها تواريخ معينة، فهي ليست على وجه الدقة والجزم، وإنما على وجه التقريب.

سبأ في الحبشة!

ظلت قصة سبأ محطَّ تنازع بين كثير من الباحثين والدول في معرفة الموطن الأصلي لملكة سبأ، وتحديدًا هذه الملكة التي قابلت سليمان في الشام، كما جاء في النصوص التوراتية والمصادر الكلاسيكية الإخبارية، حتى ذهب كثير منهم يقول إنها ليست سبأ اليمن، بل سبأ أخرى لملكة قريبة من الشام، واستدلوا بعدم قدرة الطائر الهدهد أن يقطع كل تلك المسافة بين اليمن والشام.

فرأى بعض الباحثين (هومل) أن هذه الملكة لم تكن ملكة على مملكة سبأ

الشهـيرة التي هـي في اليمن، وإنما كانـت ملكة على مملكة عربيـة صغيرة في أعالي جزيـرة العـرب[٩]، كان سكانها من السبئيـين القاطنين في الشمـال. ويستدلون على ذلـك بعثور المنقبين على أسماء ملكات عربيات، وعلى اسم ملك عربي هو (يثع أمر) السبئـي في النصوص الآشورية، في حين أن العلمـاء لم يعثروا حتى الآن[١٠] على اسم ملكـة في الكتابات العربية الجنوبية، ثـم صعوبة تصور زيارة ملكة عربية من الجنوب إلـى سليمان وتعجبها من بلاطه وحاشيته وعظمة ملكه مع أن بلاط (أورشليم) يجب أن لا يكـون شيئًا بالقياسـ إلى بلاط ملوك سبأ، ولهذا لا يمكـن أن تكون هذه المملكة في نظـر هذه الجماعة من علمـاء التوراة إلا مملكة عربية صغـيرة لم تكن بعيدة عن عاصمة ملك سليمان، وقد تكون في جبل شمر أو في نجد أو الحجاز[١١].

ومما جعل بعض المؤرخين يقولون إن سبأ شماليـة، وزاد في حيرتهم، ورود اسم «سبـأ في نقشـ سومري يعـود تاريخه ٣٧٥٠ ق.م خـارج عاصمة سبأ مـارب، وهو في منطقة الأحساء شرقي جزيرة العرب غير مسجل في المعاجم الجغرافية»[١٢].

«فالنقوش السومرية العائدة لحوالي ٢٥٠٠ ق.م تشير إلى (سابو)، رغم أن بعض العلماء يرجع سبـأ إلى (سابو) المذكورة في النقوش العائد تاريخها إلى حوالي ٣٧٥٠ ق.م، لكن مسألة تحديد هوية أصحاب الاسم لا تزال تحتاج إلى بحث كثير»[١٣].

أمـا علاقة الأحباشـ بسبأ فهي بحكم التبعيـة؛ كون المُلك السبئـي امتد ليشمل جـزءًا مـن أفريقيا ومنها الحبشة، وقد وجـد الباحثون حتـى الآن ٢٥ نقشًا سبئيًا في أثيوبيا، تتحدث عن سبأ ومعبوداتها التي تعبد في اليمن كـ «ذات بعدان، والمقه، وذات حميـم، وعثـتر»، فضلاً عن ذكر معبـد أوام وغيره من المعابد، وكذلـك أسماء الملوك المحققة فـترة حكمهم، لتدل على تمدد الملك السبئي إلى تلك البلاد، كما سيرد ذلك بالتفصيل لاحقًا في باب ملكة سبأ وعلاقتها بالحبشة.

فقـد كانت هذه النقوشـ السبئية التي عثر عليهـا في الحبشة سببًا في جدل

موطـن الملكة بلقيس عنـد آراء بعض العلمـاء والمهتمين من الباحثـين، «واعتمد (نولدكه) على التشابه الكبير بين اللغة السامية واللغة الحامية المصرية القديمة والحبشيـة ولغة عرب الجنوب، وعلى اشتراك الأحباش وعرب الجنوب في عبادة الإله (المقه)»[١٤].

في اعتقادي كانت هناك ثلاثة أسباب رئيسة جعلت الأحباش يتمسكون بملكة سبأ ومُلكها فيهم، وهي:

١. الاعتماد على الروايات التوراتيـة التي ذكرت سبأ في كوش (الأحباش/الحاميين) ولقاء الملكة سليمان.

٢. ورود اسم سبأ في بعض النقوش الأثيوبية.

٣. وجـود القبائل السامية اليمنية في الحبشة، والتي كونت فيما بعد مملكة أكسوم وتمسكها بالوطن الأم سبأ في مارب، مما جعل الذاكرة الجمعية الأثيوبيـة لا تفرق بين أصول تلك القبائل ونشأتها وتوسعها وحكم البلاد كلها، فكانوا جزءًا منها.

لكـن، ومن باب الموضوعية، علينا أن ننوه إلـى أن كتب العهد القديم أشارت إلـى كوش (الحبشة) قبل القرن الخامس ق.م، وكانت في مرحلـة من المراحل تخضـع لمملكة الفراعنة في مصر، وكذلك مثلت مملكـة النوبيين قبل أن تتأسس مملكـة أكسـوم بحقبة من الزمـن، حتى وإن كانـت مملكة أكسـوم تأسست بعد ذلـك التاريخ، فإن إشـارة كتب العهد القديم لما قبل ذلك القرن تعد إشارة مهمة لتثبت أمرين اثنين؛ الأول: أن قبل ذلك التاريخ كانت الحبشة في حكم مملكة سبأ اليمنية، وقد وردت بعض النقوش المسندية في ذلك قبل أن تتأسس مملكة أكسوم بفـترة من الزمن، كما سيأتي عند ذكرها لاحقًا، كنقش «سمهعلي» مثلاً الآتي في الحبشة.

الثـاني: أن العمـق الحبشي، وربما بدايات تشكل الدولـة، يكون متقدمًا عمّا

ذكـره المؤرخون من تأسيس المملكـة في القرن الثالث ق.م أو بعد ذلك، وهنا تبدو المعلومـات مضطربـة أيضًا، فمنهم من يقـول بتأسيس الدولـة في القرن الثالث ق.م، ومنهـم من يقول في القرن الثالث الميلادي، مع أن أكسوم بدأت غزو اليمن الغـزو الأول منذ بدايات القرن الثاني الميلادي بحملات خفيفة وصلت ذروتها في القرنين الرابع والخامس الميلاديين.

فقـد «استطاعـت القبائل اليمنيـة المهاجرة التفـوق على أصحـاب البلاد مـن عناصر أفريقيـة وحامية نتيجة لتفوقهـا الحضاري عليهـا، وأن تبسط عن طريق نفوذها الاقتصـادي سلطانها السياسي والثقافي على الحبشة، وكان لهذه العناصـر اليمنية دور كبـير في تأسيس الدولة الأكسوميـة في الحبشة التي بقيت حـوالي ثمانية قرون، من القرن الأول قبـل الميلاد حتى مجيء الإسلام في القرن السابع الميلادي»(١٥).

لقـد أثـر هذا التداخل بـين سبأ والحبشـة، والتأثير السبئـي في الحبشة في الذاكـرة الأثيوبية إلى حد القول بأن ملكة سبأ هي أثيوبية الأصل، وقد أورد كثير مـن العلمـاء والباحثين هذا التأثـير وبداية العلاقة بين الشعبـين، وإثارة الجدل حديثًـا حول مملكـة سبأ الحبشية، وكان لكتب العهد القـديم الأثر الأبرز لتثبيت هذا الأمر في الذاكـرة الأثيوبية، «فمن الثابت تاريخيًا أن الساميين الذين دخلوا الحبشة من اليمن -ربما في غضون القرن الخامس قبل الميلاد- هم الذين كوّنوا دولة أكسوم الحبشية التي استخدمت اللغة (الجعزية) وهي لغة سامية.

والأحباش لا يزالون يكتبون حتى اليوم بقلم شبيه بالقلم المسند، وهو مقتبس مـن القلم العربي الجنوبـي، وتشكل بعضُ الكتابات المدونة بـه، والتي عثر عليها في الحبشـة -وهي أحـدث عهدًا من كتابات السبئيين- دليـلاً على أثر العرب في الأحباش»(١٦).

وقـد أكد جـواد علي هذه الفكرة ذاتها بالقـول: «قديمًا هاجر الساميون من

البلاد العربية الجنوبية إلى الحبشة. والساميون هم الذين كوّنوا دولة (أكسوم) التـي كانت تتكلـم باللغة (الجعزية)، وهي لغة سامية، كمـا أن قلمها الذي يشبه قلم المسند هو وليد القلم العربي الجنوبي. وكتابات (يها) (يحا) المكتوبة بالمسند في حـد ذاتها دليل على أثر العرب الجنوبيـين في الأفريقيين (الكوشيين)، وهذه الكتابات حديثة عهد بالنسبة إلى كتابات الساميين»[١٧].

وقـد فصلنـا في هـذه العلاقة تحـت عنـوان مستقل «ملكـة سبـأ وعلاقتها بالحبشة» في آخر هذا البحث.

سبأ مملكة في الشمال!

في برنامـج «على خطى العرب» الذي يقدمه الدكتـور عيد اليحيى على قناة العربيـة، يقـول: «ذهب بعض المؤرخين إلى أن ملكة سبـأ المذكورة في القرآن إنما كانـت مملكتهـا وعاصمتها في دومة الجنـدل شمال المملكة العربيـة السعودية»، وذلـك جريًا علـى آراء بعض الباحثـين الذين قالوا بمكان مملكـة سبأ في شمال الجزيـرة العربية، وهو رأي قـديم لهومل -كما أسلفنا- وتراجـع عنه بعد ذلك. ويبررون ذلك أنه لم تكن هناك أسماء لملكات يمنيات، في حين كانت هناك أسماء لملـكات عربيات في دومة الجندل ومـا جاورها من البلاد العربيـة الشمالية مثل (سمسي، تلخونو، زبيبي) كمـا في النقوش الأشورية في عهد شلمنصر وسرجون وأسرحـدون[١٨]. ولكـن مهمـا قيل عن هذه الملـكات وهذا المُلك، فلـم يكن يرقى بشهرتـه أو قوتـه وعظمته إلى مستوى مُلْك سبأ أو تدمـر اللتين كانتا أعظم مُلك عربي في التاريخ.

صحيـح لم تذكر النقوش اليمنية حتى الآن ملكات لسبـأ شهيرات، لكن مع كـثرة النقوش المهربة نجد نقصًـا كثـيرًا في المعلومات، فضلاً عـن أنه لم تجرَ أبحاث ميدانية مؤسساتية حتى الآن تكشف النقاب عن ملكات أخريات.

لقد وجد تمثالاً باسم ملكة من ملوك اليمن لدى صديق كان يحتفظ به للبيع، ولم تتم أية دراسة عليه، ومنذ الوهلة الأولى لاطلاعي عليه تبين لي أنه تجسيد لشكل ملكة اسمها (أ و س ن/ أوسان)، غير أنه غيبه تمامًا، وكم من أمثاله من فعل ذلك، فهم يعدون تجارة الآثار مربحة للغاية. الشاهد في هذا القول: إنه توجد ملكات يمنيات لكن لم يجري الاطلاع عليهن، وهو ما يدعو إلى ترجيح ملكة سبأ، ومن يدري عند مَن يكون مخبأً تمثالٌ لملكة سبأ!

ويذهب بعض الباحثين والمؤرخين -كما ذكرت سابقًا- إلى أن ملكة سبأ ليست تلك التي في اليمن جنوب الجزيرة، بل هي ملكة الشمال في معين مصران، «ويستدلون على ذلك بعثور المنقبين على أسماء ملكات عربيات، وعلى اسم ملك عربي هو (يثع أمر) السبئي في النصوص الآشورية، في حين أن العلماء لم يعثروا حتى الآن على أسماء ملكة في الكتابات العربية الجنوبية، ثم صعوبة تصور زيارة ملكة عربية من الجنوب إلى سليمان، وتعجبها من بلاطه وحاشيته وعظمة ملكه، مع أن بلاط (أورشليم) يجب أن لا يكون شيئًا بالقياس إلى بلاط ملوك سبأ، ولهذا لا يمكن أن تكون هذه المملكة في نظر هذه الجماعة من علماء التوراة إلا ملكة مملكة عربية صغيرة لم تكن بعيدة عن عاصمة ملك سليمان، قد تكون في جبل شمر أو في نجد أو الحجاز»[١٩].

كما يذهبون أيضًا إلى شبهة أخرى أو تحليل آخر، وهو أن الهدهد لم يكن باستطاعته أن يقطع كل تلك المسافة من الشام إلى اليمن في سرعة وجيزة، بل إنه ذهب إلى مملكة جوار مملكة سليمان، وقد تكون «معان»/«معين مصران»، أو دومة الجندل، خاصة وأن «معان» كانت في فترة ما إحدى محطات ومدن التجارة السبئية وهي إحدى القرى الظاهرة التي ذكرها القرآن: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾[٢٠]، ومن هنا كان استنتاج هذا الرأي القائل بأنها مملكة عربية

شماليـة، وكذلك كون الملكة امـرأةً، فلا يمكنها قطع كل تلك المسافة من الجنوب إلى الشام.

ولتفنيد هذا الرأي يمكن القول: إن الطير باستطاعة اجتياز كل تلك المسافة كمـا تفعل الطيـور المهاجرة غالبًـا، إذ تقطع المسافات من قـارة إلى قارة بآلاف الأميـال، فما بالنا مـن الشام إلى اليمن، خاصـة وأن مسافة الطيران الجوية لا تقاس بمسافات السير الأرضية للحيوانات أو أقدام الإنسان؛ فما يقطعه الإنسان عبر ركوب الخيل أو الجمال في يوم يمكن للطائر أن يقطعه في ساعة أو أقل، وما يقطعه الإنسان في شهر يقطعه الطير في يوم كامل أو يومين؛ لأن الطير في السماء لا تعوقه عوائق من جبال ووعورة الطريق أو أية معيقات أخرى. وقد يعوق الطائر مثلاً مطر أو جوارح، لكن مع ذلك قد يكون قليلاً، وتستمر رحلة الطيران.

أمـا مدينة معان، أو معين مصران فلم تكشف الآثار عن قصور عظيمة فيها بعظمة قصور سبأ أو عرش مثل عرش سبأ، ولا بلغت شهرتها بالتأثير الحضاري والسياسـي مـا بلغته سبأ، ومـا دوّن تاريخيًا عنها، فضلاً عـن أنها كانت محطة تجاريـة لا أكثر، والمرجح -بحسب ذكر النقوش لها- فإنها أُنشئت في فترة لاحقة عن فترة ملكة سبأ.

وبينمـا تقول كل الآراء اليـوم إنه لا يوجد أي نص يذكر اسم ملكة سبأ سواء «بلقيس» أو أي اسم آخر كملكة في اليمن، وهو صحيح حتى الآن فقط، لكن القرآن الكريم يثبت أن الملكة يمنية وسبئية، بغض النظر عن اسمها الحقيقي.

فلـو كان النص القـرآني الوارد في سورة النمل، والخاص بمملكة «سبأ» مع الملكـة التي قابلت سليمان هو النص الوحيد، ولم يكـن له تفسيرات مشابهة، ولا ورود في سـورة أخرى بأحداث أخرى أكثر تفصيلاً كما هو الحال في سورة «سبأ» التـي أسميـت السورة كلهـا باسمها؛ لكانت الشبهـة والغموض قد ثبتـا، أما وأن القصة الأخـرى في سورة سبأ كانت أكثر تحديـدًا وتوضيحًا باختصاصها بسيل

العرم وبالسد، وبالتجارة، وبالمحطات (القرى الظاهرة)، وبالجِنان، فإنه بذلك كله يزول كل غموض.

ففي سورة النمل ذكر الله البلاد والمرأة ومُلكها وعبادتَها وعرشَها وقومها ولقاءها سليمان، وكلها تنطبق على اليمن، وأفرد لبلادها سورة سميت سورة «سبأ» والتي ذكر فيها سيل العرم، وهي قصة مشهورة.

كما ذكر تفاصيل كثيرة لتلك المملكة وتجارتها بين اليمن والشام، وهو ما ينطبق تاريخيًا على مملكة سبأ، مثل المدن والمحطات التي بنتها الدولة في طريق التجارة كاستراحات لمبيت القوافل: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾﴾(٢١)، وكذلك السد والسيل واستبدال الجنان وتباعد الأسفار: ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾﴾(٢٢)، فهل عند أصحاب هذا الرأي كانت سبأ مملكتين مختلفتين، واحدة في الشمال وأخرى في الجنوب؟!

فحتى لو لم نعتمد طريقة تفسير القرآن للقرآن في مختلف السور والمواضع، علينا أن ندقق في الصفات والأماكن، والأحداث، والأسماء، وغيرها؛ للوصول إلى نتيجة، والنتيجة الواضحة وضوح الشمس التي لا تقبل المساومة هي أن مملكة سبأ في الجنوب.

كما أنه لا توجد نقوش مسندية عربية شمالية تذكر مملكة سبأ في الشمال، ولو ذكر منها على سبيل النادر فيذكر اسم سبأ كارتباط بالجنوب لا كمملكة قائمة في الشمال.

ولم يحصل أي كشف من هذه النقوش والآثار التي تحدد اسم «سبأ»؛ لا في دومة الجندل، ولا «معان»، ولا ددان العلا ولا غيرها، في حين الحاصل حقًّا أن

معظـم النقوش اليمنية المكتشفـة حتى اليوم تذكر الكثير جدًّا من مراحل مملكة سبـأ وملوكها وأحداثها وأشخاصها في عاصمة سبــأ (مارب) أو غيرها من التي وجـدت متناثرة في أكـثر من محافظة يمنيـة، بل وبعضها حـدد عاصمتها بأنها مارب، وهنا تزول بقية التكهنات والغموض.

أضـف إلـى ما سبـق أن عبادة الشمس لم تكـن إلا في أرض سبــأ من اليمن والمناطـق التابعة لها سواء في وسط الجزيـرة أو شمالها أو حتى في الحبشة، ولم تكـن في غيرها؛ فالقرآن الكريم لم يذكر اسم البلاد الشمالية، بل أشار إلى سبأ وهــي البلاد الجنوبيـة معلومة المكان والزمـان والعبادة، والمعابـد لآلهة الشمس منصوبـة في مارب وليس في غيرها من المناطق، ويعدُّ معبد (أوام) أضخم معبد في الجزيرة العربية كلها، وعليه؛ يكون هو الأصل وما دونه الفرع؛ كون الفرع دون معابـد شهـيرة ومنصوبة. فعبادة الشمـس لم تكن معروفـة إلا في اليمن، وبقايا المعابـد موجودة، وبقايا قصر المعبـد موجودة، ووصفت أنها كانت تعرف القراءة وأنها صاحبة علم، وأن العرب لم تعرف كقومية وأمة إلا في وقت متأخر، ولو كانت حبشيــة فحضــارة أكسوم تعود للقــرن الثالث قبل الميلاد على أكـثر التقديرات، فضلا عن ذلك فقد عرف عن اليمن تملك النساء فيها في فترات مختلفة.

ويمكن طرح عدة تساؤلات في هذا السياق؛ لنحلل كثيرًا من الوقائع والأحداث والأسمـاء والاتجاهـات للرد علـى الآراء المناقضـة لرأينا المطـروح في الفقرات السابقة.

فـإذا كانت مملكة وملكة سبأ المذكورة التي قابلت سليمان قريبة من مملكته فكيف لم يعرف سليمان بمملكة سبأ، وهي من الشهرة بمكان، مع كافة إمكانيات سليمان المخابراتية التي تفوق العقل من ريح وطير وجن؟!

وكيـف وصل ذكر دولة سبأ إلى مملكة أورو في العراق، كما وردت في النقوش السومريـة متجـاوزةً منطقـة الشـام، ولم يصل خبرهـا إلى سليمان بـن داوود

صاحب الملك العظيم والإمكانيات العظيمة والمخابرات الأعظم من ريح وجن وطير ووحش، ودولته أقرب مكانًا لليمن منها إلى العراق؟!

فكيف لمملكة عظيمة تمتلك كافة الإمكانيات التي تفوق العقل والوصف لا تعرف جارتها المحاذية لها أو القريبة منها؟!

هذا فضلاً عن أن كتب العهد القديم تذكر أنه كانت هناك تجارة بين السبئيين ومملكة سليمان في الشام، فكيف لم يبلِّغ التجارُ سليمانَ بهذا المُلك ويعرِّفونه بالمملكة؟!

لنأخذ مثلاً وسيلة من وسائل سليمان وإمكانية من إمكانياته، وهي الريح، فقد كان المدى المكاني ومسافة السير التي تقطعها الريح المرسلة بأمر من سليمان مسير شهر ورواحها كذلك، بحسب النص القرآني في قوله تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾[٢٣]؛ أي: المد المكاني والمسافة الزمنية، وقيل إنها كانت تنقل له الأخبار، فكيف لم تنقل له خبر مملكة سبأ إذا كانت قريبة من مملكته سواء في معان الأردن، أو دومة الجندل، أو شمال الجزيرة، أو غيرها؟!

هذه المسافة المكانية حدد مدتها بعض زعماء قريش في محاجاة الرسول ﷺ في قضية الإسراء إلى بيت المقدس، فحين كذّبت قريش النبي ﷺ في حادثة الإسراء بليلة واحدة، في حين يضربون لها أكباد الإبل شهرًا كاملاً غدوة وشهرًا روحة، فقال أكثر الناس: «هذا والله الأمر [العجيب] البيّن، والله إن العير لتطرد شهرًا من مكة إلى الشام مدبرة، وشهرًا مقبلة، أفيذهب ذلك محمد في ليلة واحدة ويرجع إلى مكة؟!»[٢٤].

فبالمقارنة بين ما قالته قريش للنبي ﷺ في حادثة الإسراء وبين المسافة المكانية التي تقطعها ريح سليمان؛ فإن أقصى معلوماته ومدى استخباراته كانت

حتى حدود هذه المسافة، أي إنها ربما تصل إلى مكة فقط أو قريبًا منها، ومسافة دائرية كذلك في كل النواحي، فإن كانت أرض «سبأ» المعنية في بلاغ الهدهد قريبة من مقر ملكه في الشام، كمعان مثلاً، أو دومة الجندل، أو شمال الجزيرة، كما قال الدكتور عيد اليحيى[٢٥]، فإن خبرها لن يخفى على سليمان، وقد جاءه الهدهد بهذا الكشف الاستخباراتي العظيم، ووقف مزهوًا يفاخر به سليمان نفسه: ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ٢٢﴾، مما جعل سليمان يستنفر كل إمكانياته لمعرفة هذه المملكة وملكتها التي لا تؤمن بالله، وأنه لا بد أن يدعوها لدينه[٢٦]!

لكن المستغرب هنا أنه قال جئتك بـ«نبأ»، ولم يقل بـ«خبر»؛ فالنبأ يكون للغيب، والخبر يكون للواقع، ولو لم تأتِ الآية بعد هذا القول لتوضح السابق وتؤكده لقلنا إنه تلقى المعلومة تلقيًا غيبيًا من مصادر أخرى، حتى وإن كانت حقيقة، لكنه قال مؤكدًا بنفسه مشاهدة وحضورًا: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ٢٣﴾[٢٧]، فكل الألفاظ هنا لتأكيد هذا الخبر والمعاينة والمشاهدة الشخصية (إني، وجدت، أوتيت من كل شيء، لها عرش عظيم)، ثم زيادة لتوكيد المؤكد بالحضور والإيجاد ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾، وهذا رد على بعض الروايات التي تقول إن هدهد اليمن لقي هدهد الشام فأخبره بهذه المعلومة إخبارًا، ولم يتحقق منها هو بنفسه، وشبهتهم في ذلك أن الهدهد لا يستطيع قطع كل تلك المسافة في أيام معدودة، وكذلك أنه لم يغب كثيرًا عن سليمان، مع أن حالة سليمان الاستغرابية كانت واضحة جدًا لفقدان الهدهد وحضوره من بداية زحفه بجيشه وحاشيته من مقر الملك قاطعًا وعابرًا وادي النمل، وبعد مضي تلك المدة استعرض حاشيته وتفقدها، فلاحظ غياب الهدهد الطويل بعد كل ذلك، وهذا يأخذ وقتًا من الغياب ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ٢٠﴾؟!

غيــاب الهدهــد كان طويلاً ولافتًــا للانتباه، بدليــل استعراضــ سليمان كل جنــوده مــن جن وإنس وطــير وحيوان فلم يجــده؛ لأنه كان عقد لهــم استعراضًا حضوريًــا، كما يسمى اليــوم عند الجيوش: تمام الاستعراضــ، أو طابور التمام، (تفقد الحضور والغياب)، وسياق الآيات القرآنية التي توضح ذلك واضح تمامًا، بأنــه أول الأمر نظم جيشه أو أتباعــه بحسب الجنس والفصيلة (فهم يوزعون)، أي: يتمايــزون فرقًــا شتى، ثم الذهاب بهم والعبور عــبر وادي النمل، وبعد ذلك العرضــ والحشــد والعبور وتفقــده كل شيء بينهم؛ استبان غيــاب الهدهد الذي كان غيابه لافتًا أدى إلى غضب سليمان، وعزز ذلك بالقسم ليعذبنه أو ليذبحنه، لــو لم يكن منه ذلك الاستثناء بإتيانه بحجة غياب مقنعة ﴿أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ٢١﴾.

فغياب اليوم أو اليومين أو حتى أكثر قليلاً لا تستدعي عقوبة الموت أو التعذيب، بــل هو الغيــاب الطويل، وأمر الاستثناء قاعدة مهمة جــدًا، إذ ينبغي على كل ذي مسؤوليــة أن يكون له استثناء من عذر وما شابه، وينظر لمثل تلك الحالات فلربما كان المترتب على أمر المستثنى أمرًا عظيمًا وذا فائدة.

فقــد استخــدم سليمــان أدوات التوكيد اللفظــي نفسها في معاقبــة الهدهد وهــي: لام القســم والتوكيــد (لأعذب)، وفعــل المضارع (أعذب)، ونــون التوكيد للفعل المضارع (أعذبــن)، والمفعول المطلق بعد ذلك (عذابًا شديدًا)، وهذه عند اللغويين البلاغيين هي لوازم التوكيد، أو التوكيد وملحقاته.

إذن هــذا الأمر يفسر أن الغيــاب كان طويلاً، وهي المدة التي قطعها الهدهد في معرفة عرش ملكة سبأ من مسافة زمنية بعيدة.

فمــن أخذ بشبهــة أن الهدهد لا يمكنــه قطع كل تلك المسافــة بين مقر ملك سليمــان واليمــن ليقلل من الفعــل أولاً، وينفي القصة ثانيًــا، ويؤكد قرب المملكة مــن مملكة سليمان ثالثًا، لم يراعِ أن المسافة الجوية لأي طائر لا يمكن مساواتها

بالمسافة البرية سيرًا على الأقدام أو ركوبًا على الحيوان، ففي المسافة الجوية يمكن للطائر أن يقطع في ساعة واحدة ما يقطعه مسير الراكب على الأرض بما عليها من عوائق من جبال ووهاد وغير ذلك بقدر يوم كامل أو يزيد، إذ ليس هناك من عوائق أرضية للطيور إلا الأمطار أو الجوارح المحلقة في السماء من طيور أخرى.

من جانب آخر، يمكننا هنا أن نستنبط أنه في ذلك العهد (عهد سليمان في القرن العاشر ق.م) كانت الرسائل من الرقوق أو الجلود مستعملة إلى جانب النقش على الحجارة أو الكتابة على الألواح، أو الحفر في الخشب، وذلك من خلال معرفة أن الكتاب الذي حمله الهدهد بالضرورة أن يكون شيئًا رقيقًا وخفيفًا متناهي الصغر وخفيف الوزن حتى لا يثقل الهدهد من ناحية ولا يعوق طيرانه من ناحية أخرى، وقد لا تتجاوز كلمات الكتاب تلك الكلمات الواردة في النص القرآني.

فالقرآن يلفت الأنظار ويستخدم الإشارات، ولا يغوص في كافة التفاصيل؛ فمع موسى مثلا ذكر أنها ألواح وليس غير ذلك ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾(٢٨)، غير أنه ذكر في موضع آخر أنه كانت له صحف ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾(٣٠)؛ فالصحف لا يقصد بها الألواح، مع أن القرآن الكريم ذكر كتاب موسى مرة بالألواح ومرة بالصحف، فقد تكون الصحف معنى للمحتوى، والألواح المادة والوسيلة التي حوت التشريعات والكتابات.

يقول المؤرخون، كما تقول التوراة: كانت هناك تجارة بين سبأ ومملكة سليمان قبل ذلك التاريخ واللقاء، فلماذا لم يبلغ سليمان بذلك المُلك عن طريق التجّار، ومعرفة أحوال مملكة عظيمة لها عبادتها الخاصة غير عبادة سليمان، وكان البلاغ عن طريق الهدهد فقط؟ أم أن الهدهد استفز سليمان بنوعية نقل الخبر وحسن التصوير، خاصة وقد استنكر سجود السبئيين للشمس من دون الله؟!

تسمية (بلقيس):

ذكـر القرآن الكـريم، وكذلك كتب العهد القديم والجديـد، قصة ملكة سبأ مع النبي سليمان مجردًا من أية تسمية، ولم يعثر حتى اليوم على هذا الاسم، ولا الملكـة في أي مـن النقوش، سواء كانت مسندية أو غيرهـا من الكتابات المختلفة، ولذلـك فإن هذا الاسم مـن اجتهادات الرواة الإخباريـين في كتبهم الكلاسيكية التي تورد الغث والسمين دون تمحيص وتثبُّت وتحليل للأحداث والوقائع والأسماء والتواريخ، أو حتى عمَّن نقلوا، سواء بالتواتر الروائي أو بالتدوين.

ومـن خلال تتبع هذه المصـادر فإنه لم يتم التعرف –حتى الآن– عن أول من أطلق عليها هذا الاسم الذي صار معمَّمًا في كل المصادر التاريخية، مع أن الكتب السماويـة لم تذكرهـا بالاسم، بل بالمكانـة والصفة (ملكة سبـأ)، والفعل (فعل زيارة سليمان)؛ إذ «لم تذكر التوراة اسم هذه الملكة، ولا اسم العاصمة أو الأرض التي كانت تقيم بها»[٣١].

وتعـدُّ النقوش المسندية اليوم هـي أم الدلائل على حقيقة أية قصة أو تسمية قديمة، ولا يوجد هذا الاسم فيها حتى اليوم.

واسـم «بلقيس» كلمة منقولة «عـن العبرية Peligesh المأخوذ عن اليونانية ويعني: الجارية أو المحظية»[٣٢].

ويذكـر الحضراني أن «الهمداني هو من أعطـى اسمها بُعدًا يمنيًا، وفي هذا يقـول: إن بلقيس واسمهـا بلقمة بنت الشرح بن ذي جدن بن إيلشرح بن الحارث ابـن قيس صيفـي»[٣٣]. وأرى أن الهمـداني يخلط بين الأسمـاء اليمنية والعربية الشمالية؛ فالحارث وقيـس لم يُعرفا كاسمين يمنيين في الزمن السبئي الأول، إلا قبل الإسـلام بقليل عند اختلاط العرب بعضهم ببعض، فهذا الاسم (بلقيس) أساسًـا لا يتوافق مع التسميات اليمنية القديمـة، إذ لا نجد اسمًا لامرأة أو رجل

انتهى بحرف السين إلا الضمير الغائب عند المعينيين والحضرميين والقتبانيين والأوسانيين كأن يقول مثلاً: حقسو (حقه).

ودأبت بعد ذلك كل كتب المؤرخين، ومن بعدهم الباحثون المحدثون، يذكرون هذه التسمية دون أن يمحصوها ويعيدوها إلى الأصل، وإذا ما كُشِفت نقوش مستقبلية عن هذه القصة ستتبين حقيقتها. ومثلما لم يمحصوا أصل تسميتها والتأكد منها وقصتها بشكل عام، كذلك ألفوا أسطورة ولادتها على أنها من أم جِنِّية! ولا شك أن لذلك علاقة بلقائها بسليمان -عليه السلام- ومعرفة ضخامة ملكه، فيبدو أن قصتها أُلِّفت تأليفًا بعد ذلك اللقاء، وربطت بتلك الزيارة، فكان ملهمًا للرواة الإخباريين أن يربطوا قصة ولادتها بالجن، وأن نصفها الآخر كان من الجن؛ ليضفوا لها نوعًا من الرهبة والهيبة، مما جعلها في مكانة عليا بين قومها حتى سلموا بحكم امرأة لهم؛ أي تاريخ مصطنع وليس حقيقة، اصطُنِع بعد تلك الزيارة بأجيال، وليس قبلها أو أثناء ولادتها.

ولأن البحث هنا يناقش أمر هذه الملكة العظيمة وملكها الأعظم، فمن المفيد أن نعرج على تسمية (بلقيس) عند الإخباريين العرب، وكيف تعمَّم هذا الاسم، واستنتاجنا حول هذه التسمية.

فقد حيّر اسم (بلقيس) اللغويين والمؤرخين؛ كونه لم يرد في أيٍّ من النصوص التاريخية للنقوش المسندية. وهنا سنضطر أن نورد بعضًا من هذه الآراء، كما ورد في كتاب (بلقيس امرأة الألغاز وشيطانة الجنس – زياد منى)، الذي شمل كل التعريفات والآراء لهذا الاسم، سواء عند الإخباريين العرب أو المؤرخين اليونانيين، أو ما جاء منها عند المؤرخين اليهود في العهد القديم، وكذا عند المستشرقين في العصر الحديث، ويمكن إيرادها على النحو الآتي:

١. سجل سبط بن الجوزي (ت ١٢٥٧م) في مؤلفه (كتاب مرآة الزمان في تاريخ الأعيان) أن «بلقيس لقب لها، واسمها بلقمه بنت الهدهاد بن شرحبيل»(٣٤).

٢. وأشـار ابـن سعيد (ت ١٢٨٦م أو ١٢٧٤م) إليهـا في مؤلفه (كتاب نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب) على نحو «بلقيس بنت الهدهاد»[٣٥].

٣. وسجل الفيروزأبادي (ت ١٤١٤م) في معجمه (القاموس المحيط) تحت بـاب الهمـزة: «سبأ بلدة بلقيس، ولقب يشجب بن يعـرب، واسمه عبد شمس يجمع قبائل اليمن عامة»[٣٦].

٤. وسجـل المسعودي (ت سنة ٩٥٧م) في مؤلفه (مـروج الذهب): «اسمها على نحو بلقيس بنت الهدهاد بن شرحبيل بن عمرو الرائش»[٣٧].

٥. أمـا ابن خلـدون (ت سنة ١٤٠٦م) فيسجل في مؤلفـه (كتاب العِبَر) – نقـلاً عن المسعودي- أن اسم بلقيس يلقمـه بنت إليشرح بن الحرث بن قيـس. ولكننـا نجد أنه يسجـل –نقلاً عن أبي الحسـن الجرجاني عن آخرين القول: «حتى نشأت بلقيس بنت إليشرح بن ذي جدن بن إليشرح ابن الحرث بن قيس بن صيفي فقتلته غيلة، ثم ملكت»[٣٨].

٦. ويعـرف ابن حـزم (ت سنـة ١٠٦٤م) بلقيـس بأنها «بلقيـس بنت إيلي أشـرح بن ذي جدد بن إيلي أشرح بن الحارث بن قيس بن صيفي، وهم من التبابعة، وهم من بني حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ...إلخ»[٣٩].

٧. وفي كتـاب الإكليل يطلـق الهمداني (ت ٩٤٥م) علـى بلقيس اسم بلقمة والقمـة، علمًـا بأن الاسم يرد في الكتـب ١ و ٢ و ٨ و ١٠ من المؤلف. ونراه يقول في مجال الحديث عن والد بلقيس أن اسمه: «الهدهاد بن شرحبيل ابن الحارث بن الرايش، وهو اسم قد يخفف إلى هداد وهدّاد»[٤٠].

إذن: «عـرّف الإخباريون العرب بلقيس – ملكة سبأ بعدة أسماء هي: بلقمه، بلقمـة، يلقمة، يلمقة، القمـة، والمقه...إلخ. ولم نجد غير نشوان الحميري يعطي تفسيرًا للاسم. برأينا أن قول العرب إن اسم الملكة أي من الأسماء المذكورة آنفًا

يعني بأن اسمها ليس بلقيس، ونرى أنه صفة ليس إلا. فلو كان اسمها فعلاً بلقيس لما نشأت الحاجة إلى إطلاق أسماء أخرى عليها»[٤١].

ويتضح أن الإخباريين العرب حاروا في تسمية بلقيس، ولذا انسحبت حيرتهم على المستشرقين من بعدهم، وذهبوا للاستنتاجات والقياسات المختلفة التي لا يخلو بعضها من التعسف، كما يقول منى، والذي ذهب يستعرض بعض آرائهم على النحو الآتي:

١. رجح المستشرق و. مونتغومري وات أن الاسم مأخوذ من المفردة اليونانية (Pallakis) بمعنى: (عشيقة) عبر لغة التوراة، أي: الكنعانية التوراتية المسماة خطأ بـ «العبرية»، حيث سجل الاسم بصيغة «فلجش/فلجس»، ويحرك، وفق الرأي التقليدي السائد على نحو «Palegish». أما المستشرق ألندورف فقد اتفق مع هذا الرأي، لكن دون أن يحسم رأيه في المسألة. وشاركهم هذا الرأي العالم العربي نبيه أمين فارس.

٢. سجل المستشرق الألماني شتاينشنايدر رأيه في النصف الأول من القرن الماضي أن الاسم بلقيس تحوير ناتج عن إدغام المفردتين «ملكة» و«سبأ» –(م ل ك ت س ب ء)، أي بإسقاط حرفي الميم والباء، وقلب الهمزة إلى باء والكاف إلى قاف، ثم حدوث قلب استبدال جديد للأحرف.

وعلى الرغم من أن القلب والإبدال هما من صميم منهجية البحث في هذا العلم، إلا أننا لا نجد أي مبرر لحدوثه في هذه الحالة. كما أننا لم نجد أي شرح مقبول لإمكانية ورود حالة إسقاط حرفين ساكنين هما الميم والباء من الاسم.

٣. طرح المستشرق الفرنسي دوساسي رأيه بأن بلقيس تصحيف للاسم Nikaulis (نقوليس/ نكوليس) الذي يرد في مؤلفات المؤرخ الفلسطيني أو السوري يوسفوس فلافيوس، وقد شاركه هذا الرأي المستشرق الفرنسي رينان.

إن هــذا الرأي يفترض -دون أي دليل- أن التسمية انتقلت إلى العرب كتابيًا فقط، وعبر مصدر واحد، مما أدى إلى حدوث اختلاط في الأمر عند نقل الاسم؛ أي بحـدوث عملية تصحيف، حيث سجل حرف الباء نونًا. ونظرًا لعدم وجود أية أدلة أو حتى مؤشرات تدعم هذا الاجتهاد، نقول إنه من الصواب إهماله.

٤. المستشـرق الألماني غستاف روشـ سجل رأيه الخاصـ في المقالة المشار إليهـا أدناه، التـي لا تزال أفضل بحث في الموضوع، بـأن أصل الاسم هو المفـردة اليونانيـة Pallaxis، Pallkes، لكنــه، وعلــى عكس غيره من العلماء، دعم رأيه بالقول بأنه انتقل إلى العرب وإلى اليمن تحديدًا، عبر التجـارة البحرية مع مصر، وهو مثبت تاريخيًا منذ السيطرة الرومانية على الإقليم.

٥. كان للمستشرق الفرنسي درامي رأي مختلف تمامًا، وطرحه قرب نهاية القرن الماضي، وعبر عن اعتقاده بأن الاسم بَلقيس أو بِلقيس دمجٌ لكلمة «بل وكيس»، بمعنى (صاحبة الكنز/ صاحبة الكيس – حرفيًا العشيقة)، ومن ثم تمت عملية قلب لحرف الكاف إلى قاف[٤٢].

وهناك الكثير من هذه الآراء المضطربة للمستشرقين، التي عرضها زياد منى في كتابـه (بلقيس امرأة الألغـاز وشيطانة الجنس)، والتي تجافي القياس العربي وقواعد الاستنباط والتحليل اللغوي، أُحيل القارئ إليه لمزيد من التفاصيل.

ولـو عُدنا إلــى كل الآراء المذكورة التي ألفت حول تسميـة بلقيس في مختلف الكتـب، ومنها ما قيل إنه عن أصل عبري أو يونـاني، سنجد أنها بعيدة كل البعد عن هذه الاشتقاقات أو المقاربات.

ونحن نرى أن (بلقيس) اسم محلي يمني أطلق كصفة لملكة سبأ، فاستعمال اللفـظ لا يـزال إلى اليـوم في بعض مناطق اليمـن المختلفة، وعلـى رأسها مارب

والمعافـر وإب. فــ (بَلْقَسْ) يعنــي في مارب: الخفــة في الحركة والــكلام، يقال: «تَبَلْقَسَ في الحركة والكلام، أي: كان سريع الكلام والحركة». ويعني في المعافر: جوس المكان ذهابًا وإيابًا بقلق وألم (الروغان في المكان من الطفح والألم)، يُقال: «فـلان يَتَبَلْقَسْ/ص في المـكان طفحًا وألمًا». وقد صور هــذه الصورة من الحركة الشاعر أبو الطيب المتنبي بالقول:

لا تحسبوا أنّ رقصي بينكم طربًا فالطير يرقص مذبوحًا من الألمِ

وهــذه الصفة (سرعة الحركــة والكلام) تنطبق على واقع حــال الملكة التي ربما عكســت حركتها الدائبة وتنقلها في مناطق مملكتها، فهي تزور الحبشة مثلاً، ثم تنتقل إلى أماكن أخرى، ثم تزور سليمان في الشام، وهكذا دواليك، وربما بسبب هذه الحركة والخفة نسبوها إلى الجن.

وهنــاك تحليــل آخر، وقــول آخر، ممكن أن نذهــب إليه، وهو أننــا لو تتبعنا الجذر اللغوي «ب ل ق» محليًا، وفي معاجم اللغة سنجد الكثير من الصفات، وواقع التعريف ينطبق أو يشير إلى اشتقاق اسم بلقيس وتوليده من هذا الجذر. فالبلق، كما هو معروف في مارب، هو أهم جبالها على أطراف الصحراء الشرقية، ومنه يستخرج المرمر أو الرخام، وفيه مسناة مارب، حيث بُني السد.

ومعنــى «بلــق» بالمحكية المأربيــة يعني (البهــاق)، وهو لون الجلــد المصاب بمرض البهاق (البرص الخفيف) أي: (اللون الأبيض)، وجبل البلق يميل إلى البياض أساسًا.

وقــد جاءت تعريفات مختلفــة في لسان العرب للبلــق، ومعظمها تنطبق على مواصفات جبل البلق في مارب.

ومن ذلك مثلاً:

- البلق: حجر باليمن يضيء ما وراءه كما يضيء الزجاج[٤٣]، وينطبق هذا

الوصف على المرمر الشفاف المستخرج من جبل البلق في مارب، ويوجد منها بعض حجارة وأعمدة معبد أوام ومحرم بلقيس في مارب، وصناعة التماثيل الشفافة منه.

- والبلق: الباب في بعض اللغات(٤٤)، وهذا الوصف أيضًا ينطبق على اللغة اليمنية، فنحن نسمي الباب: البلق. وفي جبل البلق في مارب مسناة اليمن الشرقية حيث بُني سد مارب التاريخي عند فرجة الجبل وثغرته، وكأنه بوابة الجبال هناك.
- وبلقه يبلقه بلقًا وأبلقه: فتحه كله، وقيل فتحه فتحًا شديدًا، وأغلقه: ضد. وانبلق الباب: انفتح، [ومبلق: أداة الفتح والحفر]، ومنه قول الشاعر:

فالحصنُ منثلمٌ والباب منبلقُ

وفي حديث زيد: فبُلِق الباب: أي فتحه كله(٤٥).

- والبَلُّوق والبلُّوقة، والفتح أعلى: رملة لا تنبت إلا الرخامي. قال ذو الرمة في صفة ثور:

يرود الرخامى لا يرى مستظامه ... ببلوقةٍ إلا كبير المحافر(٤٦)

وكأن هذا الوصف قد قيل في جبل البلق بمارب؛ فهو في أطراف مفازة رملية، وينبت الرخام أيضًا.

- وقال أبو خيرة:

البلوقة مكان صلب بين الرمال كأنه مكنوس، تزعم الأعراب أنه من مساكن الجن(٤٧)، وكثيرة هي الأوصاف التي أوردها ابن منظور في هذا الباب، وهي تكاد تنطبق على بلق مارب.

ومن هنا تتعاضد الصفات والمسميات والألفاظ التي ربما كونت اسم

(بلقيس) كصفة تطلق على ملكة سبأ. وبالإضافة إلى اللفظ السابق (بلقس) يمكننا إضافة اشتقاق للفظ آخر، وهو أن المعينيين والقتبانيين والأوسانيين والحضرميين -ما عدا السبئيين والحميريين- يحولون الضمير المتصل بالأسماء والأفعال وهو (الهاء) إلى (س)، فيقولون مثلاً عن اللفظ السابق «بَلَقه» (بلقس)، ولما كان العرب يطلقون الياء عوضًا عن الكسر، والواو عوضًا عن الضم، والألف عوضًا عن الفتح، يكونون قد مدوا كسر القاف إلى ياء؛ كون الاسم لم يعرف إلا عن العرب، ولم يرد فيما كشف من النقوش المسندية.

لا شك أن ولادة هذا الاسم وإطلاقه على تلك الملكة قد يكون له عوامله الداخلية والطبيعية المكانية والحركية، «فما دخان إلا من نار»، كما قيل في المثل اليمني، وحيث إن بداية هذا الاسم لم يكن معروفًا عند الإخباريين والرواة، وكذا في المصادر، فلا بد أنه كان مرويًا شفهيًا بالتواتر منذ أمد بعيد قبل الإسلام، كما هو الحال في بعض القصص الشعبية التي لا تؤخذ كلها ولا يُترك جلها، فبعضها كان له واقعية على الأرض، كقصة حاكمة المعافر (نعيم/نعيمة العريقية) مثلاً، فقصة هذه الحاكمة كان لها ما يصدقها على الأرض من خلال المعالم الأثرية التي أثر عنها وعن ملك الدملؤة الذي تزوجته، بحسب تتبعنا لها قصة وآثارًا على الأرض.

فقصتها باختصار تقول: إن الملك المنصوري (نسبة إلى قلعة المنصورة/الدملؤة) أراد أن يتزوجها، وهي حاكمة المعافر في القرن الأول ق.م، فاشترطت عليه مهرها أن يبني فلجًا/ساقية من وادي (موقعة) في أرض سامع ويجريه حتى أسفل قلعة الدملؤة في مدينة الجؤة التاريخية (مسافته قرابة ١٥ كيلو مترًا تقريبًا)، وهو ما كان، ولا يزال ذلك الفلج إلى اليوم، ونقش سامع الشهير يعود لها، تعدِّد فيه إنجازاتها، ولها حصن في سامع يسمى (قرن نعيمة)[٤٨].

لِمَ قال: امرأة ولم يقل: فتاة مثلاً؟!

هــذا اللفظ دليل علــى أنها كانت امــرأة متقدمة في الســن ناضجة وعاقلة، أو متوسطة العمر، وربما كانت متزوجة في تلك الأثناء، ولكنها ملكة، ولأن القرآن في رواياته يركز على الحدث الأهم في قصصه وأبرزها، ولا يهتم للفروع أحيانًا، فلــن يفيد هنا ذكر إن كانت متزوجــة أم لا طالما ركز على الشخصية الأهم وهي الملكــة، والحدث الأهم وهو المُلك والديانــة والزيارة، ولا صحة لأية أحاديث تقول إن سليمان تزوجها، بدليل أنه ودعها وعادت إلى بلادها وقومها لتحكمهم بالدين الجديد والمتغير الجديد.

هذا النضج ورجاحة العقل انعكس في التروي بعدم الاستجابة لمشورة الحرب مــن عليــة قومها، وأرادت أن تختــبر صاحب الرسالة، ومعرفــة قوته فيما يسمى اليــوم بالعمل الاستخباراتي بين الدول، واتضح في نهاية المطاف أنها كانت محقة برأيها، ومن خلال هــذه العلامة والآية يتضح أنها كانت مستحقة لأن تكون ملكة على قومها الذين حركتهم النشوة وغرور القوة وردة الفعل السريعة.

قــد يقول قائل: إن الله وصف بنــات شعيب اللتين خيِّر نبيُّ الله موسى بتزوج إحداهما بنفس الوصف «امرأة»، فقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ﴿٢٣﴾ ﴾[٤٩]، فقد ورد لفظ «امــرأة» في القرآن مقترنــا كزوجة أو مسنة ما عدا اللفظــين في ملكة سبأ وبنتي شعيــب، ولا توجــد أية لازمة من لوازم الزواج في اللفظين، إلا أن يكون كبر سنهن فقــط، فإذا عرف عن بنات شعيــب إضافتهما لأبيهما كتعريف، فإن ملكة سبأ لم يشر إليها بأي من لوازم التعريف والإضافة بحالتها الشخصية الاجتماعية، وهنا قــد يفسر على أنه إما امرأة عاقلة مسنة، أو متزوجة ولم تكن هناك حاجة أصلاً لذكر زوجها.

فبعضــ ملكات اليمن كن متزوجات، ومــا دوّن عنهن يدوّن لفعلهن وسِيَرهن

كملكات، وتجاهل أزواجهن مثلاً. فالسير لا تكتب إلا للأفعال الكبيرة والإنجازات للملـوك وسياستهم وحروبهـم دون الاهتمام بالجانب الاجتماعـي؛ فالملكة أروى الصليحيـة -مثلاً- بعـد توليها الملك تم تجاهل ذكر زوجهـا، وركز التدوين على أفعالها هي من باب الاهتمام بالأصل وترك الفرع.

معرفتها القراءة والكتابة:

مـن خلال السيـاق القرآني نستشف أن ملكة سبأ كانـت صاحبة علم، وهذا نستنتجـه من خلال قراءتها للرسالة التي ألقاهـا إليها الهدهد؛ أي إن الأبجدية قـد كانت موجودة، وإن تعلـم القراءة والكتابة قد كان موجـودًا قبل ذلك العهد. قرأت الرسالة على الفور، فجمعت أعيان المملكة لتطلعهم على فحواها.

والباحثـون في النقوشـ اليمنية يقولون إن أقدم نقش وجـد حتى اليوم لسبأ هـو في بداية القرن الثامن قبل الميلاد أي: في عهـد سمهعلي ينوف؛ أي بعد ملكة سبـأ موضوع البحـث، ومن خلال معرفتها القراءة والكتابـة نستدل أن الأبجدية المسنديـة في سبـأ كانت موجودة قبل تلك الملكة بزمن كثير، وذلك مع الأخذ بعين الاعتبـار مـرور الأبجدية بعـدة مراحل من النشـأة أولاً، ثم النمـو والتطور ثانيًا لتصل إلى قمة النضج والاصطلاح والمعرفة والتبادل والانتشار بين الشعوب. فكم من الزمن هنا يمكن أن تحديده لنشأة هذه الأبجدية قبل ملكة سبأ التي عاصرت سليمان؟!

علـى الرغـم من أن كثيرًا مـن الباحثين لهم آراء مختلفـة في فترة سمهعلي ينـوف، فمـرة يجعلونه في القرن الثامـن قبل الميلاد، ومـرة في السابع، ومرة في الخامس، ولم يستقروا على رأي حوله، إلا أن ما يؤكد أن هذا الملك كان على رأس فـترة المكاربة في القرن التاسـع قبل الميلاد وورود اسمه كأول من استحدث أعمالاً في سد مارب التاريخي، وذلك في النقش المرموز إليه بـ CIH 623[٥٠].

ومـن بعده توالـت الترميمات والاستحداثـات في السد، حتـى إن جواد علي

وآخرين جعلوه أنه هو باني السد ومُنشؤه[٥١]، لكن بالعودة إلى النقش الذي يذكر أعمالــه والتدقيــق في ألفاظه، يتبــيَّن أنه فقط استحــدث استحداثات من قنوات تصريف، وأعمال توسعة، وحماية، وليس هو المنشئ.

وبما أن مكاربةً وملوكًا جاؤوا بعده من نسله واستحدثوا أيضًا في نفس السد، ونصوصهــم أعادهــا المؤرخون إلى فترات زمنية بعــده حددوها في القرن الثامن قبــل الميلاد، كنص ولده المكرب يثع أمر بــين، والسابع كنص نقش النصر لكرب إيــل وتر، وكذا السادس لمن بعدهم؛ فإننــا نذهب إلى القول بأنه على رأس قائمة المكاربة في الفترة الزمنية الأولى للنصوص المكتشفة.

ونجــد أن القــرآن الكريم قد أكد -في سياق قصة ملكــة سبأ- هذا الأمر في نهايــة قصتها مع نبي الله سليمان بقولــه: ﴿وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ﴾[٥٢]. وهنا لا يقتصر العلم فقط على القراءة والكتابة، وإنما على العلم ذاته، قد يكون علــم الديانــات، أو علــم الفلك، أو العلــوم المختلفة من حســاب وفلسفة ومنطق، وغيرها.

وإذا مــا أخذنــا بالرواية الإسرائيليــة أنها جاءت من أقاصــي الدنيا لتسمع مــن علم وحكمة النبي سليمان وتستفسره في بعض العلوم والأشياء، وخاصة علم التوحيــد أو الديانات؛ فإنها تكــون باحثة عن أصل الكون الذي كانت تعبد كواكبه وأجرامــه السماويــة، وهي متطلعة لتعلم المزيد عن ذلــك ومعرفة الإله، كما فعل نبــي الله إبراهيــم وهو يبحث عن أصــل الكون وإلهه، كما في ســورة الأنعام، وفي القــرآن الكريم بعض إشارات إلى هذا الأمر من علم ملكة سبأ من خلال الحوار الذي دار بينها وبين سليمان.

فقد برع اليمنيون القدامى في علم الفلك والطب والحساب والزراعة، وعلى أســاس منه كونــوا أعظم الحضــارات الزراعيــة والطبية، وكذلك تخــيُّر أوقات أسفارهــم وملاحتهم البحرية، ومعرفة حركات الريــاح، وكذلك مسح المسافات الأرضيــة لمعرفة الطــرق المختلفة التي على أساسها سيطــروا على الطرق البرية

والبحريـة وأسسـوا الطرق المختصرة، وكان أعظم طريـق لهم هو طريق البخور الشهير الممتد من ميناء قنا في شبوة حتى سواحل غزة وآسيا الوسطى.

وإذا مضينـا قدمًـا في تحليـل النصـ القـرآني، وخاصـة مسألـة الكتـاب (الرسالـة) سنجـد أنها فهمت لغة الرسالـة وأبجديتها دون ترجمـان، فاللغات السامية القديمة، وإن اختلفـت خطوطها وأبجدياتها، تظل مفهومة لدى مختلف شعوبها القديمة.

ومـن خلال تعلُّم قـراءة النقوش اليوم نجد أن من يفهـم خط المسند يفهم الخـط الآرامي، والعبري، والكنعـاني، والفينيقي...إلخ. لذلك لم يستشكل عليها قـراءة الكتاب. يقول كثير مـن العلماء: «إن أصل اللغـات السامية كلها يعود إلى أصـل واحـد»، وبعضهم يقول: «إن هناك لغـة أم لكل هذه اللغـات، وهي العربية القديمـة الأم قبل اللغات السامية»(٥٣)، ولا يقصـدون عربية اليوم؛ فعربية اليوم متطـورة ومنتخبة من اللغات السامية ذاتها، والأصـل اليمني أكثر اللغات تأثيرًا فيهـا(٥٤)، وإن كان كثـير مـن الباحثين يقولـون إن الآرامية هي الأكـثر تأثيرًا في العربية، إلا أن هذا الرأي لا يستقيم لسببين رئيسين، هما:

الأول: أن حروف أبجديتهـا (أصواتها) اثنان وعشرون حرفًا فقط، في حين العربيـة ثمانية وعشرون حرفًا (صوتًا)، والآرامية تخلو من الضاد والغين والذال والفاء والسين والطاء.

والثاني: المحيط الجغرافي؛ فالسبئي (اليمني عمومًا) أقرب مكانًا وجغرافية، وأكـثر احتكاكًا وتداخلاً بالمحيـط العربي، فضلاً عـن أن السبئي/اليمني منبت العـرب الأول، والسبئـي ثمانيـة وعشرون حرفًا علـى رأسها الضـاد التي تعرف بهـا العربية. في حـين الآرامية أبعد مكانًا وأقل احتـكاكًا، وبسبب محاربة اليهود للآرامية والاعتماد على العبرية عندهم حاصروا تمدد الآرامية.

وبالعـودة إلى اللغة العبرية نجد مشتركات لفظية كثيرة بينها وبين اليمنية،

بلهجاتها المختلفة، صحيح أن حروف العبرية لا تتعدى ثمانية عشر حرفًا، واليمنية ثمانية وعشرون حرفًا/صوتًا، لكن المشتركات اللفظية بينها كثيرة.

من هنا كانت معرفة ملكة سبأ بلغة الرسالة، سواء كتبت بالآرامية القديمة أو بالعبرية المنبثقة عن الآرامية. «فقد لاحظ المستشرقون أن العبرية تشترك مع السبئية في اصطلاحات كثيرة غير معروفة في اللغة العربية»[٥٥]، وهذا الأمر أيضًا يعزز مفهوم مَلَكَة العلم لدى مِلكة سبأ.

فمن خلال اختبار تجربة ملكة سبأ لنبي الله سليمان بإرسال الهدية إليه لمعرفة إن كان ملكًا أم نبيًا؛ يتضح أنها كانت تعلم بأمر النبوة وعلم الأديان، وكذلك رجاحة عقلها من غير تهور ولا استعراضٍ للقوة التي تورد المهالك أحيانًا قبل تبيُّن إمكانيات الخصم، فلا شك أنه وصلتها قصص رسالات وأنبياء سابقين، سواء في سبأ وممالك اليمن الأخرى، أو حتى في بلدان ودول مجاورة، كقصة موسى مع الفراعنة مثلاً، التي ظلت متداولة بالتواتر وعلم الأديان الأخرى حتى اليوم، أو من خلال التجار اليهود الذين يتاجرون بين بلاد اليمن والشام ومصر، أو غيرها من القصص، وما تطلُّع السبئيين أو بقية اليمنيين نحو عبادة الأجرام والكواكب السماوية إلا بحثًا عن الإله في السماء كبقايا رسالات سماوية سابقة، وبالتالي فهي تفرق بين النبي والملك من سياق ومعلومات تلك الرسالة التي بعث بها سليمان عبر الهدهد، وكذلك من خلال معرفة أساليب الملوك في الغزو ﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[٥٦]، ولئن كشفت في تلك الأثناء عن لازمة وصفة من لوازم وصفات الملوك، وهي الغزو والتدمير والسيطرة وإذلال وقهر الشعوب المَغْزِيَّة، فهي بالتالي تستنطق الشق الآخر من المعرفة والصفة إن كانت لنبي أو رسول من خلال ألفاظ الرسالة (البسملة، أسماء الإله، مسلمين)، ولذلك منذ الوهلة الأولى تبينت فحوى الرسالة ومغزاها، وأطلقت عليها وصفًا لطيفًا وبديعًا، وكانت عندها محط تبجيل واحترام بقولها:

﴿ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ (٢٩) ﴾[٥٧]، فكيف عرفت أن الكتاب كريم؟! عرفته -ولا شك- من خلال ألفاظه المحترمة المفتتحة بأسماء الله وصفاته (الله، الرحمن، والرحيم)، وهي ألفاظ ومصطلحات جديدة لم تعرفها من قبل، لكن لها وقع خاص من خلال المفردات (رحمن، رحيم) مقرونة بـ (الله) المعروف لديهم بـ (إل أو آلاه)، ولذلك لما ذهبت إليه كان الحوار عقائديًا بينهما، وكانت النتيجة ﴿قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (٤٤) ﴾[٥٨]، حتى وهي تسلم وتتبع عقيدة التوحيد لم تقل «أسلمت لسليمان» بحال التابع والمتبوع والخضوع والانقياد والذل، بل كان الأمر بالمعية والتساوي والندية «أسلمت مع سليمان لله رب العالمين»، ولم تقل ما قاله فرعون وقومه لموسى: «لنؤمنن لك»: ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ (١٣٤) ﴾[٥٩]، وهناك فرق شاسع بين الأمرين.

وأما ما جاء من ذكر البسملة في بداية الرسالة وورود اسم «الله» والرحمن والرحيم ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (٣٠) ﴾[٦٠]، فيبدو أنها جاءت بحسب فهم وعقلية العرب المسلمين في الإسلام لتقريب المعنى كي يفهمه المسلمون، أو أنه كان أسلوبًا جديدًا في الصياغة والديباجة لا تعرفه مملكة سبأ، وهنا عرفت أنه كريم، دون تهديد ووعيد كما يفعل عادة ملوك الأرض.

فـ «الله» بهذا اللفظ وهذا الرسم لم يكن في اللغة العبرية؛ فالعبرية كما في بقية الساميات تقول للإله: «إل»، و«آله»، و«ياهو»، و «ه ل ه/ه ال اه» بمعنى: (الله).

و«(الله) في الإسلام هو ولا شك آخر مظهر من مظاهر تطور معنى الله التاريخي في ديانة العربية الجنوبية. وهذا الله المسلم [في الإسلام] لا شريك له، وهو يجب أن يعد ضمن آلهة بلاد العرب الجنوبية»[٦١].

لكـن «الرحمـن» ورد في العبرية، سواء في العهد القـديم، أو النقوش، وحتى النقوش اليمنيـة في العهـد الحمـيري التـي تذكر إلـه السمـوات (رحمن ن ذو سماوي) والذي لم تكن تعرفه العرب قبل الإسلام، بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾﴾(٦٢)، ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾(٦٣)، وجـاء علـى لسان مريم (العبرية): ﴿قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾(٦٤)، وعلـى لسـان إبراهيـم (الكنعـاني): ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾(٦٥).

لكـن الدمج بين اسم الله والرحمن الرحيـم في رسالة النبي/ الملك سليمان تعـبر عـن حالة العرب والساميين بشكل عام، كمقدمة منـه إلى الملكة أن رسالته دينية في الأساس وليست ملكية، وهو ما أشكل عند ملكة سبأ وجعلها تتروى وتلجأ إلـى امتحان سليمان إن كان ملـكًا أم نبيًا؛ فاسم الله، كما يقـول ديتلف نيلسن، كان معروفًا كإله مميز عند كل العرب الساميين سواء الشماليين أو الجنوبيين.

«ففـي لهجات عربيـة شماليـة نجـد (أل)، وفي السريانيـة والآرامية نجد (آلهـا)، فهي نفـس الكلمة المعرفـة ومعناها (الله)، وهـذا (الله) لم يأت فقط مـع محمـد [ﷺ]، بـل كان معبـودًا مقدسًا في أنحـاء بلاد العرب منـذ العصور القديمة»(٦٦).

ومـن هذا البـاب حكمت على الكتـاب بأنـه كـريم: ﴿إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾، حتـى أسلـوب إيصال الرسالـة كان لافتًا بالإلقاء والقـذف من الطائر، وربمـا كان أول طائر يعـرف حمل الرسائل/ الكتب قبل معرفـة الحمام الزاجل، وهـذه الألفاظ تدل علـى أنها رأت إلقاء الكتاب أثناء الرمـي ولم يصل إليها عن طريق رسول أو وسيط، وإنما مباشرة إليها.

ملكة الكمال والجمال:

قدم القرآن الكريم ملكة سبأ بأفضل الصور الإيجابية للملوك والملكات، باستثناء عبادتها الشمس من دون الله كفعل مستنكر دينيًا، لا كما قدمتها كتب العهد القديم اليهودية، والمرويات الحبشية.

لكن الصور الإيجابية عنها كثيرة في النص القرآني، وعلى رأسها: العقل والذكاء، والتروي وعدم الانجراف العاطفي، والاستشارة والعمل الجماعي، والحشمة والعفة، والباحثة عن الحقيقة، والمحاوِرة البارعة، والندية في التعامل، والمعرفة والعلم، والأخلاق في التعامل، ورباطة الجأش والرزانة.

فلئن كانت بعض الأساطير قدمتها بصورة غير محتشمة، وأن النبي سليمان ارتكب معها الفاحشة (استغفر الله)، كما هو الحال عند بعض نصوص التوراة، أو كما عند من يدّعون أنها أمهم وهم الأحباش، أو بعض الباحثين الأوروبيين مثلما صوروا ملكة مصر كليوباترا، فقد صور القرآن عفتها وحشمتها في تجسيد حقيقي للمرأة اليمنية العفيفة.

فلنتأمل بدقة هذا التصوير القرآني لحالة تلك الملكة في قوله تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةً وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾[٦٧]. فكشفت عن ساقيها، صوّر ساقيها أنها كانت مغطاة بثيابها الطويلة التي تجرها خلفها وتستلزم الرفع للمرور على الماء، لا كما تقول الأساطير التوراتية أو غيرها أن ساقيها كانت مكسوة بالشعر، وأن كعبيها كعبا حمار، ثم الاستدراك السريع منها بالقول: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

عرفت حضارة اليمن ونساؤها العفةَ والاحتشام، وكانت من أهم ميزات هذه

الحضــارة والبلدة الطيبة، التي جرّمت وحرّمت البغاء والزنى والجنوح، وحضت على العفــة، وشرّعت التشريعات المختلفة في تجريم تلك الأفعال، وسنّت عقوبات مختلفة على عدم الاحتشام، حتى إن التشريعات الإسلامية في عقوبة الزنى بنيت على أساس من تلك القوانين والتشريعات اليمنية. فالرجم في الأساس هي عقوبة عنـد اليمنيين القدماء، كما ورد في بعضـ نصوص القوانين التشريعية في تجريم الزنى.

فمثـلاً النقشـ الموسوم بــCIH533، GL1054 يذكر اعتراف امــرأة بإقامة علاقة غير شرعية، وقدمت كفارة للإله ذي سماوي ليعفو عنها.. يقول النقش:

أ م ت/أ ب هـ/ت ن خ ي ت/و ت ن ذ ر

ن/ل ذ س م وي/ب ع ل/ب ي ن/ب

ن/ق ر ب هـ/م ر أ/ي و م/ث ل ث/

ح ج ت ن/و ه أ/ح ي ض/و م ش ي/و ل م/

ي غ ت س ل/و ع و د ت/م ر أ/و هـ

معنى النقش:

أمة أبيها اعترفت ونذرت (كفارة)

للإله ذي سماوي سيد أو إله (معبد) بين

لأجل قربها (جامعها) رجل يوم ثالث

الحجة (من أيام الحجة) وهي حائض وذهب

ولم يغتسل وعاودت رجل... (٦٨).

وكذلــك هناك عدة نقوش تذكر تحريم الزنى، والتحلل منها بتقديم كفارات للآلهة المعبودة، كنقش CIH523، وغيرها من النقوش.

ولذلك فهذه العفة إذا كان من دلالتها أنها استغفرت؛ لأنها كشفت عن ساقيها فقط فما فوقه أعظم، ولا يمكن اقترافه.

فكيف عرفت أن الله هو رب العالمين لتعتذر منه وتناجيه بالدعاء ليغفر لها إذا لم يكن قد دار حديثُ علم ومنطق بين الطرفين يستخدم كل طرف علمه وحجته (وأوتينا العلم من قبلها..)، أي أنها كانت صاحبة علم مسبق أيضًا بالرسالات السماوية.

فمن خلال بعض النقوش والوقائع، وكذلك الإشارات القرآنية، فقد كانت هناك رسل سماوية لليمنيين ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾[٦٩]. وكذا أسماء أنبياء مثل ذو الكفل، إليسع، إلياس/إلياسين، ومن قبلها هود وصالح، فهذه أسماء يمنية.

الروية والرزانة والتأني:

لما كانت ملكة سبأ قوية لشعب قوي، ودعاها نبي الله سليمان للإسلام؛ كان من الطبيعي أن يكون في نفسها شيء من عدم التصديق كعادة كل قوم مع الأنبياء، فضلاً أن تكون ملكة عظيمة ليس من السهل التسليم بالنبوة أو الملك لتصير تابعة لملك آخر، وتنهي مملكتها في أول أزمة عارضة أو غمضة عين مع امتلاكها كل أسباب القوة وزمام المبادرة والاستقلالية، وكان لا بد لسليمان أن يبين لها معجزة من المعجزات التي تبهرها وتجعلها تؤمن معه كعادة الأنبياء مع أقوامهم. فكانت معجزات سليمان الصرح العظيم، والإتيان بالعرش من أرض سبأ واستعراضه أمامها، وكذلك استعراض أبهة المُلك ومقوماته من الجن والإنس والطير والوحش والحيوانات، والبنايات الضخمة من القوارير وغيرها.

فالعرش هنا هو أحد أهم العناصر الأساسية في القصة، به تم الابتداء، وبه يتم الانتهاء، ويأتي بالترتيب الثاني بعد أمر ديانة الملكة، لذلك سنجد موضوع ديانة الملكة في كل منعطف في القصة والتركيز عليه، ثم يأتي العرش تاليًا.

وكان الحديث عن العرش محوريًا بين الشخصيتين الأساسيتين للقصة، سليمان وملكة سبأ، وجعل العرش أداة وركيزة الحوار، والوصول إلى الغاية النهائية، والحدث الملحمي وحبكته.

وهنا استخدم التنكير للعرش، وهو الاهتمام به، للوصول إلى عقلية وهدف الملكة وما وراء هذا الهدف، وهو الحجة والإقناع بالبرهان. ولو أن التنكير في العرش يعني تغيير معالمه وملامحه بقصد التضليل والإيهام لما اهتدت ملكة سبأ إلى معرفته، وهنا تفقد المعجزة معناها وخصوصيتها، ولكن التنكير هنا معناه التفقد والاهتمام بسبب نقله من مكانه البعيد لا بد أنه سيحدث به شيء من الخلل فأراد سليمان تفقده وإصلاحه بذلك اللفظ، كما في لغة بعض اليمن: ناكَرَه وتنكره بمعنى: اهتم به وتفقده.. كما هي في المعافرية القديمة، ولا شك أن لها امتدادات أخرى في عامة النقوش اليمنية قد تتكشف يومًا ما مع مواصلة الأبحاث الميدانية. ولذلك اهتدت إلى معرفته على الفور. صحيح أن إجابتها لم تكن بالجزم والتوكيد كأن تقول مثلاً: «إنه هو»، ولكن قالت بنوع من التشبيه والتماثل والتراخي وعدم الانبهار: «كأنه هو»، وهذا برأيي يعود إلى أن لغة السياسة المستعملة في الأساس لم تكن الجزم اليقيني، حتى لا تظهر انبهارها السريع بفعل وقدرة سليمان وملكه، فتظهر بمظهر الخاضعة الذليلة؛ فلغة السياسيين وتخاطبهم في الأشياء، منذ القدم وحتى اليوم، يغلب عليها عدم التوكيد، بل الإبقاء على بعض الإيهام في الأشياء كخط رجعة، وترك الباب مواربًا لمعلومات أخرى.

قد يقول قائل: سليمان -عليه السلام- كان متعمدًا التنكير الذي هو بمعنى التضليل الجزئي بدليل ﴿نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾﴾، وهنا يكون المعنى: تهتدي لمعرفة العرش، وهذا واضح من سياق الآية التي تتحدث عن العرش فقط، ولو كان للتضليل فسيصعب عليها التعرف على العرش، ولم يحقق

سليمان مبتغاه من الإعجاز والإبهار، أما الاهتداء للإسلام والتوحيد فكل ما قام به سليمان هو لاستعراض هذا الإعجاز والإبهار لإثبات نبوته وحملها على الإسلام دون إكراه، ولكن لو أراد التضليل لما سألها قطعًا، ولترك لها حرية المعرفة والبحث عن ماهية العرش، حيث كان التركيز على العرش منذ البداية بسبب تميز مُلكها به وعظمته، وبه بدأ الهدهد معلوماته الخبرية عن الملكة مستعظمًا عرشها وأبهة مُلْكِها (ولها عرش عظيم)، وربما دلالة انبهار الهدهد بالعرش واستعظامه أكبر مما عند سليمان، وإلا كان قال له عرش مماثل لعرشه مثلاً أو قريب منه، ولكنه وصفه بالعظمة، مما أثار فضول سليمان نفسه!

لقد كان لملكة سبأ مبنيان ومعبدان، أو لنقل قصر ومعبد، ولكن ما ورد في القصة كان التركيز على العرش كرمز للمُلك العظيم ولقصر المملكة الباهر، فهل هذا يعني أن أحد مبنيي سبأ سواء كان المعبد أو القصر غير موجود؟ أم إن العرش كان رمزًا للقصر وفعل العبادة للشمس كان رمزًا للمعبد (أوام)؟!

هنا يبرز سؤال آخر أيضًا: هل إن معبد أوام من تشييد ملكة سبأ حاولت أن تقلد به هيكل سليمان أو صرحه الذي رأته فبهرها به، ويمكن أن تكون أول إشارة لتاريخ بناء المعبد كون بانيه لم يعرف حتى اليوم، خاصة أن هناك نقوشًا كثيرة لملوك كثر وفترات زمنية مختلفة في المعبد ذاته؟ وما يدرينا أن الباحثين والمنقبين الأجانب لم ينهبوا ويصادروا أهم المعلومات التي يمكن أن تفيد الأجيال في دراسة المعبد، وغرض إنشائه، وتاريخه ومنشئه الأول، كما نهبوا غيرها من المعلومات التي لم تتضح إلا من خلال تسريب بعض النقوش والقطع الأثرية المنهوبة والمتميزة والنادرة والمعروضة في المزادات العلنية العالمية؟!

هنا يذكر جواد علي أن عرش ملكة سبأ أعظم أبهة وقدرًا من عرش سليمان.

وبما أن المؤرخين ذكروا أن أول مكرب وحاكم ظهر في أول النقوش اليمنية حتى الآن هو المكرب سمهعلي ينوف في القرن التاسع قبل الميلاد، وبه عرف

المكاربة أول الأمر، فإن هذا المكرب جاء في وقتٍ كان فيه معبد أوام قائمًا بذاته، وتذكر بعض النقوش أنه إنما قام بتسوير المعبد وأضاف نصبًا في داخله، وهذه إشارة مهمة إلى أن المعبد يعود تاريخه إلى ما قبله من الملوك أو المكاربة، كما فعل في زيادة سد «رحاب» مارب من مساقي وأنقاب، وهو الذي لم يكن من إنشائه أساسًا ونُسب إليه، فهل سنكتشف مع الزمن أن هذا المعبد كان من بناء ملكة سبأ خاصة وكل شيء هناك ينسب إليها باسمها الأسطوري غير المؤكد (بلقيس)، وكذلك يحمل كثيرًا من مواصفات صرح سليمان؟!

إذا كان هذا المعبد من بناء ملكة سبأ؛ فهل يعني أنها استعانت بعمال سليمان من الشياطين بعد اتباعها ديانته، وصارت بينهما علاقة وطيدة، بدليل أن القرآن الكريم أشار إلى وظائفهم الخاصة له ﴿ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ ﴾[٧٠]، خاصة وأن تلك العمدان الكبيرة المنصوبة في معبد أوام ومعبد برآن (عرش بلقيس اليوم)، وكذلك مسلات أكسوم، تعدُّ من العجائب الكبرى التي لا يقوى على نصبها إلا قوة خارقة أو جيوش من العمال المتعاضدين يقوي بعضهم بعضًا، ويؤازر بعضهم بعضًا، وبكثير من الإمكانات الدقيقة؟!

غير أن مسلات أكسوم يرجعها الباحثون إلى مراحل متأخرة جدًا عن ملكة سبأ؛ فهذه المسلات تعود إلى القرون الأولى من الميلاد، في حين تعود أعمدة أوام وبرآن (عرش بلقيس) إلى ما قبل القرن العاشر ق.م، وربما كانت مسلات أكسوم تقليدًا لأعمدة معبدي أوام وبرآن لا أكثر.

من يدقق في تلك الأعمدة، سواء من الحجارة البلقية العادية أو من المرمر الشفاف ستبهره تلك الدقة في القياسات، وكذلك الصقل المتميز مع عدم وجود أية آلات قطع أو قياسات دقيقة في تلك الحقب الزمنية، ومع ذلك تجدها متناهية الدقة والروعة والجمال حتى في زوايا قوائمها، وليس فقط في القياسات، وكيف تم تثبيتها من آلاف السنين وحتى اليوم دون أن تتأثر بالعوامل الطبيعية؟!

لـو لم يكـن العرش وصـرح ملكة سبأ غـير موجودين حتى عهدهـا لما ذكره الهدهـد لسليمان من ناحية، ولكان جـزءًا غائبًا في القصة؛ فالقصة ركزت منذ البدايـة على العرش، وهو كناية عن المُلـك العظيم، وهذا يبعدنا عن افتراض أن هـذا العرشـ والمعبـد والقصر من تشييد ملكـة سبأ، فضلاً عن أنـه يعود للقرن التاسـع قبل الميلاد، بل جاءت على عرش وقصر قائم بذاته من قبلها، مما يعني أن بنـاءه مـن قبل القـرن العاشر قبل الميـلاد، ولو كان من بنائهـا بعد اعتناقها اليهوديـة لوجدنـا اسمها وإشارات لدينها وأعمالها، كمـا هو حال ملوك آخرين، وهـذا يعطينا بعدًا تاريخيًـا وزمنيًا موغلاً في القدم، وأن هـذا المُلك تراكمي مع الزمـن حتى صار ذروته في عهد هذه الملكة بدليل قول أقوالها (الأقيال): ﴿ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾[٧١].

فمـن خلال تدوينـات وإشارات القـرآن الكريم لمعظم قصصـ الحضارات السابقـة والممالـك العظيمة لم يذكر قصصًـا مدوية ومفصلة لـكل الحضارات والممالـك كتلك القصص البارزة لبعضهـا، ويبدو أنها أهم الممالك عبر التاريخ، وهـي: عـاد إرم التـي تكـررت كثـيرًا في القـرآن الكـريم، وثمود، ومملكـة بابل (النمرود)، ومملكة الفراعنة، ومملكة سبأ.

صحيح أن هناك حضارات وممالك يمنية كانت قبل تلك المملكة، لكن لم يرد ذكر لقصص أخرى مدوية إلا إشارات عابرة في بعض المواضع. بل إن أعمدة سبأ تلـك يذهب بعضهم إلى استنتاج أنهـا إرم ذات العماد ذاتها، وأن السبئيين ربما ورثـوا تلك المملكة، خاصة وأنه لا توجد أيـة أعمدة ومسلات في الجزيرة العربية كلها غير أعمدة سبأ في مارب، مع وجود إشارة قرآنية أخرى لعاد أولى، مما يعني بالضـرورة وجود عـاد أخرى كقوله تعالـى: ﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ۝٥٠ ﴾[٧٢]، وسيظل هذا الأمر مبهمًا ومفتوحًا على كثير من الاحتمالات والتأويلات حتى يتم الكشـف عن دلائـل مادية ونقوش جديدة تؤكد أو تزيل كل تلك التخمينات، إلا أن

تكون تلك الإشارة بمعنى الأولى في تراتبية الإهلاك في سياق النص القرآني.

يذكر الأستاذ أدولف جرومان أن الحسن الهمداني في كتابه الإكليل في الجزء الثامن منه وصف تلك العروش بأنها قائمة إلى عهده، مما يعني أن دمارها وخرابها كان في العصور اللاحقة بعده، وهو من فعل الأئمة الذين ناصبوا العداء الشديد لكل تاريخ وحضارة اليمن. حيث يشتمل كتاب الإكليل للهمداني «على كثير من المعلومات الهامة التي لا يمكن الاستغناء عنها، وذلك لأن كثيرًا من المباني التي تعرض لها كانت ما زالت قائمة حتى وقت تأليف كتابه. فمعابد وقصور السبئيين والمعينيين كانت قائمة في ذلك العصر شاهدة على عظمة الماضي وقوة سلطان وجبروت إله بلاد العرب السعيدة. وكانت هذه الآثار للشعراء والعلماء آية العظمة، ورمز الحضارة البائدة التي كانوا يفخرون بالإشادة بها»(٧٣).

ملِكة أم مُكرِّبة؟

من المعلوم أن كبراء ومقدمي دولة سبأ ينقسمون، كما عند المؤرخين، إلى قسمين وعهدين مختلفين؛ القسم الأول: وهم المكارِبة، وهي المرحلة الأولى لمرحلة ما قبل الملوك، وتعني المقدم لدى الآلهة أو المقرب للآلهة، كما فسرها علماء النقوش والآثار، وهو زعيم ديني سياسي عشائري ثيوقراطي أو كهنوتي لدى الدولة(٧٤).

و«لقب مكرب المشتق من الفعل (ك ر ب) بمعنى: جمع، حشد، أي: المجَمِّع. وكان اللفظ يطلق على من يتولى رئاسة حلف قبلي يضم عدة شعوب (قبائل). وقد عد المكربون أنفسهم نوابًا للحاكم الفعلي، وهو إله القمر (المقه)، ويمثلونه على الأرض وسطاء بين الإله والشعب»(٧٥).

وفترة المكاربة سبقت مرحلة الملوك، وبهذه الصفة وردت في النقوش الأولى المكتشفة لدى مملكة سبأ، وتبدأ من أول نقش من النقوش المكتشفة حتى الآن

دون «سمــه علــي»، وحتى عهد كــرب إل وتار بن ذمار علــي، الذي تحول معه هذا المنصــب مــن مكرب إلى ملك في القــرن السابع قبل الميلاد، «وهــو أول من تلقب بلقب ملك»(٧٦).

فكثير من المؤرخين يذكرون أن كرب إل وتار كان أول ملك بعد فترة المكاربة، كمــا يقول جــواد علي: «ويعد (كــرب إيل وتر) خاتمة المكربــين وفاتحة الملوك في سبأ. افتتح حكمه وهو (مكرب) على سبأ، ثم بدا له فغير رأيه في اللقب، فطرحه ولقب نفسه (ملك سبأ). وسار من حكم بعده على سنته هذه، فلقب نفسه (ملك سبأ)»(٧٧).

ثمة تفسير عند جواد علي لهذا الأمر، فهو يذكر أن كرب إيل وتار بدأ حكمه مكربًا واختتمه ملــكًا. «لقد حصلنا على الكتابات القديمة الأولى وهو (مكرب)، فعلمنــا أنه تولى الحكم مكربًــا، ثم وجدنا له لقبًا آخر هو (ملــك سبأ)، فعرفنا أنه لقب جديد حل محل اللقب القديم، ثم وجدنا من جاء بعده يحمل هذا اللقب الجديــد، فصار (كرب إيل وتر) آخر مكــرب وأول ملك في سبأ في آن واحد»(٧٨). وقــد اتخــذ هذا اللقب الجديــد (الملك) بعــد القضاء على دولة معــين عام ٦١٠ ق.م(٧٩).

لكن يذكر نقش النصر في صرواح صفة كرب إل وتار بأنه مكرب وليس ملكًا، ففــي السطــر الأول من الفقرة الأولــى وصف نفسه بأنه «مكــرب سبأ»، ولم يورد صفة الملك، ويبدو أن لقب مكرب انتهى مع يثع أمر الثاني الذي جاء بعد كرب إيل وتار، كما يظهر اسمه من نقش النصر أنه كان رديفًا وقائدًا من قادات كرب إيل وتــار، ويبدو أنه تولى الملك بعده، وليس يثع أمر الأول الذي هو المكرب الثاني بعد أبيه سمهعلي ينوف، الذي ذهب إليه بعض المؤرخين.

وهذا التقسيم يبدأ عند ديتلف نيلسن من عند المكرب الأول سمهعلي ينوف، وهــو «اسم تبــدأ به سبعة حتى تسعة أجيال لمكربين. أمــا الأجيال الثابتة فقد بلغ

عددها ثمانية أجيال تقريبًا، وهي أجيال رجال الأديان القدماء الذين كان يطلق عليهم اسم مكرب لسبأ، ويعتقد أنهم شغلوا من تاريخ بلاد العرب الجنوبية ما يقرب من قرنين، ثم جاء بعدهم عصر الملوك المتقدمين»[٨٠].

ومن خلال التواريخ التي وضعها المؤرخون وعلماء الآثار نجد أنهم وضعوا تاريخ ٨٥٠ ق.م لأول مكرب مذكور وهو سمهعلي، وأول ملك هو كرب إيل وتار كان ٦٥٠ ق.م، أي: ٢٠٠ سنة، ومن خلال النقوش جمعوا بين هذين التاريخين حوالي ١٧ مكربًا، فهل هؤلاء الـ ١٧ مكربًا يملؤون المسافة الزمنية التاريخية ٢٠٠ عام، أم أن الفترة الزمنية تحتاج لأكثر من هذا العدد، وبالتالي وجود فجوة وحلقة مفقودة من بقية المكاربة أو الملوك؟!

يبدو أن المُلك ونظام الدولة في اليمن ورث النظام أو قلد نظام الحكم والمُلك عند بني إسرائيل، الذي يكون فيه النظام الديني هو الأعلى سلطة حتى على الملك نفسه، ثم يأتي الملك بالدرجة الثانية، والنبي هو في الدرجة الأولى وهو الذي يختار الملك ويعينه لقيادة هذا النظام، وهذا الأمر عكسه القرآن الكريم في قصة طالوت وما بعده، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾[٨١].

إذًا فالنبي هو من اختار الملك والحاكم، وأظن أن طبقات المُلك والحكم السبئي بين مكرب وملك جاء من هذا الباب.

واعتمد النظام الإيراني هذا التقسيم حديثًا، فعندهم الإمام هو السلطة الكهنوتية والدينية العليا، والرئيس هو مسير النظام السياسي للبلاد بإشراف الإمام، يختاره ويعيّنه الإمام.

لكن السؤال: هل كانت ملكة سبأ هي التي نقلت هذا النظام من مملكة بني إسرائيل إلى اليمن، وأن مرحلة المكاربة بدأت من عهدها أم من قبلها؟!

فالنبي سليمان، ومن قبله أبوه داوود، جمعا في الحكم بين النبوة والمُلك، فصارا هما أعلى سلطة الدولة الحاكمة، أما قبلهما فقد كان المَلِك تابعًا للسلطة الدينية (النبوة) الذي بدأ من عهد النبي موسى نفسه؛ إذ إن الله بعثه نبيًا، فاختار هو أخاه هارون وزيرًا بغرض تسيير المُلك الذي سيترتب بعد النبوة، أو يخلفه من بعده في شؤون الملك، وهو ما وضحته بعض الآيات: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤٢﴾[٨٢].

يحاول البعض أن يفسر نصوص النقوش كما لو كانت باللغة الإنجليزية أو الخط اللاتيني، ويفسر النص إما مُصَحَّفًا أو محرفًا، كما حاولوا تفسير «مُكرِّب» على أنه «مقرَّب»، وممن ذهب إلى هذا التفسير جواد علي[٨٣]، وهذا الأمر يناقض خصائص لغة المسند؛ فخط المسند يذكر الحروف صريحة فصيحة دون خلط أو تشابه أو تحريف أو تصحيف؛ فصوت الكاف هو الكاف الطبيعي في النقوش، والقاف له رسم خاص به وهو القاف الطبيعي، كما هو الضاد والظاء، أو الضاد والصاد، كما فسروا أن المدينة التي دمرها جيش كرب إل وتر في المعافر «ضبر» على أنها «صبر» الحالية، وهو أمر غير صحيح، وقد فندنا ذلك في بحثنا جبأ التاريخي، وأن «ضبر» هي الاسم القديم لمدينة «جبأ» فيما بعد.

وهناك العهد الثاني لمرحلة زعماء دولة سبأ وهي مرحلة الملوك، وبدأ العمل بها من عهد كرب إل وتر الذي جمع ما بين السلطتين الدينية والسياسية، وتلقب بالملك.

فنحــن نذهب إلى ترجيح أن هذه السلطة الدينية واللقب (مكرب) ربما بدأ بعد زيارة ملكة سبأ لسليمان واتباع الإسلام، خاصة وأن القرآن الكريم ذكر ملكة سبــأ بصفتها ملكة لا مكربــة، أو أن اللفظ «تملكهم» في الآيــة لفظ جامع للحكم والملــك على السواء، ففي مواضع أخــرى وصف ملوك اليمن بالتبابعة أيضًا جريًا على ألقاب ملوك اليمن، فقال: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ٢٣﴾[٨٤]؛ فالكهنــة -علــى مــا أظــن- لم يكونوا يتخذون العروش البسيطة، فضلا عن العروش العظيمة ومنها عرش ملكة سبأ!

فقــد كانت خدمة الكهنة في المعابد غالبًا، أو أنه قبل المُلك وقبل نظام الدولة والمُلْــك، وعليــه تكون تفســيرات تواريخ النقوش التــي ذهب إليهــا العلماء لفترة المكاربة ببداية الألف الأول قبل الميلاد غير صحيحة، فهي ذات تاريخ أقدم بكثير تعــود لبدايــات تكوين الدولة قبل التاريخ المذكور بزمن بعيــد، والدليل مُلْك ملكة سبأ التي قابلت النبي سليمان.

ومن خلال التقلبــات التاريخية اليمنية في الممالك فقد كان اللقب مضطربًا بحسب الفــترات والأسر الحاكمة للدولة السبئية، فتــارة نجده «مكربًا»، وأخرى «ملكًا»، وثالثة «تُبَّعًا»، ثم ما يلبث أن يعود من جديد إلى «ملك».

يمكــن القول: بدأ الأمــر بتسمية «ملك»، ثم تحول لاحقًــا إلى «مكرب» ليعود مجــددًا إلــى الصفة الأولى «ملك»، ثم إلى «تبع»، غــير أن «تبعًا» من خلال بعض النقوشــ اليمنية التي ذكرت هذه الصفة، ذكرتهم في الفترة المتأخرة من الدولة السبئيــة (بعد الميلاد) على أنهم زعماء دينيون وجدوا في عهد ملوك، ولم يكونوا هم الملوك للدولة، وذلك مثل النقش الموسوم (Ir:٢٦) المؤرخ بسنة معد كرب بن تبــع كرب في زمــن الملك نشأ كرب يأمن يهرحب ملك سبأ وذي ريدان[٨٥]؛ بمعنــى أن تبعًا هذا لم يكن ملكًا، وإنما كاهن ديني تعاصر مع ملك آخر، وربما كان لقب التبــع للملــك لاحقًــا في الفترة المتأخرة مــن مملكة سبأ وذي ريــدان التي تُعرف بالعصر الحميري.

ولو عدنا لاستعمالات اللفظ «كرب» كما يستعمل في لغة اليمنيين، فهو بمعنى: سعر النار، أوقد، و«مِكْريب»: موقد مشتعل، و«مُكَرِّب»: مُوقِد، فاعل كرّب. وكرّبت النفس: ضاقت واشتعلت. وفي نقش النصر يشير كرب إل وتار إلى هذه الوظيفة من إيقاد النار، فيقول: و هنر / بترح / و وهب / عثتر / وهوبس / خلفم...

فهل استخدم اللفظ كمنصب على سبيل المجاز أنه مشعل الحروب وحامي البلد، أو موقد النار كناية عن الهداية وتجميع الشعب حوله مثلًا؟ ويبدو أن طقوس إشعال النار للتحشيد كان عندهم نوعًا من أنواع الطقوس لهذا التجميع والتفاف الناس حول زعيمهم أو ملكهم، كما يُفهم من اللقب والنصوص.

وعُرفت فترة المكاربة بخط المحراث الحلزوني، كما يسميه جواد علي، وهي (كتابة السطر من اليمين إلى اليسار ومن اليسار إلى اليمين) دون غيرها من الفترات، ونجد في فترة الملوك مع كرب إل وتار انتظام الخط باتجاه واحد فقط من اليمين حتى نهاية السطر، ومن ثم العودة مجددًا من بداية السطر يمينًا كما هو حال الخط العربي؛ أي إن كرب إل وتار أحدث إصلاحات وتغييرات جذرية مختلفة ليس فقط في نظام الملك والحكم، بل حتى في الإطار الثقافي والأبجدية.

واللقبان (مكرب وتُبَّع) لا نجدهما إلا في الممالك اليمنية فقط، كما يمكن أن يوجد اللقب «إل» الذي يسبق كثيرًا من أسماء الملوك، أو يكون الاسم مركبًا من «إل» والاسم بعده أو قبله مثل الأول «إل شرح»، ومثال الثاني «شرحب إل/ شرحبئل». ومع أن «إل» بمعنى (الإله) أو (الله)، كما عند بعض العلماء، فتكون تركيبة الاسم كما في العهد الإسلامي مثلاً «عبدالله» و«عبدالإله».

وبالعودة إلى الإجابة على هذا السؤال من خلال التوضيح السابق، فإن لفظ ودلالة الآية الأولى في قول الهدهد (إني وجدت امرأة تملكهم)، أي: ملكة عليهم، بهذه الصيغة وليس بصيغة غيرها، ومن هنا نستنتج أنها كانت ملكة لا مكربة، وهذا يفتح أبوابًا واسعة من الاستنتاجات والتساؤلات الكبيرة أيضًا، أهمها:

- بحسب تقسيمات علماء الآثار والتاريخ لفترات المكاربة والملوك بعد القرن العاشر قبل الميلاد، فهل هذا يأتي بعد ملكة سبأ أم أنه سيعيد الأمر لما قبلها وبذلك تكون تواريخ تلك النقوش متقدمة للألف الثاني قبل الميلاد ما قبل ملكة سبأ، وأن التواريخ التي حددوها بعدها ستكون غير صحيحة؟!

- إذا كانت كل النقوش المكتشفة إلى اليوم بعد ملكة سبأ؛ فلماذا خلت كلها من أية إشارة للديانة اليهودية التي اعتنقتها الملكة بعد لقائها سليمان؟ أم أن هذه النقوش حقيقةً تعود لما قبل الملكة؟

- هل يمكن إعادة قراءة التاريخ اليمني من جديد في حال كانت هذه النتيجة هي الأساس؟

الإجابة على هذه التساؤلات ستفتح مجالات واسعة لإعادة صياغة التاريخ اليمني من جديد بغير المنهج الذي سار عليه المؤرخون السابقون، وتغيير فتراتها.

في الحقيقة لدي رؤية واستنباطات أخرى في هذا الصدد من خلال المشاهدة النظرية على النقوش مقارنة بتلك التواريخ التي حددها العلماء والباحثون، وبحسب نتائجهم أيضًا، لكن من خلال الغوص فيها.

فمثلاً هناك نقوش تراها في الصخر الأسود وكأنها محفورة منذ عهد جديد لا يتعدى سنين عددًا، يرجعها الباحثون إلى ما دون ثلاثة آلاف عام (٨٠٠، ٦٠٠ ق.م)، في حين هناك نقوش أخرى حفرت في صخور سوداء وصماء صارت من أصل لون الصخر وبعضها لا يكاد يقرؤها الباحثون من الطمس وعتاقة اللون يعيدها البعض إلى ٤٠٠، ٢٠٠ ق.م أو ب.م!!

وأجد هذا المنطق غريبًا، وحجتهم في ذلك فحص الإشعاع الكربوني، فهل هذا الإشعاع الكربوني لا يخطئ أبدًا، وما مدى دقته الفعلية في تحديد الزمن؟! (ينظر الصورتان في الملاحق رقم١-٢).

كما أن الأسماء المحددة في بعض النقوش هي من يعتمد عليها الباحثون في تحديد بعض الأزمنة، غير أن هذه الطريقة أيضًا قائمة على الظن التقريبي وليس على سبيل القطع اليقيني، والدليل على ذلك تخبط علماء الآثار والمؤرخين في تحديد قوائم مكاربة وملوك الدول (سبئية، معينية، قتبانية، حميرية، حضرمية).

ثمة ملاحظة يمكن أن نلاحظها للمقارنة بين نصوص موغلة في القدم ونصوص متأخرة؛ نجد في النصوص القديمة الأسماء والألفاظ شديدة الغرابة والثقل السمعي، والأسماء المركبة تركيبًا ثلاثيًا وأحيانًا رباعيًا (يثع أمر بين) أو (كرب إل وتر يهنعم)، (علهان نهفان)، (يهقبضن...إلخ، (ر ع ظ) بمعنى: أمر، تكون ثقيلة على النطق عصية على الفهم، لا يفهمها الدارسون إلا بعد عناء شديد من البحث والتأمل، فضلاً عن الطلبة المبتدئين، في حين نجد النصوص المتأخرة ما قبل الإسلام مثلاً، أو ما بعد القرن الثاني للميلاد أقل تعقيدًا وثقلاً، وهي سهلة وميسرة إلى حد ما وأخف من سابقاتها، وهذا يقودنا إلى القول بألا يقين ولا جزم بالتواريخ التي وضعها العلماء لأزمنة وتواريخ تلك النصوص، وقد تأتي دراسات قادمة من واقع نصوص جديدة مكتشفة تعيد صياغة التاريخ مجددًا، وتقلب مسلماته رأسًا على عقب.

دخول الديانة اليهودية اليمن:

من خلال نتائج هذه القصة والزيارة، وما دار من حديث بين ملكة سبأ وسليمان، تتضح الرؤية للجميع أنه صار هناك تحول في العقيدة والديانة ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾[٨٦]، ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾﴾[٨٧]، وهذه إذن حبكة القصة الحقيقية ونتيجتها (الإسلام لله، واتباع الديانة الجديدة)، وبهذا المتغير والتحول تحولت الحياة الثقافية في مملكة سبأ حسب المتغير الجديد.

وحـين أسلمت ملكة سبـأ لم تظل في نفس المكان كتابعـة لسليمان، بل عادت إلـى أرض الوطن لحكمه بالدين الجديد والعهـد الجديد، عهد التحول الجديد، وعـدم المكوث هناك، وهذا الأمر يقودنا إلى عدم تزوج سليمان بها عكس ما رواه الإخباريون.

نستطيـع القول إنه من هذه المحطة الأولى دخلت اليهودية اليمن كأول دخول رسمـي لهـا... يعنـي كان عندها علـم بالديانـات التوحيدية عن طريـق التجار والذهـاب لمعرفة ذلك... وبعد القضاء على مملكتي بني إسرائيل بعد سليمان في الوطـن الأم «وتخريـب بيت المقدس سنة ٥٨٦ ق.م على يـد بختنصر»[٨٨] ومكان الديانـة الأم، انتهـت الديانة اليهودية في اليمن كديانـة رسمية، وبقيت كديانات فردية لبعض أتباعها فقط.

وبعض هؤلاء الإسرائيليين هاجروا بديانتهم من إسرائيل إلى اليمن للنجاة بأنفسهـم من البطش والأسر البابلـي باتجاه سبأ، كونها صارت لهم بها علاقات روحيـة من خلال رابط الدين الذي جاء مع ملكة سبـأ، مما يعني تعزيز الديانة اليهودية في اليمن.

غـير أننا من خلال نقوش ما بعد ملكة سبـأ، والتي عرفت بمرحلة المكاربة، لم نجـد أية إشارات لهذه الديانة في تلك النقوش كما وجدناها مثلاً في المرحلة المتأخـرة بعد الميـلاد، في العهد الحميري، أو في عصر مملكـة سبأ وذي ريدان، كذكـر الرحمـن إله السمـاوات والأرض، وهذا لا يعنـي إلا أمرًا واحـدًا وهو أن فـترة المكاربـة كانت قبل ملكة سبـأ واعتناقهـا اليهودية؛ لأنه لم تـرد أية إشارة لتلـك الديانة في نصوص ونقوش تلك الفترة، على الأقـل بعض الإشارات كبقايا للديانـة اليهوديـة، كما هو الحال في الفترة المتأخـرة لدولة سبأ قبل الإسلام من مصطلحـات دينية وغيرها، مما يحتم مراجعـة التاريخ اليمني لتأصيل أحداثها مجـددًا، أو كان اعتناقها لليهودية بشكل فـردي ولم يعتنقها الشعب معها، لذلك

لم ترد لها إشارات في النقوش. لكن الأمر الراجح يبدو أن فترة المكاربة والنقوش والاكتشافات السبئية الحالية لما قبل الميلاد هي قبل حكم هذه الملكة وزيارتها سليمان، وهذا يتطلب قراءة التاريخ من جديد.

علمًا أنه لا توجد أية أدلة من نقوش على أن هذا الملك تهوَّد أو أدخل اليهودية إلى اليمن إلا من خلال الروايات العربية، مع أن نقوشه وابنه شرحبئيل يعفر تخلو من أية إشارات يهودية، وربما كانا يدينان بدين الحنفية التوحيدي، على الرغم من أنهما تقربا إلى إله دعوه بالرحمن رب السماء والأرض(٨٩)، وهذه الفترة سميت بالفترة الحميرية.

لكن النتيجة والسؤال الأهم: متى تحولت المملكة عن اليهودية للمرة الأولى بعد ملكة سبأ والعودة إلى عبادة الكواكب والنجوم السابقة لعهد ملكة سبأ؟!

فمن خلال التاريخ السبئي المتأخر، الذي سمي بعصر الحميريين، نجد أن هناك نقوشًا لملك واحد، مرة تذكر فعله وإنجازاته قبل تحول ديانته من عبادة الكواكب إلى عبادة رحمن ذي سماوي، ومرة تذكر إنجازاته بعد ذلك التحول العقدي في حياته، ونجد في النقش الأول يذكر أنه قام بعمل معين بعون ورداء الآلهة المقه، وفي النقش التالي يذكر أنه قام بإنجاز عمله بعون ورداء إلهن ذي سمين وأرضن، وهذا الأمر يدل على أن الفجوة التاريخية هنا منعدمة ومردومة، وليس كما في المرحلة السبئية الأولى التي نجد من خلالها الكثير من الفجوات.

فمثلاً نقش شرحبئيل يعفر المرموز له بـ (CIH554) لم يذكر إله السموات، وكان فيه نقص... ولا أية آلهة أخرى، في حين ذكر النقش الأخير لشرحبئيل نفسه والمرموز له بـ (B.Gar Sharahbil A) يذكر إله السموات والأرض، وهذا يعني تحولاً عقائديًا في عهده، وذلك في عام ٤٥٧م.

تبدو هذه فجوة كبيرة من ضمن الفجوات التاريخية اليمنية التي يتم القفز على مراحلها المختلفة، ستبينها اكتشافات أثرية من نقوش ولقًى أخرى مستقبلاً.

وإذا كانـت الأحـداث المنسوبـة إلـى ذي نواس باضطهـاد مسيحيي نجران لإعادتهـم من المسيحية إلى اليهودية، فإن النقوش اليمنية لم تدون أساسًا وجود ديانــة مسيحية ليضطهدهــم ذو نواس، أو مسروق، ويقضـي عليهم، وهذا أيضًا من ضمــن الفجوات التاريخية اليمنية. مع أن بعض الأحداث والتواريخ تتحدث عــن وجود كنائس مسيحية في كل من نجران وظفار وماوية، قبل دخول الأحباش بطبيعة الحــال، ولدي بشكل خاص دليل مادي من مجسم مسيحي لمريم العذراء وابنها المسيح من منتصف القرن الأول الميلادي (انظر الصورة رقم٣)، بحسب دراســة له مــن قبل المعهد الألمــاني بصنعاء، يدل على هــذا التواجد المسيحي في تعــز قبل الإسلام، لكن لا توجد ألفاظ دينية مسيحية في النقوش كما وجدت عن اليهوديــة. ولكن قد يكــون هذا المجسم جاء عن طريق التجــارة إلى ذلك المكان، وليس بالضرورة صنع فيه.

توجــد بعض الإشارات من كتابــات خفيفة لوجود المسيحيــة في اليمن، ومن هــذه الإشــارات «إرسال الإمبراطـور البيزنطي عــام (٣٥٤م) تقريبًــا الراهب تيفيلوســ الهندي من جزيرة سقطرى للتفاوض مع الحميريين في مهمة ظاهرها حرية العبادة للنصارى الروم القاطنين في اليمن، وحقيقتها ضمان حسن معاملة اليمنيــين للتجار البيزنطيين، واتخاذ موقف محايد بين بيزنطة والفرس، غير أن المهمــة فشلت لأن الأمراء الحميريين كانوا يــرون أن بيزنطة تساند الحبشة عدو الحميريين التقليديين»[٩٠].

هناك دليل آخر على وجود المسيحية في تعز قبل الإسلام، وهو إشارة الصليب علــى بوابة قلعة القاهرة في المدينة، والتي كانــت تسمى قديمًا «حصن تعز»، وهو من استحداثات الأحباش بعد الغزو، فقد كانت طرق تعز ممرات لذلك الغزو من موانئ البحر الأحمر كالمخاء وذو باب وموزع (الصورة رقم٤).

دفن ملكة سبأ والملوك:

أيــن دفنت ملكة سبــأ؟ لا توجد أية إشارة أو دلالــة جازمة حتى اليوم بمكان دفنهــا ودفن كثير من الملــوك قبلها أو بعدها، أو تخصيصــ مقابر وترب خاصة بالملــوك، كما في مصر مثلاً، ولذلــك يعدُّ الكشف عن مكان دفنها، أو دفن الملوك الآخرين، مهمة شاقة للباحثين.

يتبــادر إلــى الذهن أنــه مــا دام الأثيوبيون هــم الوحيدون الذيــن يذكرون الملكــة ومكان دفنها، ويعظمون قبرها، ويقولــون إنها مدفونة عندهم، في حين أن اليمنيين لا يكادون يعرفون أين دفنت، فلا أستبعد ذلك كنوع من أنواع الاستنتاج والفرضيــة لا الجــزم اليقيني، فقد كانت مملكة سبأ تمتــد إلى أكسوم في أثيوبيا وتنزانيــا وغيرها، ولو أنهم يقيمون لذلك ضريحًــا رمزيًا بعكس اليمنيين، ويبدو أنهــا سافرت في عهدها الأخير لزيارة الطرف الآخر من مملكتها فتوفيت هناك وتم دفنهــا في الحبشة، وصار متواترًا بعدهــا ومعلومًا مكان الدفن، مع أنهم بنوا اعتقادهم في أنها ملكتهم على الروايات والأساطير الإسرائيلية، وكل هذه الأمور تبقــى مؤقتــة حتى يتم الكشــف الأثري عنها علــى أساس مــن النصوص واللقى الأثرية الأخرى الدالة عليها.

فاليمنيــون -مــع إجماعهــم واهتمامهــم بأنها ملكتهــم ومنهــم وإليهم- لا يتداولــون البتة مكان قبرها ودفنها كما يفعل الأثيوبيون! فهم لا يجازفون بالقول عــن مكان دفنها حتى لا تتعرض تربتها وتربة الملــوك للنبش والتخريب بحثًا عن الكنوز للنهب والبيع وتدمير حضارة اليمن، فضلاً عن جهلهم بمكان دفنها أيضًا.

وقد استغرب جرومــان من أن اليمنيين -كما اهتموا بالعمران فوق الأرض- لم يهتموا بالمقابر والدفن كما فعل فراعنة مصر.

يقول الأستاذ أدولف جرومان: «من الغريب حقًا كيف أن شعبًا يبذل مجهودًا

عظيمًا في سبيل تشييد المعابد والأبراج ووسائل الري المختلفة، ولا يبدي مثل هذه العنايـة في سبيل المقابر. ففن البناء العربـي الجنوبي القائم على البساطة ترك هنا أثـره أيضًا، فالمقابر مختلفـة، وعملية الدفن مختلفة أيضًـا إذا كان المتوفى يُـوارى في تابوت قائـم زوايا الأركان ومـن الحجر وعليه غطـاء. وغالبًا ما نجد عددًا من المقابر في صعيد واحد»[٩١].

لا شـك أن الملوك مـن بعدها، المتصلون لها بالنسـب والقرابة إن لم تتزوج، أو أبناؤهـا وأحفادها (لـو تزوجت)، قد أقاموا لها قبرًا عظيمًا ومعظمًا كما عند الفراعنة، خاصة وأنهم عرفوا التحنيط قبل الفراعنة وبدقة وأكثر مهارة منهم، أو علـى الأقل قلدوهم في قبوريتهـم. ومن هنا لو تم الكشف عن مقابر ملوك سبأ لـكان كشفًا عظيمًا يضاهي مقبرة الملـوك الفراعنة، وقد تكون تلك القبور أسفل معبد أوام نفسه بحيث إنه صمم كمعبد ومدفن في ذات الوقت، وهو ما دأبت عليه بعضـ الجماعات كالصوفيـة مثلاً، وقد يكون لعادتهم تلـك أصل من حضارة أو تقليد قديم، خاصة وأنه يسمى بالحرم.

لقـد كان السبئيون -ملوكًا وشعوبًا- من أكثر الشعوب والدول اليمنية تدوينًا لأحداثهـم، سواء كانت كبيرة أو صغـيرة، ولا شك أن حدثَ تهديدٍ خارجي لدولة سبأ كالذي فعله النبي/الملك سليمان تجاه دولة سبأ لم يكن حدثًا عابرًا ولا خطرًا بسيطًا ليمر دون تدوين، وكذلك زيارة الملكة لهذا النبي الملك، وضرب أكباد الإبل شهورًا بمواكب ضخمة لتصل تلك المواكب إليه في الشام، وما ترتب من نتائج عن تلك الزيارة من تحول تاريخي ضخم بأن قلب ديانة ومعتقدات المملكة رأسًا على عقـب ليصير تبعًا للديانة اليهودية، وبالتالي فإننـا لن نكون مستقبلاً أمام نقش أو نقشـين أو بضعة نقوش تتحدث عـن هذه الحوادث كلها والتحول التاريخي، بل سنجـد عشرات إن لم تكن مئات النقوش، بانتظـار الكشف عنها، وما ستثري به المعرفة الإنسانية من معلومات ليس لليمن وحسب، بل للعالم أجمع.

ملكة سبأ وعلاقتها بالحبشة:

يتـداول الأثيوبيون أن ملكة سبأ ومملكتها إنما كانت عندهم في أثيوبيا، وهي مـن أسست مملكة أكسوم، كمـا في أساطيرهم الشعبية، ويعتقدون أن هذه الملكة حينمـا زارت سليمان في الشـام تزوجها، وأنجبت منه ولـدًا اسمه «منليك»، ولما توفيت دفنت عندهم[٩٢].

اعتمـد الأثيوبيـون في الأسـاس على ورود زيـارة ملكة سبأ في التـوراة بأنها من كوش، وكوش تعني الأحباش، «ففي الآية السابعة مـن الإصحاح العاشر من التكوين، وفي الآية التاسعة من الإصحاح الأول من أخبار الأيام الأول: أن (شبا) مـن (كوش بن حام)، فهم مـن الكوشيين، أي: من الحاميين، على حين أننا نرى في الآية الثامنة والعشرين من الإصحاح العاشر من التكوين أنهم من الساميين، وبين الحاميين والساميين فرق كبير كما هو معلوم»[٩٣].

يبـدو أن الأثيوبيـين اعتمدوا على رواية المـؤرخ اليهـودي (يوسفوس) الذي يذهـب إلى «أن هذه الملكة كانت ملكة (أثيوبيا) الحبشة ومصر، زاعمًا أن Sapa عاصمة الأحباش، وأن اسم هذه الملكة Naukalis.

ونجـد زعم (يوسفوس) هـذا شائعًا فاشيًا بين أهـل الحبشة، فهم يذهبون حتـى اليـوم إلـى أن أسرتهم المالكة هـي سلالة سليمـان وزوجه ملكـة (شبا)، ويدعونها (ماقدة) Makeda»[٩٤].

«ويـرى علمـاء التـوراة أن ذكـر (شبـا) و(سبـا) تـارة في الكوشيـين أي: الحاميـين، وتارة أخـرى في اليقطانيين، أو في اليقشانيين، هـو تعبير وكناية عن انتشار السبئيين، ونزوح قسم منهم إلى السواحل الأفريقية المقابلة، حيث سكنوا فيهـا، وكونـوا مستوطنات بها في أرتيريـا وفي الحبشة وفي أماكـن أخرى، ولهذا ميزتهـم التـوراة عن بقيـة السبئيين المقيمـين في العربية الجنوبيـة بجعلهم من

أبناء (كوش)، وميّزت السبئيين المختلطين بقبائل (يقشان) برجع نسبهم إلى (يقشان)، وبذلك صار السبئيون ثلاث فرق بحسب رواية التوراة لانتشارهم، وإقامة جماعات منهم في مواضع غريبة عن مواضعهم، وذلك قبل الميلاد بالطبع بمئات السنين»[٩٥].

يتحدث لينكولوس رودوكانا كيس عن تأسيس دولة أكسوم بالقول: «من الجدير بالملاحظة أنه قامت في ذلك الوقت ثقافة عربية جنوبية، وانتشرت اللغة العربية الجنوبية [يقصد لغة المسند اليمنية] في الجزء الأفريقي الذي عرف فيما بعد ببلاد الحبشة، وهكذا نرى الدول العربية الجنوبية تشق طريقها إلى أفريقيا، وتؤسس وطنًا جديدًا»[٩٦].

وهذه «الدولة الأفريقية التي نشأت أصلاً من جاليات يمنية نجحت مع توالي الزمن وقوتها في تأسيس هذه الدولة الأفريقية التي اضطرت إلى إقامة حاميات عسكرية على الشاطئ العربي المطل على البحر الأحمر للدفاع عن أملاكها الخارجية»[٩٧].

فالحضارة الأثيوبية فرع من الحضارة العربية الجنوبية؛ لأن الحبشة استوطنها مهاجرون من الساحل اليمني[٩٨].

كانت أبرز القبائل التي هاجرت إلى الحبشة في القرن الخامس قبل الميلاد هي حبشت والأجاعز، والمهرة وسحرت، واستطاعت هذه القبائل اليمنية المهاجرة أن تتفوق على أصحاب البلاد من القبائل المحلية الحامية والأفريقية نتيجة لتفوقها الحضاري عليها، وأن تبسط عن طريق نفوذها الاقتصادي سلطانها السياسي والثقافي على الحبشة، وكان لهذه القبائل اليمنية الدور الكبير في تأسيس وتكوين دولة أكسوم[٩٩].

في حقيقة الأمر لم تكن هجرة تلك القبائل هي الأولى من نوعها، فقد سبقتها

قبائل أخـرى معافرية وأوسانية وسبئية في قرون سابقـة للعمل في التجارة، ربما في القرن العاشر قبل الميلاد، توالت تلك الهجرات الطوعية التجارية أو التوسعية حتـى جاءت موجـة هجرة كبيرة أخرى مـن المعافريـين والأوسانيين لحقت بمن سبقهـا فرارًا من بطش وتنكيـل الدولة السبئية بقيادة كـرب إل وتار حينما غزا المعافـر وأسقـط دولة أوسان، حتى إن بعض قبائل المعافـر كونت لها مدنًا محلية في الحبشـة، وكانت القبائـل المتأخرة لاحقة بها. فالأوسانيـون الذين نزحوا إلى الحبشـة كان لهم تواجد وتأثـير كبير في الحبشة، وقد ظلـت السواحل الحبشية تسمـى بالسواحل الأوسانية حتى القرن الأول بعد الميلاد، وقد ذكر هذا الأمر في كتاب (الطواف حول البحر الإرتيري).

ويذكـر مطهر الإريـاني أن (أكسوم) مـن قبائل كسمة في ريمـة؛ إذ لا تأتي صيغة هذا الجمع وتحديدًا هذا اللفظ إلا في اليمن من مفرد كُسمة[١٠٠].

وهنـاك أسماء يمنية معروفة بهذا اللفظ (كسم) وتجمع على (أكسوم)، كما في نقش CIH443 الذي يقول:

ن ف س/ك س م/ب ن/د

ك ع/و ح و ل م/و ل ي

ي ق م ع ن/ع ث ت ر/ش ر ق ن

ذ ي ش أ ن هـ و[١٠١].

المعنى:

هـذا نصب كسم بن دكع وحولم، والدعاء للإلـه عثتر بقمع، وإصابة كل من يتعرض له بسوء..

مثلـت اليمـن قنطرة عبور بـين أفريقيـا والهند إلـى آسيا والبـلاد والدول

والإمبراطوريات الواقعة على البحر المتوسط، متحكمة بالطرق التجارية العالمية، وكانت وظيفتها ليس فقط أشبه بوكيل حصري لتجارة آسيا وأفريقيا والهند، بل المتحكمــة بالسوق التجارية العالمية، مما جعلها أغنى البلاد العالمية يومها، الأمر الــذي أدى إلى طمع مختلــف الإمبراطوريات وتهافتها علــى اليمن. وبسبب ذلك التحكــم والغنى الفاحش الثراء، عملت الدول اليمنيــة المختلفة، وخاصة المعينية والسبئية، على إنشاء المحطات التجارية، وهي عبارة عن مدن متفرقة بين جنوب الجزيــرة وحتــى شمالها؛ لحمايــة تلك التجــارة، وإيواء القوافــل وتزويدها بكل مــا تحتاجه من مؤن وغيرها، وهــذا ما دونه القرآن الكــريم أيضًا، وكشفت عنه النقوش القديمــة. ومما جاء في القــرآن الكريم في ذلك قولــه تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾﴾[١٠٢]. وظاهرة هنا بمعنى قوية وآمنة ومنتصرة بدليــل التوضيح نهايــة الآية (سيروا فيها ليالي وأيامًا آمنــين). فالقُرى المباركة هي الشام وبيت المقدس كما في كل كتب التفاسير؛ أي في شمال الجزيرة العربية.

مــن تلك القــرى والمدن التــي أنشأتها الــدول اليمنية كمحطــات تجارية، أو تحالفــت معها كمستوطنات محلية: معــان الشمال التي تسمى أحيانًا معين مصر في خليــج العقبة، وكذلك مدينــة الفاو عاصمة مملكة كنــدة فيما بعد اضطراب وضعــف الدول اليمنية، وكذلــك ددان العلا، والفاو، وغيرها من المدن التي كانت مسير مرحلة يوم، لكن الأشهر منها، والتي صارت ممالك مستقلة فيما بعد، هي المدن المذكورة آنفًا.

هــذه كانت شمالاً، وكانت هناك مدن شرقًــا استلزمت قيام دولة حضرموت فيما بعد، وكذلك قتبان وأوسان، ومن مدنها الشحر ومهرة وظفار كذلك.

أمــا غربًــا، ومن لــوازم تلك التجــارة وتقوية الدولــة، فقد أسســت مدنًا في الحبشــة قبــل أكســوم في عدوليا وحيــا وغيرهمــا، ويظهر ذلك جليًــا من خلال النقوش السبئية في الحبشة والصومال وغيرهما.

لم يثبِّــت الأحباش قصة ملكة سبــأ فقط في تاريخهم معتمدين على التوراة، بــل إنهم أخــذوا حتى اسم بلدهم منها، فقبلاً كانــت تسمى بلاد الحبشة، وبلاد كوشــ، أو بلاد الــزنج، ولما وجدوا إشــارات، سواء في بعضــ النصوص التوراتية أو الكتابــات اليونانية تقــول إن بلاد كوش في أرض أثيوبيــا، اعتمدوا هذا الاسم الأخير.

«وحينمــا تحــررت الحبشــة مــن الاحتــلال الإيطــالي عــام ١٩٤١م أصدر الإمبراطــور هيلا سيلاسي مرسومًا باعتماد هذا الاســم [أثيوبيا] بشكل رسمي للبلاد»(١٠٣).

ومع هجرة اليمنيين الأوائل إلى الحبشة ما قبل دولة أكسوم حمل المهاجرون معهم حنينهم لبلادهم، وهناك أطلقوا العديد من المسميات على مناطق ومظاهر الحيــاة في الحبشــة، ولا شــك أنهم حملــوا معهم ثقافتهــم التراثيــة والشعبية، وقصصهــم ومنها قصة ملكة سبأ، وحينما يقول الأثيوبيــون اليوم بأنها أمهم أو جدتهم فلا غرابة في ذلك؛ فهم جزء من بقايا ذلك الأمر والتراث.

فبعض الأسماء ما تزال قائمة حتى اليوم في الحبشة، والبعض منها بصورة محرفــة قليلاً، فمثــلاً: أسب=عصب، وهي من موانئ الحبشــة، عبارة عن اسم محرف لكلمة سبأ، وهو اسم قد كتب عدة مرات على كتابات الجغرافيين اليونان، أن تسميــة ذلك المينــاء باسم سبت أو سبأ في جنوب بــلاد العرب يذكرنا بالموقع الذي هبط فيه المهاجرون والقبائل المهنية التي كانت تستخدمها(١٠٤).

وفي إقليم تجراي منطقة تعرف باسم ساهارات، ونفس الاسم سهرتان (س ه ر ت= ســ ه ر ت م) يتكــرر عدة مرات في النقوش اليمنيــة القديمة، وهي اسم المنطقــة التي يحدها من الشمــال وادي بيش، ومن الجنــوب وادي مور في تهامة اليمن(١٠٥).

وبالقرب من سهرتان في تجراي، توجد منطقة أخرى كانت لها أهميتها فيما مضى، تعرف باسم هاوزين، وهي تذكرنا بهوازن لدى الهمداني و(هـ و ز ن) المذكورة في نقش CIH343/7 (أرض/ هـ و ز ن)، وهي التي تحمل نفس الاسم اليوم في جبل حراز. وكذلك أطلق المستوطنون الجدد في الحبشة اسم مرب على نهر هناك نسبة إلى سد مارب المعروف[١٠٦].

وكما كانت الأسماء اليمنية منتشرة في الحبشة عاد بعضها من الحبشة إلى اليمن؛ فلفظ (تعز) يمني انتشر في الحبشة، لكن مع احتلال الحبشة لليمن الاحتلال الأول أعادوا ترميم حصن تعز، واستحدثوا فيه بعض الاستحداثات في قمته، وجعلوا إشارة الصليب فوق بوابته العليا.

وهذا الاسم كان يطلق على منطقة في الحبشة سابقًا أرتيريا اليوم «تعزية» Ta›izziya التي استوطنها اليمنيون قديمًا، ومع الاحتلال الحبشي لليمن ودخولهم من المخا كانت تعز منطلقًا وبوابة عبور إلى ظفار، فاستوطنوا الحصن القتباني (تعز/القاهرة)، وأعادوا ترميه وأضافوا إليه.

و«خلال عام ١٩٦١ وحتى ١٩٦٣ أجرى كل من (أنفاري وأنكوين) حفريات أثرية في الهضبة الحبشية جنوب تجري في قرية مطر، وعثروا على نقش JE2825 = RIEA61. وفي عام ١٩٦٥ قام ر. شينايدر R. Schneider بترجمة النص دون أن يتنبه إلى اسم العلم (س م هـ ع ل ي)، وهو نص مكتوب بالحرف واللغة السبئية، وعلى طريقة خط المحراث (strophedon)، أي البدء بالكتابة من اليمين إلى اليسار، ثم العودة من اليسار إلى اليمين حتى نهاية النقش»[١٠٧].

وفي عام ١٩٧٦م نشر (Wissmann H. von) كتابًا تناول فيه النقش بالدراسة والتحليل، خلص فيه إلى أن اسم العلم المذكور في هذا النقش هو نفسه اسم المكرب السبئي المشهور:

سمه علي ينوف بن ذمار علي، الذي حكم حوالي ٥٤٥ ق.م، ولأهمية النقش

سنورد فيما يلي النصَّ وترجمته.

RIEA61 =JE2825

ث ر س م م/ و ر.. ث/.. ع ث ت ر/ و ب

أ ل م ق هـ / و ب ذ ت ح م ي م / و ب ذ ت ب ع د ن/

و ب/ س م هـ ع ل ي / و ب / ل م ن/ أ م ر أ هـ..

الترجمة:

يصعب قراءة السطر الأول غير أن ذكر الإله عثتر ثم

الإله ألمقه في السطر الثاني، يذكرنا بخواتيم النقوش اليمنية القديمة.

السطر الثاني: ألمقه وبذات حميم وبذات بعدان وب سمه علي وبلمن، أمرأهم..

وقد خلص فون فيسمان بأن الهضبة الحبشية في القرن السادس ق.م كانت خاضعة للدولة السبئية، وعاصمتها مارب(١٠٨).

ولكننا هنا نخالف هذا الاستنتاج الذي ذهب إليه فيسمان من أن سمهعلي ينوف كان في القرن السادس ق.م؛ لأن هذا النوع من الخطوط والاستعمال كان في المرحلة الأولى المبكرة في عهد المكاربة فقط، وترد صفته في كل النقوش على أنه مكربًا وليس ملكًا؛ كون هذا النمط من الخط تغير في مرحلة الملوك، ونجد أن نقش النصر مثلاً في القرن السابع قبل الميلاد دُوِّن بالخط المعروف من اليمين إلى اليسار فقط دون المحراث.

فأول كتابة بخط المحراث «والموسومة بـ Glaser1147 من كتابات أيام هذا المكرب [سمهعلي]. وهي كتابة قصيرة مكتوبة على الطريقة الحلزونية كأثر كتابات أيام المكربين»(١٠٩).

وقد انتهت مرحلة المكاربة في عهد كرب إل وتار في القرن السابع ق.م حسب قول أغلب المؤرخين والباحثين، لتبدأ معه فترة الملوك. وقد ورد اسم سمهعلي من أوائل مكاربة اليمن السبئيين؛ حسب القوائم المصنفة، وبالأخص هنا الجمهرة الثانية من قائمة هومل[١١٠]*، رغم أن هذه القوائم محيرة وغير مرتبة، بل ومرتبكة من قائمة لأخرى عند مؤرخ وآخر، ويرجعون إليه الكثير من الإنجازات وبدايات الدولة السبئية حتى الآن فقط، قبل أن يستجد جديد من الأبحاث، على أن كثيرًا من المؤرخين أوردوه في فترة القرن التاسع ق.م، وعليه فإن هذا النقش الحبشي كان في الفترة الأولى للمكاربة السبئيين يعود للقرن التاسع ق.م بحسب الأدلة التي أوردناها، الأمر الذي يعني أن هجرات اليمنيين إلى الحبشة سبقت هذا التاريخ بكثير.

وتقدم النقوش المكتشفة هناك من حيث لغتها وخطها ومضمونها، وأن ذلك الطراز المعماري وأسلوب النحت- دليلاً على ذلك، فقد عثر على مجموعة كبيرة من النقوش المكتوبة بالحرف العربي الجنوبي -المسند- ولغتها سبئية، تتضمن أسماء آلهة وأشخاص وأمكنة وردت في النقوش[١١١].

فمن خلال نقوش أخرى نجد أن الأحباش أنفسهم أخذوا كل التقاليد عن اليمنيين بما في ذلك ألقاب ملوكهم؛ فلقب مكرب لملوك أحباش ظهر بعد ذلك في بعض النقوش، وهم يجمعون بين لقب الملك والمكرب مع بعضهما، ومن ذلك مثلاً النقش الموسوم بـ +RIEA5 JE1384 = يذكر ما يلي:

A 1 - ل م ن/ م ل ك ن/ ص ر ع ن/ ي ج ع ز ي ن/ م ك ر

ب/ د ع م ت/ و س ب أ / ب ن/ ر ب

٢ - ح/ م ل ك ن/ ح ي و و / و هـ ح د س و/ م ذ ق ن ت

/ أ و س ن/ ب ي ت م و / ي و م /

B 1 - م ل ك م / د ع م ت / م ش ر ق هـ ي / و م ع ر ب هـ

ي/أ د م هـ ي/ و س ل م هـ ى / ب ن

٢ - خ / ع س ت ر/ و هـ ب س / و أ ل م ق هـ/ و ذ ت ح

م ي م / و ذ ت ب ع د ن/.

فهنا يدور الحديث عن رجل اسمه ل م ن من قبيلة (ي ج ع ز ي ن) بصفته مكرب لمنطقة (د ع م ت) شرقها وغربها.

وفي نقش آخر يحمل الرقم JE4 =RIEA8 نقرأ في السطر الأول والثاني:

١ - رب ح/ م ل ك ن/ ص ر ع ن/ ي ج ع ز ي م/ م ك ر ب / دع م ت

٢ - و س ب أ/ ب ن/ وع ر ن/

وهنا أيضًا حديث عن مكرب (د ع م ت..).

هذان النقشان يعودان بالببليوجرافيا إلى العقد الأخير من القرن الخامس ق. م، وهي فترة شهدت خلالها جنوب جزيرة العرب اضطرابات واسعة نتج عنها إهمال لهذه المناطق، سهلت أمر انفراد قبيلة (ي ج ع ز ي ن) بالحكم في الحبشة.

أما ذكر اسم سبأ في النقشين، فالمقصود ليست سبأ العربية الجنوبية، وإنما أحد ثلاثة موانئ حبشية تحمل نفس الاسم.

في هذه المرحلة المبكرة من تاريخ الحبشة، لا نعرف نقشًا يرد فيه ذكر أكسوم أو الحبشة، التي كانت تعظم الآلهة السبئية، وتتخذ السبئية لغة لها. ونستطيع القول إن هذه الفترة من تاريخ الحبشة يمكن بحق أن نطلق عليها مرحلة (يحا) نسبة إلى القرية التي عُثر فيها على عدد كبير من اللقى والنقوش العربية الجنوبية(١١٢).

في الحقيقة مع توسع مملكة سبأ بحركة مروحية شمالاً وشرقًا وغربًا وجنوبًا، ومع أنها دولة تجارية بامتياز كانت تسيطر على التجارة العالمية القديمة بفعل الموقع الجغرافي وطرق الملاحة البرية والبحرية، سيطرت على الضفة الأخرى من البحر الأحمر في الحبشة عبر موجات من الهجرات المتتالية إليها، سواء للتجارة، أو النزوح من الحروب والبطش، أو للتوسع وبسط النفوذ، وقد كانت الحبشة محطة من محطاتها التجارية الكثيرة غربًا، ومصدرًا لبعض السلع منها.

وبفعل تلك الموجات من الهجرات والسيطرة اضطر السبئيون لتأسيس دولة هناك لحماية تجارتهم، بعد ربطها وربط تلك الجاليات بالوطن الأم في مملكة سبأ كما فعلوا في وسط وشمال الجزيرة العربية (كندة، ددان العلا، ومعان، وغيرها)، كما ذكرها القرآن الكريم: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ (١١٣).

في كل مملكة أو دولة يكون لزامًا من لوازم الملك والحكم أن يتفقّد الملك مملكته ورعيته وزيارة مناطقها، وبالتالي فمن المنطق تمامًا أن تكون ملكة سبأ قد زارت الحبشة وربما توفيت هناك؛ إذ لا شاهد -حتى الآن- ولا دليل ماديًّا بوجود قبرها، سواء في مارب أو الحبشة، مع أن الأثيوبيين يقيمون ضريحًا رمزيًا لها هناك ويقدسونه. وإذا كان بعض المؤرخين والنقاد يشككون في أن ملكة سبأ من سبأ اليمنية لبعد المسافة بينها وبين مملكة سليمان، فكيف إذا كانت من الحبشة واضطرارها لركوب البحر وقطع القفار؟!!

فإذا عرفنا كمًّا هائلاً من هذه المعلومات للترابط التاريخي والنشأة بين الدولة الحبشية واليمن، وخاصة الدولة السبئية منها، عرفنا سر تمسك الأحباش بالانتساب إلى ملكة سبأ التي اصطلح على تسميتها في المصادر الكلاسيكية بأن اسمها هو (بلقيس) اليمن.

لم تكن النقوش وحدها هي الدليل على تابعية الحبشة لمملكة سبأ، بل

إن معبد «يحا» في عدوليه مخطط بنفس محرم (بلقيس)، وقد قارن بينهما الأستاذ أدولف جرومان، ووجد كثيرًا من الخصائص والتشابه بينهما في الفن المعماري[114].

كما لم تكن المعابد والعروش والنقوش وحدها التي نقلت من بلاد العرب الجنوبية إلى أفريقيا، بل «أخذ العرب الجنوبيون هذا الفن المعماري معهم إلى أفريقيا، حيث نجد سد (كوهينو) الذي يذكرنا بالعرب الجنوبيين»[115].

لم تكن فكرة المعابد فقط هي المنقولة إلى الحبشة من البلاد العربية الجنوبية، بل إن تخطيط ونمط هذه المعابد بكل تفاصيلها منقولة إلى هناك[116].

«والأساطير والقصص الحبشية تقول إن الملك الحبشي هو ابن الأنثى الشمسية المسماة (ماكد) أو (بلقيس)، والبطل القمري (حكيم) سليمان»[117].

وقد ذكر بعض العلماء تأثير اليمنيين في الحبشة وعلاقتهم بأكسوم، ومنهم ديتليف نيلسن الذي قال: «ليس الساميون، الذين خلفوا لنا في بلاد الحبشة آثارًا وآدابًا والذين ما زالوا حتى اليوم يقيمون في البلاد، هم العنصر الأصلي الذي يتكون منه السكان الأصليون، بل هم -فيما يعتقد- كغيرهم من الساميين الشماليين قد هاجروا إليها من بلاد العرب؛ وذلك لأن لغتهم عبارة عن لهجة عربية جنوبية، وما زالت إلى اليوم قريبة إلى العربية بالرغم من دخول بعض العناصر الحامية فيها. أما اللغة، أما الخط، أما الثقافة فسبئية منذ البداية؛ وذلك لأن بعض المهاجرين من البلاد العربية الجنوبية نزحوا إلى البلاد فيما يظهر في قرون بعيدة قبل الميلاد، أسسوا هناك مستعمرات، ووضعوا الأساس لدولة الحبشة التي أخضعت فيما بعد في القرن السادس الميلادي بلاد العرب الجنوبية لسلطانها»[118].

إذًا.. كان العلماء يقرون أنه لا توجد ثقافة مدونة ومكتوبة ومصادر تاريخية للحبشـة علـى أكثر تقدير إلى القـرن الثالث عشر الميـلادي، ولم تبلغ إلى القرن الرابع الميلادي وقت دخول المسيحية إلى الحبشة، كما يقول ديتليف نيلسن: «نعم لدينـا من القوائم التي تحتـوي على كثير من أسماء ملوك يرجع تاريخهم إلى ما قبـل العهـد المسيحي، لكن هذه المصـادر من الفقر والنقص بمـكان حتى أنها لا تسمح للمؤرخ بأن يكون منها تاريخًا علميًا حقًا»(١١٩).

وبالعـودة إلى معلومات أسفار العهد القديم، وأخـذ الأثيوبيين منها مصادر معلوماتهـم حول قصة ملكة سبأ التي يطلقون عليهـا تسمية (ماكيدا)؛ علينا أن نشـير إلى أن تأليف تلـك الكتب كانت بعد العودة من مرحلـة السبي البابلي؛ أي بعـد فترة سليمان بقرون، وهنا سيعـتري تدوين المعلومات لفترة سليمان الزيادة والنقصان؛ لأنهـا ستعتمد على الروايات الشفهية والذاكرة الجمعية للأجيال في تذكـر الأحداث؛ أي إننا لـن نقف على دقة المعلومات الجازمـة في تلك الأحداث واللقـاءات، فضلاً عن إيراد دقة المصطلحات والمعلومات، خاصة وما من كتابات أو نقوش خلفتهـا تلك الزيـارة والمقابلـة، أو لم تظهر حتى الآن، حتـى إن بعض علمـاء اليهـود، وكذلك المؤرخين واللغويـين، يقولون إن تلك الأسفـار التوراتية لا يصح الاستشهاد بها لغويًـا لدلالة بعض ألفاظها اللغوية؛ كونها تأثرت بالبابليين وبالآرامية التي ناصبها اليهود العداء، رغم أن المتعارف عليه تاريخيًا أن الآرامية أصـل للعبرية، فبـين نزول التوراة على موسـى وتأليف العهد القـديم بعد الأسر البابلي قرابة ألف عام!

تبـين من خـلال الدراسـات التاريخيـة واللقـى الأثرية والنقوش -كدلائل ماديـة- أن بعض أسفـار اليهود التي تحدثـت عن محيط بنـي إسرائيل لم تكن دقيقـة، بحيـث حيرت العلماء؛ «لأنهـم تعاملوا مع تلك النصـوص التوراتية على

أنهــا تشير إلــى شعوب مجمل إقليم المشرق العربــي، ولم يقبلوا حتى الآن أن بني يسرائيــل[١٢٠] كانــوا أحد أقوام المشــرق العربي الصغيرة التــي لم تخلف أي أثر عنها»[١٢١].

«علمًا أن سفر التكويــن سُجل كباقي أسفار التوراة، في مرحلة متأخرة. وقد تم ذلــك في بابل البعيدة عــن المسرح الجغرافي لتجربة بنــي يسرائيل الدينية – التاريخيــة، ومن قبــل أشخاص ليس لهم معرفــة بتضاريس الإقليــم الجغرافية والسكانية»[١٢٢].

وهذا ما أكده إسرائيل ولفنسون، كأحد مؤرخي اليهود والحضارات القديمة، بأنه «في عهد المكابيم [قضاة اليهود] ظهرت الشيعة اليهودية المعروفة بالفروشيم التــي أطلقت لفظ حبر على كل متعلم من اليهود، وإلى هذه الشيعة يرجع الفضل في جمــع صحــف العهد القديم، وجمــع تفاسير هذه الصحــف المقدسة التي ظل تدوينها حملة قرون، حيث عرفت في ختامها باسم المشنا، وقد تم ذلك الكتاب في القرن الثاني قبل الميلاد. ومن أجل ذلك لا يعجب الباحث حين يجد اللغة العبرية قــد أضاعــت أغلب مميزاتها القديمــة، وتغير أسلوبها، حتى بــدت عليها مسحة آراميــة واضحة في كل شــيء، فقد حل استعمال كثير مــن الألفاظ الآرامية محل الألفاظ العبرية، وتشوه كثير من نطق الألفاظ العبرية»[١٢٣].

خلاصة الدراسة:

- الملكة السبئية التي وردت قصتها في القرآن الكريم هي ملكة سبأ اليمنية المشهــورة عاصمتهــا في مــارب، والتــي ثبتتهــا النقوش واللقــى الأثرية المختلفــة، وما من اســم سبأ أخــرى غيرها في الجزيــرة العربية وبلاد العرب.

- أثبت القرآن الكريم هذا الموطن اليمني من خلال قصة سبأ الأخرى في سورة سبأ، مع سيل العرم، وسمى سورة كاملة باسم هذه المملكة.

- لم يعرف حتى الآن اسم حقيقي لهذه الملكة من خلال الواقع والنقوش التي تعدُّ أوثق الأدلة المادية، وهذا ما ستكشفه الأبحاث والدراسات القادمة في البلاد.

- إطلاق اسم (بلقيس) على هذه الملكة غير مثبت بأية أدلة لا آثارية ولا نقوش مسندية، وكل الإشارات حوله تدل على أنه من افتعال الرواة الإخباريين، ومن خلال التقليب والبحث في أصول الاسم ومشتقاته فهو اسم محلي من صفة أفعال وحركات وأسماء البلاد ذاتها. إلا أنه لا دخان من غير نار –كما قيل في المثل اليمني- يبقي المجال مفتوحًا، لربما كان اسمًا حقيقيًا للملكة من خلال تناقل الروايات الشفهية جيلاً وراء آخر، إذ لا تؤخذ الروايات على علاتها كما لا تترك أيضًا.

- علاقة الحبشة بهذه القصة من خلال كونها فرعًا للوطن الأم في سبأ مارب كما أثبتته النقوش واللقى الأثرية أيضًا في الحبشة، ومن خلال استيطان اليمنيين لها عبر الهجرات المتعاقبة إليها، ولا تزال تلك الهجرات حتى اليوم، ومن هنا من يعايش الشعبين الأثيوبي واليمني يجد بينهم انسجامًا وودًا تامًا بعكس بعض الشعوب الأخرى.

- الملكة السبئية التي قابلت سليمان كانت متعلمة وذكية، وكانت محتشمة أيضًا، آمنت مع سليمان من خلال الندية لا التابعية الذليلة المغلوبة على أمرها، وكان مُلكها عظيمًا أيضًا بحسب شهادة القرآن نفسه، وبحسب الدلائل والأحداث والمكانة التاريخية بين الأمم.

- دخلت الديانة اليهودية لليمن عبر إسلام هذه الملكة وقومها معها، كأول دخول لهذه الديانة، وقام السبئيون المتأخرون (ما يطلق عليهم الحميريين) من دولة سبأ بإحياء هذه الديانة فقط.

- هذه المرأة كانت ملكة وليست مكربة، وبما أنها كانت في القرن العاشر قبل الميلاد فإن فترة المكاربة تبدو أقدم زمانًا منها، أو أنها هي من ابتكرت هذا اللقب وصار تقليدًا بعدها، وبالتالي إعادة صياغة التاريخ اليمني مجددًا في ضوء هذا الاستنتاج يغير النتائج المسلم بها حتى الآن لدى المؤرخين والباحثين الآثاريين.

- فترة المكاربة كانت قبل ملكة سبأ واعتناقها اليهودية؛ أي قبل القرن العاشر قبل الميلاد في الألف الثانية قبل الميلاد؛ لأنه لم ترد أية إشارة لتلك الديانة في فترة المكاربة التي جعلها المؤرخون والباحثون في القرون التاسعة والثامنة وبعض السابعة قبل الميلاد، ولو كانت كذلك لوجدنا بعض الإشارات للديانة اليهودية في نقوش ونصوص تلك الفترة على الأقل لبقايا ديانة كما كانت في الفترة المتأخرة بعد الميلاد. والدليل على ذلك أنه ما من إشارة البتة في كل النقوش التي حددها العلماء والباحثون أنها بعدها لأي لفظ ديني يهودي أو إشارة لديانتها الجديدة، كما كان الأمر بعد اعتناق أب كرب أسعد اليهودية مثلاً، فقد ظلت الإشارات الدينية تذكر بعده مئات السنين والنقوش إلى عهد الإسلام.

- هذه القصة الواردة في القرآن ومقارنتها ببعض الشواهد الأخرى تدل على أن هناك نساءً يمنيات حُزْنَ المُلك، وليس صحيحًا أنه لا وجود لملكات يمنيات قديمًا كما يذكر بعض المؤرخين.

- لو كان سليمان في القدس أو الشام لعلم بمملكة سبأ من التجار

المتاجريـن بـين سبـأ ومملكة سليمــان، خاصــة وأن التــوراة تذكر تلك العلاقــات التجاريــة، وأيضًــا فقد كانــت أخبار دولة سبــأ تصل لممالك العــراق المختلفة، وهي أبعد مكانًا من الشــام، فكيف تعدت هذه المعرفة الأقرب مكانًا إلى الأبعد منها؟!

- لا يُعتــد كثيرًا بمصادر العهــد القديم (أسفار التــوراة المختلفة)، وكذا روايــات الإخباريــين والمؤرخين في هذه القصة وغيرهــا، كونها لم تسّلم من التحريف والنقص؛ لأنها دونت في مراحل متأخرة عن الأصل بقرون عديدة، وصارت مؤلفات تاريخية روائية، لا تستند إلى أية أدلة وبراهين واضحة يزاد فيها وينقص، بعكس اللقى الأثرية والنقوش المدونة.
- حادثــة نقل العرش مــن سبأ إلى مقر ملك سليمــان في طرفة عين تثبت صدقية ومعجزة الإسراء من مكة إلى المدينة.

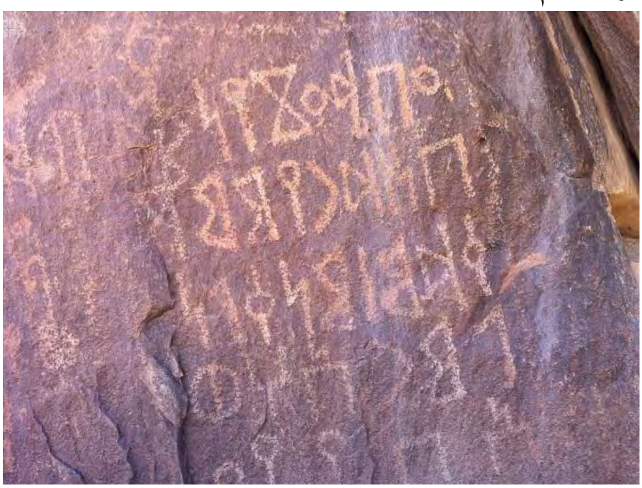
الملاحق

الصورة رقم ١



نقش من ذمــار جديد غير مدروس، ويظهر قِدَمه من خلال الحرف الغائر، وقد جعله الزمن وعوامل الطبيعة كلون الصخر نفسه

الصورة رقم ٢



هنــا تظهر الحروف وكأنها جديــدة من غير لون الصخــر، ولا شك سيكون هناك فرق في عمر الصورتين

الصورة رقم ٣



مجسم من البرونز، وصورة تجسد وجه مريم العذراء، وخلو المجسد من علامة الصليب



صورة الطفل في زوايا المجسد تجسد المسيح عيسى، وفي الأعلى وجه أمه مريم يعود تاريخه للنصف الأول من القرن الأول للميلاد

الصورة رقم ٤



تظهر علامة الصليب داخل القوسين الصماء أعلى البوابة (تصوير الباحث)

الهوامش:

(١) ابن منظور، لسان العرب، صـ١٩٠٨.

(٢) سبأ: (١٥).

(٣) ابن منظور، لسان العرب، صـ١٩٠٨.

(٤) ابن كثير، تفسيره، ج٦ – صـ٥٠٤.

(٥) عيد، مرعي، (اللسان الأكادي: موجز في تاريخ اللغة الأكادية وقواعدها)، صـ١٢٣.

(٦) علي، جواد، (المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام)، ج٢- صـ٢٥٩.

(٧) المصدر نفسه: ج٢ – صـ٢٥٩.

(٨) إليساندرو دي مجريت، وكريستيان روبان: التنقيبات الإيطالية في يلا (اليمن الشمالي سابقًا): معطيات جديدة حول التسلسل الزمني للحضارة العربية الجنوبية قبل الإسلام: صـ٣٦ – ترجمة منير عربش.

(٩) هذا كان رأيًا قديمًا لهومل قبل أن يغير رأيه بعد اكتشاف بعثة ألمانية على كتابة للملك (سنحريب) أنه تناول هدايا من ملك سبئي اسمه (كرب إيلو) (بتصرف عن جواد علي: المفصل، ج٢/ صـ٢٧٨).

(١٠) عصره في السبعينيات والثمانينيات، لكن بعد ذلك تم العثور على الكثير من النقوش التي تتحدث عن أسماء ملكات يمنيات.

(١١) علي، جواد: المفصل/ج٢- صـ٢٦٢.

(١٢) منى، زياد: بلقيس ملكة الألغاز وشيطانة الجنس، هامش رقم٣ – صـ٤٣.

(١٣) المصدر نفسه، صـ٢٥.

(١٤) برو، توفيق: تاريخ العرب القديم، صـ٤٣.

(١٥) أباظة، فاروق دراسة بعنوان « التدخل الأجنبي في اليمن في نهاية عهد حضارته القديمة وموقف الشعب اليمني إزاءه»: مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية – صـ٧٢، العدد ١٦- تشرين ١٩٧٨م.

(١٦) برو، فاروق، صـ٤٥، مصدر سابق.

(١٧) علي، جواد: المفصل/ج١، صـ٢٣٧.

(١٨) بتصرف عن منى، زياد، بلقيس امرأة الألغاز وشيطانة الجنس، صـ٢٧، مصدر سابق.

(١٩) علي، جواد: المفصل/ج٢، صـ٢٦٢، مصدر سابق.

(٢٠) سبأ: (١٨).

(٢١) سبأ: (١٨).

(٢٢) سبأ: (١٦).

(٢٣) سبأ: (١٢).

(٢٤) المعافري؛ عبد الملك بن هشام، (سيرة بن هشام)، ج٢، صـ٤٩.

(٢٥) ذكرنا في السابق أن هذا الأمر كان رأيًا قديمًا لهومل

(٢٦) النمل: (٢٢).

(٢٧) النمل: (٢٣).

(٢٨) الأعراف: (١٤٥).

(٢٩) النجم: (٣٦).

(٣٠) الأعلى: (١٩).

(٣١) علي، جواد: المفصل، ج٢، صـ٢٦٢، مصدر سابق.

(٣٢) الحضراني، بلقيس: بلقيس بين الأسطورة والحقيقة، صـ٩٤.

(٣٣) المصدر نفسه: صـ٩٤.

(٣٤) منى، زياد: صـ٤٩، مصدر سابق.

(٣٥) المصدر نفسه: صـ٤٩.

(٣٦) المصدر نفسه: صـ٥٠.

(٣٧) المصدر نفسه: صـ٥٠.

(٣٨) المصدر نفسه: صـ٥٠.

(٣٩) المصدر نفسه: صـ٥٠

(٤٠) المصدر نفسه: صـ٤٩.

(٤١) المصدر نفسه: صـ٥١.

(٤٢) منى، زياد: من صـ٥٣، ٥٦.

(٤٣) ابن منظور، صـ٣٤٧، مصدر سابق.

(٤٤) المصدر نفسه: صـ٣٤٧.

(٤٥) المصدر نفسه: صـ٣٤٧.

(٤٦) المصدر نفسه: صـ٣٤٧.

(٤٧) المصدر نفسه: صـ٣٤٧.

(٤٨) الرواية شعبية وهي طويلة اختصرناها بتلك الأسطر، حيث المجال ليس مجالها، فقد أفردنا لها بحثًا مستقلاً ونشرناه في الصحف اليمنية عام ٢٠٠٨م، وهو بحث ضمن كتاب للكاتب هنا بعنوان «أهم المعالم التاريخية والآثارية لمحافظة تعز..دراسة تحليلية وتوثيقية».

(٤٩) القصص: (٢٣).

(٥٠) البارد، فيصل (النقوش المسندية المتعلقة بالماء والري في اليمن القديم)، صـ٦.

(٥١) ذكر ذلك في أكثر من موضع في المفصل، ومنها ج٢/٣١٢.

(٥٢) النمل: (٤٢).

(٥٣) ولفنسون، إسرائيل، تاريخ اللغات السامية: صـ٧.

(٥٤) ينظر كتابنا (اللغة اليمنية في القرآن الكريم) فقد فصلنا في هذه المسألة أيما تفصيل.

(٥٥) ولفنسون: صـ١٩، مصدر سابق.

(٥٦) النمل: (٣٤، ٣٥).

(٥٧) النمل: (٢٩).

(٥٨) النمل: (٤٤).

(٥٩) الأعراف: (١٣٤).

(٦٠) النمل: (٣٠).

(٦١) نيلسن، ديتلف؛ وهومل؛ فرتز، و ل. رودوكا ناكيس؛ وجرومان، أدولف (التاريخ العربي القديم)، صـ١٨٠.

(٦٢) الفرقان: (٦٠).

(٦٣) الأنبياء: (٣٦)

(٦٤) مريم: (١٨).

(٦٥) مريم: (٤٥).

(٦٦) نيلسن، ديتلف: المعبودات القديمة عند العرب: التاريخ العربي القديم — صـ٢١٢، مصدر سابق.

(٦٧) النمل: (٤٤).

(٦٨) النعيم، نورا، التشريعات في جنوب الجزيرة العربية: صـ٤٧٤.

(٦٩) ق: (١٤).

(٧٠) ص: (٣٧).

(٧١) النمل: (٣٣).

(٧٢) النجم: (٥٠).

(٧٣) نيلسن، التاريخ العربي القديم: صـ٢٤٦، مصدر سابق.

(٧٤) لينكولوس، رودو كانا كيس، التاريخ العربي القديم: صـ١٢٤، مصدر سابق.

(٧٥) إسماعيل، فاروق عباس، اللغة اليمنية القديمة، صـ٨.

(٧٦) لينكولوس: صـ١٢٥، مصدر سابق.

(٧٧) علي، جواد: المفصل/ج٢/٢٨٦، مصدر سابق.

(٧٨) المصدر نفسه: ج٢/٢٨٦.

(٧٩) علي، حسنين: استكمال التاريخ العربي القديم: د. نيلسن وآخرين – صـ٢٩٢، مصدر سابق.

(٨٠) نيلسن، دتليف وآخرون، التاريخ العربي القديم، صـ٧٧، مصدر سابق.

(٨١) البقرة: (٢٤٦- ٢٤٧).

(٨٢) الأعراف: (١٤٢).

(٨٣)علي، جواد، المفصل: ج٢/صـ٢٦٨، ٢٦٩

(٨٤) النمل: (٢٣).

(٨٥) عن البارد، فيصل بتصرف: صـ٢٥٦، مصدر سابق.

(٨٦) النمل: (٤٤).

(٨٧) النمل: (٤٣).

(٨٨) ولفنسون، إسرائيل: صـ٨٩، مصدر سابق.

(٨٩) بتصرف عن النعيم، نورا، التشريعات في جنوب الجزيرة العربية: صـ٣٢٨، والنقش الموسوم CIH ٥٤٠.

(٩٠) الغنطوسي، عبدالرحمن، ومحمود، نجلاء: غزو الأحباش لليمن بين الرواية التاريخية والآثار المكتشفة – صـ٤٩

(٩١) جرومان، أدولف، التاريخ العربي القديم: صـ١٦٦، مصدر سابق.

(٩٢) الكلام يطول حول هذا الموضوع، هو يعتمد على الإشارات التوراتية الإسرائيلية في ذلك.

(٩٣) علي، جواد: المفصل/ج٢/ صـ٢٦١، مصدر سابق.

(٩٤) المصدر نفسه: ج٢/ صـ٢٦٣.

(٩٥) المصدر نفسه: ج٢/ صـ٢٦١.

(٩٦) المصدر نفسه: صـ١١٤.

(٩٧) المصدر نفسه: ص ١١٨.

(٩٨) موسكاتي، سبتينو: الحضارات السامية القديمة، صـ١٩٠.

(٩٩) أباظة، فاروق عثمان: صـ٧١، مصدر سابق.

(١٠٠) في حديث شفوي خاص مع كاتب البحث.

(١٠١) النعيم، نورة، التشريعات في جنوب الجزيرة العربية: صـ٥٧٢، مصدر سابق.

(١٠٢) سبأ: (١٨).

(١٠٣) الأشبط، علي عبدالرحمن: الأحباش في تاريخ اليمن القديم من القرن الأول حتى القرن السادس الميلادي: صـ٣٠، ٣٢ بتصرف.

(١٠٤) الأشبط، عبدالرحمن: صـ٣٩، مصدر سابق.

(١٠٥) المصدر نسه: صـ٣٩.

(١٠٦) المصدر نفسه: صـ٤٠.

(١٠٧) المصدر نفسه: صـ٥٧.

(١٠٨) المصدر نفسه: صـ٥٨.

(١٠٩) علي، جواد: المفصل/ج٢/٢٧٠، مصدر سابق.

(١١٠) المصدر نفسه/ج٢، ص٣٠٧.

* أميل إلى هذه القائمة بسبب بعض الدلائل عليها منها: الترابط والتسلسل الأسري في عدة نقوش، وكذلك بسبب استخدامها نوعية خط المحراث الذي تغير إلى العادي مع مكاربة وملوك آخرين وردوا في بعض القوائم، وكثير من القوائم لم ترتب على أساس من التسلسل الأسري.

(١١١) الأشبط، عبدالرحمن: صـ٤١، مصدر سابق.

(١١٢) المصدر نفسه، صـ٥٩، ٦٠.

(١١٣) سبأ: (١٨).

(١١٤) جرومان، أدولف: التاريخ العربي القديم – صـ١٥٥، ١٤٦، ١٥٧، مصدر سابق.

(١١٥) المصدر نفسه: صـ١٦٠.

(١١٦) لمزيد من التفاصيل ينظر باب «فن العمارة» في التاريخ العربي القديم» د. ديتلف نيلسن.

(١١٧) نيلسن، ديتلف: تاريخ العرب القديم – صـ٢٢٧، مصدر سابق.

(١١٨) المصدر نفسه: صـ٣١.

(١١٩) المصدر نفسه: صـ١٧٣.

(١٢٠) بحسب تسمية المرجع، مصدر سابق.

(١٢١) منى، زياد: صـ٢٩.

(١٢٢) المصدر نفسه: صـ٢٩.

(١٢٣) ولفنسون، إسرائيل: صـ٩٦، مصدر سابق.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. أباظة، فاروق عثمان، التدخل الأجنبي في اليمن في نهاية عهد حضارته القديمة وموقف الشعب اليمني إزاءه، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية: العدد ١٦- تشرين ١٩٧٨م.

٣. ابن كثير الدمشقي، عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن عمر؛ (تفسير ابن كثير)، ط٢ – ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م؛ تحقيق: سامي بن محمد السلامة – دار طيبة للنشر والتوزيع: الرياض، المملكة العربية السعودية.

٤. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين، (لسان العرب)، ط دار المعارف: القاهرة، مصر.

٥. إسماعيل، فاروق، (اللغة اليمنية القديمة)، ط ٢٠٠٠، دار الكتب العلمية: تعز، اليمن.

٦. السامعي، توفيق، (اللغة اليمنية في القرآن الكريم)، ط١، ٢٠١٢م، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء.

٧. الأشبط، علي عبدالرحمن؛ (الأحباش في تاريخ اليمن القديم)، ٢٠١٠، جامعة صنعاء، صنعاء، اليمن.

٨. إليساندرو، دي مجريت، كريستيان؛ روبان (التنقيبات الإيطالية في يلا - اليمن الشمالي سابقا): معطيات جديدة حول التسلسل الزمني للحضارة العربية الجنوبية قبل الإسلام: ترجمة منير عربش، المركز اليمني للدراسات اليمنية، صنعاء، ١٩٩٩م.

٩. البارد، فيصل، (النقوش المسندية المتعلقة بالماء والري في اليمن القديم)، ٢٠٠٩ – ٢٠١٠، رسالة ماجستير غير منشورة، المعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث، شعبة ما قبل الإسلام، المملكة المغربية.

١٠. برّو، توفيق، (تاريخ العرب القديم)، ط٢، ١٩٩٦م، دار الفكر: دمشق، سورية.

١١. الحضراني، بلقيس؛ (بلقيس بين الأسطورة والحقيقة)، ط١، ١٩٩٤م؛ مطبعة وهدان: القاهرة، مصر.

١٢. السامعي، توفيق محمد، (أهم المعالم الآثارية والتاريخية لمحافظة تعز) مخطوط تحت الطبع.

١٣. علـي، جواد، (المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام)، ط٢، ١٤١٣هـ /١٩٩٣م. جامعة بغداد، العراق.

١٤. عيـد، مرعي، (اللســان الأكادي: موجز في تاريخ اللغة الأكاديـة وقواعدها)، ٢٠١٢م، منشورات الهيئة العامة للكتاب، وزارة الثقافة السورية: دمشق، سورية.

١٥. المعافري، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، (سيرة بن هشام)، ط٣، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

١٦. الغنطوسـي، عبدالرحمـن إبراهيم، ومحمـود، نجلاء محمد: (غـزو الأحباش لليمن بـين الرواية التاريخية والآثـار المكتشفة)، دار ومكتبة الكنـدي للنشر والتوزيع، ط١- ٢٠١٥م- ١٤٣٦هـ.

١٧. المقدسـي، عبـد الفتاح العويسي (تقـديم بيت المقدس)، ط٣، ٢٠٠٨: ترجمة د. فؤاد خليل؛ مركز البحوث الاجتماعية والإنسانية: صنعاء، اليمن.

١٨. منـى، زياد، (بلقيس ملكة الألغاز وشيطانة الجنس)، ط٢، ١٩٩٨م؛ دار رياض الريس للطباعة والنشر: بيروت، لبنان.

١٩. موسكاتي، سبتينو؛ (الحضارات السامية القديمة)، ط ١٩٨٦م: ترجمة: السيد يعقوب بكر – دار الرقي: بيروت، لبنان.

٢٠. النعيـم، نورا بنت عبدالله بن علي: (التشريعات في جنـوب الجزيرة العربية)، مكتبة الملك فهد بن عبدالعزيز، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م

٢١. نيلسن، ديتلف، وهومل؛ فرتز، و ل. رودوكا ناكيس؛ وجرومان، أدولف (التاريخ العربي القـديم)، ١٩٥٨م؛ ترجمـة: فـؤاد حسـين علـي وزكي محمـد حسن، مكتبـة النهضة المصرية، القاهرة، مصر.

٢٢. هالسل، جريس (النبوءة والسياسة)، ط٢، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م: ترجمة محمد السماك، دار الشروق، القاهرة، مصر.

٢٣. ولفنسون، إسرائيل: (تاريخ اللغات السامية) ط١، ١٣٤٨هـ ١٩٢٩م، مطبعة الاعتماد: القاهرة، مصر.

مِنْ نُقُولِ ابنِ المستوفي في كتابِهِ:
(النّظام في شرح شعرِ المتنبّي وأبي تمّام)

توثيق وملاحظات

أ.د. نادية غازي العزّاويّ

تمثّلُ (النّقولُ) ظاهرةً ملحوظة في كتبِنا التّراثيّة باختلافِ العلومِ والمعارف، وهي ظاهرةٌ حَمَّالةُ أوْجُه، تُقرَأُ مِن أكثر من زاوية: سلبًا وإيجابًا، منهَجيًّا وفكريًّا واجتماعيًّا ونفسيًّا وأخلاقيًّا أيضًا؛ فقد تُقيَّمُ على أنّها نوعٌ من الاجترارِ والتّقليد والتّجميعِ يَنُمُّ عن ركودٍ علميّ وثقافيّ، أوأنَّها نَمَطٌ من السَّطْوِ على آراء الآخرين ونَقْلِ أقوالِهم بحذافيرِها بلا عزو. وعلى خلافِ ذلك يمكنُ أن تكونَ وجهًا إيجابيًّا من المنهجيّةِ والأمانةِ العلميّة، إذْ تَقتضي أيّةُ معالَجة بحثيّةٍ من المؤلّف تقديمَ جهودِ السّابقينَ عليهِ معزوّةً إلى أصحابها؛ تمهيدًا للردِّ عليها ودحْضِها أو الاستدراكِ عليها أو موافقتِها، على نحوٍ يدلُّ على إحاطةِ المؤلّف الجديد بموضوعِه، ودأبِهِ على تمييزِ جهودِه، وتأكيدِ صحةِ آرائه بالقياسِ إلى آراءِ الآخرينَ في هذا الجانبِ أو ذاكَ من الموضوعِ المدروس؛ فالمعرفةُ تراكميّةٌ.

فإذا زِدْنا على ذلك خصوصيّة الظّروف المأساويّة التي واجهتْ منجزاتِنا التراثيّةَ: من حروبٍ ومجازر وحرائق وحملاتِ نهبٍ وتهجير وقَتْلٍ طالتِ العلماء والمفكرين... وغيرها ممّا هو معروفٌ في تاريخِنا، وما ترتَّبَ عليها من خسائر

جسيمةٍ في الأصول والمخطوطات والوثائق، أدركْنا حينئذٍ قيمةَ النّقولِ التي بقيتْ لنا منْ مصادر مفقودة، أو وصَلَتْ مخطوطاتُها ناقصةً مبتورةً مطموسةً، أو تفاوتتْ محتوياتُ نُسَخِها، إذْ تُتيحُ لنا هذه النّقولُ الفُرَصَ للمقابلةِ والموازنةِ والتّوثيقِ والتّصحيحِ، وفي ذلك فوائدُ علميّةٌ جَمّةٌ.

وهو محورُ هذا البحثِ المَعْنيّ بأحدِ المراجعِ التراثيّة، بل إحدى الخزائنِ النّفيسة؛ بتنوّعِ مصادرِها، وغِنى مادّتِها، وجهودِ مؤلّفِها الفذّة في الاستقراءِ والتّعمّق والتتبّعِ الوافي للمصادرِ ونقْدِها، بالرّغم من تشعُّبِ موضوعه بين شعرِ شاعريْنِ عِملاقيْن: أبي تمّام والمتنبّي، ظلَّ كلٌّ واحدٍ منهما قطبًا لحركةٍ ضخمةٍ من التّأليفِ والجَدَلِ النقديّ الذي لم يَهْدَأْ عن: مشكلاتِ شعرِهِ وخصائصه اللغويّة والأسلوبيّةِ، الأمرَ الذي يصعِّدُ حالةَ التحدّي أمام أيّ مؤلِّفٍ جديدٍ يُقدِمُ على الخوْضِ في قضايا شعرِهما.

أعني بذلك: كتابَ (النّظام في شرح شعر المتنبّي وأبي تمّام) لأبي البركاتِ شرفِ الدّينِ المباركِ بن أحمد الإرْبليّ المعروفِ بـ (ابن المستوفي) (ت٦٣٧ هج)، الصّادر في بغداد عن دار الشّؤون الثّقافيّة العامة (١٩٨٩- ٢٠١٤م)، بتحقيق المرحوم د. خلف رشيد نعمان، في ثلاثةَ عشرَ جزءًا هي كلُّ ما تَبقّى مِن أصْلِ الكتاب.

حَدَّدَ المؤلّفُ في مقدّمةِ (القسم الخاصّ بشعرِ المتنبّي) مصادرَهُ الأساسيّة التي استندَ إليها في شرحِهِ، ومِنها: «كتاب أبي زكريّا يحيى بنِ عليٍّ التّبريزيّ، وما ذكرَهُ عن أبي العلاءِ أحمد بنِ عبد اللّه بنِ سليمان المعريّ... وكتاب أبي عليّ محمّدِ بن فورّجة البروجرديّ ... »[1]. وبيَّنَ النّهجَ الذي اتّبَعَهُ في النّقلِ عنها قائلًا: «فأثْبَتُّ مِن ذلكَ بما وَقَعَ إليَّ مِن كتبِهم، مُختصِرًا بعضَهُ، وحاكيًا أكثرَهُ بنصِّه»[2].

ومِـن حُسْنِ الطّالع أنَّ هـذه الشّروحَ وصلتْ إلينا، وطُبِعـتْ مُحقَّقةً، ووصلتْ مختَصَراتٌ لبعضِها، أو شروحٌ أخرى متّصلة بها(٣).

وقـدْ تتبّعْتُ نُقولَـهُ كلّها في (النّظـام) المطبوع وفي الأصـلِ المخطوط أيضًا، وقابلْتُهـا بالشّروح المطبوعةِ، فوجَدْتُ ابـنَ المستوفي -في الأغلبِ الأعمّ- مُتْقِنًا في نَقْـلِ النّصوص، وفي اختيارِ الموضـعِ الذي يجلو النكتةَ في شـرح البيتِ، أو الرّأي الـذي يريدُ تأييدَهُ أو الرّدَّ عليـه في المواضعِ الخِلافيّة بينَ الشُّراح -وما أكثرَها-، متخطّيًـا كثيرًا مـن الشّواهد العَرَضيّة أو الاستطرادات الـواردة في تلك الشّروح -ومـا أكثرَها أيضًا- إلى الموضع الذي يمثّلُ زُبـدةَ الفكرة وركيزةَ الشّرح، فربّما اقتصرَ منْ نصٍّ طويلٍ يستَغرِقُ صفحاتٍ في المصدرِ الأصليّ على سطرٍ أو سطرينِ فقط يَنقلُهُ إلى كتابِهِ.

ومـا وجدْتُـهُ أحيانًا من فـروق يسيرة في بعضِ المفـرداتِ والجُمَل بين تلك الأصـولِ، وبـينَ نُقُولـهِ منها، فمردُّهُ إلـى أمرين: إمَّـا أنْ يكونَ قد نقـلَ من نُسخ مخطوطـةٍ لم يقفْ عليها المحقّقونَ الفُضَـلاء، أو لم يَعتمدوها في نشْراتِهم، وإمَّا هـي من الفروقِ اليسيرةِ المُعتادةِ بينَ نُسَـخ الكتابِ نفسه، بسببِ اختلافِ مراحلِ التّأليـف بين مُبيَّضةٍ أولى وثانيـة، أو لتفاوتِ مراحلِ النّسْخ، واختلاف النُّسّاخ في دقّتهـم وضبْطِهـمْ، كما هو معروف في كثـيرٍ من الكتب. أمّا مواضـعُ الاتّفاقِ بينَ نُقُوله وبين النّصوصِ في شروحِها الأصليّة فلن أقفَ عليها هنا؛ لأنَّها أمرٌ مفروغٌ منــهُ، ولكنّي سأقفُ حيـث تكون ثمّة ملاحظـة أو إشكاليّة تستدعـي التّوضيحَ أو التّوجيهَ أو التّخريجَ أو التّنبيه.

وقـد تكوَّنتْ عنـدي حصيلةٌ طيّبةٌ مـن الملاحظات أضعُها بين يـديْ القارئ الكريمِ للفائدةِ. ومِنَ اللّهِ التّوفيقِ:

١- نُقولُهُ من شرحِ أبي العلاءِ المعريّ (ت ٤٤٩ هج):

وهــي كثيرةٌ جدًّا توزَّعَتْ على أجزاءِ الكتــاب الاثني عشر؛ لاقتصارِ (الجزء الثّاني) من (النّظام) المطبوع على قافيةِ الباءِ من شعر أبي تمّام فقط. ويُلاحظُ هنا أمرانِ:

الأوّل: صرَّحَ ابنُ المستوفي -كما تقدَّمَ- أنّهُ لم يَطّلعْ على هذا الشّرحِ مباشرةً، بل نقلَ عنه بالواسطة، من خلالِ كتابِ تلميذهِ الخطيب التّبريزيّ (ت ٥٠٢هج).

والآخــر: هذهِ النّقــولُ كلُّها مــن (اللامع العَزيــزيّ)، إلاّ موضعــيْنِ أو ثلاثة وجَدْتُهــا في الشّرحِ المنســوبِ إليهِ: (معجز أحمد)، وهذا أمــرٌ يُثيرُ بعضَ اللّبسِ؛ لأنَّ ابــن المستوفي دقيقٌ في إحالاتهِ عادةً، وكان ينسبُ الآراء بتصريح تامٍّ إلى أبي العلاء المعريّ وبما لا يَدعُ مجالًا للشكّ، ومع ذلك لم أجدْها في (اللامع). والأمرُ أقــدمُ من (النّظام) ومؤلفهِ، فقد روى الواحــديّ كلامًا عن أبي العلاءِ، لم أجدْهُ في (اللامع) بل في (معجز أحمد)، ونقلَهُ عنهُ ابنُ المستوفي أيضًا كما سيأتي.

أمَّا شرحُ الخطيبِ التّبريزيّ (المُوضح) فقد بيَّنَ في مقدّمتهِ مصادرَهُ الرئيسةَ قائِلًا: «وذكرَ أبو العلاءِ أحمد بنُ عبدِ اللّهِ بن سليمانَ التّنوخيّ المعريّ، رحمهُ اللّه، في كتابــهِ المعروفِ (اللامــع العزيزيّ) في شعر أبي الطيّــب استشهادات صالحةً لابدَّ من إيرادِ أكثرِها إنْ شاءَ اللّه... وما أهملَهُ أبو الفتحِ من المعاني في (الفسر) أوضَحَــهُ أبو العلاءِ في كتابه، وخالَفَــهُ في مواضعَ من (الفسر) سنذكرُها إن شاءَ اللّه في مواضِعِهــا شيئًا فشيئًا. وكلُّ ما كانَ عن أبي العلاءِ فعلامتُهُ (ع)، وما كانَ عــن أبــي الفتح فعلامتُهُ (ح)»[٤]. ولكنَّ التّبريزيّ لم يلتــزمْ فعليًّا هذا الشّرطَ في نقولِهِ كلِّها، وأوْهَمَ الشُّرّاحَ الآخرينَ أحيانًا، كما سيتَّضحُ في الصّفحات الآتية.

وإلى القارئِ الكريمِ التّفصيلات:

(أ) ج١:

نقـلَ ابنُ المستوفي في الجزء الأول من (النظـام) أربعةَ عشرَ نصًّا من شرح أبي العلاءِ[٥]. منها:

- ص ٤٥٤ أوردَ تعليقَ أبي العلاء على بيتِ المقصورة:

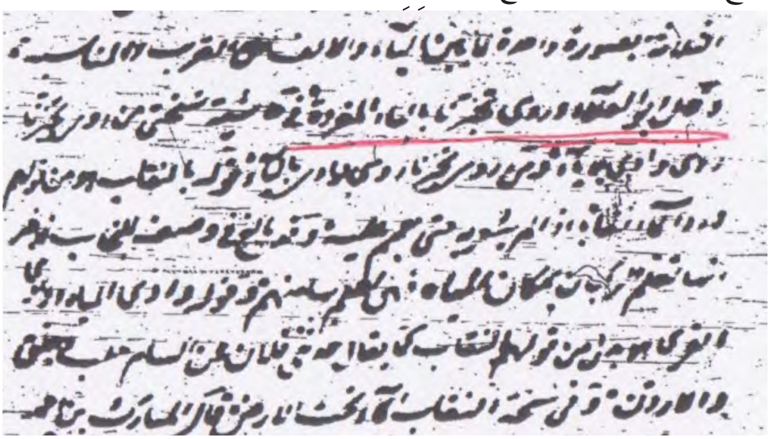
وأمْسَـتْ تُـخبِّرُنا بالنِّقاب ... وادي المياه ووادي القُرى

«وقـالَ أبـو العـلاءِ: ورُويَ: (تُخبِّرُنا) بالبـاءِ المُفردة». هكـذا وَرَدَ في المطبوع (ورويَ) بالبناء للمجهول. وهذا القولُ لا وجودَ لهُ في (اللامع)؛ لأنَّ أبا العلاء رَوَى البيـتَ في مَتْنِه بروايةِ (تُخَبِّرُنا)، وشَرَحهُ قائـلًا: «قولهُ بالنِّقاب: هو من قولِهِم: ورَدَ المـاءَ نقابًـا إذا لم يشعـرْ بهِ حتّى يهجمَ عليـه. وقد بالغَ في صفـةِ النّجائبِ، فأخـبرَ أنّها تُعْلِمُ الرُّكبانَ بمـكانِ المياهِ؛ فهيَ أعلمُ بها منهـم. وقولُهُ: وادي المياهِ ووادي القُـرى هـو بدلُ تبيـينٍ من قولِهِ: (النِّقـابِ) كما يُقـالُ: حدَّثني فلانٌ عن الشّامِ: حلبَ، وجِلّقَ، والأردنِّ»[٦].

والصّيغـةُ الـواردةُ في النّظـام المطبـوع غير موجـودة أيضًـا في (الموضح) (١/١٧٥)، فقـد نَقَـلَ التبريـزيّ شرحَ المعـريّ نفسه الموجـود في (اللامع). ولم أعـثرْ على النّصّ أيضًا في مختصـر أبي المرشد المعريّ (تفسير أبياتِ المعاني من شعـر أبي الطيّب المتنبِّي) في موضعه من شرح هـذا البيتِ (ص ٣٢)، على كثرة نقولِـهِ من شرحِ أبي العـلاءِ. ولا توجَدُ أيَّةُ إشارةٍ إلى هـذهِ الصّيغة في شرح أبي اليُمـن الكِنديّ (الصّفوة في معاني شعرِ المتنبّي وشرحِه) (٢/٣٩١) بالرّغم من التقاطاتـه أحيانًا من شرح أبي العلاء هنا وهناك. ولكنّي عثرْتُ عليه في (معجز أحمـد) قـالَ: «ورويَ بالبـاءِ: أي خبّرَتْنا، وقالـتْ: هذا طريـقُ وادي المياهِ، وهذا طريقُ وادي القُرى»[٧].

وذكـرَ ابـنُ معقل الأزديّ البيـتَ في معرضِ ردِّهِ على أبـي العلاء في (اللامع العزيـزيّ)، رواهُ في المتنِ بالباءِ أيْضًا ومعهُ الشّرح نفسهُ المُتقدِّم في(اللامع)، ثُمَّ عقَّبَ: «وأقولُ: الرِّوايةُ الكثيرةُ: (تُخيِّرُنا) -بالياءِ منقوطةً باثنتيْنِ مِن تحتِها»[٨].

الأمـرُ يسـيرٌ بعونِ اللّهِ، فهو إمّا خطـأٌ مطبعيّ لم ينتبه المحقّـق لتصحيحِهِ، أو وهْـمٌ من المحقّقِ في القـراءة، وإلاَّ فرسمُ اللفظة واضـحٌ في المخطوطة بالبناءِ للمعلـوم: (ورَوَى)، وقـد فَصَلـتْ جملـةٌ استطراديّةٌ عـن حاشيـةٍ في نسخةِ ابنِ المستـوفي، أقحمَها هو بينَ القائلِ (أبي العلاء)، وبينَ مقـولِ قولِهِ، وإليكَ بيانها: «وقـالَ أبو العلاءِ -وروَى تُخبِّرُنا بالباءِ المُفـردة-، وفي حاشيةِ نسختي ....: قولهُ (بالنّقـابِ): هو مِن قولِهِم: ورَدَ المـاءَ نِقابًا: إذا لم يشعر بهِ حتّى هجمَ عليهِ...»، وساقَ الشّرحَ الموجودَ في (اللامع) بتمامِهِ.



(ب) ج٤:

كـثرتْ نقولُهُ من شرح المعـريّ في الجزء الرّابع فزادَتْ علـى خمسين نصًّا، وبواقع نصّينِ أحيانًا في موضعٍ واحدٍ أو في صفحةٍ واحدة[٩]. منها ما جاءَ في:

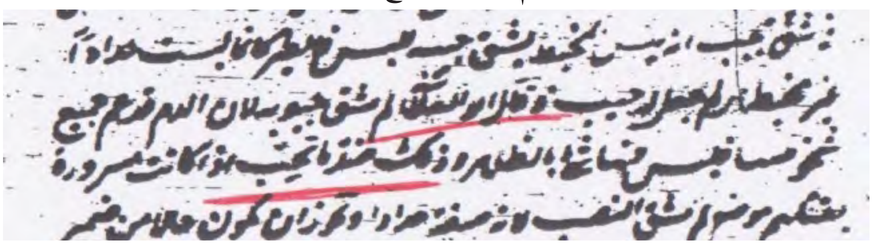
- ص١٧٧ نقلَ كلامَ المعريّ على البيت:

وقـدْ لبِسَتْ دِماءَهـمُ عليهِمْ ... حِـدادًا لمْ تَشُـقَّ لها جُيُوبا

فذكرَ: «قالَ أبو العلاءِ: لم تشَقَّ جيوبُهُ لأنَّ الدّمَ قد عمَّ جميعَ شخوصِها، فليسَ منهـا شيءٌ بالظّاهر، وذلك ضـدُّ ما تحبّ إذا كانتْ مسـرورةً بقتلِهمْ. موضع لم (تشقّ) النّصبُ لأنّهُ صفةُ (حِداد). ويَجوزُ أن يكونَ حالًا من ضمير (لبسْتُ)».

مـا وردَ في (اللامع) هو: «لم تُشَقَّ جيوبُهُ؛ لأنَّ الدّمَ قد عمَّ جميعَ شخوصِها، فليسَ منها شيءٌ بالظّاهرِ، وذلكَ ضِدّ ما يَجِبُ إذْ كانتْ مسرورةً بقتْلِهِمْ»(١٠).

هنـا ملاحظتـانِ: الأولى: الاختلاف بـين (تُحِبّ) في (النّظـام)، و(يَجب) في(اللامـع) وفي (الموضح) (١/٣٣٤) وفي (المآخذ على شُرّاح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي) (٢/٣٥) أيضًا، مع أنّ (تُحِبّ) واضحة الرّسم في مخطوطة (النظام). فهل هو سهوٌ من المؤلّف أو وهمٌ من الناسخ؟



والأخرى: عدم وجود الملاحظة النحويّة الأخيرة عن وجهيْ إعراب (لم تَشُقَّ) في (اللامع) وفي (الموضح) أيضًا. فهل هذه الزّيادة من كلام ابن المستوفي نفسه؟ ربّما، على الرّغم من أنَّ منهجَهُ هو إيرادُ النقولِ مستقلّةً بذاتها أوّلًا ثم التّعليق أو التّعقيب عليها أو التّتميم، وكثيرًا ما يُصدِّرُ رأيَهُ في التّعليق أو التّعقيبِ أو الزِّيادة بلازمةٍ استهلاليّة: (قالَ المبارك بن أحمد) ثُمَّ يُذكرُ كلامُهُ بعدَها.

- ص ٢٢٠ نَقَلَ كلامَ المعريّ على البيت:

أتـاني وعيـدُ الأدْعيـاءِ وأنّهـمْ أعـدُّوا ليَ السُّودانَ في كفْرِ عاقِبِ

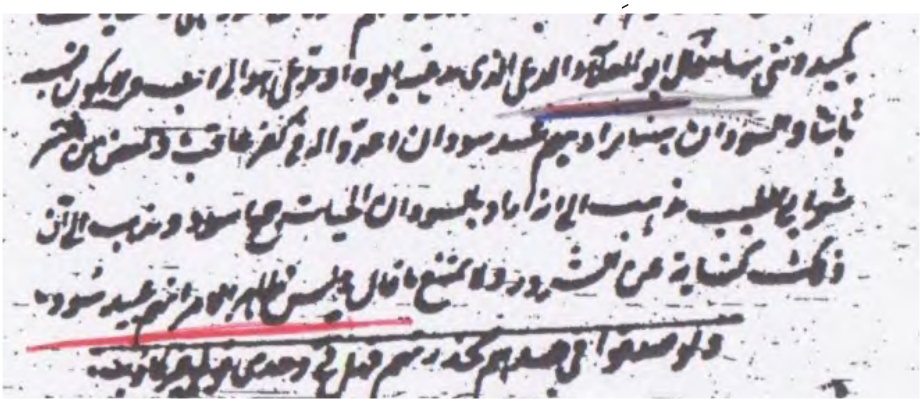
«قـالَ أبـو العلاءِ: (الدَّعـي) الذي يَدَّعيهِ أبوهُ، أو يدّعي هـو إلى أبٍ، ولا يكونُ نسبُهُ ثابِتًا.

و(السّــودان) هــا هنا يُرادُ بهم عبيــدٌ سودان، أعدّوا لــه في (كفر عاقب). وبعضــ من يفسّرُ شعرَ أبي الطّيّــب يذهبُ إلى أنَّهُ أرادَ بالسّــودان: الحَيَّاتِ جمع (أســود)، ويَذهبُ إلــى أنَّ ذلك كِناية عن الشّرورِ، ولا يمتنعُ ما قالَ، وليسَ ظاهِرُ الأمرِ أنَّهم عبيدٌ سودٌ».

مــا في (اللامــع: ١/١٥٣) و(الموضــح: ١/٣٦١-٣٦٢) مطابقٌ لما تقــدَّمَ إلاّ الفقرةَ الأخيرة، فقد جاء فيهما: «ولا يمتنعُ ما قالَ، ولكنّ ظاهرُ الأمرِ أنَّهم عبيدٌ سودٌ».

ورُبَّما قصَدَ المعريّ في إشارتِهِ قولَ ابنِ فورّجة: «والسُّودانُ: جمعُ أسود سالخ، يُجمَعُ على أساودَ، وعلى سُودان، ولا يُجمَعُ سالخ، كما قالوا: أبارصَ في سامِ أبرصٍ ... فجمعُوا الاسمَ الثّاني»[١١].

وهنــا نكتــةٌ طريفــة؛ فسيــاقُ تأويلِ العبــارة سَيختلِــفُ كثيرًا بــينَ الوجهَيْنِ: الاستدراك ب (لكنّ) الدّال على عدم ميْلِ أبي العلاءِ إلى هذا الرّأي، وبين النَّفي بــ (ليسَ) الدّال على استحسانِهِ. وقبلَ هذا وذاكَ فإنّ رسم لفظة (ليس) واضح جدًّا في مخطوطةِ (النظام).



• ص ٣٠٧-٣٠٨ نقلَ تعليقَ أبي العلاءِ على البيت:

مُنَى كُنَّ لي أنَّ البياضَ خِضابُ   فَيَخْفى بِتَبْييضِ القُرونِ شَبابُ

«وقالَ أبو العلاء: ولو أنَّ هذا الكلامَ في غيرِ الشِّعرِ لكان أحسنَ من حذفِ الألفِ واللامِ من (شباب) أنْ يثبُتا فيه لأنَّهُ مُضادٌّ لقولِه: (المشيب). وكانتِ العربُ في الجاهليّةِ إذا اتّفقَ لها مثل ذلكَ آثرَتْ دخولَ الألفِ واللامِ عليه وإنْ قبحَ في السّمعِ، وأكثرُ ما يجيءُ في شعرِ امرئِ القيسِ، فمنهُ قولُهُ:

فإنْ أمْسِ مكروبًا فيا رُبَّ بُهْمَةٍ   كَشَفْتُ إذا ما اسْوَدَّ وجْهُ جَبانِ

... وكذلك قولهُ في ذكرِ الفرسِ:

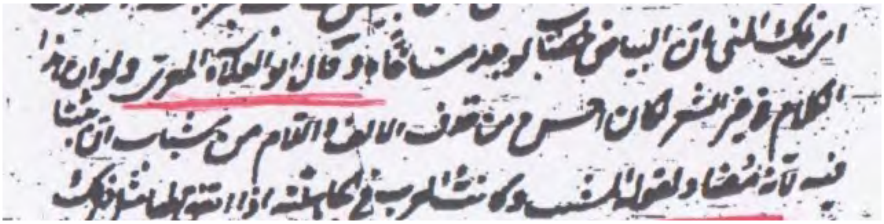
فلمَّا أجنَّ الشّمسَ عنّي غروبُها   نَزَلْتُ إليهِ قائِمًا بالحَضيضِ

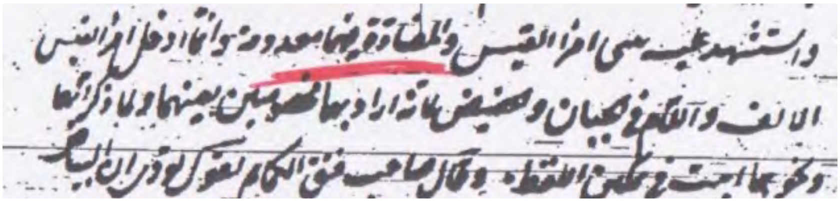
أدخلَ الألفَ واللامَ. وحَذْفُها أحْسَنُ في السّمعِ».

النّصُّ في (اللامع) (١/١٩٥) مطابقٌ تقريبًا لما هو منقولٌ في (النّظام) إلاّ قولَهُ: «لأنّهُ مُضاهٍ لقولِه: المشيبُ». هكذا (مُضاهٍ) بالهاء، وفي (الموضح) أيضًا: (مُضاهٍ) ١/٤٢٠.

ولا سبيلَ إلى الظّنّ بوقوع تحريف في مخطوطةِ (النظام)؛ لأنَّ ابنَ المستوفي بعد الانتهاء من نقْلِ كلام المعريّ ردَّ عليه قائلًا: «قالَ المباركُ بنُ أحمد: علَّلَ أبو العلاءِ أبياتَ الألفِ واللامِ في (شباب) من بيتِ المتنبّي لمضادَّتهِ (للمشيب)، واستشهدَ عليه ببيتيّ امرئِ القيسِ.

والمضادّةُ فيهما معدومةٌ، وإنّما أدخلَ امرؤ القيسِ الألف واللام في (الجبانِ والحضيضِ)؛ لأنَّهُ أرادَ بهما مخصوصيْن بعينِهما ولما ذكَرَ بهما، ونَحوهما أثبتُ في تمكينِ اللفظِ» (ص٣٠٨). فهل هو سَبْقُ نظرٍ من ابنِ المستوفي؟ أو كانَ ينقلُ من نسخةٍ حرَّفَ ناسِخُها (مُضاهٍ) إلى (مُضادٍّ)؟





(ت) ج ٦:

نَقَـلَ فيهِ أربَعةً وعشرينَ نصًّـا من (اللامع)[١٢]. مِن أبرز المواضع الإشكاليّة فيها:

- ص٤٥١- ٤٥٢ في شرح البيت:

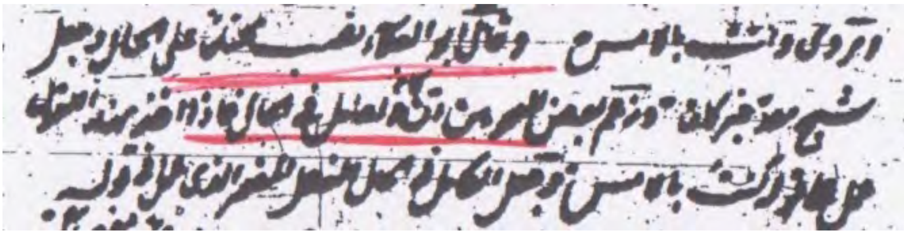
وأنْـكَ بـالأمـسِ كُنتَ مُحْتَلِمًا شـيـخَ مَـعَـدٍّ وأنــتَ أمْـرَدُهـا

أوردَ ابـن المستـوفي كلام المعـريّ علـى هذا النّحـو: «وقالَ أبو العـلاء: نصبَ مُحْتَلِمًـا علـى الحـالِ، وجعلَ (شيـخ مَعَدٍّ) خـبرَ كانَ، وزعَمَ بعضُ النّحويينَ أنَّ (كانَ) العامـلُ في الحال، فإذا أخذَ بهذا القول حُمِلَ على قوله: (كنتَ بالأمسِ)، وجُعِـلَ العاملُ في الحالِ الفعلَ المُضمَر الذي عمِـلَ في قولِه: (بالأمس)، والقياسُ لا يَمنـعُ أنْ تعمـلَ (كان) في الحالِ، لأنَّهـا فعلٌ متصرّفٌ، وترفَـعُ فاعِلًا وتنصِبُ مفعولًا، وتُشبَّه بالمفعول».

وما وردَ في (اللامع): «ونصبَ (مُحْتَلِمًا) بخبرِ كانَ على الحالِ، وجَعَلَ شيخَ معدٍّ بدلًا من (محتَلِم)، ويمكِنَ أنْ يُنصَبَ محتَلِمًا على الحالِ ويُجعلَ (شيخ معدٍّ) خـبرَ كانَ. وزَعَـمَ بعضُ النّحويينَ أنَّ (كانَ) لا تُعمِلُ الحالَ، فإذا أُخِذَ بهذا القولِ

حمـلَ على قولِهِ: كنتَ بالأمسِ، وجُعِلَ العاملُ في الحـالِ الفعلَ المُضْمَرَ الذي عمل في قولِهِ: (بالأمسِ)، والقياسُ لا يَمنَعُ أنْ تعملَ كانَ في الحالِ؛ لأنَّها فعلٌ مُتصرِّفٌ ترفَعُ فاعِلًا، وتنصبُ مفعولًا أو مُشبَّهًا بالمفعولِ»[١٣].

موضعُ الإشكالِ في التّناقضِ بين إثباتِ الجملةِ في نقْلِ (النّظام) «وزعمَ بعضُ النّحويـينَ أنَّ كانَ العاملُ في الحـالِ»، وبينَ نَفْيِها في المصـدرِ الأصليّ (اللامع): «وزعَـمَ بعضُ النّحويـينَ أنَّ كانَ لا تُعمِلُ الحالَ». وكذا ورَدَتِ الجملةُ نفسُها منفيَّةً في (الموضح) نقلًا عن المعريّ (١٣٥/٢).



- ص ٤٧٠ في شرح البيت:

كلُّ شَـيءٍ مـنَ الـدِّمـاءِ حَـرَامٌ　　　شُـرْبُـهُ مـا خَـلا دَمَ الـعُـنـقُـود

«قالَ أبو العلاءِ: أَحَلَّ الخمرَ في هذا البيتِ على سبيلِ الدَّعْوى، وذلكَ قَبيحٌ بمَنْ يَشْتَمِلُ عليهِ الإسلامُ. ويُروى: (ما سوى)».

العبارةُ موجودةٌ في (اللامع) (٣٩٣/١)، وفي (الموضح) (١٤٨/٢)، باستثناءِ الجملة الأخيرة المتَعلِّقة بالرّوايةِ الثّانيةِ. ولم أجِد الإشارة إلى الرّواية الأخيرة في (معجـز أحمد): (٧٥/١) ولكنَّ محقّق (معجز أحمد) أوردَ في الهامش نقْل ابن المستوفي لكلامِ أبي العلاء وفيه الإشارة إلى هذه الرّواية[١٤].

(ث) ج ٧:

نَقَلَ فيهِ أكثَرَ من خمسةٍ وخمسينَ نصًّا من شرح أبي العلاءِ المعريّ[١٥]. منها:

- ص ٢٠٥ نقلَ كلامَ أبي العلاءِ على بيت المتنبّي:

وشَـهْوَةَ عَـوْدٍ إنَّ جـودَ يمينـه ثُـنـاءُ ثُـنـاءٌ والجَــوادُ بـهـا فَـرْدُ

«قـالَ أبو العــلاءِ: يُريدُ: الواحِدُ نوالًا. و(ثُنــاء) لا تَنْصَرفُ في المعرفة، ولا في النّكـرة، وكذلكَ أخواتُهُ مِن أحــاد إلى عُشار...» إلى آخر كلامِــه، وساقَ شواهدَ المعريّ التي ذكرَها بينَ يديّ تحليلِه للبيت من شعر أبي تمّام والبحتريّ.

النّصّ موجود في (اللامع): (٢/٣٨٢ -٣٨٣) ما عدا الجملة الأولى (يريدُ: الواحـد نوالًا) أخلَّ بهِ المطبوع، وجملةُ (يُريدُ كـذا) استهلَّ بها أبو العلاء شرحَهُ في عـدّة مواضع، بإجمال الفكرة أو المعنـى العام للبيت أوَّلًا، والانتقال بعدَها إلى التّفصيــلات. يؤكّــدُ ذلك ورودُهــا في شرح (المُوضِــح): (٢/٢٦١) نقلًا عن أبي العلاء.

(ج) ج ٩:

نَقَلَ فيهِ أكثر من ثلاثين نصًّا[١٦]. منها ما ورَدَ في:

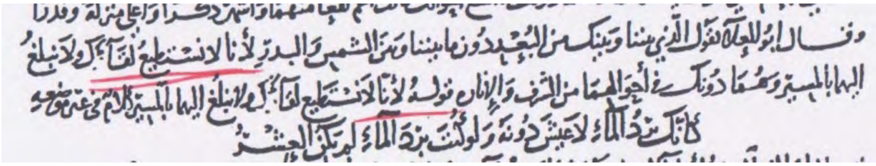
- ص ٤٦ نقلَ شرحَ أبي العلاء على البيت:

فَجِئناكَ دونَ الشَّمْسِ والبدرِ في النَّوى ودونَكَ في أحْوالِكَ الشَّمْسُ والبَدْرُ

علـى هــذا النَّحو: «الــذي بينَنَا وبينَــكَ من البُعْــدِ دونَ ما بينَنا وبــينَ الشّمسِ والبــدرِ؛ لأنَّا لا نستطيعُ لقاءَكَ، ولا نبلغُ إليهمــا بالمسيرِ، وهما دونَكَ في أحوالِهما من الشّــرفِ والإنارة». هكذا بصيغة النّفي: (لا نَستطيــعُ لقاءَكَ)، بينَما الجملةُ في (اللامــع) مُثْبَتــةٌ: (لأنَّا نستطيــعُ لقــاءَك) (١/٥٤٢)، وفي (الموضِح) أيضًا: (٣/٧٧).

ومعنــى البيتِ يؤكّدُ صيغــةَ الإثبات، ولا يتعجَّــلُ قارئ فيقــول: مجرد خطأ مطبعــيّ، فالنّفــي في المخطوطــة أيضًــا، ولا هــو وَهْمٌ وقــعَ فيه ناســخ مخطوطة (النظــام)، بل هــو موجود في أصل اقتباس ابن المستوفي نفســه، بدليل أنَّهُ ما إن انتهــى من نقْل كلام أبي العلاء حتّى ردَّ عليهِ: «قولُهُ: (لأنَّا لا نَستطيعُ لقاءَكَ، ولا

نبلـغُ إليهما بالمسيرِ) كلامٌ في غيرِ موضِعِه». فلعلّهُ خطأٌ في النّسخة التي كانَ ابن المستوفي ينقلُ منها، أو سبْقُ نَظرٍ منهُ.


وقـال أبو العلاء: يقول الذي بيننا وبينك من البُعد دون ما بيننا وبين الشمس والبدر؛ لأنا لا نستطيع لقاءك ولا نبلغ
إليهما بالمسير، وهما دونك في أحوالهما من الشرف والإنارة، قوله: لأنا لا نستطيع لقاءك ولا نبلغ إليهما بالمسير، كلام في غير موضعه
كأنك برد الماء لا عيش دونه ولو كنت برد الماء لم يكن العشر

- ص ٣٥٦-٣٥٧ وفيها كلام أبي العلاء على البيت:

هذي بَـرَزْتِ لَنـا فَهِجْتِ رَسيسا ثُـمَّ انْثنيْتِ ومـا شَفَيْتِ نَسيسَا

نقَـلَ ابـن المستوفي رأيين للمعريّ في التّوجيهِ النّحويّ للبيت من ثلاثة مصادر: الأول عـن (الموضح) كما سيُصرِّحُ هو في تضاعيفِ مناقشته الرّأي، والثّاني: عن شـرح الواحديّ كما صـرَّح أيضًا، والأخـير عن ابن فورّجة. وهـا هيَ تفصيلات النّقول كما أوردَها ابن المستوفي: «قالَ أبو العلاء: أشْبَهُ ما يُقالُ فيه أنَّهُ أرادَ: هذه الـبرْزة بـرَزْتِ لنا، أو هذه المـرَّة أو نحوَ ذلك. ويكونُ موضعُ (هـذي) نصْبًا على الظّـرف، لأنَّها مُشارٌ بها إلى ما يَحْتَمِـلُ أنْ يُنصَبَ كنصْبِ الظّروف. وإذا وقَعَتْ (هـذا) على اسم مِنْ أسماءِ الزّمان أو على ظرفٍ من ظروفِ الأمكنةِ فموضعُها نَصْبٌ» (ص٣٥٦). وهذا القولُ موجودٌ بحذافيرِهِ في (اللامع: ٢/٦٠٦-٦٠٧)، وفي (تفسير أبيات المعاني لأبي المرشدِ المعريّ: ص ١٣٥)، وفي (الموضِح: ٣/ ١٦٠).

ثـمّ نقلَ ابـنُ المستوفي كلامًا للواحديّ وفيه رأي أبـي العلاء على هذا النَّحْوِ: «وقـالَ الواحـديّ: ... وقالَ أبـو العلاءِ المعريَ: هـذه: موضوعةٌ موضـعَ المصدرِ، وإشـارة إلى البَرزةِ الواحـدة. كأنَّهُ يقولُ: هذه البَرزةَ بَرَزْتِ لنـا. كأنَّهُ يسْتحسنُ تلك البرزةَ الواحدة، وأنشَدَ:

يـا إبلـيْ إمّـا سَـلِمْتِ هـذي

فـاسْـتَـوْسِـقـيْ لِـصـارمٍ هَــذّاذِ

أو طـارقٍ في الـدَّجْـنِ والـرَّذاذِ

يُريدُ: هذه الكَرَّة. وهذا تأويلٌ حَسَنٌ لا ضرورةَ فيه ولا حاجةَ معهُ إلى الاعتذار» (٣٥٦/٢-٣٥٧). والنّصُّ برمَّتهِ في (شرح الواحديّ) بتحقيق ديتريصي: (ص٩٣). وعقَّبَ ابن المستوفي: «الذي ذكرْتُهُ أوَّل هو الذي حكاهُ عنهُ أبو زكريًّا التبريزيّ» (ص ٣٥٧).

ونقـلَ بعدَ ذلكَ كلامَ أبي العلاء من طريـقٍ ثالث: بروايةِ ابن فورّجة عنهُ في عَدِّ (هذي) مصدرًا بقولِهِ: «وسَمِعْتُ الشّيخ أبا العلاء المعريّ سقاهُ اللّه: (هذي) موضوعـة موضـعَ المصدر وإشارة إلى الـبرزة الواحدة، كأنَّهُ يقـولُ: هذه البرزة بـرزْتِ فهيَّجْتِ رسيسا. وهذا تأويلٌ حَسَنٌ لا حاجةَ معـهُ إلى الاعتذار». (النّظام ٩/ ٣٥٧). وكلامُ ابن فورّجة هذا موجودٌ في (الفتح على أبي الفتح) (ص ١٣٦).

أقـولُ: رأي أبي العلاء المعـريّ في النّصّ على مَصْدريّـة (هذي) لا وجودَ لهُ في (اللامـع)، ولا في (تفسير أبيات المعـاني)، ولا في (الموضِح) ولكنّهُ موجودٌ في (معجز أحمد) بعبارة مختلفة قليلًا وبلا شاهد شعريّ، جاءَ فيهِ: «ويَجوزُ أن يكونَ إشارة إلى المرّة الواحدة من (بَرَزْتِ)، فتكونُ هذهِ موضوعةً موضعَ المصدر، كأنَّهُ يقولُ: هذه البَرْزَةَ بَرَزْتِ لنا»[١٧].

ونَقَـلَ ابنُ معقـل الأزديّ في كتابـه: (المآخذ علـى شُرّاح ديوان أبـي الطّيّب المتنبّي) هذا الرّأي مع الرّجز[١٨]. وكانَ أبو اليُمن الكنديّ (ت ٦١٣هـ) أيضًا قد ساقَ كلامَ المعريّ الأخير بينَ يديْ شرْحهِ للبيت[١٩].

(ح) ج ١٠:

نقلَ فيهِ ثلاثةَ عشرَ نصًّا من شرح المعريّ[٢٠]. منها:

- ص٣٣٠ في شرح البيت:

إذا دعا العِلْجُ عِلْجًا حالَ بينَهُما أَظْمى تُفارِقُ منهُ أُخْتَها الضِّلَعُ

نقلَ الشّرح من المصدر باختصارٍ مُخلٍّ ومُرْبِك: «وقالَ أبو العلاءِ: والأخوَّةُ بينَهما أعْظَمُ من الأخوَّة بينَ الرَّجُلَيْنِ، وذكرَ: وإنْ كانَا توأمَيْنِ. وقالَ: (الضِّلع) ليستْ كذلكَ. وهذا الغَرضُ مِن أحسنِ المبالغة».

والنّصُّ في مصدره الأصليّ كالآتي: «ومعنى البيتِ أنَّ العِلجَ إذا دعا العِلْجَ الآخرَ ليُغيثَهُ حالَ بينَهما رمحٌ إذا طُعِنَ به فرَّقَ بينَ الضِّلع وأختها، والأخوَّةُ بينَهما أعظَمُ منَ الأخوَّة بينَ الرّجلَيْنِ اللذيْنِ يَجمعُ بينَهما أَبٌ وأمٌّ، لأنَّهما يُخْلَقانِ في وقتٍ واحد، ثمَّ لا يَفترقانِ إلاّ بعدَ فراقِ الحَياة، وأشدُّ أُخوَّة تكونُ بينَ الرّجليْن أنْ يكونا توْأمَيْنِ، والتّوأمُ لابُدَّ لهُ أنْ يُفارِقَ أخاهُ، كما يُفارِقُ الشّخصُ الشّخصَ للحاجةِ التي تَعرِضُ، والتّصرُّف في شؤونِ الحياة، والضِّلَعُ ليستْ كذلكَ. وهذا الغرضُ مِنْ أحسَنِ المُبالغةِ»[٢١]. والنّصُّ بكاملِهِ في (الموضح: ٣/٢٥٧).

(خ) ج ١٢:

نقلَ فيهِ أكثرَ من أربعينَ نصًّا[٢٢]، منها ما وردَ في المواضعِ الآتية:

- ص ١٧٠ نقلَ تعليقَ أبي العلاء على البيت:

ومَلْمومَةٌ سَيْفيَّةٌ رَبَعيَّةٌ تُصيحُ الحَصَى فيها صياحَ اللَّقالقِ

«وقالَ أبو العلاء: اللّقالِقُ: جمعُ لَقْلَقٍ ولَقْلاق. وهو الطّائِرُ المعروفُ الذي يُقالُ لهُ: أبو حُدَيْج». والتّعليقُ موجودٌ بتمامه في (الموضح: ٣/٤٣٤)، ولكنَّهُ في (اللامع) بصياغةٍ مختلفة قليلًا مع غياب صيغة (لَقلاق)، قالَ المعريّ: «واللّقالِق: جمعُ (لَقْلق)، وهو طائرٌ. وقيلَ إنَّهُ الذي يُقالُ لهُ أبو حُدَيْج»[٢٣].

وفي الحقيقةِ التّبريزيّ نقلَ هذهِ الجزئيّة عن ابن جنّي وليسَ عن المعريّ كما توهَّمَ ابنُ المستوفي. قالَ ابن جنّي: «وواحدُ اللقالق: لَقْلاق، وهو الذي تقولُ لهُ العامةُ: (لَقْلَق)، سُمّيَ بذلكَ لصوتِه. واللقلاقُ: الصّوتُ. قالَ:

وَلَقَد حَبَوْتُ أبا زُنَيْبةَ باللِّوى شَجْراءَ هاميةً لها لَقْلاقُ»[٢٤]

وأوضحَ الزَّبيدي أصل اللفظة، قالَ: «اللّقلقُ: طائِرٌ أعجَميّ ... معرّب (لَكْلَك) أو الأفصحُ (اللّقلاق)، وبهِ صدَّر الجوهريّ»[٢٥].

- ص ١٨٥ نقلَ كلامَ المعريّ على البيت:

فذكَّرْتَهُمْ بالماءِ ساعةَ غبَّرَتْ سَماوةُ كلْبٍ في أُنوفِ الحَزائِقِ

«وروى أبو العلاء: (فذكَّرْنَهُمْ)، قال: والنّون في (ذكّرْنَهم) ضميرُ الخيلِ، لأنَّها طردَتْهم. قال: ولو رُوِيَ (فذكَّرْتَهُمْ) بالتّاء لكانَ حَسَنًا».

لا وجودَ لهذا الكلام في (اللامع) (٨٠٦/٢) ولا في (معجز أحمد) (٤٥٨/٣)، فالرّوايةُ في الكتابيْن بالتّاء. رواية النّون روايةُ التّبريزيّ كما يبدو وليس المعريّ، فالشّرح موجود بنصّهِ كما نقله ابن المستوفي في: (الموضح ٤٣٧/٣-٤٣٨)، وقد علّق ابن المستوفي على الكلام المزعوم للمعريّ قائلًا: «والرّوايةُ في معظم النُّسَخ (ذكّرْتَهم) بالتّاء، ولم أرَها في نسخةٍ إلاّ بالتّاء، اللهمَّ إلاّ في نسخةٍ واحدةٍ من نسخِ الشَّرح»(ص ١٨٥).

وألَمَّ أبو اليُمن الكِنْديّ بروايةِ النّون، وذكرَها على نحو قريب ممّا نقلَهُ ابن المستوفي، ولكنَّهُ لم ينسبْها لأبي العلاء، قالَ: «(فذكَّرْنَهم) بالنّون ضميرُ الخيلِ لطرْدِها إيّاهُ، وبالتّاءِ خِطابُ سيفِ الدولةِ لصبْرِه»[٢٦].

٢- **نقولُهُ من شرح الخطيب التَّبريزيّ (ت ٥٠٢هج):**

وهي كثيرةٌ ومُباشرةٌ من (المُوضِح)، وقد توزَّعَتْ على الأجزاء الاثني عشر من (النِّظام) على النّحو الآتي:

(أ) ج١:

نقلَ فيهِ خمسة نصوصٍ[٢٧]، منها:

- ص ٤٢٣ نقل كلامًا نسبهُ إلى التّبريزي في شرح البيت الآتي:

لا تَكثرُ الأمواتُ كثرةَ قلَّةٍ   إلاّ إذا شَقيَتْ بكَ الأحياءُ

«قالَ أبو زكريَّا: قولُهُ: (شَقيَتْ بكَ) يُريدُ بفقْدكَ. يُخيّلُ معنى البيت لأنَّ الأحياءَ شَقوا بهِ لأنَّهُ قتَلَهُم». جديرٌ بالتنويه أنَّ هذا النَّصَّ في (الموضح: ١/١٥٣) نصفُهُ الأوَّل لابن جِنّي وليس التّبريزيّ، إذْ هو مدْرَج تحت الرّمز (ح) ويعني أبا الفتْح ابن جنّي، وهو موجودٌ في (الفسر:١/١٠٨)، وتَتمَّتُهُ للتّبريزيّ.

والملاحَظ أنَّ التّبريزيّ ذكرَ في شرح هذا البيت كلامَ أبي العلاءِ (ع)، وكلامَ ابنِ جِنّي (ح)، وكلامًا بالرّمزِ (ر)، رجَّحَ المحقّقُ أنْ يكون للتّبريزيّ نفسِهِ[٢٨].

وحينَ ردَّ ابنُ معقل الأزديّ على التّبريزيّ خَلَطَ بينَ كلامهم، ونَسَبَ كلامَ المعريّ إليه، قالَ: «قالَ: إنَّ الأحياءَ إذا شقوا بكَ كثرَ الأمواتُ، وتَرْكُ الكثرة يؤدّي إلى القِلَّة؛ إمّا لأنَّ الأحياءَ يَقلّونَ بمَنْ يموتُ، وإمَّا لأنَّ الميّتَ يَقلُّ بنفسه»[٢٩]. وهذا نصُّ كلامِ أبي العلاءِ وليسَ التّبريزيّ، وهو بنصّهِ في (اللامع العزيزيّ :١/١٢).

(ب) ج٤:

نقلَ فيهِ أكثر من خمسة وعشرين نصًّا[٣٠]. منها:

- ص ١٣٣ البيت:

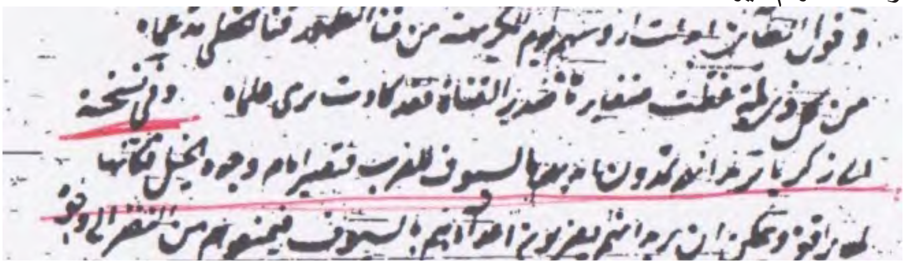
مُبَرْقعي خيلِهمْ بالبِيْض مُتَّخذي   هامَ الكُماةِ على أَرْماحِهمْ عَذَبا

لم ينسب ابنُ المستوفي الشّرحَ إلى الشّارح على عادته، بل اكتفى بالقولِ: (وفي نسخَةِ أبي زكريّا)، وهي إحالة سليمةٌ، لأنَّ الكلامَ المنقولَ هو لأبي العلاء بالرّمز (ع)، وليس للتّبريزيَ. (الموضح ١/٣٠٤)

قال ابنُ المستوفي: «وفي نسخةِ أبي زكريَّا: يُريدُ أنّهم يَمدّونَ أيديهم بالسّيوفِ للضّربِ فتصيرُ أمامَ وجوهِ الخيْلِ كأنَّها لها براقِعُ. ويمكنُ أنْ يريدَ: أنَّهم يضربونَ أعداءَهم بالسّيوفِ فيمنعونَهم من النَّظرِ إلى وجوهِ خيلِهم، فكأنَّهم قد سَتروها بالبراقِعِ».

ثـمّ حدثَ في (النّظام) المطبـوع سقطٌ في هذا الموضـع أدَّى إلى تداخلِ قولِ المعري مع كلام (زيد بن رفاعة) من شرحه، وتمام النّصّ كما هو في المخطوطة:

«وفي كتـاب زيد بن رفاعـة وذكرَ ما قالَهُ أبو الفتح وقالَ: أو كانتِ السّيوفُ بمنزلة البراقعِ لأنَّها تقي وجوهَها لتقيها، أو يريدُ: بِيض العدوّ لشدَّةِ خوضِهم في الحربِ، واقتحامهم فيها»[٣١].



- ص١٦٦ البيت:

فلقَدْ دُهشْتُ لِما فَعَلْتَ ودونَـهُ   ما يُدْهِشُ المَلَكَ الحَفيظَ الكاتبا

يـوردُ ابـنُ المستـوفي الملاحظـة التّاليـة: «في طُرَّةِ نسخـةِ أبي زكريّـا: يُروى (ودونَـهُ)، هذا سَماعـي من أبي الطّيّب». لم تـرد أيّة إشارة إلـى هذه الطُّرّة في (الموضـح) المطبوع (١/٣٢٤)، فلعلّها في مخطوطةٍ أخرى لم يقف عليها المحقّق، أو أهمَلَ الطّرّة ولم يُشِرْ إليها.

- ص٣٣٩- ٣٤٠ البيت:

ما أنْصَفَ القَومُ ضَبَّهْ   وأمَّـــهُ الـطُّـرطُـبَّـهْ

«وفي كتابِ أبي زكريًّا، وأظنُّهُ عن أبي العلاءِ: وإذا سُكِّنتِ الرّاءُ في هذا الموضع لحِقَ الوزنَ شيءٌ لا بأسَ به، إلاّ أنَّ تسكينَها يجعلُ بينَ النّصفيْنِ فرقًا في الغريزة، وتحريكُها أوْزَنُ، ويجوزُ أنْ يكونَ أبو الطّيّب قالَهُ بتسكين الرّاء، وذلكَ أشْبَهُ به».

وظنُّهُ في محلّه فالكلام بنصّه موجود في (اللامع:١/٢٢٣)، ولكنَّ التبريزيّ لم ينسبْـهُ إلـى قائِلـه ولم يَسِمْهُ بالحـرف (ع) (١/٤٤٦) كما ادّعـى في مقدّمةِ

كتابِـهِ، بيـد أنّ ذائقة ابن المستـوفي النقديّة استطاعت تمييـزَ أسلوب المعريّ في الشّرح، لاسيَّما ولعُهُ بالتّحليلاتِ العروضيّةِ لشعرِ المتنبّي.

(ت) ج٧:

نقلَ فيه أكثر من عشرينَ نصًّا من (الموضح) [٣٢]، منها:

- ص ١٠١ البيت:

وأنَّـكَ لا تَجـودُ على جَـوادٍ هِباتُكَ أنْ يُلقَّبَ بالجَـواد

قالَ ابن المستوفي: «وقالَ أبو زكريَّا: (نلومُكَ) يريدُ: يَلومُكَ بعضُنا، لأنَّ المادحَ لا يجـوزُ أنْ يكـونَ من اللائمينَ، وهذا مـن الكلامِ الذي كأنَّهُ عمـومٌ، وذلك على التّخصيص، كما يُقالُ: يلومونَ فلانًا على كذا، أيْ: بعضُهُمْ.

وزرْيُـهُ على العِبادِ: إنّهُ قـد أعلَمَهم أنّهم بخلاء، لا جوادَ فيهم، فلم يبقَ أحدٌ يُقالُ له جوادٌ.

وكانَ كثيرٌ من النّاسِ يروون: (تُلقَّبَ) بالتّاء، وتلك غباوةٌ بيّنةٌ. وإنّما المعنى: أنَّ هباتِـك مرفوعةٌ بفعلها، وهي (تَجودُ). كأنَّهُ قالَ: لاتـتركُ هباتُكَ أحدًا يُلقَّبُ بالجوادِ.

وأمَّا مَـنْ روى: (تُلقَّبَ) فيلزمُهُ أنْ يرفعَ (هباتـك) بالابتداءِ، ويُحيلُ المعنى إلى غيرِ ما أرادهُ القائلُ».

وهـذا الـكلامُ بنصِّهِ لأبـي العـلاء في (اللامـع: ٣٤١/١)، أوردَهُ التّبريزيّ في (الموضـح) بـلا نسبـةٍ إلى صاحبِـهِ (ع) (الموضـح :٢٠٥/٢- ٢٠٦). على أنّ (الموضح) المطبوع قد أخلَّ بسطرٍ كامل من هذا النّصّ المنقول[٣٣].

- ص ٤٠٩ البيت:

عُـدْ وأَعِـدْهـا فَحبَّذا تَـلَفٌ أَلْصَقَ ثَديي بِثَدْيِها النَّاهِدْ

ذكرَ ابن المستوفي: «روى أبو زكريَّا: (ثديي بثديهِ). وقالَ: و(الهاء) في (ثديهِ)

عائـدةٌ إلى (المولى) في قولِ مَنْ ذكَّـرَ، ومَنْ أنَّثَ جَعلَ (الهاء) عائدةً على المرأة، وذكَّرَ علـى معنى الشّخصِ، وإنْ كانَ يُريدُ المرأةَ. و(النّاهد) التي قد نَهَدَتْ. أي: نهضَ ثدْيها».

مرَّةً أخـرى: روايةُ التّذكـيرِ في الضّمير (ثديـه)، والتّوجيهُ والتعليـقُ اللغويّ عليها لأبي العـلاء في (اللامع:١/٤٣١)، وليس للتبريزيّ، ولكنّهُ أوردَها بلا عزْوٍ فتوهَّـمَ ابن المستوفي أنّهـا للأخير. على أنَّ رواية (الموضِـح) المطبوع (٢/٣٥٢) هي: (بثديها) بالتّأنيث وليسَ بالتّذكيرِ[٣٤].

- ص ٤٣١-٤٣٢ البيت:

فلا مُشَادٌ ولا مُشِيْدَ حَمَى ‏ ‏ ‏ ‏ ولا مَشيدٌ أغْنى ولا شائِدْ

والنَّقْـل هنا ليس مباشِرًا عـن شرح التّبريزيّ، بل هو ينقل عـن شرح أبي البقاء العكـبريّ الذي نقلَ عـن التّبريزيّ. وبعدَ النّقْلِ علّقَ ابن المستـوفيّ وصَحّح العَزْوَ، كما سيتّضح:

«قالَ أبو البقاء: الرّوايةُ: (ولا مَشيدَ حمى) بغير تنوينٍ على أصل بابِ (لا). ولا يجـوزُ أنْ تنوّن لأنَّ الـوزنَ يفسدُ. وقالَ أبو زكريَّا: وقد نوَّنهُ قومٌ ليشاكلوا به ما قبلَـهُ، وهو خطـأ. ولا يمتنع أنْ يخالف مـا قبلهُ، كما قالَ تعالـى: ((فلا رَفَثٌ ولا فسوقٌ))[٣٥] بالتّنوين، «ولا جِدالَ» بغير تنوين. قالَ المباركُ بنُ أحمد: (لأنَّ الوزن يفسدُ) غيرُ صحيحٍ. والذي نَسَبَهُ إلى أبي زكريَّا هو قول أبي العلاء».

نعـم، وهو في (اللامع) بعبارةٍ أدقّ من التي نقلَها التّبريزيّ، قالَ أبو العلاء: «ومَـنْ نـوّنَ مُشيدًا في النّصفِ الأوّلِ فما فعلَهُ جائـزٌ إلاّ أنَّهُ يُحدثُ في الوزنِ شيئًا تُنكِـرُهُ الغريزةُ، وقد استعملَ مثلَهُ المحدَثونَ كثـيرًا، إلاّ أنَّ تركَهُ أحسنُ، ولعلَّ مَنْ روى هـذه الرّوايةَ يريدُ أنْ يعطفَ على المرفوعِ مثْلَهُ كما جاء في الكتابِ العزيزِ ... والخروجُ إلى حالِ النَّصْبِ أحسنُ من تغييرِ الوزنِ»[٣٦].

هـذا التّداخلُ الحاصلُ عندَ ابـنِ المستوفي في نسبةِ الشّـروح بينَ أبي العلاء والتّبريزيّ، وقعَ حصرًا في (الموضِح)؛ لسوءِ نهجِ التّبريزيَ في نُقُولِه، وسلْخِه آراء المعريّ في أغلبِ المواضع بلا عَزْوٍ ممّا أوقعَ ابن المستوفي في الاضطرابِ.

(ث) ج٩:

نقلَ فيهِ عشرين نصًّا على أنَّها للتّبريزيّ(٣٧)، منها:

- ص ١٥٢ البيت:

وهْـوَ لا تَلْحَقُ الـدِّماءُ غراريْه   ولا عـِرْضَ مُنْتَضيـه المَخـازي

في هـذا الموضـع أفاد محقّق (المُوضِح) من النّصّ المُقتَبس في (النّظام)؛ لسَدّ طمسٍ وقعَ في مخطوطة (الموضح) (٣/١٢٣-١٢٤).

ذكرَ ابن المستوفي: «قالَ أبو زكريَّا: يقولُ: هذا السّيفُ من سرعةِ **قطْعِهِ** يسبقُ الدَّمَ فلا يتعلَّقُ بهِ منهُ شيءٌ. ويَقربُ من هذا المعنى قولُ الأوَّل في صفة السّيف:

تَـرى ضَـرباتِـه أبـدًا خطابًا   إلـى أنْ يَستبينَ لـهُ قتيـلُ»(٣٨)

هـذا النصّ لأبي العلاء في (اللامـع): (٢/٥٧٩) وليسَ للتّبريزيّ الذي أخذَهُ من غير نسبةٍ إلى صاحبِهِ الأصليّ.

(ج) ج١١:

ونقـلَ فيهِ من شرح التّبريزيّ في خمسة عشرَ موضِعًا(٣٩)، منها ثلاثةُ مواضع وقعَتْ فيها أخطاء مطبعيّةٌ في (النّظام)، من المفيد التّنبيهُ عليها:

- ص ٥ البيت:

مُلِثَّ القَطْرِ أعْطشْها رُبوعَا   وإلاَّ فاسْقِها السَّمَّ النَّقيعا

نقلَ ابن المستوفي الآتي: «وقالَ أبو زكريَّا: يَجوزُ أنْ يكونَ انتصابُ (ربوعًا) على الحالِ. و(النقيعُ) في الأصلِ: الذي يَثبتُ في البدَنِ».

ولا وجودَ لهذا الكلامِ في (الموضِح) ولا في (اللامع) الذي نقلَ عنه التّبريزيّ

نصًّا آخرَ (٣/٢٩٢)، ولا في (الفسر) (٣/٣٧٢)، وهو مِن مصادر التّبريزيّ كما تقدَّمَ.

وشـرح البيت في (اللامع) و(الموضح) هو: «يُقالُ: أَلَثَّ القطرُ: إذا دامَ، وقد جَـرتْ عادةُ الشُّعـراءِ أنْ يستسقوا للرّبوعِ، فخالفَهم أبـو الطيّب في هذا الموضع، وذكـرَ العِلَّةَ في تَرْكِـه استسقاءَ الغيثِ، وسؤاله إيّاه إنْ سَقاهـا أنْ يكونَ ما يَسقيهِ سَمًّا نقيعًا، وذلك قولُهُ:

أُسَـائِـلـهـا عـنِ المُـتَـدَيِّـريـهـا فـلا تَـدْري ولا تُـذْري دُمُـوعـا»[٤٠]

ولـدى مُراجعـة مخطوطة (النّظـام: ق٢/١٦٠ أ)، اتّضـحَ أنّ الكلام ل (ابن زكرّيـا) وهـو (أبو القاسم عبد الواحد بن زكريًّا) الذي نقلَ عنه ابن المستوفي في مواضع كثيرة من شرحه[٤١].

وهاهنـا كلمـةُ حقٍّ لابُـدَّ أنْ تُقالَ في جهـد محقّقِ (النّظـام) د. خلف رشيد نعمان -رحمَهُ اللّهُ-، فقد تتبّع ما وقعَ في أجزاء النظام من أخطاء مطبعيّة، وكان يُصوِّبُها بجداول تفصيليّة في نهاية

كلّ جـزء، باستثنـاء الأجزاء الثلاثـة الأخـيرة: (١١، ١٢، ١٣)؛ إذْ أَلَمَّتْ به ظروف صحيّةٌ أقعدَتْهُ عن تعقُّب كتبهِ المنشورةِ ومتابعتِها.

- ومثلُهُ ماوردَ في الصّفحتينِ: ٧، ٥٥.

جاء في ص ٧: البيت:

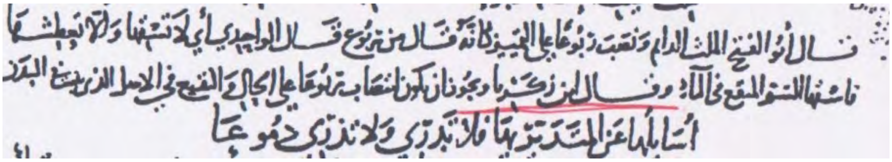
أُسَـائِـلـهـا عـنِ المُـتَـدَيِّـريـهـا فـلا تَـدْري ولا تُـذْري دُمُـوعـا

«وقالَ أبو زكريًّا: هذا بيانُ العِلَّةِ التي دعا مِنْ أَجْلِها على الدَّار. فيقولُ: حالي كذا، والبيتُ حكايةُ الحالِ». وهذا الكلامُ لاوجودَ له في (المُوضح) لأَنَّهُ لابنِ زكريًّا وليس لأبي زكريًّا التّبريزيّ كما تقدَّمَ.

- ومثلُهُ ما وردَ في ص ٥٥ تعليقًا على البيت:

نُظِمَتْ مَواهِبُهُ عليه تَمائمًا   فاعْتادَها فإذا سَقَطْنَ تَفزَّعا

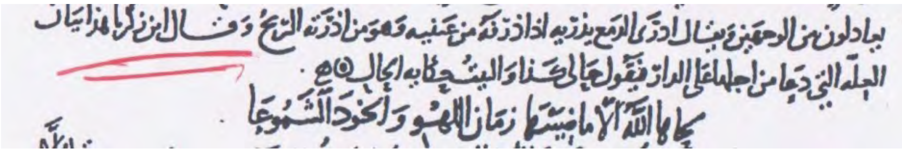
«وقالَ أبو زكريَّا: نصبَ (تَمائِمًا) على التَّمييز». وصاحب القول هو ابن زكريَّا أبو القاسم عبد الواحد بن زكريَّا.



قال أبو الفتح المثل الدائم ونصب تبوعا على التمييز كأنه قال من تبوع قال الواحدي أي لا تتبعها ولا تبعثها

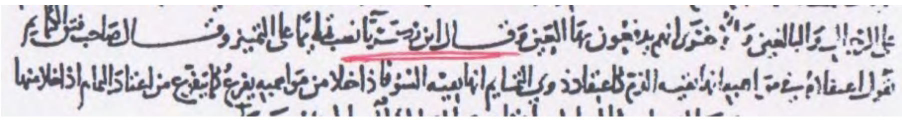
وقال ابن زكريا ويجوز أن يكون انتصاب تبوعا على الحال

أسائلها عن المتديّريها فلا تدري ولا تذري دموعا



وقال ابن زكريا

سقاها الله إلا ما انبسطا زمان اللهو والخود الشموعا



وقال ابن زكريا انتصابها على التمييز وقال الصاحب

(ح) ج١٢:

نقلَ فيه أكثرَ من خمسةَ عشرَ نصًّا[٤٢]. منها:

- ص ١٢٢ نَقَلَ شرحَ البيت:

وكُنْتَ إذا كاتَبْتَهُ قبلَ هذه   كَتَبْتَ إليْه ﻓﻲ قَذالِ الدُّمُسْتُق

«قالَ أبو زكريَّا: يريدُ: وكنْتَ إذا كاتَبْتَ ملكَ الرّوم خاطَبْتَهُ قبلَ هذه المرّة التي استعطَفَكَ فيها بالرّسل، كتبْتَ إليه ﻓﻲ قذالِ الدّمسْتق، أي: ضَرَبْتَ الدّمستقَ ضربةً ﻓﻲ وجهِه، فلمَّا رجعَ إلى الملكِ أعْرَبَ عن تأثيرِ خيلِكَ فيمَنْ يُريدُ مُحاربَتَكَ».

وهذا الكلامُ لا وجودَ ﻓﻲ (المُوضح:٣/٤١٧)، ولا ﻓﻲ (اللامع) الذي نقلَ عنه التّبريزيّ، وكل ما فُسِّرَ بهِ هذا البيت ﻓﻲ (الموضح) المطبوع هو الآتي: «القَذالُ: معروفٌ، وهو منقطعُ منبتِ الشَّعْرِ ﻓﻲ مؤخَّرِ الرَّأسِ، ويُقالُ: قَذَلَهُ الحجَّامُ: إذا حَجَمَهُ ﻓﻲ ذلكَ الموضع»[٤٣]. وهو كلامُ أبي العلاء (اللامع: ٢/٧٨٩)، وذكر

تفصيلات أخرى في التّحليل الصّرفيّ لكلمة (الدُّمُسْتُق). ونسبة الشّرح إلى (أبي زكريّـا) واضحة تمامًا في مخطوطـةِ (النّظام)! فلعلَّهُ وهمٌ وقعَ لابن المستوفي، أو سبْقُ قلمٍ من النّاسخ.

٣- نُقولُهُ من شَرحَيْ ابن فورَّجة (ت حوالي ٤٥٥هج)

نقلَ ابن المستوفي من شرحيّ ابن فورَّجة: (الفتح على أبي الفتح)، و(التّجنّي على ابن جِنّي) في مواضعَ كثيرة كما سيأتي، نقلًا عن الواحديّ أحيانًا كما صرَّحَ، وأحيانًا أخرى بالنّقل المباشر عن الشّرحيْنِ، وكانَ يوازِنُ أحيانًا بين النّصّ المنقولِ بالواسطةِ، وبينَ النّصّ المنقولِ مباشرة، على نحو ما ذكرَ في تفسير البيت:

بـاد هـواكَ صَبَرْتَ أمْ لم تَصْبرا   وبُكاكَ إنْ لم يَجرِ دمعُكَ أو جَرى

فعلّقَ: «لم يُبيّنِ الواحديّ فيما نقلَهُ كلامَ ابنِ فورّجة مِن كلامِه، بل خَلَطَ أكثرَهُ بكلامِـه، وهذا الذي أوْرَدْتُهُ نقلتُهُ مِن كتابيْهِما على ما حكيْتُهُ عنهما»(٤٤). وكقولِهِ بعدَ أن نقلَ شرح الواحديّ وفيه كلامُ ابن فورّجة على البيت:

حَـيـيٌّ مِـنْ إلـهـي أنْ يَـراني   وقد فارَقْتُ دارَكَ واصْطفاكا

علّـقَ الواحـديّ: «هـذا كلامُهُ على هـذا البيت في كتابيْهِ التجنّـي والفتح. وهو صحيـحٌ»، ثمّ علّقَ ابن المستوفي: «والذي أورَدَهُ ابن فورّجة في كتاب (الفتح) قولُهُ: ...»(٤٥).

وقد توزَّعتْ نُقولهُ منهما في (النّظام) على النَّحْوِ الآتي:

أ. ج١:

وردتْ نقولُهُ في (٨) ثمانيةِ مواضع(٤٦)، منها:

- ص ٣٩٠-٣٩١ البيت:

أنا صخرةُ الوادي إذا ما زوحِمَتْ   وإذا نـطـقْـتُ فـإنّـنـي الجَــوزاءُ

قـال ابن المستوفي: «وقالَ ابـن فورّجة: صخرةُ الوادي: هي أتانُ الضَّحْلِ، وهي

صخرةٌ تكونُ في الوادي قد بلَّ الماءُ أسفلَها، فازدادتْ رسوخًا في الأرض، والضَّحَل: الماءُ القليلُ يترقرقُ على وجهِ الأرضِ. قالَ الأستاذ أبو عليّ: إنّما يَعني: أنّي إذا زوحِمْتُ لم يُقدَرْ على إزالتي عن موضعي، كما أنَّ هذه الصّخرةَ لا تُزالُ عن موضعها. يريد: لا أُزالُ عن شرفي وفضلي عند المساماةِ والمُفاخرة، وإذا حوربْتُ لم أهزَمْ. وقولهُ: (فإذا نطقتُ فإنّني الجوزاءُ): فإنّ المنجّمينَ يزعمونَ أنَّ الجوزاء من البروجِ تختصّ بالكُتّاب، فهو وصاحبُهُ عطارد، ويَدلّانِ على المنطقِ والبراعةِ، فيقولُ: أنا الجوزاء، أي: أنا الذي منّي تُستفادُ البراعةُ، ومنّي يُقتَبسُ الفضلُ، كما أنّ الجوزاءَ يُعطي من يولَدُ به البراعةَ والمنطقَ. وإلى هذا أشار بقوله:

ومنّي استفادَ النّاسُ كلَّ غريبةٍ ... فجازوا بتركِ الذّمِّ إنْ لم يكنْ حَمْدُ»

الموجود من هذا النصّ في (الفتح على أبي الفتح): ص ١٨، هو الكلام الذي في السّطريْنِ الأول والثّاني فقط، وبدءًا من جملة: (والضّحل: الماء القليل يترقرقُ على وجه الأرض) إلى آخر الاقتباس... سقطَ من مخطوطة كتاب (الفتح) كما نبّهَ المحقق(٤٧). فها هي فائدةٌ أخرى نتحصَّلُ عليها من نُقول ابن المستوفي.

وسَبقَ ابنَ المستوفي أبو المُرشد المعريّ الذي أوردَ النّصَّ نفسه مع تفصيلاتٍ أخرى جديرة بأنْ تُنقَل كاملةً هنا: «قالَ ابنُ فورّجة: صخرةُ الوادي: هي أتانُ الضّحْلِ، وهي صخرةٌ تكونُ في الوادي قد بلَّ الماءُ أسفلَها، فازدادتْ رسوخًا في الأرضِ. والضّحْلُ: الماءُ القليلُ يَترقرقُ على وجهِ الأرضِ، وجمعُهُ ضحولٌ وأضْحالٌ، وأتانَ الضّحْلِ أرادَ امرؤ القيسِ بقولِه:

حِجارةُ غِيْلٍ وارِساتٌ بِطُحْلُبِ

والغِيْلُ: الماءُ بينَ الشّجَرِ. ومثلُهُ:

عَيْرانةٌ كأتانِ الضّحْلِ ناجيَةٌ ... إذا ترقَّصَ بالقورِ العَساقيلُ

وإنّما سُمّيَتْ أتانًا لأنَّ هذه الصّخرةَ تَملاسُ بالطّحْلبِ، فشُبِّهَتْ بالأتانِ التي املاستْ فأكثرَ لحمها. والأتانُ أيضًا: مكانُ المُستقى على حافةِ البئرِ سُمّيَ بذلكَ لإملاسهِ وتراكُبِ الطُّحْلبِ عليه.

وإنَّمـا يعنــي أنّي إذا زوحِمْتُ لم يُقدَرْ على إزالتي عـن موضعي، كما أنَّ هذهِ الصّخـرةَ لا تُـزالُ عن موضِعِهـا، يريدُ: لا أزالُ عن شرفي وفضْلـي عندَ المساماةِ والمُفاخرةِ، أو يعني أنّي إذا حاربْتُ لم أنْهزِمْ.

وقولُـهُ: (فإذا نطقْتُ فإنّني الجوزاءُ) فإنَّ المُنجِّمِيْنَ يزعمونَ أنَّ الجوزاءَ من البروجِ التي تختصُّ بالكُتّـابِ، فهو وصاحبُهُ عطارد يَدلاّنِ على المنطقِ والبراعة، فيقــولُ: أنــا الجــوزاءُ، أي: مِنّي تُسْتفــادُ البراعةُ، ومِنّــي يُقتَبَسُ الفضْـلُ كما أنَّ الجوزاءَ تُعطي مَن يولَدُ بهِ البراعةَ والمنطقَ، وإلى هذا أشارَ بقولِه:

ومنّي اسْتفادَ النَّاسُ كُلَّ غريبةٍ   فجازوا بتَرْكِ الذّمِّ إنْ لم يكُنْ حَمْدُ»[48]

ص ٣٩٧ البيت:

فَتَبيتُ تُسْئِد مُسْئدًا في نَيِّها   إسـآدَهـا في المَهْمَـهِ الإنضـاءُ

ذكرَ ابن المستوفي: «وقالَ ابنُ فورّجة –وذكرَ معنى ما ذكره أبو الفتح–: وهذا البيتُ مأخوذٌ من قولِ أبي تمام، يقولُ –يعني بعيرًا–:

رَعتْه الفيافي بعدَما كان حِقْبةً   رَعاها وماءُ الرّوضِ يَنْهلُّ سَاكِبُهْ[49]

فإن كان أرادَ: رعاها رعْيَ العشب فليسَ المعنى ذاكَ، وإن كانَ أرادَ به استعارة في القطعِ فأقبحْ بهذه الاستعارةِ أن يقولَ: رعتْ ناقتي هذه الفلاةَ، تريدُ قطْعَها».

وهــذا النصُّ غيرُ موجود في كتــاب (الفتح) المطبوع، ولا في كتاب (التجنّي) المجموع، وأغلب الظنّ أنّه في القسم السّاقط من (الفتح) كما تقدّم.

- ٤٠٥- ٤٠٦ في تفسير البيت:

جمَدَ القطارُ ولو رَأتْـه كما تَرى   بُـهِـتَـتْ فـلـم تَـتـبـجَّـسِ الأنْــواءُ

ذكــرَ ابــنُ المستوفي: «وقالَ ابــنُ فورّجة في هذا البيت: هــذه دعوى لكلِّ كريم، أو عنَــى بهــذا الممدوحَ وحــدَهُ، وادّعى له المحــالَ كما يدّعي المُبالــغُ في المدح ما لا يكونُ للممدوح، وذلك أنّه مدحَه في الشّتاءِ فادّعى أنَّ جمودَ الماءِ إنّما هو لتحيّره، والألفُ واللامُ فيه دليلٌ على أنّه يعني هذا الممدوحَ نفسَهُ لا كريمًا سواه، أو كان في

ذِكرِهِ وشارِعًا في حديثِه، فهذا كما يقولُ الشاعرُ:

أبى القلبُ إلاّ أمَّ عَمرٍو وحبَّها

يعنـي قلـبَ نفسِه، إذ كان في ذِكْرِهِ، ولو قيلَ: عَنَى كلَّ قلبٍ كان غيرَ جائزٍ، ألا تَـرى أنّـه ليس كلُّ قلب يُحبّ أمَّ عمـرٍو، (واستشهدَ بأمثلةٍ كثـيرة)، فكذا لمّا كانَ المتنبـي مـدحَ هذا الرّجلَ فقال: وكـذا الكريم، عُلِم أنّه يريدُهُ لا غـيرَه، فإنْ قلْنا: إنّ ذلك دعوى ادّعاها لكلِّ كريم، لم يكن المعنى جيدًا، ولم يكن أيضًا خارجًا عن مذاهبِهم في الشّعرِ. هذا كلامُهُ».

والبيت وشرحه غير موجودَيْنِ في (الفتح) ولا في (التجنّي).

وكـم أحسسْـتُ بغصّـةٍ حـين قـال ابـنُ المسـتوفي في تضاعيـفِ الاقتباسِ: (واستشهدَ بأمثلة كثيرة)، فليتَهُ أوردَها كلَّها أو قسمًا منها.

وكانَ أبو المرشد المعريّ قد نَقَلَ جزءًا مقتَضَبًا جدًّا من شرحِ ابن فورّجة على هـذا البيت، وذلكَ في قوله: «وقالَ ابنُ فورّجـة: أرادَ بالكريمِ الممدوحَ نفسَهُ لا كلَّ كريمٍ، إذْ كانَ شارِعًا في ذِكْرِهِ، كما قالَ الشّاعرُ:

أَبَـى القلـبُ إلاَّ أمَّ عَـمْـرٍو وذِكْـرَهـا

وكقولِ نُصَيْبٍ:

وقُلْ: إنْ تَمَلِّينا فما مَلَّكِ القلبُ»[٥٠]

(أ) ج٣:

نقل فيه من شرحِ ابن فورّجة في موضعين[٥١]: أحدُهما ما نُقِلَ في:

- ص ٣٢٩ – ٣٣٠ في شرح البيت:

أحْسَنُ ما يُخْضَبُ الحَديدُ بهِ　　　وخاضِبيْهِ النَّجيعُ والغَضَبُ

ذكـرَ ابـن المسـتوفي: «قالَ ابنُ فورّجة: لقد تعسَّفَ الشيـخُ أبو الفتح في تفسير هـذا البيـتِ، وأتى بما لا يمتنِعُ، (وحكى كلامَه، قالَ: وحكـى ما تقدَّمَ من قولِهِ)،

وقالَ: وهذا الذي ذكرَهُ غيرُ ممتنعٍ، إلاّ أنّ فيه من التعسّف ما يُرى، والذي عندي: أنّ قولَـه: (وخاضبيه) قَسَمٌ، يقول: وحقِّ خاضبيْه. فقد حصلَ المعنى الذي أرادَ، وزالَ ذلـك التّكلّـفُ كلّهُ، وجعلَ الغضبَ خِضابًا للحديـد، لأنّه يخضبهُ بالدّم على سبيلِ التوسّعِ في الكلام، وحسنَ أيضًا ذلك، لأنّ الغضبَ يَحمرُّ منه لونُ الإنسانِ، وتحمرّ عيناهُ منه، كما قالَ الشّاعرُ:

هلاّ سألْتَ غداةَ الرّوعِ ما حَسَبي ... عنـدَ الـطّعـانِ إذا مـا احْـمَـرّتِ

وقالَ الشيخ أبو العلاء المعريّ:

وسُهيلٍ كوجْنةِ الحِبِّ في اللونِ ... وقـلـبِ المُـحِـبِّ في الخَـفَـقَـانِ

يُسْـرعُ الـلّمحَ في احْـمـرارٍ كما ... تُسرعُ في الّلمْحِ مُقلةُ الغضْبانِ

فهـذا التّفسـيرُ عندي أقـربُ وأوْلى. والذي قالَهُ أبو الفتح أجَـلُّ نسَبًا لمكانه، وأبعدُ من الإحسانِ في صناعةِ الشّعر، وقد رويتُ عن جماعةٍ ممن أثقُ بهم، ورووهُ عـن المتنبّي: (وخاضِبَيْه) بفتح الباء، كأنّه يريد: أحسن خاضبيه، تثنية خاضِب، كأنَّ النّجيع خاضب والذّهب خاضِب، فكأنّه أحسنهما الدّم، ويكونُ الغضبُ حينئذٍ تأكيـدًا للنّجيع، أتى به في القافية، ولأنَّ النَّجيعَ يخضِبُ عند الغضب، فكأنّه جَعلَ النّجيـعَ والغضبَ شيئًا واحدًا. وهـذا كقولِك: أحسنُ ما يخضِبُ الخدودَ: الحُمْرةُ والخجلُ؛ لأنّ الخجَلَ يصبغُ الخدَّ أحمرَ، فلمّا كانتِ الحُمرةُ تابعةً للخجلِ جمعَهُما تأكيـدًا، وكذلـك لمّا كانَ النّجيعُ تابعًـا للغَضَب جمعَهما، يريدُ الـدّمَ وحده. وهذه الرّوايةُ جيدةٌ ومعنًى صائبٌ، وهو عندي خيرُ الرّوايتيْنِ»[٥٢].

النّصّ المنقولُ غيرُ موجودٍ في (الفتح) ولا في (التّجنّي)، لكنّهُ منقولٌ بتمامهِ في (تفسـير أبيـات المعـاني): (ص ٣٦-٣٧)، وجـاءَ مُختصرًا جـدًّا في (شرح الواحدي): (ص ٥٠٥) بلا تفصيلات ولا شواهدَ، وعنهُ نَقَلَهُ صاحِبُ (التّبيان في شرح الدّيوان:١/٧١)، المنسوب خطأً لأبي البقاءِ العكبريّ.

(ب) ج١٠:

نقلَ فيهِ تسعة نصوصٍ[٥٣]. منها:

- ص ٤٠٣ أوردَ شرح ابن فورّجة للبيت نقلًا عن الواحديّ:

أبَحْرٌ يَضُرُّ المُعْتَفينَ وطعْمُهُ زُعَاقٌ كبحرٍ لا يَضُرُّ ويَنْفَعُ

«قالَ ابن فورّجة: أبو الطيّب قالَ: (أبَحْرٌ يَضُرّ المعتفينَ). فخصَّصَ في المصراعِ الأوّل، فَعُلِمَ من لفظهِ أنَّهُ أرادَ كبحرٍ لا يَضُرُّ المعتفينَ، لأنَّهُ خصّصَ في ابتداءِ الكلام، ولا يكونُ آخرُ الكلام خارجًا عن أوَّلِه». البيتُ والتّعليقُ عليه ليسَا في (الفتح) ولا في (التّجنّي)، ولم يذكرْهُ أبو المرشدِ المعريّ في تفسيرِه، على كثرة نقولِهِ من كلامِ ابنِ فورّجة. وذكرَهُ صاحبُ التبيان:٢ /٢٤٦.

الهوامش والمراجع:

(١) النظام :١/٣٢٥- ٣٢٦.

وذكرَ ابن المستوفي ضمن مصادره أيضًا شروحًا أخرى لم تصلْ إليْنا، جمَعَتِ الباحثة -بفضْلِ اللّهِ وتوفيقِـهِ- أكثر من ستمائة نصٍّ منها في كتابٍ بعنـوان: (مِن شروح شعر المتنبي المفقودة)، صدر عن دارة البشائر الإسلاميّة، بيروت ٢٠٢١م. والشّروح المذكورة في الكتابِ هي:

١. شرح زيد بن رفاعة.
٢. فتْق الكمائم لأبي محمد المخزوميّ.
٣. شرح عبد الواحد بن زكريّا.
٤. كتاب الشّريف المرتضى في تتبّع ما ذكرهُ ابن جنّي.
٥. شرح أبي البقاء العكبريّ.
٦. شرح الأحسائيّ.

الشّـروح الخمسـة الأُوَل ذكرَ نصوصَهـا ابنُ المستوفي في (النّظام)، بينما ورَدَتْ نصوصُ الشّرح الأخير في (تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطّيّب المتنبّي)، لأبي المرشد المعريّ.

(٢) النظام: ١/٣٢٥.

(٣) اعتمدْتُ الشّروح الآتية – بحسَبِ تسلسلِ ورودِها في النّقول وما يتعلَّقُ بها من توضيح-:

- (المُوضِـح في شـرح شعر أبي الطيّب المتنبّي)، لأبي زكريّـا يحيى بن عليّ التّبريزيّ (ت ٥٠٢ هـج)، تحقيق د. خلف رشيد نعمان، ٥ أجزاء، دار الشّؤون الثّقافيّة العامة، بغداد (٢٠٠٠- ٢٠٠٥م).
- (اللّامـع العزيـزيّ /شـرح ديوان المتنبّـي)، لأبي العـلاء المعريّ (٤٤٩هـج)، تحقيق محمد سعيد المولويّ، ثلاثة أجزاء، مركز الملك فيصل للبحوث والدّراسات الإسلاميّة، الرياض (٢٠٠٨- ٢٠١٢م).
- الفتْـح علـى أبي الفتح، لأبـي عليّ محمد بن حمْـد بن فورّجة البروجـرديّ (ت حوالي ٤٥٥هج)، تحقيق د. رضا رجب، دار تموز، دمشق ٢٠١١م.
- التّجَنّـي على ابن جنّي لابن فورّجة (ضمن كتاب: شـروح شعر المتنبّي)، وهيَ نصوصٌ جمَعَها وحقَّقَها د. محسن غيّاض، دار الشّؤون الثقافيّة العامة، بغداد ٢٠٠٠م.
- تفسـير أبيات المعاني مـن شعر أبي الطيّب المتنبّـي، اختصار أبي المرشـد سُليمان بن علـيّ المعريّ (ت بعد ٤٩٢ هج)، تحقيق د. مجاهد محمد محمود الصّوّاف ود. محسن غياض عجيل، دار المأمون للتراث ١٣٩٩هج-١٩٧٩م.
- كتاب المآخذ على شُرّاح ديوان أبي الطّيّب المُتنبّي، لأبي العبّاس أحمد بنِ عليّ بنِ معقِل الأزديّ المُهلّبي (ت ٦٤٤هج)، تحقيق د. عبد العزيز بن ناصر المانع، مركز الملك فيصل للبحوث والدّراسات الإسلاميّة، ط٣، الرّياض ١٤٣٠ هج- ٢٠٠٩م.

- الصّفـوة في معاني شعر المتنبّي وشرحه، لأبي اليُمنِ تاجِ الدّينِ زيد بن الحسن الكنديّ (ت ٦١٣هـج)، دراسة وتحقيق د. عبد الله بن صالح الفلاح، ط١، النّادي الأدبي، الرّياض:١٤٣٠هـج-٢٠٠٩م.
- شرح الواحديّ (ت٤٦٨ هج)، تحقيق فريدرِخ ديتريصي، برلين ١٨٦١م.
- التّبيان في شرح الديوان، المنسوب لأبي البقاءِ العكبريّ (ت٦١٦هج)، تحقيق مصطفى السّقا وآخرين، دار الفكر، بيروت ١٤٣١-١٤٣٢هج/٢٠١٠م

(٤) الموضح: ١ /١٢١.

(٥) يُنظر النّظام :١/ ٣٣٠، ٣٤٧، ٣٥٣، ٤٢٣، ٤٢٧، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٥١، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٨، ٤٦١، ٤٦٤، ٤٦٩.

(٦) اللامع العزيزيّ:١/٣٣.

(٧) شرح ديوان أبي الطيّب المتنبّي لأبي العلاءِ المعريّ (معجز أحمد)، تحقيق ودراسة د. عبد المجيد دياب، دار المعارف، ط٢، مصر١٤١٣هج-١٩٩٢م :٤/١٩٢.

(*) نقلَ ابن المستوفي في الجزء الثالث من كلام المعريّ نصوصًا كثيرةً أيضًا: تنظر الصّفحات: ٢٤٧، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٨، ٢٦٤، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٥، ٢٨٧، ٣٠٩، ٣١٥، ٣٢٧، ٣٣٠.

(٨) كتاب المآخذ على شُرّاح ديوان أبي الطّيب المتنبّي: ٢/ ١١.

(٩) يُنظر النظام: ٤/ الصفحات: ٧، ٢٠، ١٠، ٢٢، ٢٦، ٢٩، ٣٧، ٤٩، ٥٣، ٥٩، ٦٨، ٧١ (في موضعين)، ٧٥ (في موضعين)، ٨١، ٩٢، ١١٤، ١١٩، ١٢١، ١٤١، ١٦٩، ١٧١، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٧، ١٨٠، ١٩٣، ٢٠٥ (في موضعين)، ٢١٤، ٢٢٠، ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٣١، ٢٣٤، ٢٣٨، ٢٤٥، ٢٤٨، ٢٥٣، ٢٥٨، ٢٧٥، ٢٧٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢ (في موضعين)، ٢٩٧، ٣٠٧، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٨، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٣٠، ٣٦٦.

(١٠) اللامع العزيزيّ: ١/١٤٢.

(**) ويُنظر أيضًا النّظام: ٥/ الصفحات: ٢٨، ٣٥، ٤٠، ٧٣، ٧٨، ٨١، ٢٢٨، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٤٢، ٢٤٨، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٦٠

(١١) الفتح على أبي الفتح:٣٠.

(١٢) يُنظر النظام :٦/ الصّفحات: ٣١٥، ٣٢٨، ٣٦١، ٣٦٦، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٥، ٣٧٧، ٣٨٢، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٩، ٣٩٢، ٤٠٦، ٤٤٩، ٤٥١، ٤٥٦، ٤٦٠، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٨، ٤٧٠، ٤٧٦، ٤٧٩.

(١٣) اللامع العزيزيّ:١/٤٠٧.

(١٤) يُنظر معجز أحمد:١/٧٥ هامش ١.

(١٥) يُنظر النّظام: ٧/ الصّفحات: «١٣، ١٥، ٢٤، ٢٥، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٤٤، ٧٩، ٨٦، ٩١، ١٤٤، ١٤٧، ١٤٩، ١٥١، ١٥٩، ١٧٣، ١٧٥، ١٩٤، ١٩٦، ١٩٨، ٢٠١، ٢٠٣، ٢٠٥، ٢٤٤، ٢٦٤، ٢٦٦، ٢٧٥، ٢٧٧، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٩٣، ٣٠٣، ٣٢٩، ٣٣٤، ٣٤٤، ٣٤٩، ٣٥٢، ٣٥٤، ٣٥٦، ٣٥٨، ٣٨٦، ٣٨٩، ٣٩٣، ٣٩٤، ٤٠٢، ٤٠٤، ٤١٢، ٤١٨، ٤٢٧، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٥١ (في موضعين)، ٤٥٢.

(***) ونقلَ أحدَ عشرَ نصًّا من شرح أبي العلاء في الجزء الثّامن توزَّعَتْ بينَ الصّفحات: ٢٨٧، ٣٠٩، ٣٢٩، ٣٤٢، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٦٠، ٣٦٦، ٣٩٤، ٤٠٢، ٤٣٢.

(١٦) يُنظر النظام: ٩/ الصّفحات: ١٦، ٤٦، ٤٨، ٦٥، ٦٩، ١٠٥، ١١٥، ١٢٥، ١٤٥، ١٦، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٥، ١٥٩، ١٦١، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٥، ١٧٨، ١٨٠، ١٨٢، ٣٣٦، ٣٤٠، ٣٤٣، ٣٤٧، ٣٥٠، ٣٥٦، ٣٦٧، ٣٧٥، ٣٨٢، ٣٨٤، ٣٩٠، ٤٠٠.

(١٧) معجز أحمد:١/٢٠٩-٢١٠.

(١٨) يُنظر: كتاب المآخذ على شُرّاح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي: ١/١٢٥-١٢٦، وينظر هامش المحقّق٤.

(١٩) ينظر: الصّفوة في معاني شعر المتنبّي وشرحِه:١/١٢٥.

(٢٠) يُنظر النظام:١٠/ الصّفحات: ١٤٧، ٢٩٦، ٣٠٧، ٣٣٠، ٣٣٨، ٣٤٠، ٣٤٤، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٩، ٣٦٥، ٣٧٣، ٣٧٥.

(****) وللمزيد أيضًا: يُنظر النظام: ١١/ الصّفحات:٦، ٩، ١٠، ٢٤ (في موضعين)، ٣٥، ٤٢، ٤٤، ٤٦، ٥٥، ٦٤، ٦٦، ٦٨، ٧٩، ٨٦، ٨٩، ٩٣، ٩٩، ١٠١، ١٠٤، ١٠٣، ١٠٨، ١١١، ١١٣، ١١٤، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٥٩، ٢٦٤، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٩.

(٢١) اللامع العزيزي: ٢/٦٨٦.

(٢٢) يُنظر النظام: ١٢/ الصّفحات: ٣٢، ٣٦، ٣٩، ٤٣، ٥٣، ٥٧، ٦٦، ٦٨، ٨١، ٨٣، ٨٥، ٨٦، ٩٦، ١٠٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٤١، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٠، ١٧٣، ١٨٠، ١٨٥، ١٩٥، ٢٠٤، ٢٥٠، ٢٥٥، ٢٩٧، ٢٩٩، ٣١٦، ٣١٩، ٣٣١، ٣٤٥، ٣٤٨، ٣٦٩، ٣٧٤، ٣٧٧، ٣٨٤، ٣٨٩، ٣٩٣، ٣٩٥، ٤٠٦.

(٢٣) اللامع العزيزيّ: ٢/٨٠٣.

(٢٤) الفسر، لأبي الفتح عثمان بن جِنّي (ت ٣٩٢هج)، تحقيق د. رضا رجب، ط، دار الينابيع، دمشق ٢٠٠٤م: ٣/٥١٤.

(٢٥) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزَّبيديّ، تحقيق عبد الكريم العزباويّ، الكويت ١٤١٠هـج- ١٩٩٠م: (لقق) ج٢٦/٣٦٢. أقول: مازالتِ العامةُ في العراق تطلقُ على هذا الطّائر الصيغة الأعجميّة التي ذكرَها الزّبيديّ: (لكلك) بالكاف الفارسيّة.

(٢٦) الصّفوة: ٢/١٨١.

(*****) ونقلَ في الجزء الثالث عشر خمسة عشر نصًّا من كلام المعريّ، تنظر الصفحات: ٧، ١٣، ١٦، ٣٤، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٩، ٦٢، ٦٤، ٧٥، ٨٨، ٩١، ٩٤، ١٠٣.

(٢٧) يُنظر النّظام: ١/ الصّفحات: ٣٩٣، ٣٩٨، ٤٢٣، ٤٥٧، ٤٧٥.

(٢٨) تُنظر ملاحظة محقق الموضح: ١/١٥٣هامش ٤٢،٤٣.

(٢٩) كتاب المآخذ على شُرَّاح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي: ٣/٩.

(*) يُنظر للمزيد: النّظام: ٣/الصفحات: ٢٩٤، ٣٢١، ٣٢٧ (في موضعين)، ٣٣١.

(٣٠) يُنظر النّظام:٤/ ١٤، ٢٦، ٣٢، ٣٨، ٦٧، ١٠٠، ١٠٦، ١٣٣، ١٤٧ (في موضعين)، ١٤٨، ١٥٣، ١٦٦،

١٨٣، ١٨٨، ٢٠٥، ٢١٦، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٣٩، ٢٤٩، ٢٥٧،٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٦، ٢٨٧، ٣٢٤، ٣٤٠.

(٣١) مخطوطة النّظام: ق١/٣٧٣ ب.

(**) للمزيد ينظر النظام: ٦/الصّفحات: ٣٣٧، ٣٥١، ٣٥٤، ٤١٣، ٤١٩، ٤٦٩، ٤٧١، ٤٧٦، ٤٧٩.

(٣٢) يُنظر النّظام: ٧/ الصّفحات: ١٨، ١٠١، ١٢٠، ١٢٢، ١٣١، ١٣٨، ١٧٧، ١٨٥، ١٨٩، ١٩٢، ٢٠٩، ٢٢٨، ٢٦٠، ٣٢٧، ٣٢٩، ٣٨١، ٣٨٦، ٣٩٦، ٤٠٩، ٤١١، ٤٣٢، ٤٣٩.

(٣٣) جاء في (الموضح): «كأنَّهُ قالَ: لا تتركُ هباتكُ بالابتداء. ويُحيلُ المعنى إلى غيرِ ما أرادَهُ القائل» (٢/٢٠٦) هكذا! والكلام مبتور وغير مفهوم لسقوط سطر كامل من أصل الشّرح كما تقدَّم.

(٣٤) تنظر ملاحظة محقق الموضح: ٢/٣٥٢ هامش ٤.

(٣٥) البقرة:١٩٧.

(٣٦) اللامع العزيزيّ:١/٤٣٨-٤٣٩.

(***) ويُنظر أيضًا النّظام: ٨/ الصّفحات: ٣٠١، ٣١٨، ٣٢٢، ٣٢٤، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٤٦، ٣٥٠، ٣٥٨، ٣٨٠، ٣٩٢، ٤٣٥ [في موضعين].

(٣٧) يُنظر النّظام: ٩/ الصّفحات: ٦٠، ٦٣، ٦٧، ٦٩، ٧٤، ٧٦، ٨٠، ٨٣، ٨٨، ٩٠، ٩٦، ٩٩، ١٠٩، ١١٧، ١١٩، ١٥٢، ١٥٥، ١٦٩، ٣٣٨، ٣٩٤.

(٣٨) في (النظام) و(المُوضح) ضُبِطَتِ اللفظةُ: (خِطابًا)، وفي اللامع: (خَطايا). (××××) وللمزيد يُنظر أيضًا النّظام: ١٠/ الصّفحات: ٢٩٩، ٣٠٣، ٣٠٥، ٣٢٠، ٣٢٢، ٣٢٤، ٣٢٨، ٣٤١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٧٩، ٣٩٥، ٣٩٦.

(٣٩) يُنظر النّظام: ١١/ الصّفحات: ٥، ٧، ١٤، ١٥، ٢٧، ٣٣، ٤٧، ٤٨، ٥٢، ٥٥، ٥٧، ٨٣، ٩٦، ٢٣٧، ٢٥٢.

(٤٠) اللامع العزيزيّ: ٢/ ٧٢٤. وقد استعنْتُ باللامع في هذا الموضع لأنَّ محقّق الموضح شكا من عدم وضوح بعض الألفاظ في المخطوطة هنا، فتركها نقاطًا ... (تنظر ملاحظته: الموضح ٣ /٢٩٢ هامش١). ولدى مقابلة هذا باللامع تبيّنَ أنَّ الكلام للمعريّ سلخه التّبريزيّ.

(٤١)يُنظر: من شروح شعر المتنبّي المفقودة، د. نادية غازي العزّاويّ، دار البشائر الإسلاميّة، بيروت ٢٠٢١: ص ١١٥-١٧١ وجمعَت الباحثة (١٧٤) نصًّا من هذا الشّرح المفقود.

(٤٢) يُنظر النّظام: ١٢/ الصّفحات: ٥١، ٩١، ١٢٢، ١٣٣، ١٤٨، ١٤٩، ٢٨١، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٧، ٢٩٦، ٢٩٧، ٣٠٦، ٣٥٢، ٣٥٥، ٣٩٨، ٤٠١.

(٤٣) الموضح: ٣/٤١٧.

(*****) ويُنظر أيضًا للمزيد من النّقول: النظام: ١٣/ الصفحات: ٥٠، ٦٣، ٧٧، ٧٨ (نقولٌ أخرى من شرح التّبريزيّ..

(٤٤) النّظام: ٩/٧٢.

(٤٥) النظام: ١٣/١٠٤.

(٤٦) يُنظر النّظام: ١/ الصّفحات: ٣٧٤،٣٨٣، ٣٨٨، ٣٩٠-٣٩١، ٣٩٧، ٤٠٥، ٤١٦، ٤٢٠.

(٤٧) تنظر ملاحظة محقق الفتح على أبي الفتح: ١٨ هامش ٦.

(٤٨) تفسير أبيات المعاني من شعرِ أبي الطّيِّب المتنبّي:٢٤-٢٥. وتنظر هوامش المحقّقيْن: ٣٣، ٣٤ وفيها تخريج بيت امرئ القيس: ديوانُهُ: ٥٢ وصدرهُ: (ويَخطو على صُمٍّ صِلابٍ كأنَّها). وتخريج بيت كعب بن زهير: شرح ديوانه: ١٦.

(٤٩) شرح الصّولي لديوانِ أبي تَمّام، تحقيق خلف رشيد نعمان، وزارة الإعلام، العراق ١٩٧٧م: ٢٩٢/١.

(٥٠) تفسير أبيات المعاني: ٢٧-٢٨ وتنظر ملاحظة المحققيْنِ: هامش ٤٥، ٤٦ في تخريج البيتيْنِ: ديوان أبي الأسود الدّؤلي: ٥٢، شعر نصيب:٦٠.

(٥١) يُنظر النظام: ٣/ الصفحات: ٢٩٥، ٣٢٩.

(٥٢) تُنظر ملاحظة محقق النّظام: ٣٢٩/٣ هامش ٤، ٥ في تخريج بيت زيد الخيل، ديوانه:٧٦، وبيت أبي العلاء، ديوان سقط الزّند: ٤, ٩٥)

(*) تنظر نقولهُ أيضًا النّظام: ٤/ الصفحات: ١٢٩، ١٣٤، ١٤٦، ١٧٨، ١٨١، ١٨٤، ١٩٤، ٢٠٧، ٢١٨، ٢٣٤، ٢٣٩، ٢٦٦، ٢٨٠، ٣٢٤، ٣٢٦،٣٤٤، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٩.

(**) تنظر نقوله النّظام: ٥/ الصفحات: ٥١، ٥٣، ٦٠، ٧٧، ١٧٧.

(***) تنظر نقولُهُ أيضًا: النظام/٦ الصّفحات: ٣٣٨، ٣٦٣، ٣٨٥-٣٨٦، ٣٩٤.

(****) تنظر نقوله أيضًا: ٧/ الصّفحات: ١١، ٢٣، ٤٢-٤٣، ٤٥، ٤٦، ٥٠، ٦٢، ٦٣، ٦٧، ٦٨، ٨٩، ٩٠، ٩٤، ٩٧، ١٤٤، ١٥٤، ١٦٨، ٢٠٠، ٢١٠، ٢٢١، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٤٢، ٢٥٠، ٢٦٦، ٢٦٨، ٢٩٧، ٣٠٣، ٣٢٠، ٣٢٧، ٣٣١، ٣٣٣، ٣٣٨، ٣٦٩، ٣٧٥، ٣٨٧، ٤٠١، ٤٢٤، ٤٣٥، ٤٤١.

(*****) يُنظر أيضًا النظام: ٨ /الصّفحات: ٣٠٨، ٣٣٠، ٣٣٣، ٣٦٨، ٣٨٠، ٤٠٤، ٤٢٦، ٤٣٩.

(*****) يُنظر أيضًا النظام: ٩/ الصّفحات: ١٠، ١٣، ٢٤، ٣٨، ٤٠، ٤١، ٤٩، ٥٣، ٧١ (في موضعين)،٧٦، ٨٨، ١٠٠، ١٢٢، ١٧١، ١٧٧، ٣٣١، ٣٥٧، ٣٦٤.

(٥٣) يُنظر النظام:١٠/ الصّفحات: ٣١١، ٣١٤، ٣١٨، ٣٣٠، ٣٣٥، ٣٣٩، ٣٩٠، ٤٠٠، ٤٠٣.

(******) يُنظر النظام: ١١/ الصّفحات: ١١، ٢٥٨.

(*******) يُنظر النظام :١٢/ الصّفحات: ٤٤، ٦٢-٦٣، ٩٧، ١٠٧، ١٠٩، ١١٥، ١٣٠، ١٦٦، ١٧٤، ١٩٣، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢١٩، ٢٨١، ٣٣٢، ٣٤٠، ٣٧٢-٣٧٣، ٣٩٠، ٣٩٥.

(******) يُنظر أيضًا: النظام: ١٣/ الصّفحات: ٣٨، ٤٠، ٤٤، ٦٥، ٩٢، ٩٧-٩٨، ١٠١، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥.

تساؤل حول عبادة الكواكب فيما قبل الإسلام*

Zur Frage eines Astralkultes im vorislamischen Arabien

تيلمان زايدنشتكر، من مدينة جيسن

VonTilman Seidensticker، Giesen

ترجمة: أ. د. فضل بن عمّار العماري

أُجيب في الماضي إجابات متفاوتة تفاوتًا تامًّا عن السؤال عن مدى معرفة البدو وأقاليم وسط الجزيرة العربية وشمالها بالأنواء في القرنين السابقين للإسلام[١].

فلقد صدّر لودولف كريهل Ludolf Krehl، الفصل الأول من بحثه الصادر في لايبزج سنة (١٨٦٣م) عن ديانة عرب ما قبل الإسلام بالعبارة التالية: «انبثق دين العربي القديم عن عبادة الأجرام السماوية»[٢].

وفي سنة (١٩٠١م) نشر هوجو وينكلر Hugo Winkler كتابه العربية- السامية- الشرقية Arabisch- Semitisch- Orientalisch[٣]، فصاغ إحدى نتائجه بالزعم التالي: «كان هبل إله مكة، وكان الإله القمر».

ولقد كان من الصعوبة بمكان قبول وجهة نظر وينكلر، بينما رحّب ولهاوزن في كتابه بقايا الوثنية العربية Resten Arabischen Heidentums[٤] كثيرًا بفكرة كريهل، إذ أشار إلى دَور متواضع لعبادة النجوم. ومن ثمّ، تجاوز جوزيف

هينينجـر ولهـاوزن في مقالته سنة (١٩٥٤م) التي كرّسها حـول تساؤله الخاصّ عـن عبادة النجـوم[٥]. وفي المقابل، لم يتطرق توفيق فهـد في كتابه الصادر سنة (١٩٦٨م) إلـى الفكرة الوجودية Pantheon في جزيـرة العرب قبل الإسلام، لا مـن حيـث «تأثير الأنواء في أديان العرب»، ولا من حيـث الموقف الآخر من «وثنية طبيعـة الأنـواء»[٦]. حقًّـا، عبّر هينينجـر عن نقده لهـذا التفسـير[٧]. وما يزال النقاش محتدِمًا، ولم ينتهِ بعدُ. ويبدو أنني أُثير بالتفصيل مسألتين، معتمدًا على ما ذكره هينينجر في مقالته السابقة.

المسألـة الأولى: قيمـة النصوص النثرية العربية التـي تدّعي تقديس أجرام معينـة عند القبائل العربية المختلفـة، فلقد ذكر أولها ابـن سعيد الأندلسي (في القرن الحادي عشر الميلادي)[٨]. وذكر ثانيها شمس الدين الدمشقي (في القرن الرابـع عشر الميـلادي)[٩]. وكان ظـنّ هينيجر في ضوء الاتفـاق الكبير بين كلا النصين أن الثانية اعتمدت مباشرة على الأولى، أو اقتُبست من إحدى مصادرها. ويطـرح مانفرد كروب Manfred Kropp[١٠] بنـاءً على القرائن احتمال –وقد تعامل شابـير Sabier مع كلا النصّين أيضًا– أن لا تكون الأصول العامة مأخوذة عن المسعودي. ولقد حكم هينينجر بحقّ على ضآلة قيمة النصوص. وعليه فكون المسعودي مصدرها لن يضيف كثيرًا[١١].

المسألـة الثانيـة: أن هينينجـر بحـث عميقًا ومليًّـا في طبيعـة الآلهة الثلاث منـاة والـلات والعزى وَفق معطيات عبـادة الأجرام السماويـة. وكانت الإفادات غـير العربية هي أساس هذا الفحص لطبيعة تلـك الآلهة. ووَفق ما رآه هينينجر احتمالاً مؤكّدًا أن هناك تطابقًا بين العزّى والزهرة، التي كانت عمومًا ذات مكانة لدى العرب في شمال الجزيرة العربية[١٢].

وتضافرت جهود الدارسـين الأوروبيين والعرب المعاصرين على تقديم دلائل أخـرى، غير أننا عمليًّا لم نحظَ بنقـد بنّاء فاحص. وعلى قدر ما يمكن توضيحه

من هاتين المسألتين، فقد أصبحت الشواهد أخيرًا ذات قيمة، ولكن دون أن توضع الإشارات المختلفة الأولى للتقليد العربي الإسلامي مبدئيًّا في الحسبان.

ينقسم هذا البحث إلى قسمين. وبالتالي سوف يقدِّم البرهان مفصَّلاً وموضَّحًا، إنه يقوم على التركيز على بيتين من شعر ما قبل الإسلام، يتعلَّقان إلى حدٍّ ما بتقديس الهلال[١٣]. ونحن نثق بمصداقية مضمون كلا البيتين وروايتهما؛ لأنهما ليسا محلَّ خلاف في الأدب الإسلامي، لا وَفق معطيات الشعر الذي جاءا فيه، ولا بحسب اعتبارهما شاهدين على تأريخ النظريات الدينية[١٤]. ولهذا، فلهما قيمتهما، إذ لم يتمكن ابن سعيد والدمشقي أن يأتي بشيء حول ما هو مذكور آنفًا[١٥].

وبالتأكيد، لقد بدا حسبما هو مأمول أنَّ انتظامًا مضافًا -سلبًا- لنتيجةٍ ذاتِ صلةٍ وُثقى بالتاريخ الديني لما قبل الإسلام. وهذا ما لا يتوافق مع الأساس الذي يقوم عليه البحث أعلاه. وتصبح بدائل تلك البراهين المقدَّمة ثانوية حيثما صُنِّفت حتى الآن من مختلف الجهات. وإنه لمن حسن الحظ أن يضطلع تصور المشكلة في الأدب القديم فيما يمكن أن يوجِد حلاًّ. وعلينا التنبه بحذر شديد إلى مثال البيتين المشار إليهما. لقد سبق أن قامت إحدى المحاولات التي لم يحالفها التوفيق بمقارنة الأدلة، وهو ماعرَّضها للتأثير الانطباعي، فلم يضِف البحث إلى الحقيقة جديدًا[١٦].

وليس معلومًا صاحب البيت الأول، فلم يظهر إلا في مجموعة شيخو سنة (١٨٠٦م) على أنه منسوب للخنساء، والواقع أنه خامس بيت في ديوانها، وهذا ما يبيّن خطأ نسبته للخنساء عند الشُّرّاح. وأوضح جمع شيخو (ص٣١٩) أنه مأخوذ عن كتاب أنساب العرب، فهو ضمن سبعة أبيات في وزن واحد منسوبة إلى أمّ أبي الجبر كبشة بنت شيطان. كما جاءت في عمل رودولف غاير Rudolf Geyer عن الأعشى (١/٥٤)، وكذلك (٢/١٨٨)، على أنها رثاء كبشة ابنَها أبا

الجـبر بن عمرو في الجاهلية لعلاقـة أبي الجبر بكسـرى الأول (٥٣١-٥٧٩م)، الذي توفي بُعيد زيارته له. يقول البيت: ديوان الخنساء (ص١٩٦).

مـلـكٌ مـاجـد يـقـوم لـه الـنـا   سُ جـمـيـعًا قـيـامـهـم لـلـهـلال

أما البيت الثاني، فهو:

أَرْيَحِـيٌّ سـلْطٌ يظلّ لـه القو   مُ ركـودًا قـيامهـم لـلـهـلال[17]

وينصـرف التفكـير هنا في تقديس الهلال إلى تعليق غاير: «إنَّ القيام يشعرنا بالاحتفـال بالهلال، كما هو الحال عند وينكلر[18]، وهو ما يثبته ديوان الخنساء. ومثلمـا أورده نولدكـه، (وكمـا في خزانـة الأدب)، وما ذكره فلهـاوزن في ملحقه الثاني مـن كتابه «Resten»، وترجمه نولدكه: «قيامهـم للهلال»، ثم إنَّ فلهاوزن كتـب على المرء أن يطّلع على قول الأعشـى لمعرفة الاحتفال بالقمر، وهو ما يذّكر بالوقوف (Resten, 245).

ولم يستمـرّ عمل فنكلـر Winckler المستند إلى جهود غايـر. وليس هناك في الأدب العربـي والأوروبـي ما يشـير إلى «احتفـال بالهلال». وديـوان الخنساء لا يُعـدّ الآن جمعًـا سليمًا، إذ يضـمّ شروحات أيضًـا. على أنه لم يتـمّ شرح البيت المذكور سابقًـا. ولقد ثمّن غاير تعليقات شُرّاح شعر الأعشى فيما تضمّنته مكتب الإسكوريال، فقال: «حقًّا، استفاض تنامي التدقيق المحكَم» (der Einleitung, p.XV11). ويظـل البيت الذي نحن بصدده غامضًـا. على الرغم من أنَّ علماء معتبرين كابـن الأنباري، وابن نباتة، والقرشي، وعبد القادر البغدادي، لم يُبدوا مـا يجلي ذلك الغموض حول «الاحتفال بالهلال»[19]. وهذا ما لا يدفع إلى المضي في البحث فيه.

ويمكن توضيح مثل هذا عند ذكر الوقوف للقمر في ترقّب رؤية هلال رمضان وترقّـب انقضائه. ونذكر إلى جانب معطيات كثـير من المصادر العربية وإفادات الرحّالة الأوروبيين لجلاء الصورة قول أبي تمام بانقضاء الصوم[20]:

رمَـقـوا عـلـيّ جـذعـه فـكـأنـمـا وقـدوا الـهـلال عشية الإفـطـار

(ديـوان أبي تمام، تحق: عزام، ٢٨/٢٧ = ابن أبي عـون، التشبيهات، ص ٤٠٣، العسكري، المعاني، ج١، ص ٢٨٨).

وبيـت أبــي تمام يخدمنا كثيرًا في تفسير البيتــين، وإن كان علينا أن نضع في الحسبــان كـون الأعشــى أدرك الإســلام، إلا أن بيت كبشة جاهلــي. ولا شك أن الدافع المعتبر في الجاهلية لترقب الأهلّة مع اهتمام خاصّ في المقابل هو الحجّ[٢١]. ولم تكـن شعائر الحجّ في الإسـلام كما فيما قبل الإســلام ذات ارتباط بالتقويم الزمنــي. صحيح أنه ينبغي التحقّق مــن الأول من ذي الحجة لأهمية يوم التروية في الثامــن منه. وهذا ما نصّ عليه القــرآن: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ (البقرة: ١٨٩) وانظر، Paret.

ولهذا كان التذكير بالهلال. ومن هنا يتطلب توضيح استعمال المصدر «قيام» في البيتــين، وهو ما لم يفعلــه كلٌّ من غاير، ونولدكه، وفلهــاوزن؛ ذلك أن للهلال علاقة بالتقويم الديني، فلماذا كل هذا الاعتبار لنزع الطابع الأسطوري للقمر؟

يظهــر أحــد المواقــف في رحلة ابــن جبــير أنَّ الوقوف الجســدي –وقبل كل شــيء نتيجةَ قانون علم البصريــات– هو الحالة الوحيدة التي يمكن القياس بها. فقــد وصف ابن جبير حالة لجماعــة في ترقب هلال ذي الحجة، وهم مصطفون يحدّقون لحظةَ بزوغه، فإذا ما رآه أحدهم صاح: الله أكبر، وفعل البقية مثله[٢٢].

وهــذا هو مــا يؤكد ما كانت عليــه الحال فيما قبل الإســلام. ويذكر الشاعر غير المعروف جيدًا، مطرود الخزاعي، الذي مدح جدّ النبي، عبد المطلب، والذي يذكر اسمه هنا شيبة[٢٣]:

الـبـدرُ شيبةُ أو هـلالٌ طـالـعٌ وقـف الـحـجـيـج لـه بـواد غـائـر

وهنــاك مشكلة في توثيــق الشعر المتعلق بمديح جَدّ النبــيّ [ﷺ] كما هي المشكلة

في الأشعار قبل الإسلام. فإذا ما كان البيت منحولاً، فإنه بالتأكيد ليس لهذا لغرض انتُحِل، إذ كلا المدخلين يفسر البيت. ومكمن الخطر، في تداخل الأشعار المنحولة الإسلامي منها بالجاهلي، وهذا ما لا يؤثر فيما تماسُكِ ما نحن فيه؛ لأن مواقيت الحج، حسب التقويم القمري، لم تتغير في الإسلام؛ فبداية الحج هي في الإسلام معتمدة على رؤية الهلال، وتتقرر حسب هذا الموعد كل الإجراءات. ولدينا ما يثبت ترقب الهلال في الشعر الإسلامي. ونجد مثل هذا الصنيع في العصر الأموي قول جرير:

من كلّ أبيضَ يستضاءُ بوجهه نظر الحجيج إلى خروج هلال

(ابن المثنى، النقائض، ص٤٨). وقول ذي الرمة:

(كأنَّ الناس) ....

قياماً ينظرون إلى بلال رفاقُ الحَجّ أبَصَرتِ الهلالا[٢٤]

فهناك تشابه بين قول مطرود وهذه، وهو ما يكمِّل الفوارق الشعرية التي لم تكن واضحة حتى الآن، والتي ربما سببت بعض سوء الفهم. فعلى سبيل المثال توجد إشارات إلى تفسير تقديس القمر وفكرته في وصف نظر الرومان إلى السماء كما جاء في تصوير كاسبر ديفيد فريدريخ Casper David Fridrich: «رجلان يقدسان القمر» الذي أمامهما. ومع أن الشعور نحو الطبيعة في الشعر العربي لا يمكن استبعاده[٢٥]، فإننا نستشهد بأربعة أبيات تذكر الهلال وليس البدر، وهو ما يعكس أثر الحياة الدينية، يقول عمرو بن قميئة يذكر وجه حبيبته خولة:

ووجهٌ يحارُ له الناظرون يخالونهم قد أهَلّوا هلالا

(عمرو بن قميئة، ديوان عمرو بن قميئة، ص١١).

ويقول الأخطل:

إليه أشار الناظرون كأنه هلال بدا من قتمة وغيوب

(الأخطل، شعر الأخطل، ص٢٧).

كما يقول:

قيامًا(!) ينظرون إلى سعيد   كأنهمُ يرون به هلالا[٢٦]

ويقول غيره:

ترى الأبصارَ خاشعةً إليه   كما يخشعن حين يُرى الهلال

(Far, 297 11).

بالرغم من الترجمة الصحيحة، فإن البيتين يبيّنان مكانة الحجّ فيما قبل الإسلام في ارتباطه بالتقويم القمري. وإذا ما كان النقاش لا يوصل إلى نتيجة حاسمة، فعلينا - كما قلنا أعلاه- أن نستمر في إيجاد حلول للمشكلة بتقديم أدلة أخرى. إذ هناك مسألتان ابتعدتا عما نحن فيه، ولا يمكننا تجاوزهما:

ما ذكره فلهاوزن (Reste, 210) من «أن الاستدلال بأن القمر قد عُبد غيرُ مقنع إلى حدٍّ كبير»، وهو يستند إلى استعمال اللغة العربية في كون التثنية «القمران»: للشمس والقمر، ولا يساعد هذا على تحقيق الهدف من أجل التأريخ الديني. فقد كان يطلق من غير تقديس على كلٍّ من الخليفتين: أبي بكر وعمر [رضي الله عنهما] «العمران». ولم يكن عمر [رضي الله عنه] معبودًا.

ما ذهب إليه فهد (Pantheon, 249) استنادًا إلى كتاب (الجاحظ، الحيوان) هو خطأ مطبعي؛ لأنه اعتمد (تاج العروس للزبيدي)، بينما العبارة في كتاب (الحيوان) «عبادة البِدر» التي غيّرها فهد إلى «عبَدت البدرَ»[٢٧]، وترجمها جمعًا للبدر، كما في (التاج)، في حين أنها في كتاب (الجاحظ، الحيوان) «عُبّاد البِدَدَ»، أي: عبادة الآلهة.

٧. أن كلمة الإله في أحد الأبيات الجاهلية تعني الشمس:

تروّحنا من اللعباء عصرًا   وأعجلنا الإلهة أن تؤوبا

ولكلمــة «الإلهــة» علاقــة بالمــكان(88, App sa A 88.Geyer und Kazzarah, Tamim, Nr26). ويتحــدث الشعــر عن آمنــة، أخت الجاهلي، عتيبــة بــن الحــارث[٢٨]. والسؤال يــدور حول غموض ما هو منســوب للأعشى، كما في (الزمخشــري، الجبال والأمكنة والمياه، ص١٣٣). والسؤال الآخر يتعلق بمعنــى البيت. فإلى جانب إلهــة لدينا صعوبة في توجيه الفعلــين «أعجلَ» و«أبَ». ففلهاوزن في كتابه (Reste, 33) يترجمهما: «أقبلنا من العلياء متعجّلين فوصلنا الإلهة مع الغــروب». أما أوغست فيشر فيرى: «قمنا عجِلين فكنا عند الإلهة وقت الغــروب»[٢٩]. ولــدى فهد في عملــه (Pantheon, 153): «غادرنا العلباء مساءً حتــى نصل فجرًا». وتتفق المصــادر العربية على أن الإلهة تمثــل الشمس. ونحن نضع في الاعتبار المعنى المكاني للكلمة، (انظر ياقوت البلدان، والبكري معجم ما استعجم). وحيث إن الإلهة معنى للشمس لم يتطرق إليه أحد، فإنا نربطه بما مرّ من حديث، بما له علاقة بالتقديس Hapaxlegomena.

لقــد تجنــب الدارسون العرب الخوض في هذه المسألــة ذات الصلة بشروق الشمس وغروبها، ولاسيما ما له علاقةٌ بالتقديس في الجاهلية[٣٠]. ولهذا ارتباط بمــا جاء في الحديث، (وانظــر، Wensinck Handbook, p192). وكلٌّ واحدٍ لديــه ما يؤسّس عليه. ومن بــين كلا التوضيحين تبدو معضلة كون الشمس تشرق من قرني شيطان وتغرب منهما[٣١]. ولا يمكن الأخذ بهذا التفسير، للربط بما بين الجاهليــة والإسلام، إذ ينبغي الفصل بينهمــا، فهذا الصنيع خاصّ بالكفّار[٣٢]. ولقــد قضى الإسلام على كثير مــن معتقدات الجاهلية (انظــر، Wensinck)، ومــن بينها صلاة ما بعد الفجر قبل الضحــى فهي غير جائزة، وكذلك صلاة ما قبل الغروب بعد العصر[٣٣]. وفي ضوء هذه النصوص، فلم يعد ثمة إمكانية لربط ذلــك بطقوس النصارى، فهم في الحسبان كفّار، إنمــا تلك صلاة المنافقين[٣٤]. (انظر: ابن أنس، الموطأ، ج١، ص٢٢٠؛ القرآن آية ٤٦).*

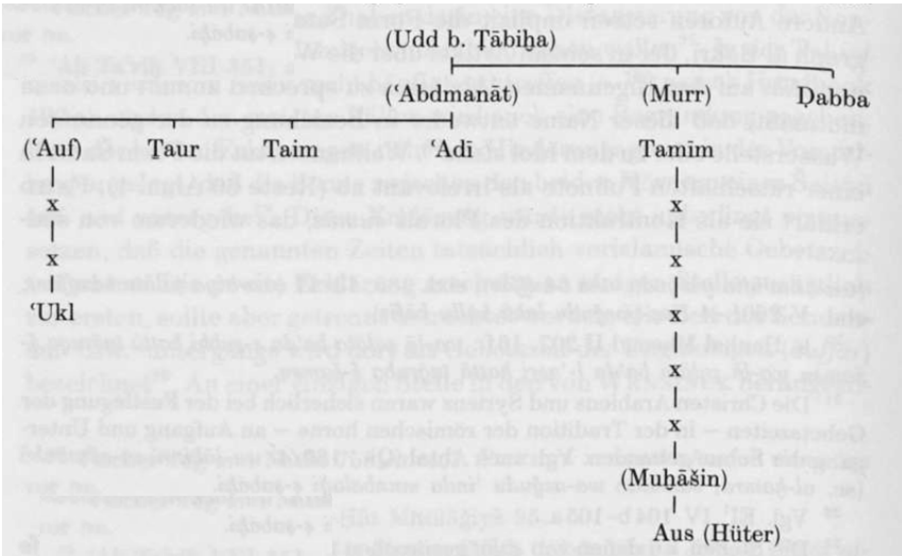
وهنــا علينــا الأخــذ في الاعتبــار أن التطبيق العملــي للحديــث السابق حول

مواقيـت الصلاة يعود إلى عهد الرسول [ﷺ]. وكما هو معلوم فعدد الصلوات لم يُذكـر في القرآن(٣٥)، وكذلك توقيت بعضها بشكل محدد(٣٦). ومن ثم، فعلى المرء أن يضع في الحسبان أن النحاة Atiologien أسهموا في ذلك.

والدليـل على عبـادة «الشمس» هو ما يماثلها من تسميـات في الجاهلية من أصنـام. وإن واجهتنا مشكلـة التسميات، فلقد بدأ النقاشـ عمومًا حول الاسم، إذ إن ياقوتًـا يذكـر الشمسـ شُمس بضمّ أولـه(٣٧). بينما يذكـر مؤلفون آخرون كالبكـري بئرًا اسمه «شَمسـ» بفتح أوله في صلته بعبد شمسـ على أنه اسم، إما للبئر أو للصنم(٣٨). إلا أن فلهاوزن يستبعد شُمس (Reste Anm, 60). أما فهْد (Pantheon, 150)، فيراهـا جمعًـا كـ «الشُّموس» علـى أنها مأخوذة من الجذر العربي الجنوبي «شمس» (وجمعها «أسمس»)، فهي إما حمى للإلهة «الشمس» أو اسم عائلة. وهذا التفسير لا يتفق مع كون «الشمس» صنمًا. وهناك صيغة أخرى للسم بإضافة (ال) التعريف «الشمس» كما في تفسير مقاتل بن سليمان،(Kister, Labbayka 52 mit Anm).

وإذا مـا كانت الأسس مقنعة للتشكيل الصوتي لصياغة «شَمس»/«الشَّمس»، فعلينا توضيح ما تؤدي إليه تسمية صنم ما. فكل من نولدكه وفلهاوزن يرى علاقة الاسـم بـ «الشمس» ذاتها(٣٩). بيـد أنَّ المعطيات لا تساعد على مثل هذا الفهم في مثـل هذه العبادة لـ«الشمس». ولا تبقى معروفةً إلا القبائل التي عبدت «الشمس»، وكان لها «بيت عبادة»، ومنها كانت السدنة.

وقـد ذكر أربعـة من علمـاء الأنسـاب العربية أسمـاء القبائـل التي عبدت «شمسـ»(٤٠). وهـذه المعطيـات متضاربـة، والأسمـاء فيهـا مسـرودة بطريقـة عشوائيـة(٤١). وهـو مـا يصوره الجـدول التالي، مـع وضع حلقـات الاتصال بين قوسين، أو من خلال العلامة X:



ويُرجـع النسابة العرب أصل هذه القبائل إلى أُدّ بن طابخة(٤٢). ولكن هناك قبائـل تنتمـي إلى أُدّ بن طابخة، وليست متضمَّنـةً في أنسابها، مثل قبيلة مزينة. وما جَمَعَ هذه القبائل إلا الارتباط السياسي، فقد شكّلت كلّ من عُكَل، وثور، وتَيم، وعديّ، وضبَّة حلفًا سمَّته الرِّباب(٤٣). وقد ارتبطت تميم مؤقتًا بهذا الحلف.

ولم تقدَّم تلبية «شمس» عند القبائل التي تقدِّس «الشمس» أية معطيات ذات دلالـة(٤٤). ولقد أغرى انتشــارُ «طقس الشمس» فلهاوزنَ وهو الـذي وجد قَسَمًا بـ «الشمس» لأحد شعراء هذيل(٤٥). ولم يرتضِ بعض علماء فقه اللغة العربية، كون «وشمس»/«وشمسَ» قسَمًـا بـ «الشمســ»، وفي القرآن [الكـريم] قسم بالشمس: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١﴾(٤٦).

وقـد أظهر كلٌّ من ابن الكلبي وفلهـاوزن العلاقة التاريخية الدينية للأسماء في الجاهليـة. فلقـد وجد فلهـاوزن حالات إضافـة إلى «عبـد» في بعض الأعلام (Reste, 4)، فمثــلاً ذكـر «عبد عمـر» و«عبد الحارث». وليســت هذه الظاهرة

وحدها هـي التي تأخذ فيها أسماء الآلهة أسماء أعـلام أو أسماءً جليلة، فهناك أيضـاً «عمرو» و«حارثة» كأسماء قديمة للآلهة. ومن ثـم، فاسم «عمرو» على أنه اسـم إله نجـده في الإضافة إلى «عبد»، أي: «عبد عمرو». وإلى جانب ذلك هناك أسمـاء أُسَر فجدّ النبي [ﷺ] الأكبر عبد المطلب، وعمه الذي يُدعى المطلب. ولم يكن معروفًا صلة الاسم «المطلب» بالله[٤٧].

ولم تُثَـر مثل هذه الأسئلة التي علينا وضعها في الحسبان فيما يخص الاسم «عبـد شمـس» وعلاقة الاسم بالصنـم الشمس. إذ لا يوجد مـا يكشف جليًّا عن طقس عبـادة «الشمس» في وسط الجزيـرة العربية وشرقهـا، وإنما وجد الاسم «عبـد شمس» في القرن الثاني قبل الإسلام عند قبائل أخرى كثيرة. ففي جمهرة كاسـكل يوجـد[٤٨] أشخاص يحملون هذا الاسم، ثلاثة منهـم من تميم، ولا أحد يسمـى بـ «الشمس» من الرباب. فالاسم لم يكن واسـع الانتشار وإنما كان يُذكر «ABoaouooac» في نقش حوران (Wellhausen، Reste , 60)، وكذلك «عبد شمس» في أحد النقوش مـن العهود السبئيـة الوسطى في (عَمـران) [باليمن] (CIS,81 , 1v). ومـن هنـا، فـإن هذا لا يستبعـد الربط بين الصنـم «شمس» والاسم «عبد شمس»، ويكفي أن لدينا فيما قبل الإسلام بقرنين الصنم «شمس».

إن الاسـم الخاص بـ «شمس» (الذي ذكره كاسـكل ثلاث مرات في جمهرته صـ٥٢٦)[٤٩] يذكـره فلهـاوزن (Reste , 8) على أنه اسم لأعـلام يحملون اسم آلهـة. وعلى المـرء أن يقارن هذا الاسم بالاسم «شُمس» (الذي ذكره كاسكل أربع مرات (Caskel a.a. O. 531) و«شماسَ» (ذُكر مرة واحدة ebd , 525)، وكذلك «شمّاسَ» (ذُكر عشر مرات ebd, 526).

وفي القـرآن [الكريم] سورة فصلت الآية ٣٧: ﴿لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ٣٧﴾. ويبـدو أنَّ آخـر الآيـة يفترض أن الذين يخاطبهـم الله [تعالى] كان لهم فهمهـم الخاصّ. أما

مَـن المخاطب بعدئذ في هذه الآية، فيظل غير معلوم. ولا يفيدنا في هذا المفسرون كالطبري مثلاً. أما الزمخشري، فظن أنهم الذين يسجدون لـ «الشمس» و«القمر» دونمـا تحديد[٥٠]. ويرى القرطبي بنـاءً على ما ذهب إليه ابـن حويزمنداد بأنه رمـز لصلاة الكسوف التي تُؤدّى فيها[٥١]. وحيث إنه من المأثور أن الرسول [ﷺ] أدّى صلاة الخسوف (Wensinck, Handbpook, 66)، فإنه من الصعوبة بمكان أن يوجد أحد أية علاقة بما سبق.

وحيـث إن الصورة لم تتضح بعد في تحديد مـن يعنيهم القرآن [الكريم] في عصـر الرسـول [ﷺ]، فما يزال لدينـا تفسير آخر، إذ إنه يمكـن أن يكون رمزًا لمعاصري إبراهيـم [عليه السلام] أو إشارة إلى السبئيين (انظر Fahad, 151 Pantheon). فلقـد جـاء قول إبراهيـم [عليه السلام] في ذكـر النجم والقمر والشمـس جنبًا إلى جنب كآلهة في القرآن [الكـريم] في سورة الأنعام، الآية ٧٦. وكانـت الدهشة أن الكواكب غـارت، فقال إبراهيـم: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦﴾ ﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾* وفي القـرآن [الكـريم] خطـاب لسليمان [عليه السلام] عـن بلاط ملكة سبأ، في سورة النمل، الآية ٢٤: ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾.

وللعلماء المسلمين حديث عن أحد أجداد النبي [ﷺ] من جهة أمه ممن جمع بـين عبادة الشعـرى والانتصار لها. وبمـا أن اسمه دائمًا هي كنيتـه، أبو كبشة، فإنـه ينتمي إلى قبيلة خزاعـة. ولقد اعتمد كستر على مصـادر منها: البلاذري (ت٢٧٩هـ)، وابن حبيب (ت٢٤٥هـ)، إلى جانب ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)[٥٢]. فابن حبيـب يعرّفه بأنه الحارث (قبشان) بن عمرو بن بُوَي[٥٣]. أما البلاذري فيذكره مـع ابن حفيـد، وجز بن غالب[٥٤]. ويذكره ابن قتيبة باسـم أبي كبشة[٥٥]. ويرى نولدكـه (انظر ERE, 660) أنـه المعني بما جاء في القرآن سـورة النجم، الآية ٤٩: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ٤٩﴾. وبـلا ريب، فإن تلك الدراسة المرجعية المتعمِّقة

التـي أعمل عليهـا جاهدًا لم تسفر حتى الآن عن دليل على هذه الأطروحة؛ ويبدو مثلاً بحسب معطيات الإفادات الثلاث أن المكيين جعلوا النبي [ﷺ] هو أبا كبشة، وأنـه هو الذي عبد «الشعـرى»، وعبادة «الشعرى» تتناقض مع دعوة التوحيد التي جاء بها محمد [ﷺ].

٨. يـرى كل من الحوت وجواد أن الشعرى كانـت معبودة وَفـق الآية ﴿رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ۝٤٩﴾(٥٦). وتتوافـق هـذه النتيجـة مـع رأي المفسِّريـن. حقّاً، لم يذكـر الطـبري اسمًا معيَّنًا، بينمـا ذكر الزمخشـري خزاعة، كما ذكر أبـا كبشـة(٥٧). إن تعيين «ربّ الشعـرى» يقودنا إلى التفكـير السريع في الآيتين: ﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ﴾ (المزمل، الآية ٩)، و«رب الفلق» (الفلق، الآيـة ١). غير أنـه لا يبدو أن لهذا علاقة بما سبـق. ففي تفسير مقاتل للآيـة: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦ﴾ (الحـج/ ٣١) نجـد تلبيتـين لمذحج والحُمْـس(٥٨). فتلبية مذحـج هي: «رب الشعـرى، رب السماوات العُلى، رب اللات والعزى». على حين أن تلبية الحُمْس: «لبيك اللهم لبيك، لبيك أنـت ربّ الشعرى فانصرهم ممن تعـدّى، ربُّ تعاليتِ الأخرى(٥٩)؛ ورب الـلات والعزى، والكعبةِ الحرام...» (انظـر Kister Labbayka, 54 nr 54. 41,46).

٩. تبـدو بعض أسماء الأعـلام وأسماء بعض الأصنـام -وإن لم تكن بتلك الدقة- مرتبطةً بتقديس الكواكب، ومن ثم:

(أ) أسماء «عبد الشارق» من خثعم والأزد التي يذكرها Caskel, 214،218 Gamhara، وانظر عن معناه ابن دريد الاشتقاق ص٥٢٣).

الأسماء عبد الثريا من قبيلة الأشعر Caskel، Gamhara, 273).

(ب) أسمـاء الإلهـة «ذريـح» بمـا يتوافـق مـع الاسـم العـبري «زرح»

والاسـم السريـاني «دنـح» (انظـر؛ Noldeke, ZDMG 713,1887, 41، Wellhausen Reste, 65). وانظـر عـن «النُّجـير» في حضرموت؛ ابن حبيب، المحـبر، صـ٣١٨؛ ياقـوت، معجـم البلـدان، ج٣، صـ٦؛ ابن حـزم، الجمهرة، ص٤٩٣).

(ج) أمـا عن الإله «المحرِّق» (وهو ما له علاقة بعبـادة ««الشمس»)، فانظر (Wellhausen, Reste, 244) وكذلـك الإلـه «سلمـان» القريـب موضعه من الكوفـة (انظـر ابن حبيب، المحبر، ص صـ٣١٢، ٣١٧؛ ياقـوت، معجم البلدان، ج٥ صـ٦١)؛Kister، Labbayka 57،52؛ ابن حزم، الجمهرة، ص٤٩٣؛ وانظر مـرة أخـرى، Wellhausen, Reste 57، ؛ Fahad, Panthion 131-128، Hofner, WdM, 455).

الخلاصة:

وفي ضـوء ما سلف من نقاط انبثقت في هذه التحديدات من مصادر متنوعة وذات القيمـة المتفاوتـة، فإنه لا توجد لها قوة إثبات واحـدة. وربما أمكن أن تُحلّ قضيـة أو أخرى بالعثور على مادّة إضافية من مصادر أدبية أو من النقوش. وبما أنـه لم يتيسّر هـذا حتى الآن الحصولُ علـى ذلك، فعلى المـرء بالتأكيد الاكتفاء بمـا سجلنـاه أخيرًا من أن عبادة الكواكب غير ثابتة فيمـا قبل الإسلام في وسط الجزيرة العربية. وكل ما قلناه لا يثبت إلا أمرين:

الأول: تقلّص عدد الكواكب المحتمل عبادتها. والإشارة إلى طقس «الشمس» التي نجدها في الأرقام: ٣، ٤، ٥، ٦، ٧ (وكذلك، «القمر»)؛ ١٠ (أ) و(ج)، إضافة إلى (د)، نجد «الشعرى» في رقم٨ و٩، و«الثريّا» في رقم ١٠ (ب).

الثـاني: أنه يمكـن للمرء في بعض الحـالات أن يخضع بسهولـة تحت تأثير

شمـال الجزيـرة العربية وجنوبها، وبالطبـع، الرقم ١٠ (واسمـه عبد شمس في نقش) كما في نقش حوران والنقوش السبإية، وأن الرقم ٧ (رمز لعبادة الكواكب في عصـر إبراهيم [عليـه السلام] أو من العصور السبئية، وأن الرقم ٨ (طقس «الشعـرى»، حديث الظهـور)، والرقم ١٠ (أ) (ثلاث القبائـل المرتبطة بوشائج القرابـة استوطنـت الجنوب)، والرقـم ١٠ (ب) (أن قبيلة الأشعـر قبيلة عربية جنوبيـة)، وللرقـم ١٠ت («ذريـح» معـروف في حضرمـوت) والرقـم ١٠ (ث) («المحرَّق» معروف بالقرب من الفرات).

Von Tilman Seidensticker, Giesen

.

الحواشي:

عقدتُ محاضرة عن موضوع هذه الأبحاث في الاجتماع XX111 للمستشرقين في ويرزبورغ. ويجدر بي أن أنوّه بالشكر للسيدين سالم الهدروسي وموسى ثيبان من جيسن لما منحاني إياه من مساعدة في المجال الأدبي، كما أشكر السيدة د. كاثرين ميلر من ميونخ، والسيد د. نوربرت نيبيس من ماربورغ، وكذلك السيد أ. د. مانفرد أولمان، من توبنجن.

Zeitschrift der Deutschen Morgenlandischen, Gesellschft No. 136. (1986), Kommissionverlag Franz Steiner Wiesbaden Stuttgart, Giesen (1986) 493-511.

(١) لا تدعي وجهة النظر الآتية أحقية كاملة، وإنما تذكر أدلة معروفة في مجال البحث. انظر ما أشار إليه هينيجر من تأليف في عبادة النجوم.

(٢) أضاف كريهل أن عبادة النجوم التي عدّها المهاد لتطور العقيدة اكتسبت تغيّرًا ذا اعتبار.

(3) Arabisch- Semitisch-Orientali Kulturergeschichtlich -mythologisch Untersuchung Berlin,(1901) 4.

(٤) Resten Arabischen Heidentums صدرت الطبعة الأولى في برلين سنة (١٨٨٧م).

(5) Henninger, Sternkult.

(6) Fahad, Pantheon, p19 und 22.

(٧) Anthropos، مراجعته لفهد في ٦٥ (١٩٧٠) ٣٠٩-٣١٥.

(٨) طبقات ابن سعيد ٤٣، ورقة ١٣، مقتبس من ابن سعيد، نشوة الطرب) كروب ٧٤، ورقة١١ (عبدالرحمن) ٧٥. ورقة ٨. عبري دول (١٩٥٨م) ٩٤، ورقة ٣.

(٩) الدمشقي، نخبة، ٤٦. ورقة ٦.

(١٠) ابن سعيد، نشوة الطرب، ص٣٧٨.

(١١) يمكن ذكر كتاب المقالات في أصول الديانات، وانظر تعريف الخالدي: أعمال المسعودي المفقودة: إعادة بناء محتواها: JAOS 94 (١٩٧٤) ٣٥-٤١، p 8، nr 37...

(١٢) انظر هينينجر: Anthropos.

(١٣) «القمر الجديد» يعني الهلال بالعربية في دورته الشهرية.

(١٤) البيت الثاني الذي يمكن إيراده هو قول الأعشى، ميمون، الذي صحّح شعره بلاشير، واسمه ميمون بن قيس الأعشى. القصيدة رقم واحد التي طبعها غاير والتي أزعجت بلاشير فعلّق على أننا واجدون كثيرًا من أمثاله (ريجيس بلاشير، مشكلة التاريخ الأدبي: الأعشى ميمون. في: Arabica، 10 (1963) 32. ولا يعنينا انطلاقًا من هذه النقطة تحديدًا صحة الشعر. فالقصيدة المعروفة لا تشكل عائقًا، سواء كانت في ديوان صغير الحجم أو أكبر حجمًا.

(١٥) انظر عن سلامة بن مسلم الشحاري: Gal S 929 11، ولم يعمد شيخو إلى بروكلمان في مسرد المكتبة الوطنية ٥٠١٩.

(١٦) انظر: كاسكل، الجمهرة Caskel، Gamhara 251.

(١٧) (انظر: A sa,44 1 Geyer، Geyer, 44 MB, V،،، الكميت، الهاشميات، ص٧؛ ابن الأنباري، الأضداد، ص١٣٤؛ ابن نباتة، سرح العيون، ص٤١٨؛ القرشي، الجمهرة، (ط ١٣٠٨) (ط ١٣٠٨م)؛ المرزباني، الموشح، ص١٨١، قيامًا، بدلاً من ركودًا).

(١٨) المرجع السابق، ص٩٤.

(١٩) ويتضمن ما أورده المرزباني هذا المعنى فيما جاء به ذو الرمة والفرزدق.

(٢٠) ويذكر البيت ما يخصّ شهادة رؤية هلال شوال. وانظر، Lech, Kultus, ff , 37.

(٢١) انظر عن التقويم الزمني قبل الإسلام عمل 1.Lech، Kultus, Anm 249؛ وكذلك Henninger, Sternkult، Anm45 110؛ ومن المهم التنويه بعمل.Wellhausen , Reste, 98 Anm. وانظر، الأغاني، ج١٦، ص٩٨، ج١٧، ص٣٦٦؛ طفيل، ص٧.

(٢٢) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص١٦٧.

(٢٣) ابن دريد، الاشتقاق، ص١٢ وانظر: ابن حبيب، المنمق، ص٣٩.

(٢٤) (ذو الرمة، ديوان ذي الرمة، ص٥٧؛ المرزباني، الموشح، ص١٨٢؛ ابن منظور، اللسان، ج١٠، ص١٢٠؛ المعري، سقط الزند، ج٣، ص١٢٠٥. البصري، الحماسة البصرية، وهناك رواية «تنتظر»، بدلاً من أبصرت).

(٢٥) انظر: شعر الشمردل بن شريق، تحقيق: تلمان زاير نشتريكر ويزبادن،١٩٨٣م، ٤/٢، وما ذكره المحقق، وقد استشهد الشارح ببيت عمر بن أبي ربيعة، ص١٣؛ وكذلك، ص٤٣٦. يرى محقق شعره، فخر الدين قباوة أن «غيوب» جمع «غيب»، وهذا غير صحيح. كما أن شرح فيشر Fischer، Farb 93 «تغطية الغمام» غير دقيق أيضًا.

(٢٦) الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ج١، ص٣٢١؛ ياقوت، الإرشاد، ج٧، ص٥٢٨؛ ابن عساكر،

تاريخ ابن عساكر، ج٥، ص١٣٤؛ ابن عبد ربه، العقد، ج٤، ص٣٢١؛ البلاذري، الأنساب، ج ٥، ص١٣٤؛ المرزباني، الموشح، ص١٨١.

(٢٧) كان ينبغي أن يُذكر عنده في ص٣٤.

(٢٨) قدم كلّ من غاير وكازاره Kazzarah وصفًا مختلفًا غير دقيق ويفتقر إلى الإحكام، فمية Maya بنت عتيبة، بنت عبد الحارث اليربوعي التي ناحت على عتيبة نفسه، أو من يُدعى «التميمي»: أما من يُدعى في التاج، ج٩، ص٢٩٢: عيينة بن شهاب، فقد صححه كازاراه، دون سبب واضح عتيبة: وكان عتيبة من يربوع، وكان جده يُدعى شهابًا. فالقراءة الخاطئة كانت لتقارب رسم الاسمين.

(٢٩) Fischer 758، 3 ، Anm، Tag und Nacht. قرأ فيشر (عن) على أنها تعني (أنْ).

(٣٠) جواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٣، ص٣٥١؛ الحوت، الميثولوجيا، ص٩٥.

(٣١) انظر: الشافعي، الرسالة رقم ٨٧٤؛ مسلم، صحيح مسلم، ج١، ص٥٦٨. صلاة المسافرين رقم ٢٩٠. أبا داود، سنن أبي داود، ج١ ص٢٩٤؛ ابن حنبل، المسند، أ ج٢، ص١٩. ابن أنس، الموطأ، ج١، ص ٢١٩؛ القرآن [الكريم] سورة رقم ٤٤ و٤٩.

- يذكر الكاتب القرآن الكريم هنا مشيرًا إلى سورتي: «الدخان» و«الحجرات»، فما علاقة هاتين السورتين بما يورده؟ (المترجم)!

(٣٢) انظر: أبا داود، سنن أبي داود، ج١، ص٢٩٤. «فإنها تطلع بين قرني شيطان ويصلّي لها الكفار». وكذلك، ابن حنبل، المسند، ج٥، ق٣، ص ص١٣، ١٦: «فحينئذ يسجد لها الكفار».

(٣٣) ابن حنبل، مسند، ج٢، ص٢٠٧. «ولا صلات بعد الصبح حتى تشرق الشمس، ولا صلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس».

(٣٤) لا شك أن نصارى العرب والسوريين كانوا يوقّتون بالشمس. (انظر: شعر الأخطل، ص١٨٠):

ولكني سأشربها شَمولاً *** وأسجد عند منبلج الصباح

- لماذا ذكر الكاتب سورة «الأحقاف» هنا، وليس فيها شاهد على ما يريد قوله؟ (المترجم)!

(٣٥) انظر Iv, EI ، ١٠٤-١٠٥.

(٣٦) والمواقف التي تتحدد فيها المواقف للصلاة كما جاء في القرآن[الكريم] طه، الآية١٣٠: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾

وكذلك، ق، الآية٣٩: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾

(٣٧) ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٤٦٢.

(٣٨) البكري، معجم ما استعجم، ج٣، ص٨٠٨.

(٣٩) ERE; 60 Wellhausen. Reste 60. Noldeke.

(٤٠) ذكر Kister، Labbayka 56، مقاتلَ بنَ سليمان. وانظر: ابن حبيب، المحبر، ص٣١٦؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ٤٩٣؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٣٦٢. إلا أن اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج١، ٢٩٦، ذكر عذرة وحدها.

(٤١) عن مقاتل، انظر: Kister، Labbayka 56. وذكرُ تيم وعدي كثيرٌ في تميم، وإن ذكر ابن حبيب تيم – تميم. فعن مقاتل: «وكانت بنو وُدّ كلُّها تعبده، وكذلك ضبة».

(٤٢) ابن حبيب، المحبر، ص٣١٦؛ ياقوت، معجم البلدان، ح٣، ص٣٦٢.

(٤٣) انظر: فهرست أسماء الأعلام في ابن المثنى، النقائض، ج٣؛ والضبي، المفضليات، ص٦٩.

(٤٤) انظر: ابن حبيب، المحبر، ص٣١٢، Nr 16 . Labbayka Kister 52

(٤٥) Wellhausen .60 Reste، وهو مذكور في قول سلمى بن مقعد في ديوان الهذليين، ص١٨٩.

(٤٦) انظر: ابن منظور، اللسان، ج٦، س١١٤. وكذلك، Lane 1597..

(٤٧) انظر توضيح وجهة نظر العلماء المسلمين هذه في EI. 80 ،1 .

(٤٨) ولقد وسع كثيرًا فلهاوزن نطاق الأربع القبائل التي ذكرها كاسكل.

(٤٩) ذكر فلهاوزن شَمْس. وذكر كاسكل شَمِس. وهناك قراءة أخرى شُمْس.

(٥٠) الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص٣٣٢.

(٥١) القرطبي، التفسير، ج١٥، ص٣٦٤.

- الواقع أن قول إبراهيم عليه السلام جاء في أكثر من آية، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ

﴿ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝٧٩﴾ (المترجم)!

(٥٢) انظر مقالة، خزاعة، ٧٧٧ ،EI.

(٥٣) ابن حبيب، المحبر، ص١٢٩. وانظر: Caskel، Gamhara، Tafe 200. وقد ذكره عبد عمرو، بدلاً من عمرو.

(٥٤) البلاذري، الأنساب، ج١، ص١٩١. وانظر: Caskel، Gamhara، Tafel 200.

(٥٥) ابن قتيبة، الأنواء، ص٤٦.

(٥٦) جواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٥، ص١١٩؛ الحوت، الميثولوجيا، ص١٠٠. ولمزيد من المعلومات عن آلهة العرب قبل الإسلام المتعلقة بالأنواء، انظر: العزاوي، أدهام حسن، العبادات الفلكية عند العرب قبل الإسلام دراسة تاريخية، عمّان، دار غيداء، ط١، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، ص ٥٩-١٣١. (المترجم).

(٥٧) الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص٤١٩.

(٥٨) انظر: EI 577،111 .

(٥٩) انظر عن «مناة الثالثة الأخرى»، Kister Labbayka 36.

البيت الثاني الذي يمكن إيراده هو قول الأعشى، ميمون، الذي صحّح شعره بلاشير، واسمه ميمون بن قيس الأعشى. القصيدة رقم واحد التي طبعها غاير والتي أزعجت بلاشير فعلّق على أننا واجدون كثيراً من أمثاله (ريجيس بلاشير، مشكلة التاريخ الأدبي: الأعشى ميمون. في: Arabica 10، (1963) 32. ولا يعنينا انطلاقاً من هذه النقطة تحديداً صحة الشعر. فالقصيدة المعروفة لا تشكل عائقاً، سواء كانت في ديوان صغير الحجم أو أكبر حجماً.

المصادر والمراجع

العربية:

ابن الأنباري، أبو بكر بن القاسم، الأضداد، تحق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (الكويت: ١٩٦٠م).

البصري، صدر الدين بن أبي الفرج، الحماسة البصرية، تحق: عادل جمال سليمان، (القاهرة: ١٩٧٧م).

ابن أنس، مالك، الموطأ، تحق: محمد فؤاد عبد الباقي، (القاهرة: ١٩٥١م).

ابن حبيب، محمد البغدادي، المنمق في أخبار قريش، تحق: خورشيد أحمد فارق، (حيدرآباد: ١٩٦٤م).

ابن حزم، محمد بن علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، تحق: محمد عبد السلام هارون، (القاهرة: ١٩٦٢) ذخائر العرب، ٢.

الحوت، محمد سليم، في طريق الميثولوجيا عند العرب، (بيروت: ١٩٧٩م).

أبو داود، سليمان بن الأشعط بن إسحق الأزدي السجستاني، السنن، (القاهرة: ١٣٧١هـ).

ابن دريد، أبو بكر بن الحسن، الاشتقاق، تحق: عبد السلام هارون، (القاهرة: ١٩٥٨م).

دول، الملطي بن عبري، تاريخ مختصر الدول، تحق: أنطون صالحاني، (بيروت: ١٩٥٨م).

الزمخشري، أبو القاسم، محمد بن عمر:

- الجبال والأمكنة والمياه، تحق: محمد صادق بحر العلوم، (النجف: د-ت).

- الكشــاف عن حقائــق جوامع التنزيل وعيــون الأقاويل في وجــوه التأويل (القاهرة: ١٣٤٣-١٣٤٤هـ).

ابــن سعيد، أبــو القاسم، بن أحمــد الأندلسي، كتاب طبقــات الأمم، تحق: لويس شيخو (بيروت: ١٩١٢م).

ابن سعيد، المغربي، نشوة الطرب (انظر ما سيأتي في المصادر الأجنبية).

الشافعي، محمد بــن إدريس، الرسالة، تحق: أحمد محمد شاكر (القاهرة: ١٣٥٨هـ).

العــزاوي، أدهام حسن، العبادات الفلكيــة عند العرب قبل الإسلام دراسة تاريخية، عمّان، دار غيداء، ط١، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥.

علي، جواد، تاريخ العرب قبل الإسلام (بغداد: ١٩٥٥-١٩٥٩م).

القرشي، أبو زيد، محمد، كتاب جمهرة أشعار العرب (بولاق: ١٣٠٨هـ).

القرطبــي، أبــو عبد الله، محمد، كتــاب الجامع لأحكام القــرآن (القاهرة: ١٩٣٥-١٩٥٠).

مسلم، أبو الحسين، بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحق: محمد فؤاد عبد الباقي (القاهرة: ١٣٧٤-١٣٧٥هـ).

ابــن نقيــة، أبو القاسم، عبــد الله بن محمد، الجمــان في تشبيهات القرآن، تحق: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي (بغداد: ١٣٨٧هـ).

الأجنبية:

Caskel, Werner, Gamharat an-nasab. Das geneologische Work des Hisam ibn Myammad al-Kalbi (leiden: 1966).

Corpus Inscriptionum Semiticarm ab Acqademia inscriptionum et literarum humaniorum conditum atque digestum (Paris: 1889-1930).

Fahad, Taufiq, Le Pantheon de I Arabie central a la veille de I.Hegire (Paris: 1968) (Institute Franccais darcheologie de Beyrouth, Bibliotheque archeologique et historique, 88) p198- 22 .

Fischer, August, «Tag und Nacht» in Arabischen und die semetische Tagesberechnung. In: Abhandlung der konig;. Sachsischen Gessellschaft der Wissensschften. Phl. –hist. kl. 27. 21 Leipzig 1909.

Henniger, Joseph, Uber Sternkunde und Sternkult in Nord- und Zentralarabien. In Zeitschrift fur Ethnologie 79 (1954) 82-117, abgedruckt in: J. H.: Arabien Sacra: Aufsatze zur Religionsgeschichte Arabiens und seiner Randgebiete. Freiburg- Schwiz, Gottingen 1981, p 481-117 (Orbis Biblieus et orientalis. 40).

Hartmut, Gese, Maria Hofner, und Kurt Rudolph: Die Religionen Altsyriens, Altarabiens und der Mandaer (Stuttgart, 1970) (die Religionen der Menschenheit. 10. 2.) darin p. 354-368.

Hofner, Maria, Die Stammesgruppen Nord- und Zentralarabiens in vorislamischer Zeit. In: Worterbuch der Mythologie (Stuttgart o. J. L. Abteilung, p 409-481).

kazzarah, Salah, Die Dichtung der Tamim in Vorislamischer Zeit (diss.) (Erlangen: 1982).

Kister, Meir, j, Labbayka, Allahuma Labbayka: On a monotheistic aspect of Jahiliyya. In; Jerusalem Studies in Arabic and Islam, 2 (1980) 33-57.

Lech, Klaus, Geschichte des islamischen Kultus. Rechtshistorische und Hadith-kritische Untersuchung zur Entwicklung und Systematick der Ibadat. Bd 1: Das Ramadan Fasten. Teil 1. (Wiesbaden, 1979).

Noldeke, Theodor, Arikle «Arabe (Ancient)», in: Encyclopadia of Religion and Ethics. Bd. 1. (Einburgh: 1908) p. 659-673.

Kropp, Manfred: Die Geschichte der «reinen Araber» vom Stamme Gahtan. Aus dem kitab naswat at-tarab fi tarih gahilyyat al- Arab des Ibn suid al Magribi. Hrsg. Und ubers. Eingleitet und komm. 2. Aufl. Frankfurt etc. 1982, (Heidelberger orientalistische Studien. 4) . Abdarrahman. Nasrat Amman, 1982).

Samardal, b. Sarik, Die Gdischte des Samardal, b. Sarik, (Sd) Tilman Seidensticker (Wiesbaden, 1983).

Wensinck, Arent Jan: A Handbook of early Muhammadan Tradition (Leiden: 1927)

«وديع فلسطين» يلحق بأعلام عصره

محمّد عبد الشافي القوصي

«وديع فلسطين» كان آخِر ما تبقَّى من روّاد الصحافة الورقيّة، أوْ «جيل الأساتذة»!

رحل شيخ الأدباء المعمِّرين؛ الذي عايش القرن العشرين كله، بحلاوته ومرارته!

فقد التقى الساسة والأدباء والشعراء باختلاف مشاربهم؛ فعمله بجريدة «المقطم» أتاح له فرصة اللقاء مع: الرئيس التونسي/ الحبيب بورقيبة، والمجاهد المغربي/ الأمير عبد الكريم خطّابي، ومفتي فلسطين الحاج/ محمد أمين الحسيني، والزعيم الهندي/ نهرو، وغيرهم الكثير ممن زاروا مصر آنذاك.

إنه «الكاتب» الذي ألَّفَ وترجم ما يزيد عن أربعين كتابًا في الأدب والاقتصاد والسياسة وفنون الصحافة التي قام بتدريسها في الجامعة الأمريكية على مدى عشر سنوات بين عامي ١٩٤٨ -١٩٥٧م. كما شارك في إخراج عدد من الموسوعات منها: «موسوعة من تراث القبط»، و«موسوعة الأقباط» باللغة الإنجليزية الصادرة في ثمانية أجزاء عن جامعة يوتاه بأميركا، والموسوعة العربية الميسّرة، و«موسوعة أعلام مصر والعالم»، وقد ذُكر فيها بأنه أول من تنبأ بأنَّ نجيب محفوظ سوف يصبح ذا شهرة عالمية، وبالفعل فقد حاز على جائزة نوبل، وغيرها.

إنــه «الأديــب» الذي يُعدُّ –بحق– شاهدًا علــى مسيرةٍ حياتية عُمرها قرن من الزمان ... رأى فيها ما لمْ يره غيره، وسمِع ما لمْ يسمع غيره، وذاق فيها حلو الحيــاة ومُرّها، وتقلبت الدنيا على عينيه حتــى رأى أجيالًا من أحفاده؛ فاستوت عنــده الآمال والآلام، والأفراح والأتــراح، والصداقات والعداوات، والانتصارات والهزائــم، والغِنَى والفقــر، والصحة والمرض ... سيان عنــده الصيف والشتاء، والظل والحرور!!

لا جَــرَمَ أنَّ مشــوار (وديــع فلسطــين) الحياتــي يؤرخ لميــلاد الصحافة الورقية ووفاتها –في آنٍ واحد– باعتباره شهد تأسيس كبرى المؤسسات الصحفية كالأهــرام، ودار الهــلال، والمقطم، والمقتطف، والرسالــة، وغيرها. وقد عمل مع أرباب البيــان، وعباقرة الفن والأدب، أمثال: جورجــي زيدان، ويعقوب صروف، وشبلــي شميل، وفارس نمــر، والزيات، وزكــي مبارك. كما عاصــر جيل الرواد، وحاورهم، أمثال: الرافعي، والمنفلوطي، والزيّات، والعقّــاد، وطه حسين، وغيرهم من المشاهير.

وقد استطاع أن يكون حلقة وصل بين عدة أجيال من المبدعين والكُتّاب في مصر والعالم العربــي والمهجر، وربط بين هؤلاء بالمراسلات والتراجم لأعمالهم الإبداعيــة، وقد ترجم لكثيرٍ منهم؛ وهو ماجعله نقطــة ارتكاز لفك شفرة عصر الكُتّاب والأدباء الرواد؛ الذين أثروا حياتنا الفكرية بالروائع الأدبية والثقافية.

المرجع الأول في الأدب المهجري!

قالــت عنه صافينــاز كاظم: «هواية وديع فلسطــين الفكرية؛ هي البحث عن تعبــيرات علمية أغفلتهــا القواميس المتخصصــة». كما وصفــت استخدامه للغة العربية بأنه: «أنيق لدرجة أنه يجعل مُحبي تلك اللغة يشهقون من شدة إعجابهم». وأنَّ «أسلوبه الأنيق الظريف يصل إلى أعماق الشخصية التي يتحدث عنها مزيلًا الحواجز بين المؤلِّف والمؤلَّف عنه» .

أمَّـا هـو فيقول عن نفســه: «أنا المرجـع الأول في الأدب المهجـري؛ لعلاقاتي الوثيقـة بهم، وصادقتُ الأضداد من الأدباء والمفكرين، ولمْ أتحزب لأحد، وألّفتُ عشـرات الكتب، ولم أضع اسمي عليها، وعندي عشـرة آلاف رسالة خطية لكبار العلماء والأدباء العرب»!

لقد عايش الزمن الجميل من الحرية والإبداع مع أعلام عصره وروّاده.

لذا يقول: «لا أفهم للأدب حياة إلَّا مع الحرية الكاملة، فإنْ كان هناك قيد واحـد، فقـل: على الأدب السلام». وقد كشف عمـا يعانيه في الحقبة الأخيرة من مرارة الواقع الثقافي، فقال: «يكاد المرء يندم لأنه اختار الفكر مهنة له».

ويكشـف عمـا يجيش بنفسه من فسـاد الحياة الثقافية، فيقـول: «لا أجد ما يدعو إلى المتابعة في هذه الأيام، بسبب طغيان موجة الشِّعر الجديد التي أفسدت ذوق القـارئ، وكادت تُحيـل الشِّعر الجميل بما فيه شِعـر المهجر، إلى «التقاعد»؛ فانصـرفَ القراء عن الشِّعـر الموزون المقفَّى، وبارتْ سوقه لـدى الناشرين. وقد سئلـتُ ذات مرة: هل تعـرف الشاعر فلانًا -وهو ممن يكتبـون كلامًا يفتقر إلى خصائص الشِّعر الحقيقية- فقلت للسائل: إنَّ مَن عرف خليل مطران، وإبراهيم ناجي، ومحمود حسن إسماعيل، وأبا شادي، والشاعريْن اللبنانيْن: بولس سلامة، وأمـين نخلة، وكذلك صالح جودت، ومحمد مصطفى الماحي، ومحمود أبو الوفا، وكل شعراء المهجر، فهل يخسر شيئًا إذا لم يعرف صاحب هذا الشِّعر الهزيل»؟

مسيرة حياتية شاقة:

ينحـدر «وديع فلسطين» مِن أُسرةٍ عريقـة بصعيد مصر الجوَّاني، بجنوب قنـا، ثـمَّ انتقلتْ بعـد ذلك إلى مركـز «أخميـم» بسوهاج. وقد درس الصحافة بالجامعـة الأمريكيـة بالقاهرة في مطلـع القرن العشرين، ثمَّ بـدأ حياته المهنية بجريـدة «الأهـرام»، ثم انتقـل بعدها إلـى صحيفة «المقطَّم»؛ حيـث عمل في كل

أقسامهــا. وحول تلك الفترة يقول: «استدعاني ذات يـوم فارس باشا نمر، وكان وقتها في الخامسة والتسعين من عمره، وطلب مني أن أكتب افتتاحيات الصحيفة. وكانـت مسؤولية كبيرة، إذ إن عمري وقتها لم يكـن يتعدى ٢٥ عامًا، وكان رئيس التحرير عمره ٧٥ عامًا». وقد سارت الأمور على مايرام إلى أن اشتدت التهديدات الموجّهـة ضد «المقطَّم» نتيجة ما كان يكتبـه في الافتتاحيات من وجهات نظر، ثم انتهت إلى إغلاق الصحيفة في أواخر عام ١٩٥٢م. بعدها ترأّس «وديع فلسطين» مجلـة «الاقتصاد والمحاسبة» التـي كان يصدرها «نادي التجـارة الملكي» (نقابة التجاريـين حاليًـا)، واختير عضوًا في الهيئة المشرفة علـى تحرير مجلة «التربية الحديثـة» الصادرة عـن الجامعة الأمريكية في القاهرة بعـد وفاة مؤسسها. كما كان عضوًا في الهيئة المشرفة على تحرير مجلة «الطالبة» إلى أن احتجبت في عام ١٩٦٨م.

وفي هــذا الصدد يقول: «إنني غيَّرتُ مسار حياتي أكثر من مرة؛ ففي فترة اتجهتُ بكليتــي إلى الترجمة، وحين اعتقلني جمال عبـد النـاصر بقيتُ في البيت ثـلاث سنــوات بلا وظيفــة، وكلما ذهبـتُ إلى عملٍ مــا، قالوا لي: أنـت مغضوب عليـك من الثورة، فـلا يُوظفونني، إلى أن بـادرتْ مؤسسة دار المعـارف بإرسال بعضـ الكتب إليَّ لأترجمها، وكذلك فعلـتْ أرامكو السعودية، وأذكر أنه حدث في إحـدى المرات إشـكال قانوني في أرامكو، بخصوص اتفاقيــة نقل البترول، واتُّفق على أن يُلجأ فيها إلى التحكيم الدولي في جنيف، فذهبتُ معهم بصفتي مترجمًا، ووجـدتُ نفسي كبير المترجمين، وبقيتُ في هذه القضيــة ثمانية أشهر، أنتقل من مـكانٍ إلى مكان، وبعد ذلك عرضتْ عليَّ أرامكـو أن أعمل في مكتبهم بالقاهرة، مديـرًا للعلاقـات العامة، فكنـتُ مسؤولًا عن مجلـة «قافلة الزيـت»، وبعد عشر سنــوات قرروا إغـلاق المكتب في القاهرة، وتمَّ نقل النشـاط إلى بيروت، فوجدتُ نفســي في الشارع من جديد، إلى أن وجدتُ وظيفة مترجم قانوني في شركة نفط أمريكيــة في ليبيــا، وسافرتُ إلى هنــاك حتى حدثت ثورة القــذافي، وخلال أربع

وعشريـن ساعة رحَّلوني من البلـد، ولمْ أكن أعلم لماذا ... مـع أنني كنتُ أعرف أكثر زعماء ليبيا»!

رحلة مع شعراء المهجر:

«مئة عام» قضاها «وديع فلسطين» بين أروقة الأدب والفكر والصحافة، رأى فيها ما لم يره غيره، وسمع فيها ما لم يسمعه سواه، يقول في ذلك: «مِمَّا أعتزُّ به في مسيرتي الأدبية، أنني تواصلتُ مع أعلام الشعر في المهاجر الأمريكية، وصارت لي صداقـات حميمة مع الشعراء الكبـار، أمثال: جورج صيدح، والشاعر القروي رشيـد سليم الخوري، وإلياس فرحات، وزكـي قنصل، وشفيق معلوف، وغيرهم، وهـم من شعراء أمريكا الجنوبية، وكذلك مع الشعراء: نعمة الحاج، ووديع رشيد الخوري، والدكتور سليمـان داود، ومع الدكتور أحمد زكي أبي شادي بعد هجرته إلى أمريكا ... وهؤلاء من شعراء أمريكا الشمالية. ولم أحاول التواصل مع «إيليا أبـي ماضـي» حتى عندمـا زرتُ أمريكا في عـام ١٩٥٥م؛ لأنني كنـتُ واقعًا تحت تأثـير صديقي «أبي شادي» الذي قال لي: إنه يعجب بشعر أبي ماضي، وينفر من شخصيته الشرسة!

مـن جوانـب العبقرية في شخصية وديـع فلسطين؛ أنه متـوازن في عواطفه، ومتوسـط في صداقاتـه، وفي علاقاتـه بالجميع، فـلا يعرف للعـداوة طريقًا، ولا للخصومـة سبيـلًا؛ ولقـد عبَّر عـن ذلك بقولـه: «الحقيقـة أنني كنـتُ صديقًا للأضداد بسبب عدم انحيازي إلى أيّ اتجاه بعينه، أوْ تحزبي لأيّ شخصية أدبية، فمـن أصدقائي باختلاف مشاربهم: الشيخ محمـود شاكر، وخالد محمد خالد، ومحمـود أبورية، وعبـد الله القصيمي، وسيد قطب، وسلامة موسى، وإسماعيل مظهـر، كما صادقتُ زكـي مبارك، وطه حسـين، والعقاد، والمـازني. ولم أحاول تصنيـف الأدباء إلى أشرار وصالحين كما فعـل صديقي/ أنور الجندي في كتابه «الصحافة والأقلام المسمومة»!

المؤلِّفُ البارز والمُترجِمُ العالميّ:

سيظلّ اسم «وديع فلسطين» على أغلفة روائع المؤلفات، مثل: كتابه «ناجي: حياتـه وأجمل أشعـاره»، وكتاب «مي: حياتها وصالونهـا وأدبها»، و«مختارات من الشعـر المعاصـر وكلام في الشعـر»، كما قام بتحقيـق ديوان «الإنســان الجديد» للدكتـور أحمد زكي أبو شــادي، وديوان «النيروز الحر» لأبو شــادي، و«أشعار أبو شادي المجهولة». فضلًا عن الروائع العالمية التي اضطلع بترجمتها، مثل: ترجمة مسرحية «الأب» للأديب السويـدي أوغست سترندبرغ، و«قضايا الفكر في الأدب المعاصـر»، و«فلسطـين في ضوء الحق والعـدل»، مترجم عن المشـرع الفلسطيني هنري كتن، و«جعفـر الخليلي والقصة العراقية الحديثـة» ترجمه عن المستشرق توماس هامل.

وقـد شارك «وديع فلسطـين» في تأسيس عدد كبير مـن الهيئات والجمعيات الأدبية؛ فقد أنشأ مع الشاعر إبراهيم ناجي «رابطة الأدباء» عام ١٩٣٥م، وتوالى انتخابـه نائبًا لرئيسها حتى توقفت عــام ١٩٥٢م. وكان عضوًا مؤسسًا في رابطة «الأدب الحديث» بالقاهرة، وعضو نقابة الصحفيين المصريين منذ عام ١٩٥١م، وعضــو اتحاد الكتّــاب، كما أنه عضــو في «مجمع اللغة العربيــة» الأردني، وعضو لجنــة تنسيق الترجمات التابعة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الملحقة في الجامعــة العربية، بالإضافة إلى عضويته في الهيئة الاستشارية لمجلة «الضاد» في حلب.

حكايات مع المجامع اللغوية:

«وديـع فلسطـين» كان وديعًا بالفعل، ومتواضعًا وخجولًا جـدًا، وهادئ الطبع إلــى ما لانهاية! ليست له مطامــع دنيوية، ولا مآرب حزبية، ولا شيء ممّا يتهافت عليـه الناس، يقول: «لم يكن من مطامعي أنْ أُحشر بين مَن أعدُّهم من أساتذتي الكبــار، ومع ذلك فعندما اختــارني مجمع اللغة العربية بدمشــق عضوًا مراسلًا

في عــام ١٩٨٦م ومجمع اللغة العربية الأردني عضوًا مؤازرًا في عام ١٩٨٨م؛ فقد تهيَّبــتُ الموقف، ورجوتُ الســادة أعضاء المجمعَيْن أن يعتــبروني تلميذًا في هاتيْن المؤسستيْن. وقد تنفّستُ الصعداء بعد ذلك عندما رشِّحتُ من وراء ظهري مرتيْن لعضوية مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وكان الرسوب من قسمتي!

فليســ لي صبر ولا أهلية للمشاركة في مجمع الخالدين؛ لأنني أسكن في حي «مصر الجديدة»، ويطلبون حضوري إلى المجمع بحي «الزمالك» لمناقشة (حرف الهمزة)!

أعلام عصر وديع فلسطين:

كثيرة هي الكُتب التي ألَّفها وديع فلسطين، وكثيرة تلك الكتب والدواوين التي حقّقهــا، وأكــثر من ذلك الكتب التــي ترجمها، مثل: «موسوعــة كومبي المصورة» وهــي موسوعة مــن ثمانية أجــزاء، و«موسوعة أعلام مصر والعــالم»، وموسوعة «القبــط» التي صدرت باللغــة الإنجليزية في ثمانية أجــزاء في أمريكا، و«قاموس الأدب العربي الحديث»، وغيرها.

لكــن أهم كتاب أصدره، هو: «وديــع فلسطين يتحدّث عن أعلام عصره» يقع في جزأيــن في نحو ٧٥٠ صفحــة، إذْ يتحدث عن مئة شخصية من الأعلام الذين عرفهــم. هذا الكتاب يُفصِح عن سيرته الذاتية مــن خلال هؤلاء الأعلام الذين تعامل معهم.

يمكن وصف هذا الكتاب؛ بأنه أبرع ألوان كتابة السيَر الذاتية؛ لأنه مبني على معلومات شخصية، لا معلومات وصفية وجافة. والذي يميز هذا الكتاب –أيضا– أن الشخصيــات التــي كتب عنها «المؤلــف» هي تلك الشخصيــات التي عاصرها وتعامــل معها، وعرفها عــن كثب، وقدمها مــن منظوره الأدبــي، وبأسلوبه الفني الرائع المعروف عنه؛ مِمَّا أضفى على الكتاب جانبًا كبيرًا من التشويق والمتعة؛ إذْ

نجح «وديع فلسطين» في سرد رؤى موجزة عن مجموعة من الأعلام العرب الذين عرفهم من واقع تواصله الشخصي، واحتكاكه بهم، وما يأمله أنْ يتحقق من أجل توثيق إسهاماتهم، وتكريمهم، وإنصافهم في زمنٍ عزَّ فيه الإنصاف، وعزَّ الوفاء، وعزَّ الرجال .. كما عزَّت فيه الصداقة، والمرءوة، ومكارم الأخلاق!

هـذا وقـد جنَى «وديع فلسطـين» ثمرة كفاحه وهو على قيـد الحياة، بل وفي زمـنٍ مبكّـر؛ فقد حصل على العديد مـن الجوائز، أبرزها: جائـزة فاروق الأول للصحافـة الشرقية عام ١٩٤٩م، كما منحته حكومـة إسبانيا عام ١٩٥٢م وسام الاستحقـاق المدني من طبقة كوماندور، ومنحتـه الجامعة الأمريكية في القاهرة ميداليتها الذهبية، وغيرها من الأوسمة والنياشين!